

لماذا يحصل الأطفال النوابغ  
على درجات متدنية؟ وما الذي  
يمكنك فعله تجاه ذلك؟

# لماذا يحصل الأطفال النوابغ على درجات متدنية؟ وما الذي يمكنك فعله تجاه ذلك؟

برنامج من ست خطوات لأولياء الأمور والمعلمين

د. رم سيلفيا

نقلته إلى العربية

سميرة الشerman

العبيكان  
Obekkan



Original Title

Why Bright Kids Get Poor Grades and What You Can Do About It  
A Six-Step Program for Parents and Teachers

Author: Dr. Sylvia Rimm

Copyright © 2008 by Great Potential Press

ISBN-10: 0910707871

ISBN-13: 978-0910707879

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition

Published by Great Potential Press, P.O. Box 5057,

Scottsdale, AZ 85261 (U.S.A.)

حقوق الطبعة العربية محفوظة للبيكان بالتعاقد مع جريت بوتشل بريس. الولايات المتحدة الأمريكية.

©  2012 \_ 1433

شركة البيكان للتعليم، 1435هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سيلفيا، ريم

لماذا يحصل الأطفال النوابغ على درجات متدنية؟ وما الذي يمكنك فعله تجاه ذلك؟ / ريم

سيلفيا، - سميرة الشرمان، - الرياض 1435هـ

480 ص: 24 × 16.5 سم

ردمك: 0 - 616 - 503 - 603 - 978

2 - طرق التدريس

1 - التحصيل الدراسي

ب. العنوان

أ. الشرمان، سميرة (مترجم)

رقم الإيداع: 1435/1097

ديوي: 370,15

الطبعة العربية الأولى 1436هـ - 2015م

الناشر  للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

[www.obeikanpublishing.com](http://www.obeikanpublishing.com)

متجر  على أبل

<http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store>

امتياز التوزيع شركة مكتبة 

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 - فاكس: 4889023 ص.ب: 62807 الرياض 11595

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ، فوتوكوبي، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.





## قائمة المحتويات

7	قائمة المحتويات
17	قائمة الأشكال
21	تمهيد
25	قوانين رم في التحصيل
27	كيفية الاستفادة القصوى من هذا الكتاب

### الجزء الأول

29	لماذا يحصل الأطفال النوابغ على درجات متدنية؟
30	المجموع الكلي للنقاط:

### الفصل الأول

31	ما المقصود بتدني التحصيل؟
39	كيف يبدو متدنو التحصيل؟
41	فئات التحصيل المتدني
41	بيرل الباحثة عن الكمال
42	بولي المسكينة
43	بول الكسول
44	سام المريض
45	تيريس المستهزأ به
46	دونا المكتئبة
47	توماس الممزق

- 48 ..... جاك الفارس، وشونورا الاجتماعية، ودان الممثل
- 49 ..... أليس الأكاديمية
- 51 ..... ماريا المتلاعبة
- 52 ..... كريس المبدع
- 54 ..... ربيكا المتمردة
- 55 ..... هاري مفرط النشاط
- 56 ..... بوب المتممّر
- 57 ..... كيف تحدد أطفلك يعاني متلازمة تدني التحصيل؟
- 58 ..... المجموع الكلي للنقاط:

## 59 ..... الفصل الثاني

- 59 ..... الأخطار المبكرة
- 60 ..... الطفل السابق لأوانه
- 60 ..... الطفل المرحب به بصورة زائدة عن اللازم
- 62 ..... المشكلات الصحيّة المبكرة
- 65 ..... قضايا النوع الاجتماعي (الجنوسة)
- 68 ..... تركيبات محددة للأشياء
- 73 ..... علاقات رعاية أبوية محددة
- 75 ..... الطفل الموهوب
- 76 ..... استنتاج: الاعتمادية والهيمنة
- 78 ..... المجموع الكلي للنقاط:

## 79 ..... الفصل الثالث

- 79 ..... الأبوان بوصفهما نماذج
- 81 ..... النماذج السلبية والإيجابية
- 82 ..... أنا أيضاً لم أحب المدرسة
- 83 ..... البيت غير المنظم
- 84 ..... الرعاية الأبوية العدوانية - السلبية
- 84 ..... ليشون
- 84 ..... مارتينا
- 86 ..... الأبوان المرهقان بالعمل

87	والدا ما بعد الطلاق .....
91	المماثلة مع الجنس المغاير .....
94	منافسة الآباء .....
95	الطقس (الأول): الأب هو الغول .....
100	الطقس (الثاني): الأم هي الغول .....
103	الطقس (الثالث): الأب هو الغبي .....
104	الطقس (الرابع): الأم هي فأرة المنزل .....
107	تركيبية من الطقوس .....
110	المجموع الكلي للنقاط: .....
111	المجموع الكلي للنقاط: .....
113	<b>الفصل الرابع</b> .....
113	الاعتمادية والهيمنة .....
114	المماثلة المغايرة .....
116	تعزيز الاعتمادية .....
121	تعزيز الهيمنة .....
128	ملخص .....
130	المجموع الكلي للنقاط: .....
131	<b>الفصل الخامس</b> .....
131	حالات مدرسية لمتلازمة تدني التحصيل .....
131	البنية .....
134	المنافسة .....
136	التصنيف .....
140	الانتباه السلبي .....
145	الملل .....
149	ضغط الأقران .....
	<b>الجزء الثاني</b>
151	ما الذي يمكنك فعله تجاه ذلك؟ .....
153	<b>الفصل السادس</b> .....

- 153..... الرعاية الأبوية نحو التحصيل
- 154..... نمذجة التحصيل
- 157..... السلطة والسيطرة
- 158..... إعطاء رسائل إيجابية واضحة
- 159..... المديح المعقول
- 160..... الانسجام بين الأبوين
- 163..... الانسجام والتناقض ضمن أحد الوالدين
- 165..... رسائل (تغلب على النظام)
- 165..... الحديث المرجعي
- 168..... المنافسة - الربح والخسارة
- 171..... التنظيم
- 173..... عادات الدراسة والواجبات المنزلية
- 174..... الدرجات والمكافآت
- 175..... عواقب التساهل
- 178..... أعزائي الأجداد
- 178..... اعتبارات البنية العائلية
- 179..... بعد الطلاق
- 180..... الوالد المنفرد
- 182..... العائلة المتمازجة
- 184..... عائلة الزيارات الرسمية
- 187..... **الفصل السابع**
- 187..... التدريس من أجل التحصيل
- 187..... المنهاج المتميز
- 194..... بناء قيمة المهمة
- 195..... تعليم المنافسة الصحية
- 200..... التدريس وفقاً لاحتياجات الطلاب العاطفية
- 203..... التنافسية
- 203..... هموم الصديق الحميم
- 203..... السلطة وضغط الأقران
- 204..... إكمال سلسلة التحالف

## 207..... الفصل الثامن

كيف يمكنك عكس متلازمة تدني التحصيل باستخدام النموذج ثلاثي البؤر؟

207..... الخطوة الأولى: التقييم

209..... تبني النموذج ثلاثي البؤر للطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

209..... التقييم

213..... التقييم الرسمي

215..... Achievement Identification Measure (AIM) مقياس تحديد التحصيل

مقياس تحديد التحصيل الجماعي Group Achievement Identification Measure

218..... (GAIM)

مقياس تحديد التحصيل: ملاحظة المعلم

218..... Achievement Identification Measure: Teacher Observation (AIM–TO)

219..... التقييم غير الرسمي

221..... الاعتماديون المنصاعون

222..... الاعتماديون غير المنصاعين

222..... التلاعبات الاعتمادية

227..... المنصاعون المهيمنون

228..... التلاعبات المنصاعة المهيمنة

230..... المهيمنون غير المنصاعين

231..... التلاعبات غير المنصاعة المهيمنة

236..... تحديد الخطوة الآتية

## 237..... الفصل التاسع

237..... الخطوة الثانية: التواصل بين المعلمين، وأولياء الأمور، والطلاب

237..... مبادرة التواصل من قبل المعلم

242..... التواصل المُسهل من قبل الوالدين

246..... متابعة تقدّم الطلاب

## 251..... الفصل العاشر

251..... الخطوات الثلاث الآتية: التوقعات، ونماذج القدوة، والعيوب

251..... تغيير التوقعات

251..... التوقعات الشخصية

255..... توقعات الآباء .....

257..... توقعات الأشقاء .....

259..... توقعات المعلم .....

260..... توقعات الأقران .....

265..... مماثلة نماذج القدوة.....

266..... مصادر النماذج .....

272..... طريقة لتشجيع المماثلة .....

274..... تصحيح العيوب.....

275..... مخاوف المهارات الخاصة وعيوبها .....

280..... حساسية الرؤية في الظلام .....

281..... الخطوة الأخيرة .....

**283..... الفصل الحادي عشر.....**

283..... ما الذي يمكنك فعله للأطفال الاعتماديين؟.....

283..... ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم آباء؟ .....

284..... التصويت على الثقة .....

288..... مكان المأوى.....

289..... تعزيز التماثل مع الجنس نفسه للأولاد .....

291..... التعبير عن المشاعر.....

293..... المهارات التنظيمية .....

293..... وضع الأشياء المتشابهة بعضها مع بعض .....

293..... تنبؤ الوقت .....

294..... الجدولة.....

294..... التذكر .....

294..... إعطاء الأولويات .....

295..... الإقصاء .....

295..... المراجعة .....

295..... تأسيس العادات الجيدة.....

296..... المحافظة على المرونة .....

296..... تعليم المنافسة .....

298..... تعليم المهارات الاجتماعية.....

299.....	تشجيع الأنشطة باهتمام ذاتي.....
300.....	تهدئة توخي الكمال.....
305.....	تعليم الحُكم المؤجل.....
308.....	الواجبات المنزلية المستقلة.....
318.....	الواجبات غير المكتملة في المدرسة أو المنزل.....
323.....	تعليم التركيز.....
324.....	عمل النقاط الإضافية.....
325.....	التدريس الخصوصي الموجه نحو الأهداف.....
325.....	إبقاء الأطفال في المسار العادي.....
328.....	الاستبقاء.....
328.....	ماذا يمكنك فعله بوصفك معلماً؟.....
329.....	التصويت على الثقة.....
330.....	أساليب متعددة للتدريس.....
331.....	إكمال الواجبات الصِّفية والمنزلية.....
333.....	تعليم عقلية النمو.....
333.....	بناء المرونة من خلال السير الذاتية.....
333.....	جلب الانتباه.....
335.....	تعليم وضع الأهداف.....
341.....	تعليم الإستراتيجيات التنظيمية.....
344.....	الواجبات طويلة الأمد.....
345.....	قلق الاختبار.....
346.....	المكافآت الاجتماعية.....
348.....	تعليم الأطفال الآخرين.....
348.....	العقاب.....
349.....	الحلّ الإبداعي للمشكلات.....
353.....	<b>الفصل الثاني عشر.....</b>
	ما الذي يمكنك فعله للأطفال المهيمنين المنصاعين
353.....	ذوي التحصيل المتدني؟.....
355.....	ما الذي يمكنك فعله بوصفكم آباء؟.....
355.....	مراقبة المماثلة العكسية.....

- 357..... المناقشة
- 358..... الدافع الداخلي
- 359..... رسائل الوالدين
- 361..... الحساسية
- 364..... تقبل النقد
- 366..... ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم معلمين؟
- 367..... المحافظة على مركزية الأمور الأكاديمية
- 368..... التسريع أو تخطي الصف
- 369..... تقبل النقد
- 371..... الدافع الداخلي
- 373..... دراسة السير الذاتية
- 373..... الاستعداد للجامعة

### 379..... الفصل الثالث عشر

- 379..... ما الذي يمكنك فعله للأطفال المهيمنين غير المنصاعين؟
- 381..... ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم آباء؟
- 382..... عكس هيمنة الطفولة المبكرة
- 386..... تمنن، اربغ، اعمل، انتظر
- 387..... اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD)
- 392..... تجنب المواجهات
- 398..... التقلبات العاطفية
- 404..... تشجيع الوقت المنفرد
- 405..... الحفاظ على ما هو إيجابي
- 409..... الرعاية الأبوية المتحدة
- 412..... التواصل في التحصيل
- 414..... التواصل مع المدارس
- 417..... تغيير بيئات الأقران
- 419..... الحصول على مساعدة مهنية
- 420..... ما الذي يمكنك فعله بوصفك معلماً؟
- 420..... تكوين تحالف معلم-طالب
- 422..... المشكلات السلوكية واضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة
- 427..... تعليمات مضادة للجدال

429.....	إعطاؤهم سلطة وجمهوراً.....
432.....	تجنب تلاعب الطلاب.....
433.....	ما يقوله الأطفال.....
433.....	ما يعنيه الأطفال.....
433.....	ما يقوله الأطفال.....
433.....	ما يعنيه الأطفال.....
435.....	تغيير المجموعة الأكاديمية.....
435.....	توفير الملاذ الآمن لهم.....
438.....	مساعدة الطلاب على إيجاد التوازن.....
439.....	الإعجاب بالإيثار.....
440.....	تعاطي الكحول والمخدرات.....
441.....	الإبقاء على الأبواب مفتوحة.....
443.....	<b>الفصل الرابع عشر.....</b>
443.....	نظرة عامة.....
443.....	لماذا.....
443.....	عناصر أساسية في متلازمة تدني التحصيل.....
444.....	بداية الحالة.....
444.....	السلطة المفترطة.....
445.....	المعارضة وعدم التوافق.....
446.....	البيئات الصّفيّة غير الملائمة.....
448.....	المنافسة.....
449.....	التغييرات الاجتماعية.....
449.....	العائلة.....
449.....	التعليم.....
450.....	المعايير الأخلاقية.....
450.....	الضغط التنافسي.....
451.....	وسائل الإعلام.....
451.....	التفاعل بين عوامل تدني التحصيل والتغييرات الاجتماعية.....
453.....	ماذا؟.....
453.....	قوانين رِم للتحصيل.....
454.....	قانون رِم ( # 1 ).....

454.....	قانون رِم (# 2)
455.....	قانون رِم (# 3)
455.....	قانون رِم (# 4)
455.....	قانون رِم (# 5)
456.....	قانون رِم (# 6)
456.....	قانون رِم (# 7)
456.....	قانون رِم (# 8)
457.....	قانون رِم (# 9)
457.....	قانون رِم (# 10)
458.....	قانون رِم (# 11)
458.....	قانون رِم (# 12)
459.....	إبطال مفعول الوباء
461.....	المصادر
463.....	قائمة المراجع
469.....	ملحوظات ختامية
469.....	الفصل الأول
469.....	الفصل الثاني
470.....	الفصل الثالث
471.....	الفصل الرابع
471.....	الفصل الخامس
471.....	الفصل السادس
472.....	الفصل السابع
472.....	الفصل الثامن
473.....	الفصل العاشر
473.....	الفصل الحادي عشر
474.....	الفصل الثاني عشر
474.....	الفصل الثالث عشر
475.....	فهرس الكلمات
487.....	نبذة عن المؤلف

## قائمة الأشكال

- الشكل (1.1): مقتطفات من رسائل متابعي (برنامج اليوم) ..... 33
- الشكل (2.1) الحلقة الداخلية للمحصلين..... 40
- الشكل (1.6): العناصر التسعة الأساسية للمهارات التنظيمية ..... 173
- الشكل (1.7): العلاقة بين الجهد والنتيجة..... 187
- الشكل (2.7): التعايش مع المنافسة (نقاش صفّي عن المنافسة) ..... 199
- الشكل (3.7): التحالف من أجل عكس تدني تحصيل الطلاب ..... 201
- الشكل (1.8): النموذج ثلاثي البؤر لعكس متلازمة تدني التحصيل ..... 208
- الشكل (2.8): مثال على نتائج اختبار التحصيل لطالب عكست متلازمة تدني تحصيله ..... 212
- الشكل (3.8): مثال على نتائج اختبار الذكاء (IQ) لطالب عكست متلازمة تدني تحصيله ..... 213
- الشكل (4.8): مخطط تحليل بيانات الاختبار والصف لتحديد حقل (مجال) تدني التحصيل ومداه ..... 214
- الشكل (5.8): جوانب مقياس تحديد التحصيل (AIM) ..... 217
- الشكل (6.8): عينات من مقياس تحديد التحصيل (AIM) ..... 217
- الشكل (7.8): المتلاعبون الاعتماديون والمهيمنون ..... 235
- الشكل (1.9): التحالف من أجل تواصل فاعل بين معلم ووالد ..... 239
- الشكل (2.9): عينة جدول أعمال اجتماع معلم – والد ..... 239

- الشكل (3.9): التحالف نحو تواصل ناجح بين أب ومعلم ..... 244
- الشكل (4.9): نموذج التقييم اليومي ..... 248
- الشكل (5.9): نموذج التقييم الأسبوعي (العيّنة 1) ..... 248
- الشكل (6.9): نموذج التقييم الأسبوعي (العيّنة 2) ..... 249
- الشكل (1.10): موضوعات نقاش للطلاب في الجلسات الجماعية الصغيرة ..... 254
- الشكل (2.10): الحدّ من التوقّعات السلبية في الغرفة الصّفيّة ..... 262
- الشكل (3.10): نصائح للمدرسين الخصوصيين ..... 275
- الشكل (4.10): نصائح للحدّ من مخاوف القراءة ..... 276
- الشكل (5.10): نصائح للحدّ من (مخاوف القلم) (سرعة التحليل) ..... 278
- الشكل (6.10): نصائح لمساعدة الأطفال الذين يعانون إعاقات الرياضيات أو الإعاقات  
المكانية (Spatial) ..... 279
- الشكل (7.10): نصائح لتحسين مهارات الاستماع ..... 280
- الشكل (1.11): الأعمال المعتادة الصباحية ..... 285
- الشكل (2.11): ما مقدار التعاطف المبالغ فيه؟ ..... 292
- الشكل (3.11): ما يجب تجنّبه مع الأطفال الاعتماديين الذين يتجنّبون المنافسة ..... 298
- الشكل (4.11): قواعد أساسية للعصف الذهني ..... 306
- الشكل (5.11): نصّ لإيجاد أفكار لمشروع علمي ..... 307
- الشكل (6.11): خطة دراسية لتشجيع الواجبات المنزلية الاستقلالية ..... 312
- الشكل (7.11): نموذج عقد خطة دراسية ..... 314
- الشكل (8.11): نموذج مخطط أنشطة ..... 315
- الشكل (9.11): نظام النقاط للأطفال الأصغر سنّاً خمس عشرة - ثلاثين دقيقة من الدراسة  
للأطفال في الصفوف من الأول إلى الرابع) ..... 316
- الشكل (10.11): نظام النقاط لجدول وظائف منزلية نمطي (ساعة دراسة واحدة للأطفال في

- 316 ..... الصفوف من الخامس إلى الثاني عشر)
- 317 ..... الشكل (11.11): مكافآت مقترحة لنظام النقاط
- 319 ..... الشكل (12.11): جدول تحصيل
- 322 ..... الشكل (13.11): نظام مكافآت مقترح للدرجات
- 323 ..... الشكل (14.11): تشجيع تواصل الأطفال البصري في الغرفة الصّفيّة
- 327 ..... الشكل (15.11): طرق التمييز بين الاعتمادية والعجز
- 331 ..... الشكل (16.11): التدريس وفقاً لحواستهم جميعها
- 337 ..... الشكل (17.11): مساعدة طالب في المرحلة الابتدائية على الانتقال إلى مجموعة قراءة أعلى...
- 339 ..... الشكل (18.11): مساعدة طالب في المرحلة الثانوية على تأسيس الأهلية لصف علوم حياتية متقدم
- 342 ..... الشكل (19.11): دفاتر الملحوظات المخصّصة للوظائف
- 343 ..... الشكل (20.11): تقنية أحد الطلاب في تذكر الواجبات
- 345 ..... الشكل (21.11): كيفية تخطيط وظيفة طويلة الأمد ومحاورة التسويق
- 351 ..... الشكل (22.11): تمرين الإبداع: إدراج الصفات
- 363 ..... الشكل (1.12): نماذج عبارات تشجيع التعاطف
- 372 ..... الشكل (2.12): وظائف صافية لتشجيع الاهتمامات الداخلية
- 377 ..... الشكل (3.12): خطوط إرشادية للنجاح لطلاب الجامعة الجدد
- 383 ..... الشكل (1.13): وصفة لأوقات توقف عن اللعب ناجحة (نقّذها بحذافيرها)
- 385 ..... الشكل (2.13): أخطاء في استخدام وقت توقف اللعب
- 389 ..... الشكل (3.13): سمات اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة
- 390 ..... الشكل (4.13): الآثار الجانبية للريتالين
- 397 ..... الشكل (5.13): سلسلة التحالف الأبوية المضادة للجدال
- 406 ..... الشكل (6.13): نموذج قائمة مفردات لمفاوضات فتاة مراهقة
- 408 ..... الشكل (7.13): نموذج محادثة تفاوض مع مراهق باستخدام قائمة مفردات التفاوض

- الشكل (8.13): احتياطات لمنع المعارضة ..... 411
- الشكل (9.13): كيفية كتابة العقد ووقته ..... 422
- الشكل (10.13): وقت التوقف عن اللعب ..... 424
- الشكل (11.13): نظام رمزي للمشكلات السلوكية الخطيرة للأطفال اليافعين المهيمنين غير المنصاعين ..... 425
- الشكل (12.13): نموذج خطة تغيير السلوك: اليوم ذو النجوم الأربعة لسلوك المقعد ..... 426
- الشكل (13.13): تعليمات مضادة للجدال للمعلمين ..... 428
- الشكل (14.13): سلسلة تحالف المعلمين المضادة للجدال ..... 429
- الشكل (15.13): مشروعات تساعد الطلاب على استخدام مواطن القوة لتحسين الجوانب الضعيفة ..... 431
- الشكل (16.13): ما الذي يعنيه الأطفال فعلاً؟ ..... 434
- الشكل (17.13): كيفية إعادة تأطير تدمرات الطلاب ..... 434
- الشكل (18.13): كيفية مساعدة متدنيي التحصيل المبدعين ..... 438
- الشكل (1.14): تشعب التغيير الاجتماعي على متلازمة تدني التحصيل ..... 452

## تمهيد

تحتفل هذه الطبعة من كتاب (لماذا يحصل الأطفال النوايح على درجات متدنية؟ وما الذي يمكنك فعله تجاه ذلك؟) بما يقارب ثلاثين عاماً من استخدام نموذج البؤر الثلاث (Trifocal Model) وتطويره؛ للتغلب على متلازمة تدني التحصيل لدى الأطفال القادرين الذين لا يعملون بكامل إمكاناتهم في المدرسة. وقد بيع حتى لحظة كتابة هذه الكلمات مئة وخمس وثلاثون ألف نسخة من هذا الكتاب، فقد نشر إطار العمل الأساسي لهذا النموذج أول مرة عام 1986م تحت عنوان: متلازمة تدني التحصيل: المسببات والعلاج، وعُزز عام 1989م بكتاب: دليل إرشادي لتطبيق برنامج تدني التحصيل ثلاثي البؤر للمدارس، وبعد أن أصبحت مستشارة لبرنامج قناة الإن بي سي، برنامج اليوم، ومقدمة لبرنامج (حديث العائلة مع سيلفيا رم) الإذاعي، نشرت مؤسّسة كراون للنشر طبعة ثانية محدّثة من الكتاب الأصلي تحت الاسم الحالي.

لقد حدّث الكتاب في هذه الطبعة أيضاً، وإضافة إلى استمرار الطبعة الجديدة بتوفير المبادئ نفسها التي تغلبت على متلازمة تدني التحصيل لدى آلاف الأطفال، فقد أضفت جزءاً يبين المعلومات المستقاة من خبراتي السريرية، وبحوثي، ومن الآخرين، إضافة إلى الخبرات الناجحة لتربويين وآباء آخرين، وقد أضفت أجزاء جديدة عن قضايا النوع الاجتماعي والنزعة إلى الكمال (Perfectionism)، والمنهاج المتمايز (Differentiated Curriculum)، والمرونة (Resilience)، وضغط الأقران (Peer Pressure)، وتوازن الإنجاز المنتمي (Affiliation-achievement balance)، إضافة إلى ذلك، فقد أضفت اقتراحات إضافية للأطفال الذين يعانون اضطرابات تشتت الانتباه (Attention disorders)، ومشكلات التنظيم (Organizational Problems)، والاستثنائيات المزدوجة (Dual Exceptionalities)، واختلالات سرعة المعالجة والتحليل، واختلالات مهارات الاستماع.

وكما هي العادة، سيجد المعلمون والآباء كتابي هذا عملياً سهل القراءة، وسيتمكنون من تحديد أنماط سلوكية من طفولتهم، التي من الممكن أن تكون قد أسهمت في دافعيتهم، أو أبعدهم عنها. وعليه، سيصبحون قادرين على تحديد هذه الأنماط لدى الطلاب في غرفهم الصفية ولدى الأطفال في بيوتهم.

وبصفتي عالمة نفس، فقد عملت بصورة مباشرة مع العائلات والتربويين، وكنت في كل مرة أقدم فيها عرضاً تقديمياً أو حلقة (ورشة) عمل، يتقدم مني معلم أو ولي أمر – واحد أو أكثر – على انفراد؛ ليشكرني على إحداث فرق في حياة أحد الطلاب أو الأطفال، إضافة إلى ذلك، كانت رسائل وخطابات تصلني بوساطة البريد الإلكتروني من أطفال كبروا، أو من آبائهم؛ ليخبروني بالتحسن الذي طرأ على تحصيلهم. إن هذه العينة منحازة؛ لأن الأشخاص الناجحين السعداء هم الأكثر رغبة بإعلامي بنتائجهم.

ولكنني، أعلم جيداً أنني لم أتمكن من مساعدة الأطفال جميعهم الذين حاولت مساعدتهم وفي الأغلب، إن أولئك الذين فشلت معهم كانوا منحرفين؛ بسبب إدمانهم أو اعتمادهم على المخدرات.

أمّا الخطاب المفضل لديّ، فقد وصلني من شاب عملت معه عندما كان في الصفين الرابع والخامس. هذا الطفل، كان منطوياً، وحزيناً، وغير منظم، وتحصيله متدنٍ، وضعيف الثقة بنفسه ويفتقر إلى المهارات الاجتماعية. وعلى الرغم من أنه مبدع، وذو خيال واسع، فإنه شعر على الدوام بأنه منبوذ من والده، وأخيه، وأقرانه في الصف، كانت درجاته سيئة جداً، وكان مستوى نتائجه في اختبار نسبة الذكاء (IQ) متوسطاً، ليس ضمن حدود الموهبة. كان من الصعب معرفة إمكاناته وتطلّب ذلك كثيراً من العمل مع عائلته، ومدرسته، ومهاراته الاجتماعية والعاطفية. لقد اخترت هذا الخطاب؛ لأن هذا الشاب تذكر بدقة نوعية الرسائل التي أعطيتها لآلاف الأطفال الآخرين فضلاً على أنّ هذا الخطاب يبيّن أنّ عملية التغلب على تدني التحصيل تتضمّن أكثر من مجرد التحصيل نفسه، لتشدد على حياة مشبعة مميزة. أتمنى أن تستمتعوا أنتم أيضاً بهذا الخطاب:

«عزيزتي الدكتورة رم:

لقد شاهدتك أخيراً في برنامج هذا اليوم، وشعرت برغبة شديدة في الكتابة لك، كنت معالجتي النفسية عندما كنت طالباً في المدرسة الابتدائية في ولاية ويسكونسن بداية الثمانينيات، لقد ساعدتني على تجاوز مشكلات تدني التحصيل التي عرقلت نجاحاتي الاجتماعية والأكاديمية وأنا في الحقيقة أدين لك بالفضل في معظم النجاحات التي أتمتع بها حالياً؛ فقد ساعدتني على اكتساب الثقة بنفسني، تلك الثقة التي كنت بأمس الحاجة إليها؛ كي أتحرر من القوقعة التي كنت بها، وأسمح لنفسني بالنمو.

أتذكر جيداً أنك أخبرتني بالأخاف من الإجابة عن الأسئلة بصورة غير صحيحة؛ لأننا نتعلم بهذه الطريقة، وأتذكر أيضاً أنك أخبرتني بأن أستمتر في استكشاف إبداعاتي من خلال الكتابة والتمثيل؛ لأنني بهذه الصورة سأتمكن من إيجاد نقاط قوتي الحقيقية، وأتذكر كذلك أنك أخبرتني بأن أدير حياتي بصورة إستراتيجية؛ لأن ذلك سيساعدني على التخلص من الحيرة والعشوائية في سلوكي المتناقض. وأخيراً، أتذكر أنك أخبرتني بالأخاف من التعبير عن نفسي بغض النظر عما يعتقدونه الآخرون.

دكتورة رم: بطريقة أو بأخرى، لقد بقيت إلى جانبي خلال الخمسة عشر عاماً الماضية بسبب كل ما علمتني إياه، وعلى الرغم من أنني لم أصبح كاتباً مشهوراً أو مثلاً بارعاً، فإنني سأحصل قريباً على درجة علمية من الجامعة، وسألتحق بكلية الحقوق، لقد افترضت نفسي قائداً منذ المدرسة الثانوية، وحظيت بأدوار قيادية في كل مؤسسة انضمت إليها خلال الأعوام العشرة الماضية، وقد حظيت بمجموعة من أفضل الأصدقاء الذين من الممكن أن يحظى بهم الإنسان، وحافظت - كما علمتني وأرشدتني - معهم على علاقات جيدة وقوية، أعد الآن والدي وأخي من أفضل أصدقائي وأقرب المقربين إليّ، وأواجه العالم بثقة لا تتزعزع بأنني سأحدث فرقاً فيه. أشكرك الدكتورة رم على إعطائي الأدوات التي استطعت بها تحقيق أحلامي».

لقد عملت في خندق واحد مع الآباء والمعلمين؛ لتغلب بنجاح على تدني التحصيل لدى عدد لا يحصى من الأطفال، حيث يستهدف نموذجي ثلاثي البؤر الأطفال، وآباءهم، ومعلميهم؛ لتغلب على متلازمة تدني التحصيل، لقد طوّرت هذا النموذج واستخدمته في عيادة التحصيل العائلي وحالياً في عياداتي الشخصية للتحصيل العائلي في أوهايو وويسكونسن. علاوة على ذلك، فإن نموذجي الثلاثي البؤر مستخدم في كثير من المدارس والمراكز الاستشارية؛ لأنه نموذج عملي مبني على مشكلات حياتية واقعية.

نعلم أنّ الآباء يرغبون في ممارسة دورهم في الرعاية الأبوية بصورة صحيحة، وكذلك يرغب المعلمون في التعليم بصورة صحيحة أيضاً، وعلى الرغم من هذه النيات الحسنة، فلا تزال المشكلات تحدث؛ بسبب الحيرة في تصرّفات الأطفال، أو بسبب الأحداث الحياتية المتناقضة التي تجبر الراشدين على الاستجابة للأطفال بطرق تعزز من أنماطهم السلوكية غير المنتجة. إذا جعلك أيّ من النصوص (السيناريوهات) المشروحة في هذا الكتاب تشعر بالذنب أو بعدم الارتياح، فتذكّر أن حتى أفضل المعلمين والآباء يرتكبون الأخطاء؛ فلا يوجد معلم أو ولي أمر كامل. لذلك، ذكّر نفسك بالأشياء الجيدة والصحيحة كلها التي فعلتها في أثناء بحثك عن التقنيات التي ستساعدك على تحسين مواطن الخلل.

خصص هذا الكتاب للآباء كلهم الذين يقدرّون قيمة التحصيل لدى أبنائهم، وللمعلمين جميعهم الذين يرغبون في تحفيز طلابهم، فهدفي هو مساعدة الآباء والمعلمين على إرشاد الأعداد الكبيرة من الأطفال والشباب الذين يتوقون ليكونوا لاعمين ومهمّين، ولكنهم لم يتعلموا أنّ طريقهم للتحصيل والتحكّم الشخصي في تعلمهم يتضمّن الالتزام، والإصرار، والمرونة.

يصف الجزء الأول من هذا الكتاب أعراض متلازمة تدني التحصيل ومسبباتها، في حين يوثق الجزء الثاني منه التقنيات العملية التي يمكن أن يستخدمها الآباء، والمعلمون، والعاملون في العيادة، وأنت بوصفك معلماً أو ولي أمر ستخترع - بلا شك - تقنيات إضافية لتطبيق الخطوات الأساسية للنموذج.

لقد قادتني خبرتي لصياغة ما أطلق عليه: (قوانين رم في التحصيل)، وسأعرّج على تلك المبادئ عبر هذا الكتاب، إضافة إلى أنني سوف أشرحها بصورة أكبر في الفصل الرابع عشر. ولكنني سأسردها هنا في البداية؛ لأنها تعدّ المبادئ الأساسية للتعليم والرعاية الأبوية الناجحين.

نعم، إن متلازمة تدني التحصيل وباء يستمر في غزو عدد لا يحصى من الغرف الصفية والمنازل، ولكن بمعرفتكم ومساعدتكم، سنتمكن من إلهام الأطفال وتحفيزهم؛ ليزداد تحصيلهم وليشعروا بالرضا عن أنفسهم، ولنحسن من مجتمعنا الذي يحتاج بدوره إلى مساهماتهم، وأمل أنكم ستستخدمون هذا الكتاب في التغلب على متلازمة تدني التحصيل في غرفكم الصفية، أو في بيوتكم.

## قوانين رم في التحصيل

**القانون الأول:** الأطفال أكثر احتمالاً لأن يكونوا متفوقين إن اتحد الوالدان معاً؛ ليعطوا الرسالة الواضحة الإيجابية نفسها عن مجهود المدرسة والتوقعات منها.

**القانون الثاني:** يتعلم الأطفال السلوكات المناسبة بسهولة أكبر إذا امتلكوا أنموذجاً فاعلاً لتقليده.

**القانون الثالث:** ما يقوله الراشدون لبعضهم عن الأطفال على مسمع منهم، يؤثر بصورة كبيرة في سلوكياتهم، وتصوّرهم الذاتي لأنفسهم.

**القانون الرابع:** ستؤدي ردود الفعل المبالغ بها من قبل الآباء أو المعلمين بخصوص نجاحات الأطفال أو إخفاقاتهم، إلى الشعور بضغط كبير للنجاح، أو إلى الأسى والوهن في التعامل مع الإخفاق.

**القانون الخامس:** يشعر الأطفال بتوتر عند قلقهم على العمل الذي يقومون به، أكثر من التوتر الناتج عن قيامهم بالعمل نفسه.

**القانون السادس:** يطوّر الأطفال مرونتهم وثقتهم بأنفسهم من خلال الجهد والمثابرة.

**القانون السابع:** غالباً ما يسبب الحرمان والوفرة الأعراض نفسها.

**القانون الثامن:** يطوّر الأطفال ثقتهم بأنفسهم وحسّهم الداخلي بالتحكم والسيطرة، إن أعطوا المسؤولية بجرعات تدريجية متزايدة كلما أظهروا نضجاً وتحملاً للمسؤولية.

القانون التاسع: يصبح الأطفال أكثر معارضة إن انحاز لصفهم شخص راشد ضد ولي أمر أو معلم، جاعلاً منهم أقوى من شخص راشد.

القانون العاشر: يجب على الراشدين تجنب المواجهات مع الأطفال، إلا إذا كانوا متأكدين بصورة معقولة من قدرتهم على التحكم في النتائج.

القانون الحادي عشر: يصبح الأطفال متفوقين، فقط، إن تعلموا العمل في جو المنافسة التعليمية.

القانون الثاني عشر: سيستمر الأطفال بالتحصيل إن استطاعوا رؤية العلاقة بين العملية التعليمية ونتائجها.

## كيفية الاستفادة القصوى من هذا الكتاب

يستطيع هذا الكتاب مساعدتك إن كنت ولي أمر، أو معلماً، أو راشداً، يحاول فهم أنماط تدني التحصيل لدى أطفاله أو طلابه، أو تلك التي حدثت له في طفولته.

يشدّد القسم الأول من هذا الكتاب على مسببات تدني التحصيل، وتقدّم الاختبارات الموجودة في بداية كل فصل تقيماً موجزاً من الممكن أن يساعد على تحديد كيفية تأثير العوامل المشروحة في ذلك الفصل في أطفالك، أو طلابك، وفيك أنت شخصياً. فإن كانت نتيجتك في الاختبار مرتفعة، فاحرص على قراءة ذلك الفصل بإنعام النظر أكثر، أما إن كانت متدنية، فمن الممكن أن تكتفي بالمرور سريعاً على المادة بغرض المعرفة الوقائية.

يوفر القسم الأول من هذا الكتاب مؤشرات للآباء ونصائح للمعلمين مشاراً إليها بملاحظات على الهامش، من شأنها المساعدة على البدء بإحداث التغييرات حتى قبل البدء في القسم الثاني من الكتاب، الذي يصف تقنيات عملية للتغلب على متلازمة تدني التحصيل بالتفصيل.

في حين يتضمّن الجزء الثاني من الكتاب توصيات متسلسلة للمعلمين والآباء. وبسبب وجود أنماط مختلفة ومتنوعة لتدني التحصيل، فقد ترغب في قراءة هذا القسم ممسكاً بقلم تحديد ملوّن بيدك، وأقترح على والديّ الطفل أو والد/ والدة الطفل أن يحددا الكتاب مستخدمين لوناً آخر، وعلى الرغم من أنّ ذلك سيجعل الكتاب مليئاً بالألوان، فإن التلوين سيساعد على التشديد لاتخاذ خطوات مهمّة ومحددة للأشخاص المهمّين كلهم في حياة طفلك.

لا ترتبك من كثرة التوصيات الموجودة في هذا الكتاب؛ فلا يوجد طفل يحتاج إلى التغييرات كلها المذكورة بين طيّاته، وكل ما تحتاج إليه هو اختيار ما تريد تطبيقه على أطفالك أو طلابك.

إن كنت تفضل اختيار إحدى الوسائط الأخرى، فهناك اختبارات، ومقاطع صوت وصوره (فيديو)، وأقراص مدمجة (CDs)، وأقراص فيديو رقمية (DVDs) متاحة يمكنها مساعدتك على تطبيق هذه الأساليب والتعامل معها. ويمكن لموقعي الإلكتروني ([www.sylviarimm.com](http://www.sylviarimm.com)) إمدادك بمزيد من المعلومات.

إن كان لديك أي أسئلة أخرى، فلا تتردد بالتواصل معي، حيث يمكنك الكتابة لي عبر موقعي الإلكتروني، ويتعين عليك التحلي بالصبر في انتظار الرد، وفي النهاية، وعلى الرغم من أنني أجيب عن الأسئلة كلها، فإنني لم أدخر جهداً في جعل عملية التغلب على تدني التحصيل لدى أطفالك أو طلابك عملية ذات طابع تفاعلي.

الجزء الأول

لماذا يحصل الأطفال النوابغ على درجات  
متدنية؟

قبل أن تقرأ الفصل الأول، اسأل نفسك الأسئلة الآتية: (إن كنت معلماً، فاقراً (هذا الطالب) بدلاً من (طفلي))

1. هل ينسى طفلي القيام بعمل الواجبات المنزلية؟
  2. هل يستسلم طفلي بسهولة؟
  3. هل يتجنب طفلي الأنشطة التنافسية إن لم يكن واثقاً تمام الثقة من فوزه؟
  4. هل يبدأ طفلي بعمل الواجبات المنزلية متأخراً كل ليلة؟
  5. هل يشاهد طفلي التلفاز مدة ساعتين أو أكثر (أو يلعب ألعاب الفيديو مدة ساعتين أو أكثر) خلال الليالي المدرسية؟
- ضع نقطة واحدة لكل إجابة بـ (نعم). النتائج مفسّرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط:

- (4 - 5) لدى طفلي سمات تشير إلى وجود مشكلة تدني تحصيل خطيرة جداً.
  - (2 - 3) لدى طفلي سمات تشير إلى وجود مشكلة تدني تحصيل خطيرة إلى حدّ ما.
  - (1) لدى طفلي سمات تشير إلى وجود مشكلة تدني تحصيل ثانوية.
  - (0) لا يوجد لدى طفلي سمات متلازمة تدني التحصيل.
- اقرأ هذا الفصل لفهم سمات ذوي التحصيل المتدني.



## الفصل الأول

### ما المقصود بتدني التحصيل؟

تبحث الولايات المتحدة باستمرار عن أساليب أفضل لتعليم أبنائها، وتورد الدراسات القومية والدولية بانتظام إحصاءات محبطة عن افتقار الأطفال الأمريكيين إلى المهارات الأساسية ومعارفهم المتدنية في العلوم، ومهاراتهم دون المتوسطة في الرياضيات، وتفكيرهم الناقد غير الكفؤ، وقدراتهم المتدنية في حل المشكلات، إضافة إلى قلة استعدادهم لتعليم ما بعد المرحلة الثانوية وإلى سوق العمل. وقد أجرت وزارة التعليم الأميركية دراسة أظهرت أن (53%) فقط ممن يلتحقون بالبرامج التعليمية الجامعية يحصلون على الشهادة الجامعية الأولى (البكالوريوس)<sup>1</sup>.

عادة ما يُلقى اللوم بسذاجة في هذه المشكلات على (الأوغاد) مثل: التلفاز، والأفلام وألعاب الحاسوب والفيديو العنيفة، والاقتصاد، والتفكك الأسري، وعدد الطلاب الكبير في الصف الواحد، والإنترنت، وعدم كفاية وقت الحصة الدراسية، ونقص التمويل، وعدم الانضباط. ويزيد المتخصصون التربويون من صعوبة النقاش باستخدامهم لغة اصطلاحية متخصصة، مثل: الحرمان الثقافي (Cultural deprivation)، وصعوبات التعلم (Learning disabilities)، والمتابعة (Tracking)، وانحياز الاختبار (Test bias)، وقانون عدم استثناء أيّ طفل (No child left behind)، والعنوان الأوّل (Title One)، والتضمين (Inclusion) حيث يشخص الأطفال باضطرابات، مثل صعوبات التعلم (Learning disability)، وصعوبات الاضطرابات الوظيفية التنفيذية (Executive Dysfunction Difficulties)، واضطراب تشتت الانتباه وفرط الحركة (Attention Deficit Hyperactivity Disorder)، ومتلازمة أسبيرجر (Asperger's Syndrome)، واختلال الثنائية القطبية (Bipolar Disorder)، واضطراب فرط القلق (Overanxious Disorder)، والتفاعل الاكتئابي (Depressive reaction)<sup>2</sup>. إن هذا

الجدل يمكن أن يكون رابكاً لمعظم أولياء الأمور غير المتخصصين تربوياً، وكذلك للتربويين الذين يرغبون رغبة حقيقية في تعليم الأطفال.

تتجاهل هذه النقاشات الدائرة عن سبب عدم تعلم الأطفال الأمريكيين على النحو المفترض بهم أمر أساسياً، فحتى لو زدنا وقت اليوم الدراسي، أو أعطينا المساعدات الحكومية مسميات جديدة، أو رفعنا رواتب المعلمين، أو قللنا عدد الطلاب في الغرف الصفية، أو مؤلنا تعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، أو غيرنا الأسئلة لتتواءم مع اختلافات البيئات الثقافية وأنماط التعلم فسنبقى بعيدين عن مواجهة مشكلة جوهرية في مدارسنا.

إن ملايين الأطفال ممن لا يمتلكون اضطرابات حقيقية قابلة للتشخيص قد تؤثر في التعلم – أطفال بقدرات فكرية متوسطة، أو فوق المتوسطة، أو حتى قدرات عقلية موهوبة، وفيهم أطفال من بيوت تقدر قيمة التعليم – لا يؤدون وفقاً لقدراتهم الحقيقية<sup>3</sup>، وعلى الرغم من أنهم قد يكونون شديدي الإبداع، أو يتمتعون بنبوغ لفظي أو حسابي، فهم لا يؤدون جيداً في المدرسة.

تتحمل العوامل الاجتماعية والعاطفية المسؤولية، ويجب اللجوء إلى استخدام إستراتيجيات نفسية للتغلب على تدني تحصيل أولئك الأطفال.

يكثر متدنو التحصيل واقعياً في كل غرفة صفية، ويعيشون في كثير من العائلات، ويهدرون الموارد التعليمية، ويختبرون صبر حتى أفضل المعلمين، ويتلاعبون بعائلاتهم نحو الفوضى ويدمرون ثقتهم الشخصية وحسهم بالسيطرة الذاتية، إنها مشكلة منتشرة بصورة مقلقة، فعندما ظهرت في مقابلة مدتها خمس دقائق في برنامج قناة الإن بي سي: (برنامج اليوم)؛ للحدث عن موضوع الأطفال اللامعين ذوي التحصيل المتدني، جذبت تلك الفقرة من البرنامج أكثر من عشرين ألف مكالمة هاتفية، وآلاف الرسائل من آباء قانطين من شتى أنحاء البلاد (انظر الشكل 1.1)، ويبدو أنني ضغطت على عصب حساس لعشرات الآلاف من العائلات التي ميّزت أعراض متلازمة تدني التحصيل لدى أبنائها.

#### نيويورك:

ابني الأصغر طالب في السنة الأولى في الكلية، ويمرّ حالياً بوقت عصيب جداً، إنه في حالة عاطفية متدنية وقد اتصل بنا طالباً المساعدة، لكننا غير متأكدين ما سيتعيّن علينا فعله.

#### كارولينا الشمالية:

ابني في الصف الحادي عشر - وهو طالب موهوب - يعاني في هذه السنة كثيراً من المشكلات، وأخاف أن يهدر فرصه المستقبلية كلّها.

#### فلوريدا:

لدي طفل في الخامسة من عمره في رياض الأطفال، اعتاد القراءة منذ كان في عامه الثاني، وأنا قلق بخصوص سلوكه؛ فهو يستسلم بسهولة كبيرة، ويرمي قلم الرصاص أحياناً، فضلاً على أنه يتطلب الانتباه والإشادة المفرطة، وهو أمر من الصعب توفيره لطفل واحد في غرفة صفّية تضم سبعة وعشرين طفلاً.

#### تينيسي:

علم ابني بأنّه سيكون في الأولمبياد الأكاديمي للمدرسة، ولأنه لا يؤدي عمله، يفكر معلمه بإرسال من يحل محله، لكنه يدّعي المحاولة، ولكن يبدو أنه لا يستطيع تسليم واجباته المدرسية في موعدها.

#### أيوا:

يعاني ابنا بالتأكيد المشكلات التي ذكرتها كلها. إنه في السادسة عشر من عمره، وقد حلّ في النسبة المئوية التسعين في اختبارات المهارات الأساسية جميعها، لكنه يحصل على درجات متدنية في الموضوعات الأكاديمية كلّها، وقد اضطر إلى إعادة مستوى اللغة الإنجليزية الثاني؛ لأنه لا يسلم واجباته المدرسية ولا يحلّها بتاتاً!

#### تكساس:

عندي طالبة جامعية حاصلة على منحة وطنية، وتخضع في الوقت الحالي للرقابة التعليمية؛ لأنها لا تملك أدنى فكرة عمّا تستلزمه الدراسة، حيث إنّ العملية الدراسية غريبة عليها؛ لأنها تركت الدراسة خلال المرحلة الثانوية، وهي محطمة الآن، ولا نعرف كيف نعلمها طريقة الدراسة.

#### بينسلفانيا:

ابنتي في الثامنة عشر من عمرها، حصلت على درجة 1340 في اختبار الاستعداد الدراسي، لكنها تحصل على درجات متدنية في عامها الجامعي الأول.

#### إيداهو:

أنا مهتم بقراءة مزيد عن الأطفال الموهوبين الذين لا ينجزون الواجبات المدرسية المطلوبة منهم، ولا يذهبون إلى محاضراتهم في الجامعة... إلخ. تبدين كأنك قابلت ابني الذي أعيد قبوله وأُعطي فرصة نهائية) أخيراً في الكلية.

ما متلازمة تدني التحصيل؟ وما مسبباتها؟ لا يوجد جين مسؤول عن تدني التحصيل، ولا يوجد تفسير حيوي أو عصبي مخصوص بأداء الأطفال المؤهلين المتدني التحصيل المدرسي. لذا، لا نستطيع إيجاد سبب محدد لتدني التحصيل في المؤسسة التربوية؛ بسبب وجود كثير من الأطفال الذين يمتلكون المؤهلات نفسها، ويؤدّون بصورة جيّدة في الغرفة الصفية نفسها ويبدو أنّ الأطفال ذوي التحصيل المتدني لم يتعلموا عملية التحصيل، وتعلّموا بدلاً من ذلك تدني التحصيل.

يبدأ متدني التحصيل في العادة حياتهم في مرحلة ما قبل المدرسة بوصفهم أطفالاً لامعين وغالباً ما يكونون لفظيين، لكنّ حماس بعضهم للتعلم وأداءهم المدرسي المقبول يبدأ بالتغيير بصورة تدريجية، ويتغيّر بصورة فجائية عند آخرين، حيث يمكن رؤية التغيّر في أنماط تحصيلهم بسهولة من خلال مقارنة نتائج اختباراتهم التحصيلية سنة بعد سنة، فالنتائج المئوية مستقرة مادام أنّ الأطفال في الوضعية التحصيلية (Achieving Mode)، وتبدأ بالانحدار بصورة ثابتة عندما يدخلون وضعية تدني التحصيل. ولكن هناك مزيد من المؤشّرات الواضحة كذلك، أمّا أكثر التحذيرات الجلية، فهي رسالة المعلمين المباشرة بأنّ هؤلاء الأطفال لا يعملون وفقاً لإمكاناتهم. ويلاحظ أولياء الأمور كذلك عدم اهتمام أطفالهم بالعملية التعليمية المدرسية وانفصالهم عنها.

ما سمات الأطفال الذين يعانون متلازمة تدني التحصيل؟ يميل متدني التحصيل إلى الفوضى ويبدون غير منظمين، فهم يتلكؤون، وينسون واجباتهم المدرسية، ويضيعون المهمّات الموكلة إليهم، ويضعون الكتب في غير مكانها، إضافة إلى أنهم يخلعون في وضوح النهار، ولا يسمعون الكلام، ويسرحون عبر النافذة، أو يتحدثون بصورة زائدة مع الأطفال الآخرين، ويعدّون دراستهم جيّدة إن قرأوا المادة بصورة مقتضبة، إضافة إلى أنّهم يستلقون على أسرّتهم، يشاهدون التلفاز أو يستمعون إلى الموسيقى.

بعض ذوي التحصيل المتدني بطيئون، ويطلبون الكمال (perfectionistic)، ومن الممكن أن يقولوا: إنهم إن أنجزوا عملهم، فإنّ ذلك سيكون خطأ على أيّ حال. ومن ناحية أخرى، تجد بعضهم مهتمّاً بإنهاء العمل دون الاهتمام بأداء عمل نوعي، فتجد أوراقتهم مليئة بكثير من الأخطاء غير المبررة التي تجعل الواحد منا يتساءل: إن كانوا قد فكروا ولو قليلاً في المهمة الموكلة إليهم! بعض الأطفال من ذوي التحصيل المتدني وحيدون ومنسحبون، ولا يرغبون في صداقة أحد ويميلون إلى البكاء، ويولولون، ويتذمّرون، أو من الممكن مضايقتهم أو إيذاؤهم من أقرانهم،

إضافة إلى أن بعضهم سلطويون، ويفقدون رباطة جأشهم بسهولة، وبعضهم الآخر عدوانيون ويحتمل أن يبدأوا العراكات في ساحة اللعب، أمّا إن أبدى متدني التحصيل أيّ اهتمام بالمدرسة فيكون ذلك متعلقاً بحياتهم الاجتماعية أو بالرياضة، ومن الممكن أن يعجبهم معلم أو موضوع دراسي واحد، لكنهم يصفون المدرسة بوجه عام بأنها مملة.

بعضهم لا يقرأون الكتب أبداً، في حين يلجأ إليها آخرون بوصفها مهرباً، فعادة ما يرغبون في القراءة عندما تُطلب إليهم واجبات منزلية أو أعمال منزلية متكررة. إضافة إلى ذلك، من الممكن أن تؤدي ألعاب التلفاز أو الحاسوب، أو ألعاب الفيديو دور المهرب البديل. وبوجه عام فإنّهم نادراً ما يسمعون آباءهم وهم ينادون عليهم، ماداموا محققين بشاشة التلفاز أو الحاسوب أو يلعبون ألعاب الفيديو.

وبعض ذوي التحصيل المتدني حرفيون (Literal) وماديون (Concrete) في تفكيرهم، ويبدو أنّهم لا يستطيعون حلّ المشكلات النظرية بتاتاً، في حين يظهر آخرون تفكيراً مبدعاً وغير اعتيادي، إضافة إلى أنّه يمكن لذوي التحصيل المتدني المبدعين أن يملكو كثيراً من الأفكار غير المألوفة، ولكنهم نادراً ما يتوصلون إلى استنتاجات؛ لأنّهم غير قادرين على إكمال ما بدأوه، ويفرغ بعض ذوي التحصيل المتدني المبدعين أنفسهم بمشروع واحد بصورة كلية، لدرجة أنّهم لا يقومون إلا بأعمال قليلة غيره، ويتراجعون في مسؤولياتهم المدرسية الأخرى جميعها.

على الرغم من هذه الاختلافات في سمات ذوي التحصيل المتدني، فإنهم يشتركون في سمة واحدة مهمّة، هي: متدني التحصيل متلاعبون دون وعي، ويكون بعضهم أقلّ وضوحاً من الآخرين، وقد يحاولون بصورة واضحة التلاعب بأحد الوالدين ضد الآخر، أو بمعلم ضد والد، أو بوالد ضد معلم، أو صديق ضد آخر، إضافة إلى أنّهم قد يتلاعبون بصورة مبطنّة بالوالدين لينجزوا لهم جزءاً كبيراً من واجباتهم المنزلية، أو بالمعلمين؛ ليؤجّلوا لهم المواعيد النهائية، أو ليقدّموا لهم مزيداً من المساعدة، أو ليعطوهم مهمّات أقلّ صعوبة.

ما الذي يقوله متدني التحصيل عن مشكلاتهم المدرسية؟ لدى متدني التحصيل دفاعات لاحصر لها؛ فالمدرسة مملة عندما يكونون يافعين، وغير متصلة بحياتهم عندما يكونون أكبر سناً، إنّ الملل وعدم الصلة ثوابت تميل لأن تكون غير متعلقة بالمهمّات الفعلية، فهم يحملون (المعلمين المريعين) مسؤولية درجاتهم المتدنية التي يدّعون بأنها غير مهمّة، ويعتقدون بأنّ التمثيل، والرياضة، والموسيقا، والتمتع بحياة اجتماعية أهمّ من الواجبات المدرسية، ويحاججون

بالقول: من يريد أن يكون غريب الأطوار على أي حال؟، ويدعون أحياناً أنهم لا يملكون القدرة على الأداء بصورة أفضل، وأن نتائجهم في اختبارات الذكاء أو اختبارات القدرات لا بد من أن تكون غير صحيحة، ويعدون التحصيل الجيد هدف والديهم لا هدفهم هم، إضافة إلى أنهم يعزون مشكلاتهم إلى المقارنات غير المنصفة مع الأخوات أو الإخوة، أو الضغط المجحف من الوالدين ويعفون أنفسهم من القيام بأي مجهود بقولهم: نحن نفضل عدم القيام بالعمل بتاتا من القيام به بصورة أقل كمالاً، ويتذمرون أحياناً بأنهم يضعون أنفسهم تحت وطأة ضغط كبير، وأنه لا يتعين عليهم أن يطلبوا كثيراً من أنفسهم.

يكن خلف عادات هؤلاء الأطفال الدراسية الرديئة، والمهارات الضعيفة، وعدم القدرة على التنظيم، ودفاعهم غير المبرر، شعور بنقص تحكمهم الذاتي في نجاحهم التعليمي، إذ لا يؤمن متدني التحصيل بإمكان تحقيق أهدافهم حتى لو عملوا بجهد أكبر، وهم مستعدون للاعتراف بأن جهودهم الضعيفة هي سبب مشكلاتهم، ومن المحتمل أن يعترفوا أيضاً بأنه يتعين عليهم القيام بجهود أكبر؛ ليحققوا أهدافهم العليا. ومع ذلك، فهم ليسوا متأكدين أنهم يستطيعون تحقيقها، حيث يمكن للجهود إحداث فرق صغير، ولكن الفروق الصغيرة ليست كافية، ولا تستحق الاستثمار والمجازفة.

تكون أهداف هؤلاء الأطفال إما كبيرة زيادة على اللازم، أو صغيرة زيادة على اللازم أيضاً. وفي المحصلة، فإنها تضمّن الإخفاق، فهم يريدون الثراء، وأن يصبحوا لاعبي كرة قدم محترفين، ومخترعي ألعاب حاسوب، ونجوماً، ورياضيين أولمبيين، ورؤساء دول، ولديهم أفكار سحرية عن الجهود اللازمة لتحقيق تلك الأهداف غير الواقعية، ويمكن أن يقولوا أشياء مثل: لو سمحت لي والدتي بالعمل على جهاز الحاسوب المدة التي أريدها، لتمكنت في النهاية من كسب مرتب شهري من ست خانات، أو: لو سمح لي والدي بالتدرّب على عزف الجيتار بدلاً من إضاعة وقتي على الرياضيات، لكنك ناجحاً. وهذا يدلّ على أنهم لم يكتشفوا بعد المعنى الحقيقي لكلمة عمل؛ لأنهم يرونه حالة رومانسية سحرية، أقرب ما يكون إلى المرح والنشاط بدلاً من الجهود المثابرة المطلوبة للتحصيل والإنجاز. وهم لا يستطيعون بناء ثقة متماسكة بالنفس؛ لأنهم لم يتعلموا الحسّ الحقيقي بالمجهود.

لا يستطيع الأطفال بناء الثقة بالنفس من خلال القيام بالمهامّ السهلة، فهم يعرفون مسبقاً أنّ أي شخص يمكنه القيام بهذه المهمّات، ففي اللحظة التي يتقبل فيها الأطفال مجازفة

الكفاح، ويجدون أنّ بإمكانهم تحقيق ما اعتقدوه مستحيلاً من قبل، يستطيعون عندها بناء الثقة بالنفس؛ لأن الشخص يطور الثقة الحقيقية من الإنجاز الفعلي. لذا، نجد أنّ متدني التحصيل يجرمون أنفسهم فرصة بناء ثقتهم بأنفسهم؛ لأنهم يوجهون طاقاتهم نحو تجنّب العلاقة بين العملية والنتائج من جهة والجهد والإنجاز من جهة أخرى.

إن المجتمع الذي نعيش فيه تنافسيّ، وكذلك العائلات والمدارس. يملك متدني التحصيل مشاعر تنافسية قوية ولكنها غير واضحة، فهم يطمحون بالفوز وهم في الواقع فاشلون، فإن لم يؤمنوا بقدرتهم على الفوز، فيمكن أن ينسحبوا حتى قبل أن يبدأوا، ويمكن كذلك أن ينتقوا الخبرات التي يعلمون مسبقاً بقدرتهم على الفوز فيها. إنهم أطفال تنافسيون، معرّضون للضغط من داخلهم، ولم يتعلموا التعايش مع الهزيمة. لذلك، لا يمكن أن يكون الشخص منتجاً في مجتمعنا وفي مدارسنا حتى يتعلم التعايش مع المنافسة، وهذا ما يتطلب استيعاب أنّ الفوز والخسارة هي دائماً أمور مؤقتة.

من الخطأ أن يعتقد أولياء الأمور والمعلمون أن بإمكانهم إيجاد بيئات منزلية ومدرسية ينجح الأطفال فيها دائماً. وما لا شك فيه، أنهم حتى لو تمكنوا من إيجاد تلك البيئة، فستكون مفرطة في الحماية، وعليه، غير صحيّة للأطفال. إن الأطفال الذين يتعلمون أن يخفقوا دون أن تنهار معنوياتهم، وأن يستخدموا خبرات الإخفاق لينمو، سيتمكنون من النجاح في الغرفة الصفيّة، وفي المجتمع. إن الأطفال الذين يفشلون دون الشعور بالخسارة مثل الفاشلين، سوف يكتشفون المرونة - مفتاح النمو الإيجابي. لذا، يجب ألا يكون هدفنا مدارس خالية من الإخفاق والفضل، بل أن يكون هدفنا مدارس خالية من الأطفال الذين يشعرون بأنهم فاشلون.

حتى مع محاولات المدارس جعل الغرف الصفيّة أكثر تعاونية، فإنها لا تستطيع إخماد شعلة دافعية التنافس الأساسية التي تغزو المجتمع، ويتعيّن على الأطفال بالتأكيد أن يتعلموا التعاون وعليهم أيضاً أن يتعلموا الفوز بتهذيب، والخسارة بشجاعة.

غالباً ما يعدّ مفهوم المنافسة مفهوماً سلبياً، ولربما كان من الأسهل على الآباء والمعلمين تقبل المنافسة إن أضفنا مصطلح المرونة<sup>3</sup> للنجاة من المنافسة أو التعايش معها. فني بحثي عن طفولة ألفت سيدة ناجحة، كانت أكثر الخبرات الإيجابية التي ذكرتها تكراراً الفوز في المنافسة<sup>4</sup> إذ يعدّ الفوز مبهجاً، ويشجع على الإنجاز. وعلى أيّ حال، يساعد التعافي وتقبل العثرات العارضة على بناء المرونة وقوة الشخصية التي سيحتاج إليها الأطفال جميعهم في سن الرشد<sup>5</sup>.

بغض النظر عن مشاعر الآباء أو المعلمين الشخصية تجاه المنافسة، يقارن الأطفال باستمرار أداءهم بأداء الأطفال الآخرين في البيت وفي المدرسة. وعليه، فإن تعلم التنافس الفاعل أمر أساسي للتحصيل في المدرسة. لم يستبطن متدني التحصيل هذه الرسالة، فهم عوضاً عن ذلك يتلاعبون بعائلاتهم وبيئاتهم المدرسية؛ خوفاً من الفشل. ويتعلمون تجنب المنافسة إلا إذا كان بإمكانهم الفوز، وخلال هذه العملية يخسرون مهارات مهمة. ومع استمرار حلقة تدني تحصيلهم، يزداد شعورهم بأنهم أقل قدرة، ويرتفع خوفهم من الفشل، وينخفض حسهم بالفاعلية، ويشعرون باليأس هم وآباؤهم، في الوقت الذي تتسع فيه الفجوة بين ما هم عليه وما يجب أن يكونوا عليه بصورة مخيفة. ويعمل استمرار الدورة بالانحدار بصورة لولبية على استدامة المشكلة، حيث تؤثر متلازمة تدني التحصيل بصورة سلبية في الطفل، وغالباً في العائلة كلها وتتمو وتتغذى على نفسها إلى أن يتدخل أحد ما عن قصد أو بصورة عفوية ليعكس الدورة. وفي حال التدخل العفوي، يمكن أن يكون المعلمون، والأصدقاء، والناصحون، أو أي أشخاص مهمين آخرين، العامل المحفز الذي يساعد ذوي التحصيل المتدني على إبطال تأثير مشكلاتهم. وفي بعض الحالات، يمثل جزء من هؤلاء الأشخاص قدوة لذوي التحصيل المتدني.

بعض هؤلاء الأشخاص، يكون دعمهم هو الأمر الحيوي، ولما كان ذوو التحصيل المتدني يملكون القدرة على التحصيل، فبإمكانهم أن يخطوا خطوات عظيمة في المهارات التي يطوّرونها لأدوارهم الجديدة. ومن الأمثلة على ذوي التحصيل المتدني الذين تحوّلوا إلى فائقي التحصيل (Super achievers)، زملاء الدراسة غير المثيرين للإعجاب، الذين يعودون بعد عشر سنوات إلى لقاء الخريجين بشهادات جامعية متقدمة، ووظائف مثيرة للإعجاب. إنهم واثقون بأنفسهم وناجحون، وهذا يجعلنا نتساءل: كيف استطاع شخص بدا لنا في السابق أنه يفتقر إلى القدرة العالية تحقيق ما لم نتوقع؟ وغالباً ما يُطلق على هؤلاء مصطلح متأخري النبوغ (Late bloomers).

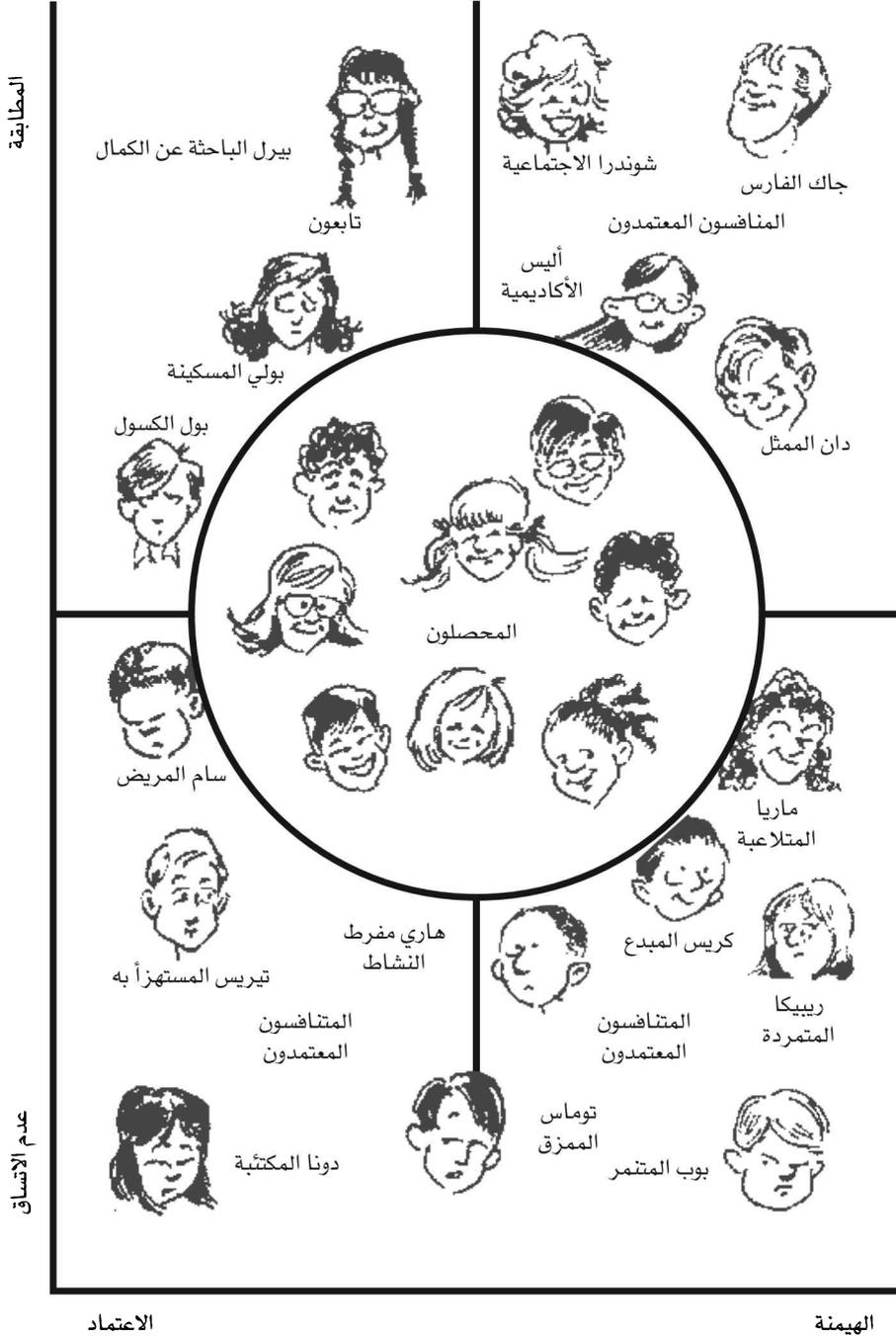
ولسوء الحظ، فإن نسبة ضئيلة من متأخري النبوغ ينبثقون من حالتهم الكامنة ليطوّروا مواهبهم، في حين يكمل غالبيتهم دورة الانحدار؛ فيتسربون من المدرسة أو الجامعة، وإن تمكنوا من البقاء في المدرسة حتى التخرج، فإنهم يحققون إنجازات ليست ذات أهمية، ويظهرون قليلاً من الاهتمام في التعليم، وينضمون إلى ذوي التحصيل المتدني، ويعيشون حياة يستخدمون فيها قدراتهم بعدها الأدنى، ما يؤدي إلى إحباطهم لأنفسهم وخسارة المجتمع. وتتخذ أساليب حياتهم أنماط (الحل السهل)، أو ينتقلون إلى سنّ الرشد مدركين أنه كان يتعيّن عليهم أن يعيشوا بصورة

مختلفة، ولكنهم يشعرون بالعجز عن التغيير. وأنتم بصفيتكم أولياء أمور أو معلمين تستطيعون أن تفعلوا شيئاً لذوي التحصيل المتدني، ستتمكنون من فعله بصورة أفضل إذا عرفتم لماذا يحصل الأطفال النوابغ على درجات متدنية. إضافة إلى ذلك، يمكنكم تحقيق إنجازات يعتدّ بها إن تضافرت جهودكم وعملتم معاً؛ فإن شككتم بوجود متدني تحصيل في عائلتكم أو في غرفتكم الصفّية، فسيساعدكم هذا الكتاب على تمييز مشكلته والتعامل معها.

حاولوا في البداية تحديد هوية ذوي التحصيل المتدني لديكم، ثم تعمقوا في البحث عن أنماط العائلة أو/ وأنماط المدرسة التي يمكن أن تكون قد كوّنت أسلوب تدني التحصيل. وأخيراً جربوا هذه التوصيات التي ستساعدكم على عكس دورة تدني التحصيل في البيت أو المدرسة. كونوا واقعيين؛ ففي العادة يكون تحديد ذوي التحصيل المتدني وأنماط العائلة أو المدرسة أسهل من تغييرها. لذلك، استعدوا للصبر والمثابرة. قد لا تستطيعون تغيير الأخطاء كلها التي تكتشفونها، ولكن حتى أصغر التحسينات ستكون مرضية. سيبنني حسّ الإنجاز (sense of achievement) لدى طفلكم أو لدى ذوي التحصيل المتدني في غرفتكم الصفّية ثقتهم بأنفسهم، ويمكن أن يُحفّز الأطفال الذين لا يبدو عليهم الاهتمام بالمدرسة ولا بالدرجات، من خلال الآباء والمعلمين الذين يفهمون السبب الكامن وراء مشكلاتهم، حيث يمكن لذوي التحصيل المتدني اتقان المهارات التي ستمكّنهم من التعايش مع المنافسة في مجتمعتهم. وعليه، سيكونون أحراراً في اختبار متعة التعلم والإنجاز النابع من الدوافع الذاتية.

### كيف يبدو متدنو التحصيل؟

يظهر متدنو التحصيل بصور عدة، وعلى الرغم من أنّهم متفردون، فإنهم غالباً ما يندرجون تحت الفئات التمييزية، ففي الحياة الواقعية، تكون الصور النمطية نقية عند أيّ طفل بعينه، بل تكون ممزوجة. وعلى أيّ حال، سيساعدك الوصف في هذا الفصل على تحديد أطفلك أو طالبك يعاني متلازمة تدني التحصيل؟ سيساعدك الشكل (2.1) على تصوّر الفئة التمييزية لطفلك.



الشكل (2.1) الحلقة الداخلية للمحصلين

إن لم تكن متأكدًا أنّ ابنك من ذوي التحصيل المتدني، ففكّر في آخر اجتماع حضرته لأولياء الأمور والمعلمين، تأمل طفلك كما تراه/ تراها في البيت، وقارن طفلك بالأطفال الموصوفين في القسم الآتي، فإن ذكّرتك هذه الأوصاف بطفلك في البيت أو بطلاب في غرفتك الصّفيّة، فمن المحتمل أن يكونوا يعانون متلازمة تدني التحصيل.

## فئات التحصيل المتدني

### بيرل الباحثة عن الكمال

أوراق نظيفة ومنظمة، مكتب نظيف ومنظم.

بيرل الباحثة عن الكمال دائماً تبذل أقصى جهدها

الكتابة ممتازة، والإملاء لا بأس به

لكن بيرل لا تستطيع إنجاز عملها اليوم

اليوم، كلّفت السيدة جونز، معلمة الصف الثاني الطلاب بكتابة قصّة من تأليفهم. بدأ الأطفال الآخرون بالكتابة منذ عشرين دقيقة مضت، ولكن بيرل لم تخط كلمة واحدة على الورقة بعد، ولا حتى العنوان. وأخيراً، ترفع يدها بحياء متذمّرة: سيدة جونز، أنا لا أعرف عن ماذا أكتب. تملك السيدة جونز الحيرة عن السبب الذي جعل بيرل عاجزة عن إكمال صفحة كتاب الأنشطة بصورة متقنة جداً، وتستعمل قواعد لغوية صحيحة، والتفكير في موضوع قصّة من صفحة واحدة! قدّمت السيدة جونز اقتراحات عدّة استمعت لها الطالبة بهدوء، ثمّ ترقّرت عينها بالدموع قائلة: سيدة جونز، لا أعرف كيف أستطيع كتابة القصة إذا كنت لا أجد موضوعاً كاملاً!

بدأت مشكلة بيرل للتو، فمن الممكن أنها ما زالت طالبة ممتازة في الصف الثالث، وهي تؤدي عملها بصورة حسنة مادامت واجباتها المدرسية محددة تماماً ولملوسة، ولكن إن احتاجت إلى التفكير بصورة مجردة، أو للوصول إلى استنتاجات مبنية على المنطق، أو لتوليد أفكارها الذاتية، أو لأن تجازف مجازفة صغيرة، عندئذٍ تصبح مشلولة؛ بسبب الخوف من الفشل. سوف

تبدأ ثقتها بنفسها ودرجاتها بالانحدار بصورة ملحوظة في المرحلة المتوسطة، تلك الفتاة التي بدأت حياتها المدرسية في الطليعة تتحرك بثبات لتصبح من الفئة المتوسطة في الغرفة الصفية. غرفة بيرل في المنزل مرتبة، وهي مطيعة، ولا تسبب أي مشكلات، إنها طفلة مثالية حتى مرحلة المراهقة، حيث تأتي المراهقة بتمرد غريب، وغضب، واختلالات في الأكل، وتظهر مشاعر الاكتئاب، فتبحث بيرل عن أساليب للتحكم في أجزاء صغيرة من حياتها بصورة كاملة؛ لأن الفشل في نظرها بديل الكمال، فتضع لنفسها معايير عالية مستحيلة، وتشعر بالعجز في بحثها عن النجاح.

### بولي المسكينة

تجد هذه الطفلة الحزينة آذاناً صاغية متعاطفة من أبويها، ومعلميها، وأصدقائها المراهقين، وتدعي أنّ الأعمال المدرسية صعبة، وأنّ والديها لا يتقبلانها، وهي خائفة من تجريب خبرات جديدة، فتبدو كأنها تنمو وترعرع على توقع النتائج السلبية، وعلى إقناع الراشدين في بيئتها المحيطة على طمأننتها بخصوص ذكائها، ومهاراتها الاجتماعية، وثقتها بنفسها، ويعلق الأبوان والمعلمون - الذين يقدمون الجزء الأكبر من الطمأننة المبكرة لبولي - على تقدير بولي الذاتي الضعيف، ولا يدركون أنهم بإعطائهم كثيراً من الانتباه لسلوكيات بولي التجنبية فهم بذلك يمنعونها من تطوير ثقتها بنفسها.

يسبب هذا الاهتمام المستمر في توقعات بولي السلبية مشكلتين: الأولى، الانتباه المستمر والمخلص واللطيف يعلم بولي أنّ الشك في الذات، والشعور بالأسف تجاه النفس، هي أساليب فاعلة لإثارة طمأننة الدعم والحب. والثانية، يحميها الانتباه من الإقدام على القيام بالأنشطة التي تحتوي على مجازفة، والتي تساعد على بناء ثقتها بنفسها. وعلى الرغم من أنّ الراشدين القلقين يحاولون بصدق توفير مساعدة لطيفة لها، فإنّ تلك المساعدة تحول دون نمو ثقتها بنفسها وتشجع سلوكيات التجنب التي تعزز من تدني تحصيلها.

أمّا الأمر الأكثر أهمية، فهو أنّ الأبوين والمعلمين يميلون إلى وصف مثل هؤلاء الأطفال بأنهم غير ناضجين، حيث تكون التوصيات بتأخير إدخالهم للمدرسة بعام واحد، أو التحفظ عليهم، أو إعطائهم دروساً خصوصية، معتادة في هذه الحالة. وعلى أيّ حال، يمكن أن ينجم عن هذا الأمر

إعاقة هؤلاء الأطفال دون مبرر. وفي العادة، لا ينتظر منهم القيام بأقل مما يستطيعون القيام به لتجنب وضعهم تحت وطأة ضغط زائد.

## بول الكسول

يتمطى بول على مكتبه، ويتشاءب، ويستغرق في أحلام اليقظة، ويحلّ الرياضيات بتناقل، حيث إنّ واجباته نادراً ما تكون كاملة، وإن كانت كذلك، فهي ليست منجزة بصورة جيدة على الإطلاق. وهو يرفع يده لي طرح الأسئلة فقط لا للإجابة عنها. وعندما ينادى عليه، لا يعطي أجوبة، مثل: (لا أعرف)، (لست متأكداً)، (لا أفهم)، لقد نسيت. إنّهُ طفل جيد ومحبوب ولطيف، لا يقوم بالمطلوب منه بتاتاً، ولا يبدو عليه الاكتراث تجاه ذلك. (يقول المعلم: إنّهُ مشّت الإنتباه، ويتساءل والداه إن كان يعاني اختلالاً في ذلك: (ربما يحتاج بول إلى العلاج)، أمّا بول فيقول بثقة: (إنني الآن أعمل بصورة أفضل يا أمي). ويحوّر الحقيقة ليطمئنها: نعم، لقد أكملت وظائف المنزلية جميعها).

يا إلهي، لقد حصلت على الدرجة الراسبة، سأعمل بصورة أفضل في المرة القادمة. ويعتذر باكياً: كل ما في الأمر أنّ ذهني يتخبط.

نادراً ما ينجز بول واجباته المنزلية. إنه لا يأخذ الكتب والمهمّات معه إلى البيت ليدرسها، وتستمر الدرجات بالانحدار في اندفاع متهور ينتهي بالفشل.

ينسحب بول بصورة هادئة، غير مبالي نحو شاشة التلفاز، وعندما تناديه أمه ليقوم بعمل واجباته المنزلية، لا يتحرك ولا يستجيب، ويحدّق متعمداً في شاشة التلفاز. تتصاعد حدّة نبرتها الهادئة في العادة، فيرف بعينيّه، فتملاً صرخات أمه الغرفة. وأخيراً، عندما تصرخ أمه بيأس يعتذر لعدم سماعه إياها، ويسألها: ماذا تريد مني أن أفعل؟ وعندما تقترح أن يكمل واجباته المنزلية يكذب؛ ليطمئنها ويخبرها بأنه قد أنجز واجباته المنزلية جميعها، ويتراجع نحو الشاشة باستغراق تام.

يطمئن الأب الأم المحبطة والجزعة بأن بول لا بد من أنه قد عمل واجباته المنزلية، فلم لا يتركونه يشاهد التلفاز؟ وعليه، فإنهما يستقران أيضاً أمام التلفاز إلى أن يأتي اجتماع الآباء والمعلمين الآتي.

## سام المريض

الأم: هل استيقظت يا سام؟ إنه وقت الاستيقاظ، إنه وقت المدرسة.

يظلّ سام صامتاً

الأم: (بعد خمس دقائق) سامي، لقد تأخرت في الاستيقاظ، ستتأخر عن حافلة المدرسة.

سام: (بوهن) أمي...

الأم: نعم يا عزيزي، ما الأمر؟

سام: أمي، لا أشعر بأنني على ما يرام، معدتي تؤلمني.

الأم: سام، معدتك تؤلمك مرة أخرى؟ ربما كان يتعيّن عليك ألا تأكل تلك البيتزا، حاول أن

تنهض وتتمشى قليلاً، فلربما شعرت بتحسن.

سام: (بوهن أكبر) ولكنها يا أمي تؤلمني بشدة، ولا أستطيع الحركة.

الأم: لا بأس، أظن أنه من الأفضل لك أن تبقى في السرير، عد إلى النوم، إنها بالتأكيد

حساسيتك.

يقضي سام الصباح في سريره، ولكن، بحلول الساعة الحادية عشرة صباحاً، يكون مستيقظاً، ويشعر بتحسن كبير. تطبخ له أمه غداءً شهياً صحياً، وتبقى برفقته وهما يجلسان معاً على طاولة المطبخ، يتحادثان ويضحكان، تطمئنّه الأم بأنه ولد رائع موهوب، وإن هو تمكن من البقاء معافىً لأصبح بالتأكد من الطلاب الأوائل، فيوافقها سام الرأي، ويتأوه من مدى صعوبة التعامل مع الحمل الدراسي؛ لأنه غاب عن كثير من الحصص، ويتعرض لوالدته قائلاً: (من غير العدل أن يُكَدّس المعلمون ذلك العمل التعويضي كله علي)، (وكيف يتوقعون مني إنجاز ما فاتني؟) تتعاطف معه والدته، وتطمئنّه بأنها سوف تتحدث مع معلميه عن المشكلة، وترجحه قائلة: لا تقلق يا سام، فقط ابقَ معافىً، لم لا تذهب إلى غرفة المعيشة وتسترخي وتشاهد التلفاز؟ فيفعل سام ذلك.

يرن جرس الهاتف في الساعة الثانية ظهراً، المتصلة هي السيدة سمارة المديرية، تعبر عن قلقها بسبب غياب سام المتكرر، فتسهب الوالدة بشرح توعكات سام، وتحسّساته، ونوبات الأزمة ومشكلاته الهضمية، فتشرح السيدة سمارة لوالدة سام أنّ التوتر يمكن أن يكون السبب وراء هذه

الأمراض، وتقترح إيجاد أسباب ضغوطات سام، فيبتسم سام بتكلف من تحت بطانيته وهو يشاهد برنامج التلفازي المفضل، ويستمتع لرد أمه.

تعقب السيدة سمارة: فقط لو توقف هؤلاء المعلمون عن إعطاء سام هذه الواجبات المنزلية كلها، لربما تمكن من الاسترخاء قليلاً والشعور بالتحسن. وعلى الرغم من أنّ الوالدة تبدو مقنعة على الهاتف، فإنها لا تملك إلا أن تتساءل مع نفسها إن كان سام مريضاً حقاً.

## تيريس المستهزأ به

تيريس سمين

تيريس غريب

اقذف به أرضاً، أوسع ضرباً

لا تدعه يلعب!

لاحظ تيريس في ساحة اللعب، يتخبط وحيداً، ويشاهد لعبة الكرة، وربما يتحدث إلى أطفال آخرين، ولكنه عادة ما يغادر المجموعة بعد إغاضته أو السخرية منه، يقول تيريس: إنه لا يملك أيّ أصدقاء، ولكنه في حقيقة الأمر هو من لا يريدهم، ويجلس كل يوم بعد المدرسة على طاولة المطبخ مع والدته منتحياً ومنتزماً من الأطفال اللثيمين في مدرسته، يبدو أنّ والدته تفهم الأمر وتتمنى لو أنّ المعلمين يحمون تيريس المسكين، وألا يكون الأطفال لثيمين إلى هذا الحد.

أمّا الأب فيقول: إنّ تيريس في حاجة إلى تعلم لعب كرة القاعدة. ويحاول الوالد تعليمه الرياضة، لكنه ينهي كل محاولة بتوبيخ عنيف غاضب، وعادة ما ينتهي هذا الطقس المعتاد بعودة تيريس إلى والدته متذمراً، وأنّ والده لا يفهمه. وتضع فوضى الأب - و - الأم حدّاً لأنشطة الأب - الابن جميعها، فيستسلم الأب، وتتساءل الأم: لم لا يتعامل زوجها مع ابنها بصورة أفضل؟ وتشعر بثقة أن مشكلة تيريس الحقيقية سببها الأب، أو المدرسة، أو الأطفال الآخرون.

أمّا في المدرسة، فلا ينهي تيريس الواجبات الموكلة إليه، حيث يعمل ببطء، ويستغرق في أحلام اليقظة، ويحضر أحياناً واجباته إلى البيت ليكملها بمساعدة والدته، فيعتمد إلى حلّ واجباته على طاولة المطبخ لعل وعسى أن تستبدل أمه تحريك الحساء بالرياضيات الصف الرابع قد يتمكن تيريس من عمل بعض المسائل وحده، ولكنه لا يستطيع تخيل قيامه بأيّ عمل من دون

والدته، حتى إنه لا يكلف نفسه عناء البدء عندما لا تكون موجودة في البيت، قائلاً: لم المحاولة؟ فأنا في حاجة إلى المساعدة، ووالدتي هي من يخبرني ماذا أفعل. أمّا أخته الكبرى، فيجب أن تحميه من الأطفال في المدرسة، لماذا يضايقه الأطفال دائماً؟ لماذا هو ضعيف جداً وصغير؟ لم لا يستطيع عمل أي شيء وحده؟

«لا تستسلم يا تيريس، جرّب الحاسوب». يفعل تيريس ذلك، إنه يعشق الحاسوب؛ إذ إنّ لوحة المفاتيح لا تتطلب محادثة اجتماعية، والكل يعرف أن تيريس رائع في الحاسوب، ومع أنّ الجميع متفقون بأنّه غريب الأطوار نوعاً ما، ولكنه بطل في الأقل! وتبقى المهمّات الموكلة إليه غير مكتملة إلا إن كانت متعلقة بمهاراته الحاسوبية.

### دونا المكتئبة

غالباً ما يكون حزن دونا في طفولتها وفي مراهقتها ناتجاً عن صورة أكثر تطرفاً من أيّ من الأنماط الاعتمادية (dependent patterns) الموصوفة في الأعلى. من الممكن أن يصاب الطفل بالاكئاب أيضاً عندما يشعر طفل مسيطر بأنه قد فقد قوته، ويكون شعور الأطفال المكتئبين الأساسي شعوراً بعدم الفاعلية، ومن الممكن أيضاً أن يشعر الأطفال الكسولون الذين هربوا كثيراً من الضغوطات والجهود باكتئاب عند أقصى حالات عجزهم، ويمكن لمتوخي الكمال الذين لا يجدون طريقاً لتحقيق أهداف كاملة أن يشعروا بقدر مساوٍ من الاكتئاب كذلك، إضافة إلى أنّه من الممكن أيضاً أن يشعر الأطفال الذين يشعرون بالسيطرة فقط عندما يهيمنون على بيئتهم المحيطة بالاكئاب أو بعدم السيطرة، إن لم يتمكنوا من إقناع الأبوين، أو المعلمين، أو الأصدقاء بوجهات نظرهم. وبصرف النظر عن سبب الاكتئاب الرئيس، فإنّ الأعراض متشابهة: الحزن، والدموع، والنوم المتكرر أو الأرق المتكرر، والإسراف في الأكل أو في عدمه، وقلة النشاط والانشغال التام بالموضوعات الحزينة أو الانتحار، جميعها أعراض يمكن أن تنبئ الأبوين إلى نداء ابنهم طلباً للمساعدة.

غالباً ما يعاني المراهقون المكتئبون الأرق في الليل، فتجدهم يشاهدون التلفاز، أو يلعبون ألعاب الفيديو، أو يتحدثون إلى أصدقائهم عبر الإنترنت، ثمّ ينامون في ساعات الصباح الباكر. لذا، تجدهم مرهقين جداً عند الذهاب إلى المدرسة، فينامون أو يغالبهم النعاس معظم ساعات النهار، حتى يعودوا من المدرسة إلى البيت لأخذ قيلولة على الفور.

عندما يأتي المساء، يكون معظم من في البيت نياماً، ولكن دوناً لا تستطيع النوم مجدداً فتطلق على نفسها مسمّى (الشخص الليلي (night person))، ولسوء الحظ لا توجد مدارس في منتصف الليل خصيصاً من أجلها.

يجب أن يتلقى الأطفال المكتئبون مساعدة مختصة، فقد وصلوا إلى مرحلة لم يعد بإمكان المعلمين أو الآباء وحدهم المساعدة فيها، إذ إنّ تحديد الأعراض والتوصية بالمساعدة من الأمور المهمّة لكل من الأبوين والمعلمين؛ لأن الأعراض يمكن أن تظهر في البيت أو المدرسة، وليس بالضرورة في كلتا البيئتين معاً.

### توماس الممزق

اليوم الثلاثاء، كان توماس في منزل والده في الليلة الماضية، ويبدو عليه القليل من النعاس، ويظهر أقل ترتيباً من الأمس، سيكون الأربعاء يوماً سيئاً آخر، ولكنّ يومي الخميس والجمعة سيكونان أفضل، وسيمرّ على توماس في الأسبوع القادم يومان آخران يغالبه النعاس فيهما أيضاً، ولكننا لسنا متأكدين أيّ الأيام هما؛ لأنّ يومي الزيارة الأسبوعيين يتفاوتان من أسبوع إلى آخر.

من الأمور التي تتغير أيضاً على توماس:

في منزل الأب تفرح العائلة، أمّا في منزل الأم، فعليه القيام بالواجبات المنزلية والأعمال المعتادة المتكررة.

يحلّ واجباته المنزلية في منزل الأب أمام التلفاز، أمّا في منزل الأم، فيحلها على المكتب في غرفته.

في منزل الأب يسمح له بالبقاء مستيقظاً مع أبيه وزوجته حتى ينال منه التعب، أمّا في منزل الأم فموعد نومه هو الساعة الثامنة والنصف مساءً.

في منزل الأب يخرج في رحلات مثيرة أيام العطل، أمّا الأيام في منزل الأم فمملّة.

في منزل الأب لا يجبره أحد على الدراسة، أمّا في منزل الأم، فيسمح إلى مواعظ لا تنتهي عن أهميّة العمل المدرسي.

يتصل الأب بالأم في العادة ويتجادلان عبر الهاتف، كم يكره توماس الأمر عندما يسألانه عن المكان الذي يرغب فيه قضاء العيد؛ لأنه إن اختار الأب ستكون الهدايا أكبر، ولكن الأم ستكون

حزينة، وإن اختار الأم، فيقول الأب: إنه لن ينزعج، ولكن توماس في داخله يعلم بأنه يكون غاضباً فيتمنى لو لم يكن عليه الاختيار.

يحب توماس كلاً من والده ووالدته، ويدعو كل ليلة أن يعودا إلى بعضهما، ولكنه يتساءل إن لم يفعل ذلك، فهل يتعين عليه الانتقال للعيش مع أبيه عندما يكبر؟ فهو يرغب بأن يصبح رجلاً مثل أبيه، وأن يحظى بقدر وافر من المرح، وهو لا يرى أي منطق في: ادرس، ادرس، ادرس، ادرس على أي حال، في اللحظة التي يعتقد فيها أنه قد وجد حلاً لأمره جميعها، ويوشك أن يخبر والدته بأنه يرغب بالانتقال للعيش مع والده مدة ما، يجدها تبكي في المطبخ، وتقول: إنها تشعر بوحدة شديدة، وتتمنى أن يكون توماس سعيداً في منزلها، فيشعر توماس بالحزن والأسف من أجلها، ويعلم بأنه لا يستطيع أن يتركها، ويطمئنها بأنه سيحاول أن يكون مطيعاً وسيساعدتها، ثم يذهب إلى غرفته ويستلقي على مكتبه، ويحدق من بعيد بكتاب الرياضيات متسائلاً: هل الأطفال الآخرون يشعرون بمقدار التشويش الذي أشعر به؟

### جاك الفارس، وشوندرا الاجتماعية، ودان الممثل

سواء كان قائد فريق كرة القدم، أو سباح الشريط الأزرق، أو عازف بوق في الصف الأول، أو رئيس مجلس الطلاب، فإن جاك، وشوندرا، ودان يشتركون في بعض السمات الشخصية؛ فهم يبدعون في الأنشطة التنافسية، وماهرون على المستويين الشخصي والاجتماعي؛ لأنهم رياضيون بطبيعتهم، أو ممثلون جذابون، أو موسيقيون موهوبون، أو قادة ممتازون.

يبدو هؤلاء الأطفال وكأنهم مدفوعون نحو النجاح، وبوصفهم طلاباً في المرحلة الثانوية، فإنهم يمنحون أهلهم سعادة عظيمة، ويشعرون معهم بالفخر في حفلات توزيع جوائز الموسيقى، أو التمثيل، أو الرياضة. وفي حين يعيشون حماسة استلام جوائز مساهمتهم المميزة للفريق أو نادي التمثيل، أو مجلس الطلاب، فإن ذلك قد يُعدّ مشكلة، لماذا؟ في الواقع، ليست بالضرورة أن تكون كذلك، علينا أن ننعم النظر في الموضوع؛ لأن حفل تكريم طلاب المرحلة الثانوية يمكن أن يشكل ذروة تحصيل الحياة المهنية لهؤلاء الأشخاص اليافعين.

لم يُعدّ جاك، وشوندرا، ودان متدنيي تحصيل؟ في إمكان هؤلاء المراهقين الذين هم مصدر فخر لفرقهم وعائلاتهم أن يصلوا إلى أعلى نقطة في حياتهم، في حفل تكريم طلاب المرحلة الثانوية. وعلى الرغم من مواهبهم الخاصة، ومن الروح التنافسية التي ساعدتهم كذلك،

ولكنك إن أنعمت النظر في اختيارهم للأنشطة، فستجدهم يشاركون فقط في تلك الأنشطة التي يعدون فيها من الراحين؛ فهم يختارون الرياضة إن كانوا سيصبحون قادة فرقهم، والتمثيل إن كانوا النجوم والفرقة الموسيقية إن كانوا يعزفون في الصف الأول، والأنشطة الاجتماعية إن كانوا سيصبحون القادة، وعلى الرغم من تمتّعهم فعلياً بإمكانات اجتماعية ممتازة (يجب أن يكونوا لامعين، والا كيف سيتمكنون من حفظ أسطر المسرحية جميعها؟)، فإنهم يدعون أنّ العمل المدرسي لم يمدهم بتحديات تنافسية تلبّي رغباتهم. وعلى أيّ حال، فإنّها قد تكون أمّدتهم بإفراط بالتحديات التنافسية. لقد استبعد دافعهم للفوز، الذي دعمه الأهل في البداية، ثم استبطنوه (Internalized) منهم شخصياً، الأنشطة التي لا يمكن لهم الفوز فيها بالمركز الأول بصورة تلقائية، وتحولوا إلى طلاب متوسطين؛ لأنهم لم يروا أنفسهم ناجحين أكاديمياً.

والآن، بعد أن تخرجوا في المدرسة الثانوية، فبإمكانهم الانضمام إلى فرقة مسرحية متنقلة، أو تنظيم فرقة موسيقية، أو الالتحاق بالجامعة؛ كي يلعبوا كرة القدم، ولكنهم سيجدون مئات من النجوم يتنافسون معهم، فهم لم يعودوا استثنائيين كما في السابق. والأكثر سوءاً من ذلك أنّ تاريخهم في تدني التحصيل سيقبل من فرصهم المهنية. سيتساءلون ويبحثون، وإن كانوا محظوظين سيجدون مجتمعاً، أو حقلاً مهنيّاً، أو بيئة يتسنى لهم أن يصبحوا فيها نجوماً من جديد تماماً كسمكة كبيرة في حوض مائي صغير، حيث يمكن لهم - إن هم وجدوا في مثل تلك الأماكن - أن ينجحوا، أمّا إن لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، فسيتخبطون ويضيعون مهاراتهم الكثيرة غير المطوّرة، وسيذكرون دائماً كيف كانت المدرسة الثانوية أفضل سنوات حياتهم.

### أليس الأكاديمية

أليس موهوبة بصورة كبيرة، وتتمتع بنسبة ذكاء (IQ) تساوي (150)، تعلمت القراءة بصورة عفوية عندما كانت في الثالثة من عمرها، وتعلمت الجمع على يديها عندما كانت في الرابعة وقد أمتعت حصيلتها اللغوية الواسعة، ومستواها المنطقي العالي أصدقاءها الراشدين وأقاربها فتجدهم يقولون عنها: إنها فتاة عبقرية حقاً.

فحصلها على المرتبة الأولى على دفعتها المكوّنة من مئتي طالب بمعدل تراكمي من الدرجة (4.0)، إضافة إلى حصولها على مراتب الشرف، جميعها أمور برهنت بأنها عالية التحصيل

فكّرت وحصلت على الجوائز والمنح في حفلات التخرج، ولم يكن هناك أيّ شك في مستقبلها المشرق، وقد نوت الالتحاق بالجامعة، وخططت لحياة مهنية في مجال الطب.

لم تظهر على أليس أيّ درجة من درجات متلازمة تدني التحصيل، فكيف أوردناها في هذا الكتاب؟ لننظر بصورة أبعـد، هي الآن طالبة جامعية جديدة في جامعة شرقية مرموقة، تأخذ المواد والمتطلبات السابقة للطب (الكيمياء، والأحياء، والجبر، والأدب الإنجليزي)، وهناك ما بين أربعمئة إلى خمسمئة طالب وطالبة في كل محاضرة من محاضراتها، كثير منهم الأوائـل على دفعاتهم في المدرسة مثلها. وبعضهم درس الكيمياء والأحياء والجبر لعامين قبل أن يلتحق بالجامعة، فتتساءل أليس: كيف تسنى لهم معرفة ذلك كله؟ وتتوّج مخاوفها بدرجة الاختبار الأول، فقد حصلت على (ب) بدلاً من (أ) المعتادة.

تتساءل أليس محتارة: لِمَ أشعر بكلّ هذا الاكتئاب؟ فبعد كلّ شيء، ما تزال (ب) درجة جيدة، وهناك كثير من الوقت لأرفعها إلى (أ). فتعتقد أليس النية على الدراسة بجد أكثر، وتقضي ساعات كثيرة في التحضير للاختبار الثاني، وعلى أيّ حال، تجد التركيز على محتوى المادة أمراً صعباً، فتصيبها فكرة الامتحان بالتوتر، وتزداد المخاوف عن أدائها القادم في الاختبار.

إنها واثقة بنفسها بصورة معقولة، وقد تمكّنت جيداً من المادة حتى صباح يوم الاختبار ولكنها عندما تحدق في السؤال الأول، تطفئ على الكلمات غمامة، وتشعر بالغثيان؛ فهي لا تتذكر رؤية ذلك المفهوم بتاتاً، هل يمكن أن تكون قد قفزت عنه في دراستها تماماً؟ استرخي يا أليس تخبر نفسها وهي تذهب بنظرها إلى أسفل الصفحة لتلقي نظرة على السؤال الآتي، وتشعر بالثقة عن جزء من الاختبار، أمّا الجزء الآخر، فتعلم بأنّها درسته، ولكنها ليست متأكدة من إجاباتها.

لقد مرّت خمس عشرة دقيقة حتى الآن، ولم تخط أليس إجابة واحدة على ورقة الاختبار وتتساءل: هل يستطيع أحد ملاحظة شدة توتري الآن؟ وتستنتج: إذن هذا هو جزع الاختبار. ثمّ تبدأ بالإجابة بحسم وبأفضل طريقة تستطيعها، ولكن الوقت يدركها، وقد تبقى لديها خمسة أسئلة لم تجب عنها بعد. تباً، تقول لنفسها وقد تراخت على مقعدها، إنها في الأغلب درجة (ب) مرة أخرى، أعتقد بأنّ (ب) هو مستواي في الجامعة.

بعد خمسة أيام تستلم درجة الاختبار لتجدها (ج)، أوّل (ج) تحصل عليها في تاريخها المدرسي برمته، لقد توقعت (أ) أو على الأقل (ب+) فكيف لها أن تخبر أمها بهذا؟ كيف لها أن

تتمكن من الالتحاق بكلية الطب؟ ربما لم تكن لامعة كما أخبروها، إنّ أصدقاءها ينالون درجات (أ)، ما الذي حدث إذن؟ ستدرس بجد أكبر المرة القادمة، المادة معقدة جداً، ولا ترى فيها أي ارتباط بحياتها العملية. كيف للجبر أن يجعل مني طبيبة جيدة؟ تسأل نفسها. يا لها من طريقة غريبة لاختيار الأطباء!. لماذا أنا هنا؟ هل يجب عليّ الانسحاب؟ هل يجب عليّ تغيير تخصصي؟ سيخيّب ظن والديّ، ولن يفهما أبداً كيف يمكن لي أن أفضل هذا الفشل الذريع، فاشلة.. فاشلة.. فاشلة...

ما الذي يحدث لأليس مع تراكم التوتر؟ هنالك بالتأكيد كثير من النتائج المحتملة، بعضها إيجابي وبعضها الآخر سلبي. استناداً إلى مقدار الإبداع الذي تواجهه به معضلتها، يمكن لها أن تتأقلم مع التوتر وتعيد رفع درجاتها إلى (أ) مرة أخرى، أو يمكن لها أن تتعايش مع نفسها طالبةً من المستوى (ب) وتكمل توجهها الطبي، ويمكن لها أيضاً أن تجد نفسها من المستوى (أ) في علم النفس أو الأدب، الأمر الذي يملي عليها توجّهاً وظيفياً مختلفاً تماماً عن اختيارها الأصلي، وهنالك أيضاً نتائج أقلّ قبولاً، مثل الانسحاب من الجامعة، وفي بعض الحالات النادرة، يكون الحل النهائي الأكثر ألماً الانتحار.

كانت أليس متفوقة في السابق، ولكن متلازمة تدني التحصيل جاءت متأخرة في حياتها الأكاديمية، حيث إنّ سنوات الرشد المبكرة وقت صعب لتعامل الشخص مع أولى خبرات فشله وتشعر أليس بالوحدة مع مشكلتها.

## ماريا المتلاعبة

ماريا: سيدة سميث، هل تذكرين عندما منحتني درجة (د) في الرياضيات؟ هل تعتقدين أن بإمكانك رفعها قليلاً؟ إنني خائفة من العودة إلى المنزل، فلم أحصل على درجة (د) من قبل، والدي سيقتلني! أعدك بأنني سأجتهد أكثر في الربع القادم.

تفكر السيدة سميث ملياً: تبدو ماريا مرعوبة وقلقة جداً، أساءل: هل سيضر بها والدها حقاً؟ وقد وعدت فعلاً بالاجتهاد في الربع القادم، أعتقد أنه بإمكانني منحها فرصة إضافية. تقول لماريا: أعتقد أنه بإمكانني تغييرها إلى (ج) إن كنت متأكدة من القيام بواجباتك المنزلية في الربع القادم.

ماريا: أهدك! شكراً جزيلاً لك سيدة سميث، إنني أقدرُ فعلاً لطفك، وسأعمل بجد أكبر،  
أوه، حقاً لقد أنقذتني.

في الربع الآتي، تعيد ماريا التمثيلية نفسها، هل أبوها لتُيم إلى هذا الحد؟ في الواقع تتلاعب ماريا بوالدها أيضاً كخاتم في إصبعها، وعلى الرغم من أنّ والدها أو والدتها يكشفانها أحياناً لكنهما - في الواقع - يستمتعان بقدرتها المبهرة على الإقناع، ولا يستطيعان أن يقولوا لها لا؛ فهي طفلة عذبة خدومة ومطبعة، ويمكن أنّهما - باعترافهما - زادا في دلالتها قليلاً، فلطالما حصلت على كثير من الألعاب والملابس، ولا يستطيعان التفكير في أي شيء قد طلبته ولم تحصل عليه، فلا حدّ لطلباتها للشراء، وقد أصبحت طلباتها لألبسة مصممين مشهورين بعينهم مزعجة جداً.

تأتي حياة ماريا الاجتماعية في المدرسة في المقام الأول بالنسبة إليها مقارنة بعاداتها الدراسية، إنها تثرثر بلا هوادة، وتتنقل في ساحة اللعب بين الأصدقاء دون كلل ولا ملل. وعلى الرغم من مظهرها المنمّق وسهولتها الحوارية الظاهرية، فإنّ حلقة أصدقائها غير مستقرة؛ لأنّ أقرانها يتجنبون القرب الشديد منها؛ لحماية أنفسهم من الانقياد والتلاعب بهم.

تتساءل السيدة سميث: لِمَ ماريا متزعزعة إلى هذا الحد؟ أيعود السبب في ذلك إلى قسوة والديها؟

تتساءل الأم: لِمَ ماريا متزعزعة إلى هذا الحد؟ وتؤمن بأنّ السبب يكمن في غيرة الأطفال الآخرين منها.

يتساءل الوالد: لِمَ ماريا متزعزعة إلى هذا الحد؟ ويستنتج أنّ السبب يكمن في طلبات المدرسة الكثيرة.

ويخلص الجميع إلى إعطاء مزيد من الاهتمام لماريا؛ للتعويض عن مفهومها الذاتي الضعيف. وما زالت ماريا تتلاعب بهم جميعهم.

## كريس المبدع

المدرسة مملة، ما الحكمة من تعلمي القراءة والقيام بصفحات كتاب الأنشطة بهذه الطريقة المبسطة جداً، مع أنني أستطيع القراءة بمراحل متقدمة عن ذلك. يتحدى كريس معلمته في الصف الثالث.

يمكنها استشفاف حصول مشكلة، وعليها أن تبقيه منشغلاً، تطلب المعلمة إلى كريس إجابة مزيد من أسئلة كتاب الأنشطة. ولكن كريس يخطط ويحيك مكيده. كيف سأجنب هذه الأشياء المملة كلها؟ يبطن من عمله، ويستغرق في أحلام اليقظة، ويبتدع الأسباب؛ كي لا يحصل على مزيد من المهمات. يصطحب عريضة الاحتجاجات معه إلى البيت، ويقنع والدته بالذهاب إلى المدرسة لتجادل بالنيابة عنه، فتصبح محامية الدفاع له، وهو الآن معفى من واجباته، ويستطيع قراءة كتاب خارجي عوضاً عنها، ومع أنّ هذا لم يكن ما في باله أو بال والدته بوصفه تحدياً تعليمياً، فإنه يبدو أفضل من الانشغال في العمل المدرسي.

يقرأ كريس بشغف على الدوام، إن كانت هناك واجبات منزلية، أو إن كان المعلم يشرح الرياضيات، فيسمع لنصف الدرس؛ لأن الكتاب الموجود على حجره يأخذ النصف الثاني من انتباهه، ويتوقع منه معلم الأدب أن يسلم تقارير عن ثمانية كتب كل عام، يقرأ كريس ثلاثين كتاباً ولكنه لا يسلم تقريراً واحداً.

تستفسر أمه: لم لا تكتب التقارير المطلوبة منك مادمت تستمتع بقراءة الكتب كثيراً؟

يحتاج كريس: لأنّه لا يتعيّن عليّ يا أمّي أن أضيع وقت القراءة الثمين على ما هو واضح تعرف معلمتي أنني قرأت الكتاب، ولا أرى أيّ سبب لإعطائها دليلاً على القراءة.

تؤكد أمه: نعم، أعتقد أنّ كلامك منطقي.

وما إن يصل كريس إلى الصف السادس، حتى يكون في معركة دائمة مع معلميه؛ لأنّه لا يقوم بالواجبات الموكلة إليه، ويصر معلموه على إعطائه درجات متدنية، فيجادلهم بأنه يعرف الواجبات، ويمكنه النجاح في الامتحانات كلها، وينجح فعلاً، حيث يحصل على درجات (ب) و (ج) من دون أي مجهود، ويعادل معلموه تلك الدرجات مع درجات (و) الراسبة نتيجة واجباته غير المنجزة. وبالنتيجة، تُظهر شهادته درجات (ج) و (د).

بصفتي معالجة كريس النفسية، أسأل: هل يمكنك يا كريس أن تشرح لي لِمَ أدأوك ضعيف

إلى هذا الحدّ، على الرغم من حماسك الكبير للتعلم وامتلاكك القدرة عليه؟

كريس مدافعاً عن نفسه: يمكنني الحصول على درجات (أ) إن قمت بالمجهود، إنني فقط

لا أهتم بالدرجات.

أتابع السؤال: كريس، هل أنت متأكد من أنك ستحصل على درجات (أ) إن بذلت المجهود الذي تقدر عليه؟

يصمت لوهلة ويقول: لا أظن، فأنا لست متأكدًا، ربما (ب)، فعندما أبدأ بالاستماع للمعلمة وهي تشرح الرياضيات، يبدو أنه سهل وممل جدًا. لذلك، أعود مجددًا إلى الكتاب الذي بحوزتي. بعد ذلك، أظن أنني أفقد بعضاً من الشرح، وعندما أنظر إلى الواجب المنزلي أكون غير متأكد أنني أفهمه، وأشعر بالغباء الشديد إن سألت أي سؤال؛ فمن المحتمل أن المعلمة شرحتة وأنا أقرأ، لذلك لا أحل الرياضيات، وفي هذه المرحلة، أفترض وجود بعض الفجوات. لذلك، يمكن أن أحصل على درجة (ب) فقط.

ولكنني في العادة أحصل على درجة (ج) من دون مجهود، فلماذا يجب علي تحمل العناء؟ وحتى عندما أقوم بالمجهود، لا تلاحظ المعلمة ذلك، أظن أن درجات (ج) جيدة، وعلى أي حال فإن التعلم والإبداع أكثر أهمية من الحصول على درجات جيدة.

توافق والدته على ذلك، فموهبة كريس وإبداعه أكبر من المدارس العادية، إضافة إلى أنه يكتب الشعر والقصص القصيرة، إلى جانب خبراته الواسعة في القراءة، وهو يضيف تعقيبات متفردة على نقاشات الغرفة الصفية، ويضيف كذلك البهجة في رسمه لرسوم كرتونية أصلية، إنه مصمّم على الرغم من تمرده وعصيانه. لذلك، يتلقى عرفاناً أكاديمياً ضئيلاً مقابل مساهماته الإبداعية، ويميّز كريس نفسه في المدرسة الثانوية بلباسه الغريب، وموسيقاه الغريبة، وأصدقائه الغربيين، وتضيف المخدرات ذاتها التي أقسم، في المدرسة المتوسطة، على أنه لن يكون في يوم من الأيام غيبياً لي تجربها، إلى غرابة تجربته الاجتماعية. تقول والدته: لقد سار دائماً على إيقاع عزف مختلف.

### ريبيكا المتمردة

باب غرفة ريبيكا مقفل؛ أغلقت على نفسها الباب؛ كي لا ترى أيًا من والديها؛ لأنها لا تريد سماع توبيخهم أو لومهم أو انتقاداتهم المستمرة بعد الآن. وفي غرفتها غير المرتبة عن قصد يعدّها هاتفاً، ومسجل الصوت خاصتها، ومذكراتها اليومية جميعها منافذ للغضب الذي تشعر به تجاه والديها ومعلميها ومرشديها، وجميع ما تبقى من عالم الراشدين. وتشعر أحياناً بالاكئاب والوحدة كما لو كانت دون أهداف ولا غايات، ويمكن أن يساعدها أصدقاؤها، وتدخينها، وشربها

الكحول على إبعاد شعورها بالفراغ بصورة مؤقتة، إنها لا تعرف ماذا تريد، ولكنها تعرف بكل ثقة ما لا تريد، وتطلق على نمط حياة والديها بأنه: ضيق، وخاوٍ، وريائي، وتشتكي لطبيبها النفسي الذي أرسلها والداها إليه قائلة: يجب عليك رؤيتهما على حقيقتهما.

أمّا في المدرسة، فتتأرجح درجاتها، التي كانت في السابق دائمة الارتفاع، ما بين (أ) و (و)، وتخبر المستشار التربوية بأنّ المدرسة لا علاقة لها بحياتها، وتساءل: لماذا عليّ أن أتكبد عناء دراسة قواعد اللغة الإنجليزية ما دمت لن أستخدمها في أيّ حال؟ من المؤكد أنها لا ترى أيّ سبب للذهاب إلى الجامعة، هي تعمل بجد للمعلمين الذين يروقونها، ولكنها تعلن بصراحة: أنا لا أستطيع الاتفاق مع السيدة سميت معلمة اللغة الإسبانية؛ لأنها غير راضية عني مهما عملت. لذلك، لا يوجد عندي أيّ سبب منطقي لدراسة الإسبانية. على هذا، يزداد عدد المعلمين الذين تبغضهم ربيكا كلّ عام.

في الحفل الراقص الأخير، بدت ربيكا ثملة أو تحت تأثير مخدر، وقد كانت برفقة سام رئيس مجلس الطلاب، إنهما ثنائي جميل، ويبدوان مناسبين لبعضهما بعضاً. لِمَ يشعر والداها بعدم الراحة بخصوص علاقتهما؟

تقول ربيكا: إنها وجدت أخيراً شخصاً يحبها بصدق. وبحلول الصف الأول ثانوي، أصبحت ربيكا حاملاً، ومن الممكن أن ينتج عن هذا الأمر زواج، أو قد تنجب لتصبح أمّاً وحيدة، أو من المرجح أن ينتهي بإجهاض الجنين. أمّا التدخين، والشرب، والعبث فهو تعبير عن شخصيتها وعن اكتئابها، وتبدو مشكلة متلازمة تدني التحصيل خاصتها بسيطة مقارنة بمشكلات أكثر تعقيداً.

### هاري مضطرب النشاط

هاري غير منظم، ومتسخ الهمد، ويمتلك طاقة عالية لا تتضب، وهو في المدرسة لا يلتزم بالجلوس في مقعده، ويلمس باستمرار الأطفال الآخرين، أو يربت عليهم، أو يصفعهم. واجباته المدرسية غير مكتملة، قد تصل بعض الأوراق إلى بيته، وقد يختفي بعضها الآخر بصورة غامضة في مقعده المدرسي غير المنظم، أو خزائنه المدرسية غير المنظمة أيضاً، أو حقيبته المدرسية المتناثرة. يستمتع هاري إلى معلمته بصورة متقطعة، متجاهلاً التوجيهات، والقواعد، والتحذيرات مما يسمع. وبصورة غامضة، إنّه دائماً يسمع عبارات المديح، والمكافآت، والرسائل المتعلقة بالطعام أو بوقت الاستراحة المدرسية. أمّا خطّه غير مقروء، وأسئلة الرياضيات خاصته غير

مكتملة ويجتاحه التناقض. تتفاوت درجاته ما بين (أ) و (و)، ولا يوجد هناك أي تفسير لهذا التناقض. لذا، أوصت معلمته بإعطائه دواءً لفرط النشاط، فبالتأكيد هنالك أمر غير صحيح.

في المنزل، تعمّ الفوضى غرفة هاري، فملابسه الداخلية التي ارتداها في الأسبوع الماضي محشوة بين الفراش وصندوق الأقواس، وفتات الخبز من الأمس، أو من الشهر الماضي، أو حتى من العام الماضي، منتشرة في كتبه، وألعابه، وعلى الرفوف. إضافة إلى أنّ تصرفاته فوضوية أيضاً. يختفي في الشارع أحياناً دون أن يتفوه بكلمة، ثم يظهر من جديد بعد ساعات جالباً الأعدار لوالدته التي تكون مذعورة بشدة، فتخلط التأنيب بالحب، وتضع يدها لتحيط به بعطف، ولكن مهددة إياه بغضب بمعاقبته مدة شهر، ثمّ تهدأ الأمور بعد ذلك ساعة. ولكنه يختفي مرة أخرى، ليعود إلى طقوس التأنيب والعطف نفسها. وخلال الوجبات، يحول الكرسي العادي إلى كرسي هزاز، ولا يغادر أيّ وجبة دون أن يسمع أربع مجموعات من الزجر والتوبيخ في الأقل. يتسم نمطه السلوكي في المنزل بالتغيير، والفوضى، والإزعاج، والاضطراب المستمر.

عزيزي، يبدو الجوهاداً اليوم، أين هاري؟

نعم، إنه هادئ وجميل، هاري في منزل جدته.

أوه، نعم!

### بواب المتنمر

تحكمت نوبات غضب بوب المزاجية بعائلته منذ عامه الثاني، وقد تعلم أنّ باستطاعته الحصول على كل ما يريد مباشرة إن استلقى على الأرض، وأخذ يركل بقدميه، أو إن حبس نفسه إلى أن يصبح مزرقاً، وتصبح الحلوى في المتجر، وألعاب أخته، والذهاب إلى المدينة مع والدته جميعها تحت إمرته إن كان صوته عالياً جداً، وكذا يفعل. يتهم أبوه أمه بأنها دلتته، ولكنها تصرّ على أنّ الأب قاسٍ مع بوبي الصغير، وعليه أن يكون أكثر تفهماً، فيحاول الأب أن يكون كذلك.

وبحلول سن السابعة، يصبح صراخ بوب غير مجد في نظره، فيحاول رمي الأشياء، ويبدأ بالسوادات والحاجيات الناعمة أول الأمر، ولكن بعد ذلك ينتقل إلى رمي الأطباق والأوعية ليري أباه وأمّه أنه جاد، فتحطيم الزهريات أمر مخيف. لذا، تتعلم العائلة الاهتمام به حتى لا يغضب ولذلك ليس عليه اللجوء إلى رمي الأشياء بصورة دائمة؛ لأن التهديدات اللفظية تبقى

والديه وأشقائه تحت سيطرته. واجبات منزلية، دراسة، لماذا يتعين على بوب القيام بواجباته المدرسية؟ من سيجبره على القيام بوظائف الرياضيات المملة؟ بالتأكيد ليس والداه، لماذا يتعين عليه الاهتمام إن حصل على درجات متدنية؟ إنه يعلم أن بإمكانه إنجاز أمور سهلة دون تكبد عناء الدراسة، لماذا يكلفه المعلمون بكثير من الواجبات؟ لذا، من غير المفاجئ لأي أحد أن يحصل بوب على درجات متدنية.

يملك بوب شكوى واحدة، حيث يقول: إن الأطفال لا يحبونه وهم دائماً يضايقونه، ولا يوجد لديه أي أصدقاء، وبصورة شبه يومية يفض المعلمون في ساحة اللعب شجارات بوب مع أقرانه إنه يفقد رباطة جأشه إن رفض الآخرون اللعب بطريقته، ويرمي المضرب إن هو أخطأ إصابة الكرة وفقد دوره في اللعبة، وإن ناداه الأطفال بالمتنمر يدافع عن نفسه قائلاً: هم من بدأوا، كل ما في الأمر أنهم لا يحبونني.

## كيف تحدد أطفالك يعاني متلازمة تدني التحصيل؟

يمكن أن يبدو الأطفال الذين وصفتهم مألوفين، ويمكن أن يمثلوا شخصاً تعرفه، ومن المحتمل أن يكون الطفل الذي تشك بأنه متدني تحصيل مزيجاً من عدد من السمات السابقة على سبيل المثال: تمثل ربييكا المتمردة مرحلة المراهقة للطفلة ماري المتلاعبة، ويمكن أن تمتزج سمات سام المريض وتيريس المستزأ به في طفل واحد، إضافة إلى أن كثير من حالات بول الكسول، وبيبرل الباحثة عن الكمال تكون أقل حدة من الوصف الوارد هنا.

قد تكتشف أن طفلك يظهر بعضاً من هذه السلوكيات أو العادات الموصوفة، ولكنك لست متأكداً إن كانت تشير إلى مشكلة، إذ من الممكن أن يظهر الأطفال السعداء والموهوبون أحياناً كثيراً من صفات ذوي التحصيل المتدني، ويكون الفرق الأساسي هو درجة ظهور تلك السمات.

فالأطفال والناس كلهم يُحصّلون على أقل ممّا هم قادرون عليه، بعضاً من الوقت، ولكن يتعين أن يصبح تدني التحصيل أمراً مقلقاً عندما يغدو أسلوباً معتاداً للاستجابة في المدرسة.

قبل أن تقرأ الفصل الثاني، اسأل نفسك الأسئلة الآتية: (إن كنت معلماً، فتذكر (هذا الطالب) بدلاً من (طفلي))

1. هل كان طفلي شديد الاهتمام غير الاعتيادي خلال السنوات الثلاث الأولى من حياته/حياتها؟
2. هل كان والدا طفلي مطلقين قبل بلوغه/ بلوغها مرحلة المراهقة؟
3. هل عانى طفلي مشكلات صحيّة عدّة في مرحلة ما قبل المدرسة؟
4. هل يوجد لطفلي شقيق/ شقيقة أكبر منه أو أصغر منه بأقل من ثلاث سنوات؟
5. هل يرغب طفلي في كثير من الانتباه المباشر؟
6. ضع نقطة واحدة لكل إجابة ب (نعم). النتائج مفسرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط :

- (4 - 5) يمتلك طفلي سمات تشير إلى مشكلة تدني تحصيل خطيرة جداً.
  - (2 - 3) يمتلك طفلي سمات تشير إلى مشكلة تدني تحصيل خطيرة إلى حد ما.
  - (1) يمتلك طفلي سمات تشير إلى مشكلة تدني تحصيل ثانوية.
  - (0) لا يمتلك طفلي سمات متلازمة تدني التحصيل.
- اقرأ هذا الفصل لفهم سمات ذوي التحصيل المتدني (Underachievers).

## الفصل الثاني

### الأخطار المبكرة

يجادل علماء النفس والتربويون على الدوام في طبيعة/ تنشئة أسس الذكاء - إلى الحد الذي تسهم فيه الجينات والبيئة في القدرة الإدراكية، وعلى أي حال، لا يوجد في الأدب النفسي أو التربوي ما يشير إلى أن تدني التحصيل أمر وراثي، ولا توجد هناك نظرية جينية تفسر سبب ضعف أداء كثير من الأطفال الذين يتمتعون بقدرات عالية في المدرسة. ولذلك، عند محاولة تحديد مسببات تدني التحصيل، يجب علينا النظر في السلوكيات المكتسبة.

إن تدني التحصيل مُتعلّم؛ حيث يمكن أن تُكتسب العادات بصورة مبكرة جداً قبل دخولهم المدرسة، فقد يكون معلومهم الأوائل وهم: الآباء، أو الأجداد، أو الأشقاء، أو مقدمو الرعاية الطفولية، أو أشخاص آخرون مهمّون، شكلوا جزءاً من حياتهم في مرحلة الطفولة المبكرة. لا ينظر عادة إلى السلوكيات التي قد تسبب تدني التحصيل بأنها مشكلات خلال الأعوام المبكرة فقد تكون وليدة مجموعة محددة من الظروف لطفل بعينه في العائلة، في حين قد تنبع في حالات أخرى من الأساليب العامة للأبوة والأمومة لدى الوالدين. في الحالة الأولى، قد يتأثر طفل واحد من بين الأشقاء على نحو سيئ، أمّا في الحالات الأخرى، فقد ينعكس التأثير في عدد من الأطفال أو كلّهم، حتى وإن لم يكن بالضرورة تأثرهم جميعهم بالمقدار نفسه.

لننظر إلى تلك الأخطار المبكرة للمشكلات الأخيرة، حيث تقع بيئات ما قبل المدرسة التي تعرض الأطفال إلى متلازمة تدني التحصيل في فئات عدة، تتضمن: الطفل غير المرحب به، والطفل المُهمَل والمشكلات الصحيّة المبكرة، وموضوعات النوع الاجتماعي، وترتيب الأشقاء، ومشكلات زوجية محددة إضافة إلى الموهبة. سنشرح كلاً من الفئات السابقة بصورة منفصلة، وعلى الرغم من أنه ليس بالضرورة أن ينتج عن أيّ منها أطفال غير محصلين، فإن البيئات تزيد من احتمالية تدني التحصيل.

## الطفل السابق لأوانه

لطالما أدركنا احتمال أن يعاني الطفل المنبوذ، أو غير المرحب به مشكلات عاطفية، أو مشكلات في التكيف، ولكن لا يمكننا تجاهل العدد المتزايد باستمرار من الأطفال الذين يولدون لأمهات مراهقات، أو لآباء ليست لديهم رغبة الانخراط في الرعاية الأبوية، إذ إن بعضهم متزوج وبعضهم الآخر غير متزوج، وحتى إن رحبوا في البداية بالطفل الوليد، فإنهم غالباً ما ترهقهم المسؤولية التي تعارضت مع تطورهم الطبيعي في مرحلة المراهقة. وحتى إن أحبوا الطفل، فمن الممكن أنهم لا يمتلكون النضج والاتساق اللازمين للرعاية الأبوية، وغالباً ما يقود الطفل أبويه لا العكس.

يمكن وضع الحدود من خلال الصراخ والصفع المستمر، إضافة إلى رغبة متدنية للتعلم، ومن الممكن حتى ألا تتوفر البنية التي تيسر التعلم في السنوات المبكرة. ومن الممكن أيضاً أن يستبدل التلفاز والفضى باللعب مع الأطفال والقراءة لهم، ويمكن للوالدين اللذين يعملان طوال اليوم ألا يمتلكا الدافعية والطاقة أو التفاني لتعليم أطفالهم في المساء. وإن وجد هؤلاء الأطفال بيئة جيدة في مركز للعناية النهارية أو مع أحد أجدادهم، فقد تساعد تلك البيئة على التحصيل أكثر من البيئات المحرومة ثقافياً، التي يمكن لهم اختبارها مع والديهم.

## الطفل المرحب به بصورة زائدة عن اللازم

قليلاً ما يلام الوالدان لقيامهم بإحاطة طفلهم بكثير من الاهتمام، وعلى الرغم من اقتراح بعضهم بأنه لا يتعين على الوالدين الإفراط في تدليل أطفالهم، فإن الأكثر حدوثاً هو التوصية بعدم قلق الوالدين بخصوص مبالغتهم في إظهار حبهم لطفلهم. يقول الأدب المعاصر: إن أحداً لا يستطيع محبة الطفل بصورة كافية، وعلى الرغم من أن الحب الفائق للعادة ليس ضاراً في حد ذاته، فإن الاهتمام الزائد قد يتسبب بمشكلات عاطفية ومشكلات تدني التحصيل لاحقاً، ومن الممكن أن يصنّف كثير من الأطفال في الجيل الحالي بوصفهم مرحباً بهم بصورة زائدة عن اللازم.

تمثل العبارات الآتية المقدمة من آباء أطفال متدنيي التحصيل أمثلة على (أطفال مرحب بهم بصورة زائدة عن اللازم) وهم في خطر:

لقد انتظرنا أليسون طويلاً، وعلمنا أنها ستصبح الطفل المثالي، لقد كان حملي صعباً؛ حيث إنني أجهضت ثلاث مرات في السابق، وقد كنا شاكرين جداً؛ لأنها على قيد الحياة، وتتمتع بصحة جيدة، أصبحت محور تفكيرنا، وقد ساعدنا الأجداد، والعمّات، والخالات، والأعمام والأخوال على تقديرها والعناية بها؛ لأنها أول حفيد في العائلة.

حاولنا مدة عشرة أعوام أن نحصل على طفلنا الخاص، ثم انتظرنا ثلاثة أعوام أخرى إلى أن قبّلت أوراق التبني. وعندما رأينا لاتويا، وقعنا فوراً في حبها، وعلمنا أنها ستصبح أغلى من طفل حقيقي من صلبنا في قلوبنا.

رغبت بشدة في إبعاد أمون، وعندما كان يتدمر ويشكو، كنت إلى جانبه أخفف عنه وأحمله، أو أهدده وأطعمه، وأغيّر حفاظه حتى قبل أن يشكو منه؛ لأنني أردت التأكد أنه لن يصاب بطفح جلدي ناجم عن الحفاظ، كنت سعيدة جداً؛ لأنني أم. تركت وظيفتي، وقررت أن أخصص أيامي كلها لمساعدة أمون حتى يتطوّر إلى أقصى ما تتيحه له إمكانياته.

لم يتمكن لوك من النوم. لذا، تناوبنا على هدهدته حتى ينال منه النعاس بين أيدينا، لم يكن بمقدورنا تركه مع المربيات؛ لأنه كان يبكي حتى نعود، لقد كان الأمر كما لو أنه علم عظم حبنا له.

قرأت البحوث المتعلقة بتحفيز الأطفال الوليدين، وكنت مصرة على تشجيع قدرات برادي فاصطحبته إلى رياض الأطفال؛ لأعلمه كيف يلعب بألعابه، لم أكن لأدعه يلعب وحده مطلقاً.

كانت إيرين غير مكتملة النمو، وقضت أسابيعها الأربعة الأولى في حاضنة المستشفى، وعندما أحضرناها أخيراً إلى البيت، تفانيت في رعايتها. لم تبكِ بتاتاً؛ لأنني وفرت احتياجاتها حتى قبل أن تبدأ بالشعور بعدم الارتياح؛ لقد كانت الطفلة المثالية.

عائينا أنا وزوجي طفولة صعبة، فقد كان أبوانا فقيرين، وكان لدينا كثير من الإخوة والأخوات؛ لذلك كان يتوافر لنا قليل فقط من احتياجاتنا المادية والوجدانية وعندما نظرنا إلى ابنتنا

جوان قطعنا عهداً على أنفسنا أن نوفر له الممتلكات العاطفية والمادية كلها التي شعرنا بأننا حرمانها في طفولتنا. نملك أشياء كثيرة، ورجبنا بإعطاء كل ما نملك لذلك الرضيع الجميل.

يتمثل الخطر الكامن الذي يأتي مع هذا الالتزام الفائق للعادة تجاه الوليد الجديد، في أنه يكشف سلوكات أخرى في الرعاية الأبوية، بما يتضمّن الإفراط في إشباع الاحتياجات، والإفراط في الحماية؛ فالطفل الذي تتحقق رغباته كلها قبل أن يبذل أيّ مجهود، ليس مطالباً بالأخذ بزمام المبادرة، إضافة إلى أنه من الممكن أن يدمج الوالدان هذا الاستثمار في أنفسهم مع التوقعات العالية غير الواقعية؛ لأن نجاح طفلهم يصبح امتداداً لطموحهم الشخصي، حيث ينظر الوالدان إلى الطفل الجديد منذ الولادة تقريباً إلى أنه الجواب الذي طال انتظاره، والذي سيعطي معنى لحياتهم ولحسبهم بالإنجاز والإشباع الذاتي.

حقاً، يجب أن يستقبل المواليد الجدد بالحفاوة والحب، ويجب أن يقدم الوالدان التزامات كبيرة تجاه المخلوق الرائع الذي أنجباه، إنها فقط المبالغة والاستثمار الأبوي المتطرف الذي سيسرق من الأطفال حسبهم الذاتي بالفعالية والجدارة، فيتشاور الوالدان الشغوفان في قدرة طفلهم الكبيرة على التلاعب بعالمهم قبل أن يمتلكا القدرة، والمعرفة، والحكمة، والنضج للسيطرة على تلك القدرة، ويتعلم هؤلاء الأطفال مبكراً كيفية إرغام الأشخاص المهمين في حياتهم على القيام بما يريدون، ويتوقعون إشباع احتياجاتهم من الآخرين بصورة فورية، إضافة إلى أنهم يصبحون مدمنين بصورة جوهرية على اهتمام الراشدين بهم بصورة مستمرة ومباشرة، ولا يُسمح لهم بمكابدة عناء التحديات الشخصية للطفولة المبكرة.

### المشكلات الصحية المبكرة

من الممكن أن تقود الحساسيات، أو الربو، أو العيوب الخلقية، أو الإعاقات الفيزيائية أو الذهنية، إلى نوع من العلاقة المكثفة والالتزام من أحد الأبوين أو كليهما تجاه الطفل أو الوليد، وذلك يؤدي إلى تأثيرات موهنة لتطور الاكتفاء الذاتي عند الطفل.

إضافة إلى ذلك، من الممكن أن تضع متطلبات هؤلاء الأطفال المؤقتة التزامات هائلة على الوالدين، من شأنها أن تفرض عليهما التخلي عن احتياجاتهما الشخصية أو الاجتماعية أو

الفكرية أو عن رغباتهم المهنية؛ حتى يتمكنوا من خدمة رغبات أطفالهم الفاعمة بصورة حصرية. وعليه، فإنهم يستثمرون أنفسهم بصورة شبه كاملة في أطفالهم، ويتخذون من التخفيف من ألم هؤلاء الأطفال أو تطوّرهم إلى أقصى ما تتيحه إمكانياتهم أو تكيفهم مع عالم غير المعوّقين سبباً لوجودهم في هذه الحياة.

العبارات الآتية تعكس نوع الالتزامات التي يقوم بها هؤلاء الآباء:

- أدخلت جينيفر المستشفى اثنتي عشرة مرة في السنوات الأربعة الأولى من حياتها، وخضعت للجراحة خمس مرات كي تتمكن من المشي، إضافة إلى حالات طارئة أخرى عدة، مثل: التهاب رئوي مرتين، واستئصال للوزتين تسبب ببعض التعقيدات فيما بعد، لم يبدُ أي شيء سهلاً بالنسبة إلى جيني، واعتقدنا مرات عدة أننا على وشك فقدانها. لقد تولى زوجي أمر البقاء مع الأطفال أحياناً، وأقاموا مع أختي أحياناً أخرى، ولكنني بقيت إلى جانب جيني خلال حالاتها المرضية كلّها، فأمضيت كثيراً من الليالي على كرسي المستشفى، عانيت فيها تقريباً ما عانته جيني، وأفنيت تلك السنين في الحفاظ على حياتها. أما الآن، وعندما أراها في هذه الصحّة الحسنة، فإنني أشعر بالراحة؛ لأنّ جهودي أثمرت، وأرغب الآن فقط في مساعدتها على تعويض ما فاتتها في المدرسة، وعلى التكيف اجتماعياً بصورة أفضل.
- لقد صَعَقَنَا طبيب الأطفال تماماً عندما أخبرنا بأنّ طفلنا الجميل مصاب بمتلازمة داون فعانيت أنا وزوجي اتّخاذ قرار وضعه في مؤسّسة متخصصة أو إبقائه في البيت، وبعد كثير من البحث، قررنا أنه سيكون من الأفضل لابننا أن يتعرّع في كنف عائلة طبيعية، وبينما كنت أهدده بين يدي قرّرت أن أحبه تماماً كما لو كان طفلاً معاقاً، وأن أهب حياتي لمساعدته على تحقيق كل ما يستطيعه على الرغم من التحديات كلها التي تواجهه.
- لقد عانى كودي مشكلات متعلقة بالحساسية من الطعام بصورة مستمرة، فراقبت حميته الغذائية عن كثب، وأرضعته بصورة طبيعية إلى أن بلغ من العمر سنتين ونصف السنة؛ فلم يكن بإمكانه إلا أكل قليل من أنواع الطعام. وبحلول السنة الثالثة، بدأ يعاني أزمات الربو، فاعتدت النوم في غرفته؛ كي أتمكن من البقاء إلى جانبه إن احتاج إليّ، قال عنه زوجي بوبي: إنه كان مدلاً وطفولياً واثكالياً لدرجة كبيرة. على أيّ حال، شعرت بأنّ بوب لم يكن صبوراً كفاية مع كودي، ومارس الضغط عليه لينضج مبكراً؛ لأنّه اعتقد أنّ كودي يجب أن يكون خيلاً،

ولكنه كان صغيراً وهزياً جداً على الرياضة. لقد بدا الأمر وكأنّ زوجي لم يردني أن أرعى ولدي، على الرغم من أنّ هذا الأمر هو بالضبط ما كنت أتوق إليه، أحببت دوري بوصفي أمّاً، وكان كودي محتاجاً إليّ فعلاً.

تبدأ مثل هذه الحالات باحتياجات الطفل النفسية أو الجسدية غير الاعتيادية، ووالد/ والدة محب يستجيب للطفل بصورة كلية، وفي الأحوال كلها، يضيّق الوالدان حياتهما، ويتخليان عن أهدافهما الشخصية، ويضحيان بنفسيهما في محاولة للحفاظ على أطفالهما، وتسود احتياجات الأطفال على كل ما سواها، فتصبح العلاقة تعاشية، وقائمة على الاعتماد المتبادل. وعلى الرغم من استيفاء متطلبات الأطفال التعليمية والبيولوجية، فإنّ مشاعر الكينونة الحسنة المخصصة بهم تبقى مرتبطة بالرضى الفوري، والتغذية الراجعة الإيجابية من أبويهم. ويقيس الوالدان بدورهما نجاحهما الشخصي بصورة شبه كاملة بصحة أطفالهم وتعليمهم.

تكون العلاقة في البداية تأزيرية، وقائمة على المنفعة المتبادلة، وتضوق استفادة الأطفال توقّعات الأطباء، إضافة إلى أنّ رضا الوالدين يتعدى توقعاتهما، ويشعران بأنّ التزامهما المتفاني قد كوفئ بصورة حسنة، وتسود التضحية والنجاح المكتسب بصعوبة على سنوات ما قبل المدرسة، وقد يستمر هذا النمط إلى سنوات المدرسة المبكرة، طالما أنّ متطلبات الأبناء المعوّقين يمكن استيفاؤها بأسس معقولة ومحتملة. ولكن عاجلاً أم آجلاً، يجب أن يفطم الأطفال من هذه الاعتمادية، وإلا ستتحول العلاقة إلى علاقة طفيلية مَرَضِيَّة.

ينمو الأبناء المضحيان متعيينين من الالتزام المتواصل، وينظرون الآن إلى هؤلاء الأطفال بأنهم متطلبين بصورة ميؤوس منها وتمردين، ولا يقعون ضمن سيطرتهم بعد الآن، إضافة إلى ذلك، قيد الأبناء حياتهما إلى الحد الذي فقدوا معه كثيراً من فرص النمو الذاتي المحتملة وأرهقا زواجهما إلى حد لا يمكن إصلاحه.

وعلى الرغم من أنّ الأبوين يستطيعان الآن رؤية أهمية بدء أهداف جديدة تعزز مزيداً من الاستقلالية، فإنهما يبقيان محدّدين بمتطلبات أطفالهم الاستثنائيين المتلاعبين، وبشعورهما بالذنب، فيذكرون أنفسهم بضرورة الاستمرار بالالتزام الذي قطعوه تجاه أطفالهم. غير أنّهما يتساءلان عن المدة التي يجب عليهما الاستمرار فيها بالإحاطة بتلك الواجبات، ويتساءل كلا الوالدين في العادة، إذا كانا لا يزالان متزوجين، كيف أصبحت العناية بهؤلاء الأطفال مستنفدة لأوقاتهم؟ وكيف يسود هؤلاء الأطفال العائلة بأسرها؟ وأحياناً تستمر الحاجة إلى الانتباه حتى بعد اختفاء المرض، أو الإعاقة.

## قضايا النوع الاجتماعي (الجنوسة)

تؤثر الاختلافات البيولوجية، والصور النمطية الجنسية في تدني التحصيل لدى الطلاب على سبيل المثال: في حالة الرياضيات، افترض لسنوات عدّة أنّ البنات كُنَّ بيولوجياً أقلّ قدرة من الأولاد، وقد تدنى تحصيل البنات بصورة لافتة بناءً على تلك الافتراضات، واحتوت صفوف الرياضيات المتقدمة بصورة شبه كلية على الأولاد، وتجنبت البنات تلك الصفوف؛ بسبب اعتقادهن بأنّهن كُنَّ أقلّ قدرة في مهارات الرياضيات العليا. أمّا الآن، فلا تختلف نتائج اختبارات الرياضيات للبنات كثيراً عنها للأولاد. وحتى في حقل الموهبة الفائقة، فإنّ البنات يحققن تقدماً عظيماً، فقد وجدت دراسة لبينبوستانلي عام 1980م، أنّ نسبة الأولاد تحت سن الرابعة عشرة الذين حققوا درجة أكثر من (700) في اختبار الكفاية الدراسية (SAT) إلى البنات كانت ثلاثة عشر صبيّاً لكل فتاة واحدة<sup>1</sup>، وبحلول عام 1997م، ارتفعت النسبة لتصبح أربعة أولاد لكل فتاة واحدة<sup>2</sup>، في حين تغيّرت النسبة بحلول عام 2005م، لتصبح (2.8) صبيّاً لكل فتاة<sup>3</sup>، ولما تغيّرت هذه النسبة على نحو لافت بمرور الوقت، فمن المحتمل أن تتغير بصورة أكبر، ومن غير المحتمل أن يعزى أداء البنات الأضعف مرجعه إلى الاختلافات البيولوجية.

وجد أنّ الأولاد يمتلكون قدرات مكانية أفضل، والقدرات المكانية تتنبأ فعلاً بقدرات أعلى في الرياضيات، ووجد أيضاً أنّ الأولاد في مرحلة ما قبل المدرسة يميلون بصورة أكبر إلى اللعب بألعاب يمكن أن تعزز القدرات المكانية خلال السنوات الأولى التي يكون فيها نمو الدماغ سريعاً.

لسنا متأكدين أكان سبب ذلك الاختلاف مرتبطاً بالاختلافات البيولوجية أم بالصور النمطية الجنسية بين الأولاد والبنات؟ وبصرف النظر عمّا سبق، فقد وجدت البحوث أنّ القدرات المكانية يمكن أن تُتمّى عبر التدريب<sup>4</sup>. إن الوقت والبحوث فقط ستساعد على التفريق بين تأثير الأحياء والبيئة في الاختلافات الجنسية، ولكن التغيير في الرياضيات عند البنات أصبح للتو دراماتيكيّاً.

هنالك اختلافات جنسية أخرى من شأنها التأثير في دافعية التحصيل المبكر أو على نقصها. على سبيل المثال: تشرف على غرفنا الصّفيّة في المرحلة الابتدائية في الدرجة الأولى المعلمات الإناث، وفي بحثي عن طفولة نساء ناجحات، شاركت تلك النساء بصورة متكررة بقصص عن كيف أنهن بكل تأكيد أحبن معلماتهن في المدرسة الابتدائية، وغالباً ما أردن أن

يصبحن مثلهن. ومثالي المفضل على ذلك أستاذة جامعية أرادت أن تصبح معلمة للصف الأول عندما كانت تدرس في الصف الأول، وعندما أصبحت في الصف الثاني أرادت أن تصبح معلمة الصف الثاني، وفي الصف الثالث معلمة الصف الثالث وهلمّ جرّاً، إلى أن قررت أخيراً أن تصبح أستاذة جامعية. قصة مفضلة أخرى لمعلمة مرحلة ابتدائية سعيدة وناجحة أحببت معلمتها لدرجة كبيرة، حتى إنها كانت تقلد خطوطهن في كلّ سنة. ومن دون شك، فقد شجعت تلك المماثلة بين الفتيات ومعلمتهن تحصيلهن المبكر بصورة إيجابية.

يتعلم الأولاد بالتأكيد كثيراً من معلماتهم الإناث، وفي الغالب يقعون في حبهن. على أيّ حال، يكونون أقلّ احتمالية لأن يتماثلوا معهن بسبب الجنسوية. وعليه، فهم أقلّ احتمالية لأن يعدوا تعليمهم مشروعاً ذكورياً، إلا إذا كان آباؤهم مؤيدين للتربية بشدة. تأخذ الأمهات في الغالب - لا الآباء - زمام المبادرة في التواصل مع المعلمين، ولاسيّما في السنوات المبكرة، مؤكّداً مرة أخرى لأبنائهن على أثنوية المشروع التعليمي، ومعطيات للفتيات ميزة الأسبقية في المدرسة مقارنة بالأولاد.

أمّا على الجانب الأقلّ إشراقاً، فمن الممكن أن تكون الميول المتوخية للكمال، التي تظهر على الفتيات أكثر من الأولاد، متعلقة بالمحاولات القوية نفسها لإرضاء المعلمات، وفي حين تكون الميول المتوخية للكمال في المدرسة الابتدائية مساعدة على تعلم المهارات الأساسية بصورة مبكرة، فإنها من الممكن أن تقلل من الإبداع والمجازفة، ومن الممكن أيضاً أن يسبب التسوية، وتدني التحصيل، لاحقاً، في الحياة إلى دفع الأطفال ليصبحوا متزمتين بصورة زائدة وانتقاديين لأنفسهم.

وفي دراسة أجريت عن التكيّف في رياض الأطفال على أطفال متناقضي الطباع، وجدت ريم -كاوفمان أنّ الأولاد الجريئين كانوا ميالين للتحدث بصوت مرتفع في وقت الحلقة في رياض الأطفال، أمّا البنات الجريئات فقد غيّرن سلوكهن بالتحدث بصوت عالٍ بصورة أقلّ<sup>5</sup>، وبعد ستة أسابيع، انخفضت مشاركات البنات الجريئات إلى الحد الذي أصبح فيه مماثلات لمشاركات الفتيات الخجولات القليلة، في حين استمر الأولاد الجريئون في التحدث بصوت عالٍ، وعانوا مشكلات سلوكية أكثر.

كانت الفتيات أكثر انصياعاً لطلبات المعلمات، وربما أسهم سلوك المعلمات في توسيط هذا الأمر، فقد أشارت ريم -كاوفمان إلى أن تعليقات المعلمات عن الأولاد الجريئين أظهرت الاستنتاج بأن (الأولاد يتصرفون على طبيعتهم بوصفهم أولاداً)، أما الفتيات الجريئات فقد نوقشن من المعلمات على أنهن سيصبحن مشكلات محتملة.

قضية جنسوية أخرى تبدو أنها تؤثر في الأولاد بصورة أكثر سلبية من البنات، وهي وضوح الخط وسرعة الكتابة، هاتان مشكلتان متصلتان ببعضهما البعض؛ لأن خطّ الطفل عندما يكون غير واضح، فيطلب إليه غالباً أن يتأني في الكتابة، وعندما يكتب ببطء على نحو مرتب، فإنه في العادة يُشجّع على الإسراع، حيث يُفترض في العادة في الصفوف الابتدائية المبكرة أن من ينهي عمله أولاً هو الأكثر ذكاءً، ومن ينهي في الأخير فليس ذكياً بتاتاً<sup>6</sup>. قد تجد مشكلة صراع التنسيق بين اليد والعين هذه - كما في القدرات المكانية - مكاناً لها في لعبة المصالح الجنسوية في مرحلة ما قبل المدرسة، حيث يستمتع عدد أكبر من الفتيات مقارنة بالأولاد بالتلوين والكتابة والحرف اليدوية التي تطور العضلات الصغيرة المستخدمة في الكتابة. إضافة إلى ذلك، فإن التنسيق الضعيف بين العضلات المتعلقة بالليجو، أو المفكات لدى الأطفال الذين يعانون في الكتابة، أو ما أحب أن أطلق عليه جزع القلم، هو أمر غير مُشكل، فلا يكمن الأمر في أن هؤلاء الأطفال لم يشتركوا في أنشطة تطور من تنسيقهم الضعيف بين العضلات، بل يكمن في أنهم لم يشتركوا بصورة كافية في الأنشطة التي ستساعدهم على تطوير تنسيقات محددة تمكنهم من الكتابة.

تستمر قضايا الجنوسة في المدرسة المتوسطة والثانوية عندما يكون لضغط الأقران وقع أكبر. وعندما يكون هناك ضغط أقران مضاد للفكر، فالضغط الذي غالباً ما يكون هو أخفّ حدّة عند الطلاب المشتركين في الألعاب الرياضية. لذلك، بالنسبة إلى المراهقين، وما قبل مرحلة المراهقة، فإن الانخراط في الألعاب الرياضية يساعدهم على رفع شعبيتهم، سواءً أطلاباً جيدين كانوا أم لا؟ ولما كان - ولسبب ما - عدد أكبر من الأولاد يستمرون في الانخراط في الرياضات فيكون الضغط الواقع على الأولاد ليحصلوا بصورة أقل أدنى من الضغط الواقع على الفتيات.

تشعر الفتيات دائماً كما لو أنهن يخاطرن بشعبيتهن بحصولهن على درجات (أ) على شهادتهن المدرسية، والإفادة الآتية المقدمة من فتاة في الصف السادس مثال ممتاز على الضغط الذي تواجهه كثير من الفتيات اللامعات: «أود أن أحصل على درجات (أ) لنفسي وكذلك لأرضي

والسدي ومعلماتي. ولكن إن فعلت، سيستبعدي الأطفال المحبوبون، سيبعد ذلك على الأغلب أصدقائي كلهم<sup>7</sup>.

تستمر الفتيات كذلك بمواجهة تحيز غير واعٍ من المعلمين وأصحاب العمل، وإن نسبت أيّ بيانات إلى ذكر أو إلى أنثى سواءً أمقالة جامعية كانت، أو طلب وظيفة، أو حقيبة وثائق، أو مراجعات مالية، فإنّ الوثائق المرتبطة بالذكور تتلقى بصورة منتظمة تقييمات أعلى من المقيمين مقارنة بالبيانات نفسها المصحوبة بأسماء إناث<sup>8</sup>.

يعاني عدد أكبر من الأولاد اختلالات تقع ضمن طيف التوحد، وصعوبات التعلم، واختلالات الانتباه، والمشكلات السلوكية، وكل هذه تتسبب في ضعف التحصيل، وأخطار تدني التحصيل. في المحصلة، تستمر الجنوسة اليوم في البقاء قضية في تدني التحصيل في غرفنا الصفية. أحياناً، تُحابي البنات، وأحياناً أخرى يحابي الأولاد، ويكون المعلمون الحساسون للجنوسة أكثر احتمالية لتشجيع التحصيل لدى الأطفال كلهم.

### تركيبات محددة للأشقاء

إنّ ترتيب الولادة، وتنافس الأشقاء على لفت انتباه الوالدين، جميعها عوامل تؤثر في الأطفال جميعهم. على سبيل المثال: وجدت الدراسات علاقة بين ترتيب الولادة ونتائج اختبارات الذكاء (IQ)، وكذلك علاقة بين ترتيب الولادة وتدني التحصيل<sup>9</sup>، إضافة إلى ذلك، فقد وصفت دراسات أخرى سمات الابن الأكبر، والابن الأوسط، وموقع طفل العائلة. وبدءاً بقايل وهايل، فقد سجل التاريخ والأدب بصورة متكررة حالات من تنافس الأشقاء المتطرف.

هنالك تركيبات محددة للأشقاء تدفع الأطفال إلى تدني التحصيل، حيث تكون هذه التركيبات بطبيعتها أكثر تنافسية من المعتاد، ويكون طفل واحد أو أكثر من الأشقاء منتقاصاً بسبب هذه المنافسة. وتعلم كثير من العائلات كيفية التقليل من شأن تنافس الأشقاء، أو في الأقل مساعدتهم على التعامل مع تنافسيتهم غير العقلانية. على أي حال، تعدّ مهمّة الرعاية الأبوية في هذه التركيبات الاستثنائية تحدياً شديداً<sup>10</sup>.

تتضمّن التركيبات التي تبدو صعبة بصورة غير معتادة التقارب العمري الكبير، وأشقاء طفل شديد الموهبة، وعائلة كبيرة مع طفل أصغر بكثير، وأشقاء طفل يعاني مشكلات جسدية أو صحّة عقلية شديدة. لننظر إلى بعض الأمثلة عن كل من هذه التركيبات:

الفروق العمرية بين أطفالنا هي أحد عشر شهراً فقط، ولأنهم متقاربون جداً عمرياً، فقد بذلنا مجهوداً خاصاً لإعطائهم الامتيازات والمسؤوليات نفسها؛ يتشاركون بغرفتهم وألعابهم وملابسهم، وعلى الرغم من التشابه في طريقة تعاملنا معهم، فإن الأصغر من بين الاثنين دائم الشكوى من أننا غير عادلين، ويتجادل الولدان بصورة دائمة، ويبدو أنهما يكرهان بعضهما.

في الحالة التي يكون التعامل فيها مع شقيقين متقاربين عمرياً من الجنس نفسه على الشاكلة نفسها، فإنّهما يكونان أكثر احتمالاً لأن يشعرا بضغط تنافس أكبر. ولما كان من المتوقع منهما التصرف بالطريقة نفسها، فإن فارق السن غالباً يضغط على الطفل الأصغر؛ ليجاري الأكبر منه، مؤدياً ذلك على الأرجح إلى شعور الصغير بعدم الكفاية.

أيضاً، يمكن للأخ الأكبر أن يشعر ببعض الإحباط؛ لأنه لا يتلقى الامتيازات التي تناسب عمره. ولما كان الشقيق الأكبر في العادة يتفوق في الأداء على الشقيق الأصغر، فسيظهر واثقاً إلا إذا تعرّضت قدرته المتفوقة للخطر. حينها، يمكن لهذا الطفل أن يصبح دفاعياً. ومن المحتمل أيضاً أن يتنافس كلا الشقيقين للحصول على علاقة أقوى مع الوالد ذي الجنس نفسه، أو الوالد الأكثر قوة، فيميل إدراك التفرد عبر الاعتراف بامتيازات العمر والاختلافات في الاهتمامات والقدرات إلى التخفيف من بعض الضغط التنافسي. على أي حال، يمكن للوالدين توقع الشعور بالإحباط في محاولتهما للتعامل مع أخوين متنافسين أو أختين متخاصمتين، واللذين يجب أن يكونا رفقاً جيدة لبعضهم بعضاً.

ابتنا الكبرى موهوبة بصورة فائقة للعادة، إنها متعاونة وودودة، وذات تحصيل مرتفع. يتمتع أخوها الأصغر بالدرجة نفسها من الذكاء، ولكننا لم نتمكن بتاتاً من تحسين تحصيله في المدرسة، لقد تعلم كل شيء بسرعة، لكنه فوضوي، وغير مهبال، وعنيد منذ الصف الأول.

عندما يظهر الطفل الأول موهبة غير اعتيادية، فمن المحتمل أن يتلقى اهتماماً شديداً من الوالدين والمدرسة، وأن يحظى بفرص تعليمية استثنائية، وأن يتلقى كمّاً وافراً من التكريم والجوائز

ويصبح هذا الطفل القائد الذي يتبعه باقي الإخوة، وتوضع المعايير المرتفعة، فيؤمن الإخوة بأنهم إن أرادوا الحصول على اهتمام مساوٍ، فيجب عليهم تحقيق درجة مشابهة من النجاح. وحتى إن كانوا قادرين على ذلك بصورة كبيرة، فمن المحتمل أنهم سينظرون إلى ذلك الإنجاز على أنه أمر شبه مستحيل، ويختارون اتجاهًا مختلفًا للتحصيل والانتباه؛ لأنهم يريدون أن يؤسسوا لمكانة محترمة ومتفردة ضمن العائلة، ولأنهم يرون أنفسهم قادرين على المنافسة بنجاح.

وإن تمكنت العائلة من دعم أنشطة الطفل الأصغر الفكرية أو الفنية المتفردة، فمن الممكن أن يطور الجدارة والثقة في نفسه. على أي حال، إن كانت إنجازات الشقيق الأكبر باهرة، فمن الصعب إقناع الأطفال الأصغر بمواهبهم الذاتية. وفي تلك الحالات، يمكن أن يتسبب ذلك بعدم الإنجاز لجذب الانتباه، ويمكن لإخفاقاتهم ومشكلاتهم السلوكية أن تكون وسيلتهم لاعتراض العائلة، إضافة إلى أنه يمكن لتلك الأمور أن تكون ذات مردود كبير بالنسبة إليهم، ولكنهم يؤمنون بأنهم لا يملكون أي بديل. ولأنهم لا يستطيعون إيجاد طريق فعال آخر للحصول على تقدير العائلة واحترامها، فإنهم ينالون وقتًا مساويًا عبر التلاعب بأفراد العائلة؛ كي يهتموا بمشكلاتهم. وعليه، فإنهم يحركون حلقة تدني التحصيل.

والخيار الآخر المتاح للطفل الثاني، الذي قد يكون الطفل الأوسط كذلك، هو النجاح الاجتماعي، فإذا لم يكن الطفل الأول موهوباً واجتماعياً، فيمكن للطفل الأوسط التنافس، بأن يكون ودوداً، ومحبوباً، واجتماعياً بصورة عبقرية مثل هيدر:

هيدر هي فراشتنا الاجتماعية، لكننا لا نستطيع تحفيزها لعمل أي شيء. آرون أخوها الأكبر يهوى العلوم بصورة فعلية، ولكنه يفضل البقاء وحيداً. بامي طفل العائلة، قارئ ممتاز، وموسيقي جيد، وطالب جدي. تبدو هيدر مستغرقة مع أصدقائها لدرجة أكبر من أن تعدّ المدرسة مهمة بالنسبة إليها، وبصرف النظر عن علو شأن العمل المدرسي، فإنها تستمر في الاحتفال بصورة لا تنتهي، ولا تبدأ الدراسة بتاتاً.

ولسوء الحظ، فإن الإشارة إلى طفل على أنه اجتماعي، أو رياضي، أو فنان، من الممكن أن تقوده إلى الافتراض بأنه لن يتمكن من أن يكون محصلاً في الحلبة الفكرية، وكذلك يمكن أن يكون لها وقع على الطفل المحصل، دافعة إياه إلى الاعتقاد بأنه لا يستطيع أن يكون اجتماعياً، أو رياضياً، وفي الواقع يمكن أن تسرع من التنافس الدائر في كنف العائلة.

لذا، من الأفضل احترام الاختلافات والاهتمامات الفردية، ولكن مع توضيح أنه بإمكانهم الحصول على عائلة كاملة الذكاء. إضافة إلى أنه يمكن للأطفال كلهم أن يتمتعوا بحياة اجتماعية ومبدعة بصورة معقولة كذلك. ويجب التأكيد، مراراً وتكراراً، على أنه لا يتعين عليهم أن يكونوا الأفضل في العائلة ليكونوا جيدين في أمرٍ ما.

يمكن لترتيب الأشقاء، حيث يطلق فيها على الأصغر طفل العائلة، أن يولد نمطاً معيناً من متلازمة تدني التحصيل، وليس بالضرورة أن يكون الطفل الأصغر بأي صورة من الصور دائماً متدني تحصيل. وفي الحقيقة، وجدت البحوث عن التفرّد أنّ الأطفال الأصغر يقعون في تحصيلهم في المركز الثاني مباشرة بعد الأكبر<sup>11</sup>. وبوجه عام، إن كان الأطفال الأصغر مفرطين في الدلال، أو مفرطين في منحهم السلطة، فسيكون حالهم كحال الطفل المرّحّب به زيادة عن اللازم، المذكور سابقاً.

يمكن أن يعامل الأطفال الكبار أشقاءهم الأصغر منهم كألعاب الدمى تقريباً، ويقدمون لهم كثيراً مما لا يساعدهم على تطوير أفكارهم وأنشطتهم الذاتية. وفي هذه الحالة، يصبحون معتمدين على التغذية الراجعة الإيجابية من أشقائهم الأكبر، ومن الممكن أن يملكهم الخوف من تحمل المسؤولية، أو من البدء بأنشطة إبداعية، حيث لا يرى الأطفال الأصغر أيّ احتمالية أن يصبحوا بمثل مقدرة أشقائهم الأكبر ونجاحهم. إلى جانب أنّ الحصول على المساعدة المطلوبة من مجموعة الأشخاص الكبار المحيطين بهم أساساً أسهل بكثير.

كيف يمكن لهؤلاء الأطفال تطوير الثقة بأنفسهم إن لم يحاولوا أيّ مهمّات تحديّة؟

إن الخوف من الفشل، واعتياد الطريق الأقل مقاومة، أمور تمنعهم من محاولة التحصيل في الغرفة الصّفيّة. وفيما يأتي مثال على ذلك:

آنيا أصغر من أخيها برانت بخمسة أعوام، وأصغر من أختها ناتالي بستة أعوام، دُلّت آنيا وعملت على الدوام برفق من قبل أخيها وأختها الأكبر منها. وعلى الرغم من أننا نعتزّف بأن آنيا تحصل دائماً على ما تريد تماماً، وتتمكّن من التنصل من المسؤوليات والأعمال المنزلية المعتادة، فإن الجميع مولعون بها، فالمدرسة محبوبة لديها. وعلى الرغم من أنّها لامعة، فإن درجاتها متدنية، ويخبرنا المعلمون دائماً بأنّها تعمل بأقل من قدراتها بكثير.

بالتأكيد، يمكن لشقيق طفل معوّق، أو مريض جسدياً، أن يتعلم العطف، ولكن يمكن له أيضاً أن يعاني صعوبات تنافسية غير اعتيادية. على سبيل المثال، يصف والدا كيم مشكلتها السلوكية:

يبدو أننا لا نستطيع أبداً إرضاء كيم؛ فهي تدّعي دائماً بأنّ أخاها (لي) يحصل على ميزات أكثر منها، لقد كان (لي) مريضاً معظم حياته، ولديه كثير جداً من المشكلات الأخرى. لذلك فنحن نقوم بأمر خاص لمساعدته. أما كيم فهي بصحة جيدة ومحبوبة ولا معة، وتحصل على كل ما ترغب به، وإن قلنا لها (لا) بخصوص أي شيء، فإنّها تفقد رباطة جأشها، وتلوم (لي) على مشكلاتها. وعلى الرغم من قدراتها الحسنة، فإن عملها المدرسي سيئ.

مشكلات كيم مشابهة لتلك الموجودة لدى أشقاء الطفل ذي الموهبة غير الاعتيادية، أمّا مرض (لي) الدائم، والعمليات الجراحية، والبقاء في المستشفى، فقد أمدته جميعها بتعاطف دائم من الوالدين والأقارب. وعلى الرغم من أنّ كيم تستطيع بالتأكيد رؤية معاناة (لي) الجسدية الحقيقية، فإنها مدركة أيضاً للدعم الخاص، والتشجيع، والثناء الذي يحصل عليه وحده فقط.

كيف تكون هذه منافسة مجحفة؟ لا يوجد أي شيء إيجابي تستطيع كيم فعله، فيعود عليها بالانتباه المتواصل والعطف الذي يناله لي. وعليه، تعكس طلبات كيم المستمرة وغير المعقولة منافسة على انتباه مساوٍ للانتباه الذي يحصل عليه أخوها لي. ولما كانت مشكلات (لي) الصحية تتطلب انتباهاً مفرطاً، فلن تكون هناك نهاية لطلبات كيم. وفي الوقت الذي يصبح فيه والداها أكثر إحباطاً وغضباً؛ بسبب أفعالها البغيضة وغير المراعية لمشاعر الآخرين، ويعبرون عنه بالتوبيخ، يزداد سلوكها العدائي، فلا يجد والداها إلا أقل القليل من سلوك إيجابي يستحق الثناء.

أصبحت شكاوى كيم أوصافاً دقيقة لمشكلتها، وأصبح والداها مجحفين ومخاصمين لها ولا تستطيع هي، ولا حتى هم، فهم كيف أصبحت حياة العائلة بغيضة إلى هذا الحد.

وعليه، فإنّ متلازمة تدني التحصيل عند كيم هي نتيجة لرغبتها الشديدة في جذب انتباه والديها.

## علاقات رعاية أبوية محددة

يؤدي الزواج المحطم، أو الولادة خارج إطار الزوجية، إلى مواقف يمكن أن يطور الأطفال خلالها علاقات مباشرة قوية جداً مع أمهاتهم، الأمر الذي يمكن أن يعرضهم إلى متلازمة تدني التحصيل. وتواجه الأم في أيّ من هذه الظروف مواقف متوترة جداً، وإن كانت دون زوج، فستشعر كما لو كانت هي وطفلها ضد العالم بأسره. من الممكن أن تشعر بالرفض إن انتهى زواجها، ومن المحتمل أن تعيد النظر بنمط حياتها، وأحياناً تعيد النظر فيما إذا كانت حياتها تستحق العيش. وفي مثل هذا الوقت الحساس من حياتها، من الممكن أن تقرر الأم - في الأقل بصورة مؤقتة - أن أطفالها هم الهدف الوحيد لحياتها، وفي الوقت الذي تركز فيه نفسها لاحتياجاتهم، فمن الممكن - كما في حالة الطفل المرحب به زيادة عن اللازم - أن تقوم بكثير من المهام من أجلهم. وعليه، تحول دون أن يأخذ هؤلاء الأطفال بزمام المبادرة.

وبدلاً من ذلك، يمكن أن تحاول الأم ملء الفراغ الذي أوجده غياب الزوج حاليّاً، أو الصديق الذي لم يعد بعد الآن جزءاً من حياتها، وفي مثل ذلك يمكن أن تعامل أحد أبنائها - عادة ما يكون الأكبر - تقريباً بوصفه شريكاً، الأمر الذي يؤدي إلى أن تعطيه كثيراً من السلطة، فيتعلم الطفل أن يتوقع دائماً امتلاك هذه السلطة، وهو الآن غير مستعد للتخلي عنها للانصياع لمتطلبات الأقران أو المدرسة.

ومن الأخطار الأخرى للأبوين الوحيدين اعتمادهما على شركاء بديلين خلال ساعات العمل. وعلى الرغم من أنّ هذه مخاطرة للآباء مزدوجي الوظيفة، الذين يكونون متزوجين فإنهم يختارون أن يدعوا قريباً أو صديقاً يهتم بأطفالهما في أثناء وجودهما في العمل، حيث يكون الأجداد في مثل هذه الحالات هم من يتم اللجوء إليهم للعناية بالأطفال. إنّ هذه العناية المنتظمة بالأحفاد عادة ما تقارن بالأطفال المرحب بهم زيادة عن اللازم، ومن المحتمل أن يوفر الأجداد انتباهاً أكبر من ذلك المقدم من الآباء، وأن يفعلوا كثيراً ويشترتوا كثيراً للأطفال، فيعتاد الأطفال الاعتماد على الراشدين، إما بأسلوب اعتمادي زيادة عن اللازم، أو مناورة تلاعبية بصورة قوية.

يميل الأطفال، في مثل هذا الوضع، إلى تطوير قدرات لفظية بصورة مبكرة، وإلى التعبير عن أنفسهم شفهيّاً بصورة جيدة، ومن الممكن أن يضاهاوا قوة الراشدين بمصطلحاتهم الشبيهة بالراشدين، وبأنماط تفكيرهم العقلانية. ويمكن بعد ذلك، للآباء والأجداد، أن يديموا الحلقة

عبر معاملة هؤلاء الأطفال كما يرونهم، مثل الراشدين، الأمر الذي يعطي الأطفال مزيداً من السلطة. وعلى النقيض، يمكن أن يعتاد الأطفال تدليلهم من قبل أجدادهم إلى الدرجة التي تدفعهم إلى البحث عن مساعدة الراشدين واهتمامهم، حتى في الوقت الذي يحتاجون فيه إلى أقل جهد ممكن.

يشعر الآباء الذين يعتمدون على أجداد أطفالهم في تقديم الرعاية، بأنهم مكبلون برباط مالي واجتماعي، عندما لا يتمكنون من إيجاد بديل لتربية أطفالهم في عالم مكون من جيلين من الآباء، فقد يترددون في الطلب إلى آبائهم أن يتغيروا؛ خوفاً من جرح مشاعرهم في خضم التقدير الذي يشعرون به تجاه مساعدتهم. وعلى النقيض، يمكن أن يختلفوا ويجادلوا آباءهم بصورة متكررة عن تربية الأطفال، الأمر الذي يترك الأطفال في حيرة من أمرهم؛ بسبب صراع مقدمي الرعاية.

إضافة إلى ما سبق، يمكن أن تتسبب الزيجات التي تمتلك نمطاً صدامياً طاعياً في متلازمة تدني التحصيل لدى الأطفال؛ ففي مثل تلك الزيجات، يختلف الوالدان على كل شيء تقريباً، ولا يستثنى من ذلك محور تربية الأطفال. ويحاط الأطفال في مثل هذه العائلات بصراعات السلطة بصورة مستمرة. وبينما يتصارع الأبوان من أجل السلطة، فإنهم يسحبون ويدفعون أطفالهم الذين يتأرجحون بدورهم بينهم، ومن الممكن أن يختار هؤلاء الأطفال والداً مفضلاً، ولكنهم في العادة يحاولون إرضاء الطرفين. إن كان بإمكانك تخيل أحد الوالدين يسحب الطفل من إحدى ذراعيه في حين يسحبه الآخر من الذراع الأخرى بالاتجاه المعاكس، فيمكنك التعاطف مع هؤلاء الأطفال الذين يشعرون بأنهم معلقون في الهواء، ولا يمكنهم التحرك في أيّ من الاتجاهين، إضافة إلى أنهم لا يمكنهم التحرك إلى الأمام أيضاً.

الطبيعة الصدامية لمثل تلك الزيجات، أو للطلاق، إن استمر الزوجان بالتعارك، من المحتمل أن تسبب متلازمة تدني التحصيل لدى الأطفال في أيّ فئة عمرية، حتى لو كان خريجاً في عامه الأخير في المدرسة الثانوية، فمن الممكن أن يغيّر الأطفال الممتازون في السابق من اتجاه تحصيلهم فجأة. إضافة إلى أنّ شعور الأطفال بأنهم لم يعودوا قادرين على إرضاء أيّ من الوالدين، أو بقلقهم حيال إرضاء الوالد الذي لا يعيشان معه، من الممكن أن يضغط الزناد لذلك. والطلاق كذلك من الممكن أن يسرع من أنماط تدني التحصيل، وأن يكون السبب فيه، فكلما كان الطلاق أكثر عدائية، ازدادت صدمة الانفصال عند الطفل.

كانت آريل دائماً مرتفعة التحصيل، فقد كانت البنت الوحيدة بين ثلاثة أطفال، وكانت حليفة والدتها في مرحلة ما قبل الطلاق المريرة والغاضبة، فشاركت أمها أسراراً عن أبيها وإخوتها الأكبر منها، ما منحها سلطة مماثلة لشريك راشد، كانت أمها كذلك حلقة الوصل الأساسية في المسؤوليات المدرسية. بعد الطلاق، اهتمّ والدها بالمحافظة على علاقته معها، وشارك ابنته بعضاً من وجهات النظر السلبية عن زوجته السابقة المتسلطة، ففقدت آريل احترامها لوالدتها مباشرة. وعلى الرغم من أنّ تدني التحصيل لم يبدأ مباشرة، فإن خطورته ارتفعت بصورة لافتة وسريعة.

## الطفل الموهوب

أظهرت التقارير أن (20%) من المنسحبين من المدرسة الثانوية موهوبون<sup>12</sup>، فلماذا يكون الأطفال الموهوبون أكثر عرضة لتدني التحصيل؟ تتبع قابليتهم لذلك التأثير من كل من بيئتهم المنزلية في طفولتهم المبكرة، ومن خبراتهم المدرسية؛ إذ إنّ خبراتي السريرية مع الأطفال الموهوبين تدعم بشدة تأثيراً بيئياً مبكراً مهماً في موهبة الأطفال. إن الأطفال الموهوبين جميعهم الذين رأيتهم في عيادة الإنجاز العائلي الشخصية - بغض النظر عن خلفياتهم الاجتماعية والاقتصادية - حظوا بشخص راشد واحد في الأقل، خصّص لهم وقتاً كبيراً لإثراء سنوات طفولتهم الأولى. لذا، لا يستبعد هذا الأمر العامل الوراثي، ولكنه يلقي الضوء فقط على أهمية الإثراء المبكر للتطور الفكري<sup>13</sup>.

تكمن ضمن عمليات الإثراء المبكر تلك، الأخطار نفسها المتورطة في العلاقات المباشرة القريبة: حيث يصبح الطفل معتمداً بصورة زائدة على علاقته بالشخص الراشد، إضافة إلى وجود أخطار أخرى تتعلق بالطفل الموهوب، حيث تجذب الحصيلة اللغوية الواسعة، والتعليقات الحاذقة، والقدرات الفكرية المنطقية الناضجة ظاهرياً، والموهبة الموسيقية أو غيرها من المواهب، جميعها اهتماماً أكثر من الاهتمام المعتاد من قبل الراشدين المحيطين. ويفترض الأبوان عادة أنّ أطفالهم الموهوبين يمتلكون حكمة ناضجة تتناسب مع حواراتهم المحاكية للراشدين. ويعزز الأبوان، والأجداد، والأصدقاء، والمعلمون، وحتى الغرباء قدرات الأطفال غير

الاعتيادية بصورة مستمرة؛ فالأطفال لا يستمتعون بتشجيع الجمهور فقط، بل يصبحون مدمنين عليه.

هنالك موقفان يتكرران بصورة دائمة في تجارب الأطفال الموهوبين المدرسية المبكرة: العمل الاعتيادي لا يحمل التحدي في ثناياه، أو أنّ الأطفال يجدون المعلمين، والمديرين، والآباء يتخذون خطوات؛ لتوفير برنامج شخصي استثنائي لاحتياجاتهم. يثبط الموقف الأول مبادرة هؤلاء الأطفال؛ لأن البيئة الأكاديمية لا تتطلب أيّ مجهود، وهي بالتأكيد مملة، في حين يغيرهم الثاني إلى الاعتقاد بأنّ مواهبهم الذاتية فائقة للعادة كفاية، إلى الحد الذي يسمح لهم بتغيير نظام مُدار من قبل الراشدين، حيث يمثل هذا العمل سلطة مثيرة للإعجاب عند طفل في الخامسة أو السادسة من عمره، أو حتى عند شخص معروف بـ (الدماغ) بين أقرانه.

في المحصلة، تتبع الأخطار لهؤلاء الأطفال الموهوبين من إدمان الاهتمام والسلطة المفرطة، ويمكن لهم أن يتعلموا توقع الإشادة منقطعة النظير، وحرية الاختيار الكاملة في تعليمهم. وبغض النظر عن موهبتهم، فكلّ الأمرين غير ممكنين على الدوام، إنهم يتوجون على العرش مبكراً، ويشعرون لاحقاً بأنّ سنوات المدرسة كأنما هي مرحلة خلعهم عن العرش<sup>14</sup>، مقارنة بالاهتمام الخاص، والسلطة التي حصلوا عليهما.

### استنتاج: الاعتمادية والهيمنة

على الرغم من وجود حالات عالية الخطورة في تعلم الطفولة المبكرة يمكنها التسبب في بدء متلازمة تدني التحصيل، فإن من الواضح أنّ الأطفال الذين يتعرضون لها لا يصبحون كلهم متدنيين التحصيل، ويمكن للضغط نفسه المستبطن من قبل هؤلاء الأطفال أن يقود إلى الدافعية القسوى، أو إلى تدني التحصيل، إضافة إلى أنّه يمكن للبيئات المدرسية، وفيما بعد تقنيات الرعاية الأبوية، أن تقضي على المشكلات، أو أن تزيد من سوءها. وفي الأحوال جميعها، فإنّ مواقف الطفولة المبكرة الناتجة من الظروف، وأخطاء الرعاية الأبوية حسنة النية، تمتلك عادة تأثير تدمير قيادة الرعاية الأبوية. وبدلاً من ذلك، يتعلم الأطفال طقوس اعتمادهم غير الاعتيادي أو هيمنتهم على الراشدين، ويتعلم آخرون منهم أنماطاً تتضمّن كلاً من الاعتماد والهيمنة.

لا يشكل أيّ من الأنماط مشكلات للآباء خلال سنوات ما قبل المدرسة، حيث يتأقلمون تلقائياً مع العلاقة الاعتمادية أو المهيمنة، وقد يرون أحياناً أطفالهم الاعتماديين بأنهم غير ناضجين بصورة ما، ومن الممكن كذلك أن يعترفوا بأن أطفالهم الموهلين في الهيمنة مدللون بصورة زائدة قليلاً. على أيّ حال، فإنهم يمتلكون ثقة معقولة بأن مشكلات أطفالهم سوف تحل بدخولهم المدرسة، ويؤمنون بأن المعلمين، والبنية المدرسية ستساعد أطفالهم على التكيف.

تميّز مؤسسات العناية النهارية، أو مراكز ما قبل المدرسة هذه المشكلات بصورة مبكرة في بعض الأحيان، حيث يوصى للطفل الاعتمادي بسنة إضافية في المدرسة قبل رياض الأطفال. أمّا الطفل المهيمن، ليصنّف بأن لديه - حتى في مرحلة ما قبل المدرسة - مشكلات سلوكية، أو بأنه يظهر درجات اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة. وفي الجزء الأكبر من الحالات، تعدّ هذه المشكلات في الأحوال كلّها على أنّها ثانوية.

إنّ الأخطار التي توجه الأطفال نحو الاعتمادية أو الهيمنة هي فقط أخطار، وليست متنبئات قاطعة للسلوك. وعلى الرغم من بدء الأنماط باكراً، فإنها ليست محفورة على الصخر، وليست راسخة غير قابلة للتغيير. بوجه عام، يبدأ الآباء والأطفال على حد سواء بالشعور بأنّ هذه الأنماط طبيعية.

يمارس الأطفال الاعتماديون والمهيمنون أنماط سيطرتهم المتعلقة بالراشدين سنوات عدّة قبل أن يدخلوا المدرسة. حيث تؤتي هذه الأنماط أكلها بالنسبة إليهم، ولا يعرفون غيرها فيحملونها إلى الغرفة الصفية متوقعين الاتصال بالمعلمين والأقران بالطريقة نفسها التي كانت فاعلة في المنزل. يستطيع المعلمون في الصفوف الأولى تعديل هذه الأنماط التحكمية. وبصورة عامة، كلما ازدادت الاعتمادية أو الهيمنة تطرفاً، ازدادت صعوبة تعديلها. ومن ناحية أخرى، يطلق على نمط الاعتمادية غالباً بأنه عدم استقرار، أو عدم نضج، أو سلبية، أو صعوبة تعلم.

ينظر إلى الهيمنة بوصفها موهبة، أو إبداعاً، أو بصورة أقلّ إيجابية بوصفها مشكلة عاطفية أو سلوكية، وقد لا يظهر نمط الهيمنة في السنوات الابتدائية المبكرة؛ لأنّ الطفل يشعر بالاكتمال من خلال حماس التحصيل المدرسي وسلطته. وحتى لو تمكن بعض المعلمين من إدارة هؤلاء الأطفال على نحو حسن، فمن الممكن أن تبقى هذه الأنماط السلوكية خامدة إلى أن تصبح البيئة المدرسية أكثر تنافسية، ولا يشعر الأطفال بعد ذلك بالهيمنة في بيئاتهم الصفية.

قبل أن تقرأ الفصل الثالث، اسأل نفسك الأسئلة الآتية: (إن كنت معلماً فاقراً (هذا الطالب) بدلاً من (طفلي))

1. هل والد أو والدة طفلي ينشد الكمال؟
  2. هل يميل طفلي إلى تجاهل أمه، أو أبيه، أو معلمه عندما يطلبون منه أمراً ما؟
  3. هل يبغض والد الطفل، أو والدته، المدرسة؟
  4. هل والد الطفل، أو والدته تعيسون في مهنتهم؟
  5. هل والد هذا الطفل، أو والدته غير منظمين؟
  6. هل يمتلك والد الطفل ووالدته أساليب مختلفة في تربية الأطفال؟
  7. هل أحد الأبوين في عائلة هذا الطفل ضابط الانصرام أكثر من الآخر؟
  8. هل يعيش أجداد طفلي في الجوار، ويفرطون في تدليله؟
- ضع نقطة واحدة لكل إجابة بـ (نعم). النتائج مفسرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط :

- (4 - 8) يعاني طفلي مشكلة خطيرة جداً متعلقة بمحاكاة أنماط العائلة.
  - (3 - 4) يعاني طفلي مشكلة خطيرة إلى حد ما متعلقة بمحاكاة أنماط العائلة.
  - (1 - 2) يعاني طفلي مشكلة ثانوية متعلقة بمحاكاة أنماط العائلة.
  - (0) لا يعاني طفلي مشكلة متعلقة بمحاكاة أنماط العائلة.
- اقرأ هذا الفصل؛ لفهم كيف يمكن لطفلك أو طالبك أن يحاكي، دون وعي، سلوكيات أو تصرفات أبوية إشكالية.



## الفصل الثالث

### الأبوان بوصفهما نماذج

قد يتعلم الأطفال تدني التحصيل عبر تقليد أبويهم حتى لو كان الأبوان من ذوي التحصيل المناسب، إذ يبدأ التقليد غير الواعي بين العامين الثاني والثالث، من خلال عملية نفسية تسمى المماثلة، حيث يقلد الأطفال أحد الأبوين، أو كليهما، أو الأجداد، أو الأشقاء الأكبر منهم، فإن استطعت تذكر أطفالك يمشون بأحذية الوالدين متظاهرين بأنهم هم ذلك الوالد، تكون قد رأيت عملية المماثلة، أو هدهدة دمية، أو التحدث بوساطة الهاتف دون وجود اتصال، أو قيادة (دراجة هوائية) إلى (العمل)، أو التظاهر بالتنظيف بالمكنسة الكهربائية، جميعها أنشطة شاهدها بلا شك عند أطفالك، وعند أطفال الآخرين.

يشجع (ولكن ليس بالتأكيد) مماثلة والد فاعل من ذوي التحصيل من جنس التحصيل نفسه لدى الطفل، وبالتأكيد، تدعم بحوث المماثلة بصورة واضحة أهمية مماثلة الطفل لنماذج أبوية جيدة بوصفها عاملاً عائلياً مهماً للتحصيل المرتفع. وكذلك فإن قلة المماثلة، أو مماثلة نموذج أبوية سيئ، تزيد من احتماليات تدني التحصيل. إن كنت/ كنتِ أنت وشريكك/ شريكتك تنظرون إلى حياتكم الشخصية بأنها ممتعة وناجحة، وتجسدون علاقة زوجية منصفة مبنية على الاحترام المتبادل، ستقدمون نماذج مثلى لكل من أطفالكم؛ الذكور والإناث. وعليه، ترفعون من احتمالية التحصيل التعليمي الجيد.

أشار البحث التقليدي (الكلاسيكي) لموسين ورذرفورد<sup>1</sup>، ولهيدزينغتون وفرانكي<sup>2</sup>، إلى أن النماذج الأبوية التي يختار الأطفال مماثلتها تعتمد بصورة كبيرة على تركيبة من ثلاثة متغيرات، هي:

1- مواطن الشبه بين أحد الوالدين والطفل. 2- التنشئة والرعاية. 3- السلطة.

يتعلق المتغيّر الأول بأوجه الشبه التي يراها الأطفال بينهم وبين أحد الوالدين، حيث تدعم أوجه الشبه بين الأم وابنتها، وبين الأب وابنه بقوة المماثلة الأبوية من الجنس نفسه إن كانت تنشئة الوالدين، ورعايتهما، وسلطتهما متساوية. وعلى أيّ حال، أسهمت التشابهات اللافتة للنظر في المظهر، أو القدرات، أو الاهتمامات، أو الشخصية بين الأبناء والأمهات، أو البنات والآباء، في المماثلة الأبوية العابرة للجنس، ومحاكاة أحد الوالدين ذي الجنس المختلف.

يقتضي متغيّر التنشئة والرعاية ببساطة أنّ الأطفال يميلون إلى مماثلة سلوك أحد الوالدين الذي يلمسون بأنه ودود ومحّب وتقليده، وقد لا يكون ذلك الوالد محبباً وودوداً على وجه التحديد، ولكن من الممكن أن تؤدي علاقة مخصصة بينه وبين واحد أو أكثر من الأطفال في العائلة، وإن كان الوالد محضلاً، فيمكن أن يتبنّى الأطفال توجّهاً تحصيلياً مشابهاً.

يشير تأثير السلطة في المماثلة إلى سلطة الوالدين على حياة أطفالهما، فقد يظهر أحد الأبوين قوياً أحياناً على الدخلاء؛ لأنه/ لأنها يتخذ القرارات في السياسة أو الاقتصاد، أو يحتل مكانة مرموقة في العمل. وعلى أيّ حال، قد يتصوّر الأطفال، وقد لا يتصوّنون، ذلك الوالد بوصفه قوياً اعتماداً على مدى وقع قراراته على اهتماماتهم، واحتياجاتهم، وانضباطهم. ولما كانت السلطة عاملاً مهماً يؤثر في المماثلة، ولما كان الرصد المتكرر للسلطة في العائلة حتى عائلتك أنت، فمن الممكن أن تكون مضللة. ستناقش أنماط السلطة لاحقاً في هذا الفصل.

عندما ترصد الشخص الذي يحاول أطفالك أو طلابك تقليده، فمن المهم أن تكون حساساً للمتغيّرات الثلاثة جميعها: مواطن الشبه، والتنشئة والرعاية، والسلطة؛ فالمماثلة مع أحد الوالدين قد لا تكون ثابتة؛ فمماثلتهم وهم صغار تختلف عنها إذا كبروا. إضافة إلى ذلك، قد يؤثر ترتيب الولادة في أنماط المماثلة عند الأطفال، إضافة إلى أنّ مماثلة النموذج قد تتغيّر مرات عدة، ومن الممكن أن تتضمن الأجداد، أو الأشقاء، الأكبر سنّاً، أو أيّ أشخاص آخرين في المنزل، أو المدرسة، أو المجتمع. ومن الممكن أيضاً أن يصبح الأقران نماذج، وقد يأتي التلفاز والأفلام السينمائية بنماذج حقيقية وخيالية. وبصرف النظر عن عدد النماذج المتاحة، فعادة ما يكون الوالدان هما النموذجين الأكثر قوة وفاعلية في حياة أطفالهم.

## النماذج السلبية والإيجابية

يشكل الآباء والأمهات الذين يشعرون بالرضا عن إنجازاتهم نماذج إيجابية لأطفالهم، فهم يقدرّون قيمة العلم والعمل الدؤوب، ويتلقون مكافآت ذاتية وخارجية على جهودهم، إضافة إلى أنّهم يقدرّون قيمة بعضهم بعضاً، ويراهم أطفالهم على أنّهم شركاء داعمين في مؤسسة زوجية غير تنافسية، يساعدون بعضهم بعضاً على النمو بصورة مستقلة، ويتشاركون معاً في بناء حياة تتضمّن نشاطاً عائلياً غايتها الإنجاز، ولا يستحوذ أيّ من الوالدين على السلطة المطلقة وحده وتتسجم حياتهما معاً مثل أحجية متداخلة لرسم صورة عائلية كلية، لديهم حسّ بالتقدم بصفتهن وحدة عائلية، واحترام لقيمة التعليم، وتكافل عائلي يشع دون تردد.

يكفي الحديث الآن عن الوضع المثالي، إذ إننا نعلم أنّ الحب، والفضيلة، والتحصيل، قليلاً ما يستمران دون شائبة في تلك الصورة الشاعرية، فالأنماط المشكلة تحدث، وأحياناً عن قصد، ولكن في الأغلب دون إدراك العائلة لها. ولسوء الحظ، قد يتصرف الوالدان، في أوقات مختلفة خلال تطوّرهم في مرحلة الرشد والحياة الزوجية، بطرائق تقدم نماذج لتدني التحصيل. إنّ إدراك أنماط السلوك هذه هو الخطوة الأولى نحو تصحيحها، ومن ثمّ البدء بالحدّ من تدني تحصيل الأطفال.

بصفتك والداً، تذكّر أنك نموذج لأطفالك، ليس فقط لجزء من الوقت، ولكن للوقت كله الذي تكون فيه معهم. بعبارة أخرى، لا يرصد أطفالك العمل المنتج الذي تقوم به في وظيفتك، ولا كلمات المحبة التي تقولها لشريكك في السر. وعلى أي حال، فإنّ تهديدات التعب في نهاية اليوم والمتطلبات الغاضبة التي تطلبها من زوجتك تسمع بكامل الوضوح. مهمتك الأولى أن تصبح أكثر وعياً بالأوقات والطرائق التي يراك أطفالك فيها، قد تشعر أنّ هذا الأمر يبدو قليلاً كأداء دور في مسرحية، ولكنّ الأشخاص اليافعين الذين تؤثر فيهم، يمكن أن يروك فقط عندما تكون على خشبتك المسرحية المنزلية.

تفحص نماذج المواقف السلبية الآتية التي قد تكون ضارة؛ لترى إن كانت مألوفة لك، قد تشعر أنت وشريكك / شريكتك ببعض الذنب إن رأيتما نفسيكما بوصفكما نماذج سلبية تنقل هذه السلبية إلى تحصيل أطفالها. على أي حال، بإدراككم للمشكلة يمكنكم تغييرها، ومن الممكن

الأ تكون التغييرات التي تقومون بها بتلك الصعوبة، وبإمكانها أن تقودكم للشعور بصورة أفضل تجاه نفسيكما، وأن تحسّن زواجكما.

## أنا أيضاً لم أحب المدرسة

لا تعدّ المدرسة تجربة إيجابية للأطفال كلهم. وبوصفك والداً، أو معلماً، بإمكانك امتلاك بعض الذكريات السيئة المتعلقة بتعليمك الشخصي في الطفولة. قد تظن أنه من المفيد أن تتشارك مع أطفالك ذكرياتك البائسة لدعم جهودك في التعاطف مع معاناتهم، ويمكنك أن تصف الأوقات المسلية التي تحاذقت فيها على معلمك، أو رثائك المثير للشفقة، أو انتقادك للتعليم غير الكفاء في مدرستك، أو المشكلات الناتجة من تدني تحصيلك. وعلى الرغم من أنّ الكشف عن مشكلات الماضي من الممكن أن تشعرك أنت وأطفالك بالتقارب، فهي كذلك تنقل رسائل توقعات. يلخص طفل موهوب عالي الطاقة عمره ستة أعوام، أنهى لتوّه يومه الثاني في الصف الأول هذا الأمر بإيجاز قائلاً: لقد كره جدي المدرسة، وكره والدي المدرسة، وأنا أكره المدرسة. من الواضح أنّ تأثير عائلته، ومماثلته مع والده لم تسهم بصورة إيجابية في توجيهه نحو التعليم.

وإن تكررت عبارة هذا الولد السلبية في الغرفة الصفية، فستسبب عداوة حتى أكثر المعلمين تقانياً. وعلى الرغم من أنه شديد الذكاء، فقد وُجّه قطعاً نحو تدني التحصيل؛ بسبب عدم تغيير عائلته من أنماط التواصل غير الملائمة.

إنّ إخبارك لأطفالك عن مواطن الشبه بينك وبينهم يعزز المماثلة. لذلك، تأكد من التشديد على المواقف التي توفر نموذجاً إيجابياً، وأخف التفاصيل المشكّلة المتبقية لوقت لاحق عندما يكونون قد أسسوا هويتهم الشخصية بوصفهم محصلين. إن كنت أخبرت أطفالك بكل شيء للتو، فحاول إلغاء الضرر بالتشديد على الإنجازات الإيجابية، وأشر إلى أنك تأمل أنهم لن يكرروا الأخطاء التي عقدت حياتك فعلياً، وجعلتها أكثر صعوبة.

ولما كان الأطفال يستمعون لما تقوله عن نفسك أكثر من محاضراتك، فقلل من الأخيرة وأعط الجوانب الإيجابية فقط منها، إذ لا فائدة لك، ولا لأطفالك، من تضخيم تاريخك بوصفك المشاغب ذا التحصيل المتدني. وعلى الرغم من أنّها تبدو مادة جيدة للفكاهة العائلية، إن حاول ابنك أو ابنتك التفوق على حيلك، فلن يساعده أو يساعدها هذا الأمر، وهذا ما يهكم هنا.

## البيت غير المنظم

سوء التنظيم سمة نمطية لذوي التحصيل المتدني، ويتعلمونه في بعض الأحيان من واحد أو أكثر من النماذج الأبوية، حيث يفاخر بعض الآباء بأسلوب حياتهم غير المنظم، ويقع آخرون فيه بدافع اليأس، ومن الممكن أن تقلع الأم الشابة مع ثلاثة أطفال رضع واثنين في المدرسة، عن محاولة الحفاظ على النظام في منزلها، وتجد مهرباً عبر مشاهدة المسلسلات التلفازية، ويمكن أيضاً أن يتخبط الأب ذو الوظيفتين، المعيل لثلاثة أطفال، وأربعة راشدين، بحثاً عن إطار عمل للمحافظة على جدول أعماله المكتظ.

في بعض الأحيان، تختار بعض العائلات لأطفالها أسلوب حياة مفعماً بالنشاط، يتضمن الرقص الإيقاعي (الباليه)، والبيانو، وكرة الطاولة (التنس)، وكرة القاعدة، وفرق الكشافة، ونصف دزينة من الأنشطة الأخرى، فيبقى تنقل الوالدين الجنوني لأطفالهم ولأنفسهم بين هذه الالتزامات، وقتاً قليلاً للبنية أو التوقعات الواضحة والمسؤوليات، ومن الإنصاف القول: إنَّ الإنهاك هو سمة للجيل الحالي من الآباء والأطفال.

يرى بعضهم أنهم يفضلون الفوضى، ويدافعون عن تفضيلهم هذا باسم الإبداع، وقد يكون صحيحاً بعض الشيء القول: إن الأشخاص المبدعين يشعرون بالارتياح بوجود بعض التشويش، ولكن الإبداع الحقيقي يصنع من الفوضى معنى ونظاماً.

من سمات الإبداع العثور على أنماط تنظيم وتفسيرات في أماكن لا يوجد فيها تنظيم أو تفسيرات من قبل، وفي الواقع يقوم الأشخاص الناجحون في واجباتهم، الذين قدموا إنجازات فردية، بتنظيم الفوضى، ويمثل نتائجهم تنظيماً للمفاهيم، سواء كان في الفنون، أو الأعمال، أو العلوم.

لست من أنصار التزمّت مع الأطفال، ولكنّ البنية المعتدلة والمرنة، حل وسطي مقبول ومعقول. يجب أن يمتلك الأطفال بعضاً من التنظيم؛ فهم يحتاجون إلى البنية والاعتياد؛ ليتمكنوا من فهم حدودهم، واستكشاف المساحات الموجودة بينها. يجب عليهم أن يتبنوا نمط الحياة المنظم، لبرنامج مدرسي يتطلب مهمّات نظامية، وأوراق عمل أنيقة، ومواعيد لتسليم الواجبات المنزلية، وقواعد سلوكية، حيث يتحقق تبنيهم لبعض الاعتياد بسهولة أكبر، إن انعكس

في بيئاتهم المنزلية من قبل الوالدين الذين يتماثل الأطفال معهما. يبدو أنّ المرونة المنضوية في بنية تحقق أفضل النتائج.

### الرعاية الأبوية العدوانية - السلبية

قد يبدو الموقف الآتي مألوفاً: يجلس الأب مرتاحاً على الأريكة، وتخرج من بين شفثيه تهديدات مسترخية، لا تتم طريقة جلوسه السلبية عن أيّ حسّ بالقوة بصورة تلقائية. تقف الأم بقربه غاضبة ويائسة، وتطلب (لعاشر مرة): (هل تتكرّم بتصليح الباب؟) ولكن الأب لا يأتي بأيّ حركة، وتستمر التهديدات بالخروج، وتغادر الأم الغرفة مغممة ومنتمة، الأب سلبي، ولكنه في الوقت نفسه مسيطر، ويمسك بزمام الموقف بصورة كبيرة، إنه نموذج مشؤوم لابنه أو لابنته.

لاحظ المحادثة الآتية مع طالب في الصف الرابع ذي تحصيل متدنٍ، اسمه ليشون والسيدة الشابة مارتينا التي قاربت على التخرج في الجامعة على الرغم من سنوات عدّة من تدني التحصيل:

#### ليشون

د. رم: باعتقادك من تشبه بصورة أكبر يا ليشون، أمك أم أباك؟

ليشون (دون تردد): أبي.

د. رم: اشرح لي كيف تشبه والدك يا ليشون.

ليشون: عندما تطلب أمي إلى أبي القيام بعمل ما في المنزل لا يستجيب لها، وعندما تطلب أمي مني القيام بواجباتي المنزلية لا أقوم بها أيضاً.

#### مارتينا

د. رم: من تعتقدين أنك تشبهينه بصورة أكبر يا مارتينا، أمك أم أباك؟

مارتينا: أبي. إنه أقل تنظيمياً، على الرغم من معرفته مكان كل شيء، وأنا أغراضي جميعها مبعثرة على الأرض، ولكنني أعلم مكان كل شيء كذلك، تصرخ أمي على أبي ليعدّل الأشياء ويرتبها ولكنه لا يفعل، وتصرخ أمي علي كذلك، ولكنني أحب الوضع على ما هو عليه.

السلوك العدواني-السلبى سمة لكثير من ذوي التحصيل المتدني: (لقد نسيت)، (لا أعلم)، «لا يوجد لدي واجبات منزلية»، جميعها صور من السلوك العدواني-السلبى، فيكون الأطفال مسيطرين دون أن يظهر عليهم ذلك، في حين يكون الآباء والمعلمون معدومي الحيلة، ما الذي يمكنك قوله للأطفال الذين يعترفون بتجهم أنهم قد نسوا؟ إن كنت تظن بأنهم يعانون صعوبات في التعلم، فاسألهم عن إحصائيات الرياضة. حينها، ستفاجأ بقوة الذاكرة الانتقائية التي يمتلكونها!

يمكن أن يكون الموقف المذكور أعلاه خطأ الزوج أو الزوجة، وقد يكون صحيحاً أن الزوجة لا تستطيع حث الزوج على القيام بالأعمال المنزلية، أو تنظيم نفسه في المنزل، أو قد تكون الزوجات المتذمرات في صورة أزواجهن. ولكن، بغض النظر عمّن يقع عليه اللوم، يعدّ هذا السلوك نموذجاً سيئاً للأطفال إن كان نمطياً في العائلة.

لا يقتصر تجسيد السلوك العدواني-السلبى تجاه شركائهم على الذكور فقط، فقد تحذو الإناث أيضاً حذو ذلك. ولأنه سلوك قوي، فسيقوم أيّ من الأطفال الذكور أو الإناث بتقليده، حيث يتطوّر السلوك الأنثوي العدواني-السلبى الأكثر شيوعاً عند حدوث تغيير على أسلوب تقليدي للعائلة خلال الزواج، وتقاتل في هذه العائلة الزوجة الأنثوية ضد الصور النمطية الجنسية باستخدام طرائق عدوانية - سلبية؛ لتجنّب تحمّل المسؤوليات التي تتظر إليها بأنها صور نمطية. على سبيل المثال: إن أراد الزوج تناول وجبة العشاء الساعة السادسة، فلن تعدّ تلك الوجبة قبل السادسة والنصف. وإن طُلب إليها شراء نوع محدد من الطعام الذي يحبه، فإنّها تسمى بمحض المصادفة أن تشتريه، وعندما يعلق الزوج البائس على عدم قيامها بمجهود كافٍ لإرضائه، تهز كتفيها دون مبالاة، وتتمتم بعذر يبدو معقولاً، مثل: (كنت مشغولة)، (لقد نسيت)، (لماذا لم تشتريه أنت؟) أو (إن كان كذلك، فلم لا تُعدّ أنت العشاء؟ إنك تمتلك القدرة نفسها التي أمتلكها)، وتستمر المناكفة على هذه الشاكلة.

لا يستطيع السلوك العدواني-السلبى تحسين العلاقات بتاتاً. وبصورة ضارة، يمدّ الأطفال بنموذج واضح لتدني التحصيل الذي يصعب تعديله. إضافة إلى ذلك، فعادة ما تتناقله الأجيال من جيل إلى آخر بوصفه نموذجاً سلوكياً مقبولاً. سألني أحد الآباء السؤال الآتي: هل تعنين أنني إن تطوّعت بالقيام بأشياء داخل المنزل دون حثّ من زوجتي، أن يحدث ذلك فرقاً في أداء ابني المدرسي؟

يمكنك عزيزي القارئ أن تخمّن الإجابة؛ يسهم التواصل المباشر والمساومة العادلة بصورة كبيرة في الحد من النماذج العدائية - السلبية.

## الأبوان المرهقان بالعمل

إن كانت صورة الآباء الكسولين، أو السلبيين، أو الفوضويين، تمثل نماذج غير ملائمة فبالتأكيد يجب أن يكون الآباء الكادحون العاملون نماذج إيجابية، وهذا ليس بالضرورة؛ فقد ينمذج الآباء، أو الأمهات المرهقون بالعمل - الذين يأتون إلى البيت منهكين، الذين يتذمرون من ضغوط واجباتهم، وتدنى رواتبهم، أو عدم عدالة رؤسائهم - توجهاتٍ سلبيةً في عالم العمل. وإضافة إلى ذلك، تدمر أحد الوالدين من أنّ الآخر يفرط في العمل، أو أنه لا يجد وقتاً للعب أو المتعة، ينمذج صورة للعمل على أنه مجال يجب أن يتجنبه الأطفال.

سيتدمر هؤلاء الأطفال في المدرسة الابتدائية فقط من العمل الشاق كله، الذي يوكله المعلمون (رؤسائهم) إليهم، وعندما يصبحون في سن المراهقة، يستهجنون عدم قيام آبائهم بأي شيء سوى العمل، ويصرون على أنّ ذلك ليس نمط الحياة الذي يأملون بمحاكاته. ويشكل تدمير الأم طوال مرحلة طفولة الابن من مهنة أبيه، أو كيف أنّ تلك المهنة أخذته بعيداً عن عائلته أسلوباً شبه مؤكد للحيلولة دون أن يحترم الابن أباه. ومن المحتمل أن يتعلم الأطفال أن يكونوا سلبيين تجاه تجاربهم المدرسية، إن عاد أحد الوالدين إلى الجامعة للحصول على درجة عليا، وأخذ بالتذمر باستمرار من الحمل الزائد، أو إن شوّه أحد الوالدين من سمعة الجامعة، وأنها مضیعة لوقت الشريك الآخر؛ ما يجعل الأطفال يطوّرون اتجاهات سلبية عن خبراتهم المدرسية.

كيف يستطيع الآباء الكادحون تغيير ذلك النموذج عند أطفالهم، في الوقت الذي تستنزف فيه متطلبات عملهم كثيراً من وقت العائلة؟ (مزيد من الاقتراحات للمساعدة في هذا الموضوع في الفصل العاشر.) وفيما يلي مثال من نمط حياتي الشخصية المشغول:

عند عودتي إلى المنزل من يوم العمل الاعتيادي الذي يستغرق عشر ساعات، إلى ابنتي المراهقة التي تنتظر بفارغ الصبر أحد والديها أو كليهما، كنت أستجمع (في العادة) قواي وذكرياتي الإيجابية كلها لذلك اليوم، وأحيي سارة ب: سارة، إنك لن تصدقي كم كان هذا اليوم مثيراً، ثم أتابع وصف آخر طفل ساعدته (دون ذكر أيّ أسماء)، وكنا نتبادل نظرتنا الثاقبة فيما

يتعلق بقضايانا، أقول قضايانا؛ لأن سارة اعتادت أن تتشارك معي نظرتها الثاقبة، المتعلقة بالقضايا النفسية الخاصة عن أصدقائها، أو الأطفال الذين كانت تجالسهم، أو تدرسهم. كنت أصعق أحياناً بنظرها الثاقبة عن أصدقائها المراهقين، وكانت سارة تقول: إنها ولدت لتتعلم علم النفس.

لم يكن الأمر ذا أهميّة بالنسبة إلي إن أرادت سارة أن تصبح اختصاصية نفسية أم لا، ولكنني أردتها أن تعرف مقدار رضاي عن عملي، وكان من الأعراض الجانبية غير المتوقعة والمثيرة أنني شعرت بقدر أقل من التعب، وبرضا أكبر في نهاية كل يوم، وقد أصبحت تلك بمحض المصادفة عادة جيدة.

إن بدت لكم مقولة (كما تكون الأم تكون ابنتها) مألوفة، يمكن أن تذكركم بالطبيب الريفي القديم الذي كان يصطحب ابنه معه لزيارة مرضاه، لم يكن من الغريب على الإطلاق أن يحذو الابن حذو أبيه باختياره للطب بوصفها مهنة تعلم أن يحترمها، وبكلمات سارة: لقد وُلِدَ للطب.

### والدا ما بعد الطلاق

للطلاق تأثير كبير في تحديد هوية الطفل، حيث تشكل مرحلتنا ما قبل الطلاق وما بعده معضلات نمذجة، ومماثلة للوالدين والأطفال على حد سواء، فمن الممكن أن تكون مشكلات ما قبل الطلاق امتداداً وتضخيماً للعلاقة الصدمية التي حدثت في وقت مبكر خلال الزواج. على سبيل المثال: إن تماثل الولد بأب عدائي، واستمر بعد الطلاق في موقع القوة، وكان إضافة إلى ذلك قليل الاحترام لزوجته السابقة بصورة واضحة، فيمكن أن يقلد الولد أباه، ويمكن أيضاً أن ينحاز إلى والدته. وعليه، سيكون على الأقل بصورة مؤقتة، مشكلة سلوكية في المنزل والمدرسة، محاكياً نمط أبيه العدائي، الذي يراه بوصفه نموذجاً يقتدى به. أيضاً، قد يتفاوت السلوك الفعلي بصورة كبيرة اعتماداً على عمر الطفل، والأب المنمذج، وتجارب الطفل السابقة. وحتى مع ذلك سينظر الأشخاص الغربيون إلى الابن على أنه مولع بالشجار مع الوالد/ الوالدة الذي يبدو كأنه هو المظلوم.

إن تماثل الابن مع الأم العدوانية - السلبية، فيمكن أن يستمر إلى أن يجد لنفسه نموذجاً ذكورياً آخر، أو إلى أن تصبح والدته أكثر حزماً، أمّا إن تقبّل سلوك والده على أنه سلبي - بحسب

ما تصفه الأم - فسيشير - إن سئل عن ذلك - إلى أنه أكثر شبهاً بوالدته، وفي هذه الحالة، سيفضل إنكار أي شبه مع أب وصف له بأنه (الشخص السيئ).

في إحدى العائلات التي كان الأب فيها بغيضاً جداً قبل الطلاق، أشار كل من الولدين بصورة منفصلة إلى أنهما أكثر شبهاً بوالدتهما، على الرغم من أن كلاهما استنتج بأن أخاه شبيه بوالده.

وكان من الواضح أن أيا منهما لم يعزز صورة الأب الكبير، الكسول، المستهتر بوصفه نموذجاً ملائماً.

أما الفتاة التي تماثل والدتها، فمن المحتمل أن تستمر المماثلة بعد الطلاق، وستعكس إلى حد كبير نوعية التكيف الذي ستقوم به والدتها تجاه الطلاق. إضافة إلى أنه من الممكن أن تشعر الفتاة في الأحوال كلها بنوع من عدم التقبل من قبل والدها، إن وصفت الأم شعورها الشخصي بعدم التقبل لابنتها، وإن شعرت البنت بعدم التقبل بصورة فعلية، فيمكن أن توجه غضبها نحو والدتها التي قد تراها سبباً لشعورها بالرفض، وقد ترغب بشدة في أن تكون مع أبيها؛ لتحمي نفسها من عدم التقبل، ومن الممكن أن تتمرد على والدتها لتكسب اهتمامه.

كل من الوالدين غاضب من الآخر، وفي محاولة للإبقاء على حب الأطفال، قد يقومان بما يصفه مثل أولئك الآباء ب: (حوار مفتوح وصادق مع الأطفال)، وعادة ما يكون الأطفال الأكبر سنّاً هم المستقبلين الأساسيين لوجهات النظر المنحازة عن الوالد الآخر. لكن مثل هذه العاطفة المتحيّزة، قد تسبب شعور الأطفال بقوة تماثل قوة الراشدين، وتجعلهم ولو بصورة مؤقتة، يعدّون أنفسهم مساوين لواحد من الوالدين أو لكليهما، وفي اللحظة التي يعدّون فيها كالراشدين، فإنهم لا يتقبلون العودة إلى وضعهم بوصفهم أطفالاً. وفيما يلي هذه الحالة:

تأرجحت مولي، ذات الأحد عشر عاماً بين التمرد والاكْتئاب. قالت إن أمها حظيت بزواج مثالي، ولكن لماذا لم يعمل على استشارتها قبل أن يخططاً لأمسية، ولم يتعيّن عليها أن تتماشى دائماً معهما؟ مرت والدة مولي بطلاقين، ووصف كلا زوجها بأنيابتهما (شخصان سيّان)، أمّا أفضل ذكريات مولي، فكانت عندما عاشت مع والدتها بمفردهما، عندما كانت في السادسة من عمرها، وفي الواقع كانت تلك الأيام أيام نزاعات على الحضانة، ثم أصبحت مولي هي ووالدتها ضد والدها.

قد تكون هناك تأثيرات صعبة أخرى بعد الطلاق على أنماط المماثلة للوالدين، فإن عاش الوالدان بالقرب من بعضهما، وتشاركا الحضانة بصورة متساوية، فمن المحتمل أن يستمر الأطفال بالتماثل مع الوالد نفسه الذي تماثلوا معه سابقاً، أمّا إن زار الأطفال أحد الوالدين مرتين إلى أربع مرات في الشهر، فيأخذ ذلك الوالد الذي يكون في الأغلب الأب، دور مهيب المرح والألعاب للأطفال؛ لأنه لا يراهم بصورة متكررة، وهو مصمم على جعل اللقاء ممتعاً، ويصحبهم إلى الخارج؛ لتناول العشاء، أو مشاهدة الأفلام، أو مباريات كرة القاعدة، بكلمات أحد الأولاد: (الزيارة شبيهة بالفندق).

عادة ما يغيّر الوالد الذي تتم زيارته من أسلوب رعايته الأبوية، ويمكن أن يفسّر الأطفال رسالته المبطنة، بأنّه لم يعد يرى التحصيل المدرسي بالأهمية نفسها التي كان يراه بها قبل الطلاق، قد تبدو الألعاب والمرح أموراً لا بأس بها، ولكن لدى الأطفال الذين يتماثلون مع هذا الوالد، فإن نموذجهم هذا لا يعدّ نموذجاً للتحصيل؛ إذ لا يرى الأطفال والدهم في دور العامل على الإطلاق، ولكنهم يرون والدتهم دائماً في هذا الدور، وغالباً ما تكون منهكة بالأحمال، وإن لم يطلب إليهم القيام بالواجبات المدرسية خلال الزيارة، فمن الممكن أن يعتقد الأطفال أنّ أباهم لا يعدّ التعليم مهمّاً، أمّا الأم التي يعيشون معها خلال الأسبوع المدرسي، فهي تتوقع منهم القيام بالواجبات المنزلية دائماً. إذن: هل من المفاجئ أن يتشاجروا باستمرار مع والدتهم بخصوص مسؤولياتهم المدرسية؟

حقاً، يمكن أن يبلور الآباء الرسالة التي يستقبلها أطفالهم، إن تعامل كلا الوالدين مع ما بعد الطلاق بصورة بناءة، فمن الممكن أن يبلغ الأب أطفاله توقعاته بخصوص أعمالهم المدرسية واهتمامه بتحصيلهم وعاداتهم الدراسية، ويمكنه كذلك الإصرار على وجوب احترام الأطفال لوالدتهم. وإن كان الوالدان مدركين للرسالة التي يبلغانها لأطفالهما، وإن كانا مهتمين بالأطفال بصورة كافية للدرجة التي يتخليان بها عن صراعاتهما الشخصية على السلطة، فمن الممكن أن يسببا اختلافات مهمة في تحصيل أولئك الأطفال.

في إحدى الحالات التي وضح فيها الأب رسالة التحصيل لابنه، استلزم الأمر في المرات القليلة التي نكص فيها الابن إلى سلوكه القديم المتمرد على الأم، مكالمة هاتفية موجزة من الأب ليذكر ابنه بالتزاماته الدراسية. لذا، من المهم أن يتفق كل من الأم والأب على الرسالة التعليمية

نفسها، ومن المهم أيضاً أن يبذل الوالد الذي يعيش الطفل معه بجهود قوية؛ لتعزيز تلك الرسالة بالترغيب وبالقدوة.

وفي حالة أخرى، قام مراهق متمرد غاضب، بتغيير كامل في توجهاته وتحصيله، عندما وضح له والده أنّ والدته كانت محقة تماماً في توقعاتها منه، إضافة إلى ذلك، بدأ هذا الولد الذي تمرد على القراءة، بالاستمتاع بالكتب بعد أن قدم له والده مجموعة من كتبه المفضلة هدية في عيد الميلاد.

عندما يشهد الأطفال حالات انفصال وطلاق متعددة، تصبح الرسالة أكثر إرباكاً. وفيما يلي مثال على هذا الأمر:

كان ديفيد، طالب الصف الرابع الموهوب والحاصل على درجة ذكاء مقدارها (135)، ذا تحصيل متدنٍ، وكان عدد من الراشدين المهمين في حياته يربكون توجهه الأكاديمي، فبداية والده الفعلي، الذي لم يعيش معه بتاتاً، ولكنه يزوره بصورة منتظمة، ثمّ هناك الرجل الذي تزوجته أمه بعد ولادته بقليل، الذي أخذ دور الأب خلال مرحلة ما قبل المدرسة، إلى أن أصبح ديفيد في الصف الثاني. وثالثاً الأب القادم؛ الرجل الذي كانت أمه مخطوبة له بعد أن تطلقت من زوجها الثاني، وأخيراً أمه التي بقيت ثابتة خلال حياته.

كان ديفيد طفلاً وحيداً، يستقبل رسائل متعارضة متعلقة بالمدرسة من الراشدين الأربعة في حياته: الأب الأول، والده، الذي يزوره مرة في الشهر تقريباً، الذي يعتقد بأنه يتعين على ديفيد الدراسة بجد والحصول على درجات مرتفعة، لكنّ الراشدين الآخرين جميعهم قللوا من شأنه، وبذلك عمّد (شخصاً سيئاً). والأب الثاني، الذي كان الشخصية المماثلة لديفيد يزوره مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعياً. وعلى الرغم من شعور هذا الشخص بأهمية المدرسة فإنه أعطى ديفيد رسالة مقتضاها بأنه راضٍ طالما يحصل ديفيد على درجات متوسطة، وكان من السهل على ديفيد أن يفي بتوقعات هذا الرجل المنخفضة. ومن ثمّ الأب الثالث، الذي لم يعطِ رسالة محددة عن المدرسة بعد.

أدركت الأم أن تحصيل ديفيد كان متدنياً، فحاولت تشجيعه، لكنها لم تضع كثيراً من الضغط المدرسي عليه، الأمر الذي بعث رسالة لديفيد أنه يمكن أن يعمل بجد أكثر بقليل.

كان الأشخاص المفتاحيون هنا (الأبوين) الأوليين، الأول الذي تعلم ديفيد عدم احترامه أعطى الرسالة المدرسية المناسبة، ولكن ديفيد استمع ونفذ نصيحة الأب الثاني الذي كانت رسالته رسالة تدني تحصيل. كان من السهل على ديفيد اتباع ارشادات الأب الثاني، ولكنه طور بعض العادات السيئة جداً خلال العملية، ولم يتعب نفسه بتعلم بعض المهارات الأساسية. وعندما وُضِحَ الموقف، كان الراشدون على استعداد لإعطاء رسائل متناسقة، وبقليل من المثابرة من جانب كل واحد منهم، رفع ديفيد من توقعاته المدرسية ومن تحصيله.

قبيل الطلاق أو بعده، تكون الرسائل المتعلقة بالمدرسة المتناسقة من قبل الراشدين المهمين جميعهم، حيوية لتحصيل الطفل المدرسي، ويجب على هؤلاء الراشدين الانتباه إلى سلوكياتهم إضافة إلى كلماتهم. ومن المحتمل أن تؤدي صراعات الوالدين المستمرة على السلطة عبر أطفالهم، إلى عدم معرفة الأطفال كيفية إرضاء كلا الوالدين، وإلى أخذهم الطريق الأقل ممانعة، فيصبحون متدنيي تحصيل بسهولة. تزداد أهمية هذا الموضوع في مجتمعنا الذي لا يُربى فيه نصف الأطفال في عائلة اعتيادية مكونة من الوالدين، اللذين بدأت العائلة بهما<sup>3</sup>.

### المماثلة مع الجنس المغاير

تبدأ المماثلة مع الجنس المعاكس عندما يتماثل الأولاد مع أهمهم، أو تتماثل البنات مع والدهن، ولكن كيف يؤثر ذلك في التحصيل المدرسي؟

لا تكون مماثلة البنات مع والدهن في العادة أمراً ضاراً بالتحصيل المدرسي، أو التكيف الاجتماعي؛ فالأطفال أكثر تقبلاً للإناث الحازمات من تقبلهم للذكور الأنثويين، واليوم حيث الفتيات ناشطات في الرياضة، فنادرًا ما يطلق عليهن مصطلح (فتيات مسترجلات)، كما كان الأمر في الأجيال السابقة. وفي دراسة تقليدية (كلاسيكية) لعالمات الرياضيات الإناث، وجد المؤلف أن العالمات الأكثر إبداعاً كنَّ كبرى البنات اللواتي تماثلن مع آبائهن<sup>4</sup>، وتعترف كثير من النساء الناجحات لوالديهن بالفضل، بوصفهم نماذج اقتديين بها<sup>5</sup>، فطالما أن الآباء يعطون رسائل مناصرة للجانب الأكاديمي لبناتهم، فليس من المحتمل أن تعاني البنات اللواتي يتماثلن معهم مشكلات متعلقة بالمدرسة أو بالمهنة.

وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تطور البنت إن تماثلت مع أب يمثل صورة صعبة مضادة للمدرسة، مشكلات متعلقة بالمدرسة و/أو مشكلات اجتماعية، ومن المحتمل أن تكون الفتاة التي

ترتدي أقدم بنطال جينز رتّ، وأوسخ قميص، تستخدم لغة قاسية، وتلعب مع الأولاد، وأن تكون مصممة على ألا تؤدي أي عمل مدرسي بتاتاً. هذا النمط سهل التغيير نسبياً إن كُشف عنه مبكراً، ولكن هذا النمط في أغلب الحالات يكون صعب التغيير إن لم يكتشف حتى المدرسة الثانوية. وبحلول ذلك الوقت فإن لباسها وسلوكها الفظّ، وتدخينها للسجائر يصنّفها بأنها فاشلة، وسيكون من الصعب إقناعها بوجود أي هدف للمدرسة أبداً. إن كان والداها مساندين، فيمكن أن يحدث التغيير المبكر من قبل الوالد عن قصد، عبر إعطائها رسالة إيجابية عن المدرسة، وإبداء الاهتمام بتعليم ابنته، وسيحسن هذا الأمر من توجهها نحو المدرسة ومن مهاراتها. إضافة إلى أنه سيسهل المجهود الرامي إلى تهذيب سلوك الفتاة حرفياً، من خلال لباس أكثر ملاءمة، ومحاولات تعليمها لغة مهذبة من تقبل العالم لها، وستكون مقبولة اجتماعياً بصورة أكثر ارتياحاً.

أمّا إذا تماثل ولد مع أمه، فقد يكون لهذا الأمر وقع سلبي في تحصيله المدرسي، ومن المحتمل أن يتسبب - في الأقل - ببعض المشكلات المؤقتة، حيث يميل الأولاد في هذه الحالة إلى إظهار سلوكيات ذات صور نمطية ذكورية بصورة أقل، وإظهار مزيد من الاهتمامات الأنثوية النمطية. وإن كانت بيئته المدرسية تعزز صورة ذكورية، وتشدد على الرياضات والقوة الجسدية - كما جرت العادة - فسيكون احتمال تقبل الولد من قبل أقرانه أقل.

لا يسبب مثل هذا السلوك أي مشكلات خلال سنوات ما قبل المدرسة ورياض الأطفال، حيث تظهر مشاعر الرفض عادة إلى السطح بين الصفين؛ الثاني والسادس، ويكون وقع هذه الحقة التطورية على سلوك الأطفال واضحاً، عند مراقبة ساحة اللعب في مدرسة ابتدائية اعتيادية وقت الاستراحة؛ معظم الفتيات يلعبن مع الفتيات الأخريات، يقفزن على الحبل، ويتأرجحن، أو يكتفين بالتحديث إلى بعضهن بعضاً، أمّا معظم الأولاد فيلعبون ألعاباً ورياضات أكثر خشونة وتقلباً. من الممكن أن يوصف الولد الذي لا يشارك، أو لا يبدو للأولاد الآخرين ذكورياً بما فيه الكفاية، بـ (الشاذ) أو أي مصطلح تهكمي آخر؛ لظهور ذلك الولد بمظهر أنثوي. من ناحية أخرى، لما كانت البنات لا يتقبلنه على أنه واحد منهن، فإنّه يبقى غريباً في عيونهن أيضاً.

تؤدي نظرة الأطفال من كلا الجنسين إلى الولد المتماثل مع والدته على أنه غريب إلى شعوره بالعزلة والوحدة. وفي خضم بحثه عن أصدقاء، فقد يقع في فخ ابتكار مضايقات أو عبارات سخرية بوصفها بديلاً عن علاقات صداقة أكثر إيجابية لا يشعر بأنه قادر على الحصول عليها.

وبصورة أخرى، قد تراه يمشي في ساحة اللعب وحده، إلا إذا كان محظوظاً بصورة كافية ليصادق قلة آخرين ممن لديهم اهتمامات شبيهة، الذين سيمنعون بدورهم شعور الوحدة. عبر لي طالب في الصف الخامس عن شعوره بالاختلاف بالصورة الآتية:

إن كان بإمكانك النظر إلى ساحة لعبنا من طائرة، فستمكنين من فهم ما أعنيه. يلعب الأولاد كرة القاعدة، وتقفز الفتيات على الحبل أو على الأراجيح، في حين ستجدينني مع صديقين نتحدث ونمشي حول ساحة اللعب، لسنا جزءاً من أي مجموعة أو لعبة، إننا ببساطة مختلفون.

يملك شعور الاختلاف وعدم التقبل عادة - في الأقل بصورة مؤقتة - تأثيراً محبطاً في التحصيل. وفي الحقيقة، فإن الإحساس بالغربة الاجتماعية يدفع هؤلاء الأطفال إلى الشعور بالضغط والتشويش، ويميلون إلى عدم متابعة واجباتهم المدرسية، أو تسليم واجباتهم المنزلية ويبدو أنهم يجدون صعوبة خاصة في الرياضيات والقراءة، إضافة إلى أن تقديرهم الذاتي ضعيف، ويشعرون بأنهم غير مقبولين من أقرانهم.

هناك أسباب أخرى تجعل من الأولاد الذين يتماثلون مع أمهاتهم من ذوي التحصيل المتدني، حيث يقع هؤلاء الأولاد ضمن نمطين من المماثلة، وعلى الرغم من أن النمطين عادة ما يتداخلان، حيث يكون الأولاد الذين يتماثلون مع أمهاتهم شديدي الاعتماد، وغير مستقلين، لكن تماثلهم يبدأ في تلك العلاقة المباشرة القريبة (واحد إلى واحد) التي تتولد عند طلاق مبكر، أو وجود أب دائم البعد عن المنزل، أو وعكة صحيّة مبكرة تجعل الطفل معتاداً نمط حياة اعتمادياً واحداً إلى واحد مع الأم، الأمر الذي يسبب تدني التحصيل المدرسي، والسلبية، والتقدير الذاتي الضعيف. وفي بعض الأحيان، يسبب هذا النمط الاعتمادي صعوبات تعلم.

وهناك النوع الثاني من الولد المتماثل لأمه في الزواج الصدامي، الذي تتصرف فيه الأم بصورة عنيفة، أو عدوانية - سلبية تجاه الأب؛ لتتجنب تحكمه. ويمكن أن يوجد هذا النوع أيضاً في البيئة المنزلية ذات الوالد المنفرد، إن أظهرت الأم عداءً تجاه والد الولد، أو تجاه الرجل بوجه عام، فيحاكي الولد هذا النمط من خلال عدم قيامه بالعمل المدرسي الذي يتوقعه والده ومدرسته، الأمر الذي يجعله يتحدى كذلك قوة والده وسلطته بصورة عامة. وفي العادة، تكون الأمهات غير مدركات لنمذجة هذه الرسالة المضادة للسلطة، ويمكن أن يصبح هؤلاء الأولاد

غاضبين وعنيفين خلال سنوات مراهقتهم، ويكونوا غاضبين بالتحديد من الرجال، ولا يتقبلون الرجال الذين تتزوجهم أمهاتهم من جديد.

يمكن أن تسبب المماثلة مع الأمهات مشكلات عاطفية أخرى عند الأولاد، مثل عدم الأمان تجاه ذكورتهم. وفي الأحوال كلها، فإن كثيراً من الأولاد يغيرون من أنماط تماثلهم عندما ينضجون فمن الممكن أن يقلدوا نموذج الأب، أو معلمهم الذكور، أو الإخوة الأكبر سنّاً، أو الجيران، أو أيّ ذكور مهمّين آخرين، إضافة إلى أنّه من الممكن أن يتبنّى الأولاد المراهقون مجموعة أقران متمردين، أو عصابة بوصفها نماذج للذكورة عند بأسهم من تأسيس حسّ الذكورة، فتصبح هذه العصابة عائلتهم التي تسمح لهم بالشعور بالذكورة، وبتحدي السلطة. ولسوء الحظ، فإنّ الأم التي حمت ابنها لم تعد تمتلك أيّ سلطة على الاتجاه الذي يسلكه، وعادة ما يشعر الابن في مرحلة المراهقة بعلاقة حب-كره مع أمه؛ الكره لأنّ هناك احتمالاً بأن يتملكه خوف غير واعي من أن يُعدّد (ابن الماما) أو كثير الأنوثة مثل والدته، والحب لأنه يحبها بصدق.

بصورة جزئية، لا يبدو تماثل الأولاد مع كلا الوالدين مسبباً لمشكلات اجتماعية أو عاطفية، ويبدو أنه من المهم للأولاد (وليس للبنات) أن يحظوا ببعض المماثلة - وليس بالضرورة كاملة - مع شخصيات ذكورية.

بعض المشكلات المرتبطة بالمماثلة مع الجنس المعاكس متعلقة بالصورة النمطية الجنسية المستمرة في مجتمعنا، فبعضها مرتبط بالتحصيل بصورة مباشرة، وعندما يصبح المجتمع أكثر تسامحاً مع الاختلافات الجنسية، فمن الممكن عندها أن تختفي مشكلات المماثلة عند الأولاد. حقاً، يمكن للمعلمين في الغرف الصفّية والآباء أن يساعدوا الأطفال على أن يكونوا أكثر تفهماً للاختلافات الفردية، لكن أنماط المشكلات السلوكية الأخرى كالاعتمادية على أحد الوالدين والعداء السلبي، والسلوك المتمرد، وعدم تقدير المدرسة، ستستمر بالتسبب في مشكلات التحصيل.

## منافسة الآباء

على الرغم من أنّ كتب نمو الأطفال وتطورهم وصفت بصورة متكررة منافسة الأشقاء في العائلات، فإن كتب الرعاية الأبوية قليلاً ما ناقشت موضوع منافسة الآباء، وهي ظاهرة يمكن أن ترصد في كثير من العائلات، ونادراً ما يعترف الآباء أنفسهم بهذا الموضوع، أو يتعرضون له حيث

يدمر أحد الوالدين في مثل هذه الحالة دون وعي سلطة الوالد الآخر، ولا ينظر المخرب عادة إلى أفعاله على أنها مدمرة للشريك الآخر أو للأطفال، بل يراها بدلاً من ذلك ملائمة لأن يكون والدًا صالحاً. وعادة ما ينسب تناقض الآباء على حب الأبناء إلى الآباء المطلقين، في الوقت الذي يحتل في الواقع مكانة أكثر دهاءً في المنازل التي يوجد فيها كلا الوالدين.

هناك رابحون وخاسرون في المواقف التنافسية، وفي هذه الحالة يظهر الوالد الخاسر أقل سلطة للطفل. وعليه، تكون احتمالية أن يتماثل الطفل مع نموذج أقل قوة ضئيلة، وعادة ما تجسد طقوس التخريب في هذا التنافس أحد الوالدين في دور الوالد (الصالح) أو (الذكي)، في حين ينظر للوالد الآخر بإطراء أقل وأنه (سيئ) أو (غبي). وعليه، فقد أطلقت على طقوس التخريب هذه مسمى (الأعياب العملاق والغبي)، التي يمكن أن تكون موجّهة نحو الأب أو الأم، ويمكن أن تلعب بصورة منفصلة أو بالتزامن بعضها مع بعض.

من التأثيرات المهمة والمدمرة لهذه الطقوس، أنها تقلل من فرص مماثلة الأطفال لوالد من الجنس نفسه، وحتى إن قام الأطفال بالتماثل مع ذلك الوالد، فإنهم سيتنافسون معه/معها عند بلوغهم المراهقة، أما التأثير المحزن الآخر لتلك الطقوس، فهو أنّها تجعل الموصوف بالغول أو الغبي يشعر بعدم الكفاية بوصفه والدًا، مثل (الرجل غريب الأطوار خارج) في العلاقة العائلية.

### الطقس (الأول): الأب هو الغول

ينظر الغرباء إلى الأب في هذا الطقس العائلي على أنه ناجح وقوي، والأم عطوفة ومهتمة أمّا عند إلقاء نظرة عن كثب على الحياة المنزلية، فيظهر أنّ الأب مطبوع على جبهته كلمة (لا) كبيرة؛ بمعنى أنه يمنع بحزم كثيراً من الأنشطة التي يتمنى الأطفال فعلها، ويتعلم الأطفال تخطي سلطته عن طريق التقرب من أهم العطوفة والمتهممة. عندئذٍ، إما أن تتمكن الأم من إقناع الأب بتغيير قراره الأول، أو أن تسمح للأطفال بالقيام بنشاطهم المرغوب خلسة.

يتعلم الأطفال المناورات المتلاعبية الضرورية بصورة سريعة، ويصبح الطقس أكثر تطرفاً عندما يكبر الأطفال؛ لأنّ الأب يبدأ بإدراك نقص سلطته على عائلته، فيصبح استبدادياً في محاولة منه للتأقلم مع شعوره بالعجز.

وبوصفه رداً على تسلطه، تشعر الأم بأنها ملزمة أكثر بحماية أطفالها والدفاع عنهم. وفي خضم يأسها، تخترع أساليب جديدة لتخريب سلطة زوجها، معتقدة بأنها تقوم بما هو أفضل لأطفالها، وهي بذلك تجبر زوجها بصورة شبه حرفية على أن يصبح غولاً.

ولما كانت البنات ينظرن إلى أمهن بأنها قوية، فمن المحتمل أن تكون البنات في العائلة موجّهات نحو التحصيل، وأمّا الأولاد فيميلون إلى تدني التحصيل؛ لأنهم لا يرون نموذجاً فعلياً في أبيهم الذي يظهر لثيماً وعاجزاً على الرغم من محاولاته كلها، وقد يخافون منه ويمقتونه، ولكن من غير المحتمل أن يرغبوا بتقليده.

عندما نراجع تاريخ هذا الزواج، نرى أنّ الأب عادة يؤدي دور المعيل، ويتخذ القرارات الرئيسية، والأم كانت منجذبة لهذا النمط في البداية، واستمتعت به إلى أن وُلدَ الأطفال. وعلى الرغم من أنّ الأم تقوم ببعض الأعمال الجزئية خارج المنزل، فإن من غير المحتمل أن تسعى وراء حياة مهنية ذات معنى، وتعرف أنّ دورها الأساسي يكمن في مسؤوليتها عن الأطفال، وأن تقوم بالمهام المنزلية، وأمّا الأب فيحظى في البداية بالكلمة الفصل على أطفاله، لكن شعور الأم بقلّة الحيلة، واستثمارها في الأطفال، يقودها إلى أن تقرر بصورة منفردة أنها هي من يجب أن يحمي الأطفال ويرشدهم.

يبدو الموقف كالآتي: يقع جوليان الفتى الصغير في مشكلة مع أبيه؛ لأنه عبث بأدواته فبيّت الأب في الأمر بالصراخ، ويوضح أنّ هذه الأدوات للأب فقط، وغير مسموح لجوليان بلمسها بتاتاً. تخفف الأم على الأب، وتخبره بأنّ لدى جوليان حب استطلاع، وأنه يجب ألا يغضب بهذه الصورة من مشكلة صغيرة جداً. وفي اليوم اللاحق، يعبث جوليان مصادفة بالأدوات نفسها، الأمر الذي يغضب الأب غضباً شديداً؛ فلقد وبّخه بالأمس، لكنه تجاهل ذلك تماماً. لذلك، يصرخ بصوت أعلى، وتشاهده الأم متألّمة، ويرسل جوليان إلى غرفته باكياً وصارخاً.

يأخذ المشهد الثاني مكانه في غرفة جوليان، تمسك به الأم بين ذراعيها بصورة مطمئنة وتوضح له في محاولة لتهدئته: هو فقط لا يستطيع فهمك، يا لك من ولد جيد، أعلم جيداً أنك كنت فضولياً فقط.

وعليه، يبدأ خط طويل من التخريب تعتقد الأم بأنه ضروري؛ لحماية طفلها من غيظ زوجها المتسارع، وتتمنى لو أنه لا يفقد رباطة جأشه بهذه السهولة، وأن يكون أكثر تفهماً لأطفاله. ولكن،

مع مرور السنوات، تزداد علاقة الابن مع أبيه سوءاً، فنادراً ما يتحدث الأب مع ابنه، ولا يكتف جولييان أي احترام لأبيه، ويشعر فقط بخوف عظيم وإصرار على ألا يكبر ليصبح بمقدار لؤم أبيه.

وهكذا، تصبح علاقة الأب-الابن تنافسية إلى حد كبير، ويوجه الابن كماً لا بأس به من الغضب نحو أب، يعرفه فقط من خلال وصف أمه وتفسيراتها له، وبلوغه سن السادسة عشر عاماً تترسخ لعبة الغول لتصبح طقساً.

في المثال الآتي، حان موعد عطلة نهاية الأسبوع، والعودة إلى البيت في مدرسة جولييان الثانوية، وقد رتب جولييان لموعد ورقصة ما قبل وجبة العشاء، عادة ما يكون محتاجاً إلى المال، ولكنه ليس قلقاً بهذا الشأن؛ لأنه دائم الحاجة إلى المال، وكل ما يجب عليه فعله أن يمر بمسرحية من ثلاثة مشاهد؛ كي يحصل على الدعم المادي اللازم.

### المشهد الأول: جولييان يمهد للأُم (الأُم الرؤوم)

جولييان: (بتقة وثبات) أمي، هل يمكنني أن أستدين خمسة وسبعين دولاراً لرقصة وعشاء عطلة نهاية أسبوع العودة إلى البيت؟ سأرد لك المبلغ في الأسبوع القادم.

الأُم: آسفة عزيزي، إنك تعرف أنّ هذا الموضوع بيد والدك فقط، أسأله أن يعطيك، لا مانع لدي من ذهابك، ولكنني لست متأكدة من رأي والدك.

جولييان: ولكنك تعلمين يا أمي أنّ أبي سيقول: إنه يتعيّن عليّ توفير المبلغ من قبل.

الأُم: حسناً جولييان، إنني متأسفة، ولكن عليك أن تسأله على أي حال.

### المشهد الثاني: جولييان يسأل الأب (الغول)

جولييان: (متردداً ومتحدثاً بسرعة كما لو أنه يريد أن يزيح الأمر عن كاهله) أبي: هل أستطيع استدانة خمسة وسبعين دولاراً لعطلة نهاية أسبوع العودة إلى البيت؟ أعدك أنني سأرد لك المبلغ مع الفائدة، إنني محتاج إلى بعض المال؛ لأنني لم أدرك أنّ العشاء سيكون ثمنه مرتفعاً إلى هذا الحد، سأحصل على وظيفة قريباً، وعندها سأجني المال.

الأب: ( بصوته المعتاد ) حتماً لا؛ لأنك كسول، لم لا تقوم ببعض العمل؟ وكذلك، فأنت تحصل على مصروف الشخصي، ومن الأجدرك توفير النقود في المرة القادمة. ( يعود إلى متابعة التلفاز، أو إلى العمل على جهاز الحاسوب بازدياد معتاد لابنه ).

( ينسحب جوليان بسكينة مطأطأ رأسه إلى الأسفل ومرتاحاً؛ لأنه أنهى المشهد البغيض من المسرحية ).

### المشهد الثالث: يجمع جوليان المال (الأم الرائعة)

جوليان: ( لا يزال رأسه إلى الأسفل، وقد أضاف إلى ذلك بعض الدموع على وجنتيه ) أمي إنَّ أبي لا يفهمني بتاتاً ( هو على يقين من ذلك؛ لأنَّ أمه ما انفكت تخبره بهذا الأمر طوال ستة عشر عاماً ). وعلى الرغم من أنني أخبرته بأني سوف أرد له المال، فإنه رفض إعطائي إياه. ما مشكلته؟

الأم: ( تسحب النقود من جيب المئزر، وتعطيه لجوليان مع ابتسامة حنونة ) لا بأس يا عزيزي، خذ، هذه تسعون دولاراً، إنَّها أكثر بقليل مما تحتاج إليه، استمتع بوقتك، ولكن لا تخبر أباك، فأنت تعلم بأنَّه لا يفهم المراهقين.

جوليان: ( يحضن أمه بصورة سريعة ) إنك رائعة يا أمي، شكراً جزيلاً!

ما الذي فعلته هذه الأم الرؤوم؟ لقد حوّلت زوجها إلى غول عديم الحيلة، لم سيرغب جوليان بأن يصبح مثل أبيه؟ من هو الابن الذي سيتطلع إلى أب لئيم لا يحظى حتى باحترام زوجته؟

عندما كان جوليان صغيراً قال: إنه يشبه والدته أكثر، ولكنه عندما كبر، وأصبح من غير المريح له أن يعترف بمواطن الشبه مع والدته، صار يفضل الاعتقاد بأنه ليس شبيهاً لأبي من والديه. إنني لا أعلم حقيقة من أشبه. وفي الواقع هو لا يعلم ماذا يريد، ولا إلى أيّ جامعة يرغب بالذهاب، ولا حتى التخصص الذي يرغب به، لا يبدو عليه أنه وجد توجهاً محدداً، ولكن لا بأس بهذا الأمر، فوالدته ستساعده على الأرجح.

هناك طرائق عدة تحاول الأم فيها ( المساعدة )، ولكنها تحوّل الأب من خلالها إلى غول من دون قصد. على سبيل المثال، تبه ابنها بأن والده يعمل بقوته كلها، وأنها لا ترى أيّ سبب يجعله يخصص كثيراً من وقت العائلة للعمل. وعلى أيّ حال، فإنّ الرسالة المبطنّة لابنها: لا

تكن مثل أبيك، ولا تجتهد في العمل، فالحياة من دون ذلك العمل كله أكثر قيمة. وتكون استجابة الابن لوالديه وتطبيقه لهذا المبدأ بحلول الوقت الذي يدخل فيه المدرسة الثانوية أو حتى أبكر من ذلك: لا أرى سبباً يدفعني للقيام بالأعمال المدرسية، هناك أشياء أهم في الحياة من مجرد العمل المدرسي.

هل يبدو ذلك مألوفاً لك أيتها الأم؟ هل أعطيت ابنك تلك الرسالة؟ لسوء الحظ لم يعد يستمع إلى أي أحد، حتى لك أنت عندما تطلبين إليه إنجاز واجباته المنزلية.

فيما يأتي مثال آخر على طقس تخريب الغول نفسه:

يرغب الوالد أن يأخذ ابنه دروساً محفزة، ويرغب بتشجيعه على اتخاذ مسلكه المهني الشخصي، فتعترض الأم على ذلك محتجة بأن لابنهم الحق باختيار دروسه الخاصة ومساره المهني الخاص، وأن يفعل الأشياء المخصصة به. إضافة إلى ذلك، تقلل من شأن مهنة زوجها بوصفها مهنة تتطلب كثيراً من السفر، وقضاء كثير من الوقت بعيداً عن المنزل، وكثير من الجدل، أو أنها لا توفر الراتب الكافي. فرسائلها غير المباشرة لابنها: لا تكن مثل أبيك، ولا تفعل الأشياء التي يوصي بها.

ويحوّل الابن المراهق كلمات أمه إلى: أريد أن أفعل الأشياء المخصصة بي. على الرغم من أنه ليس متأكداً من ماهية تلك الأشياء المخصصة به، فإنه لا يرغب بأن تُملى عليه، ويرغب باكتشافها بنفسه، وهو يعلم بثقة الأشياء التي يقف ضدها: أبيه، مهنة أبيه، اختيار أبيه من الدروس، عالم والده كله. وعليه أن يختار أمراً مختلفاً؛ كي يتسنى له تأسيس تفرده.

يحدث هنالك فراغ، يقول الابن: إن عليه اختبار العيش، ولكنه لا يستطيع أخذ النصيحة من أي أحد (إلا من أولئك الذين يقومون بفعل أشياءهم الذاتية مثله: الأقران أو المشاهير)؛ لذلك، فهو يطلق شعراً طويلاً أو يحلق شعره كله، أو يجرب المخدرات أو العنف، أو ينضم إلى طائفة دينية، فإن لم يكن مسموحاً له إرضاء الأشخاص الذين يحبهم، فعليه أن يجد شخصاً أو مجموعة تتقبله وتهتم به.

وبحلول هذا الوقت، تكون الأم غير سعيدة أيضاً، ولكنها إلى الآن ما زالت تحرم ابنها بصورة جاهلة من نموذج مثالي، نموذج الرجل الذي أحبته واختارته زوجاً لها، زوجها الناجح، أباه

الناجح، لقد جعلت من زوجها رجلاً يجب التمرد عليه من قبل الابن، بدلاً من نموذج يمكن للابن أن يتعلم منه. والآن، لا يستطيع كل من الأب والأم فهم ولدهما.

### الطقس (الثاني): الأم هي الغول

وقت مساوٍ للإناث، هكذا يحوّل الزوج زوجته إلى غول، ينشئ هذا الطقس أولاداً وبنات من ذوي التحصيل المتدني، ويتضمّن زوجاً عطوفاً محبباً يُنظر إليه من النساء الغريبات على أنه زوج مثالي، فهو كريم ومحّب وودود، ويحب مناقشة المشاعر، ويستمتع بدوره الأبوي، إضافة إلى أنه يعدّ نفسه أباً جيداً ومنصفاً.

نادراً ما يفقد هذا الأب أعصابه، وغالباً يناقش اختلافات الرأي مع أطفاله، وهم يعلمون أنه بإمكانهم الاعتماد عليه في مناقشة الأمور وفي تفهمه لهم، لم يخطر على باله مطلقاً وجود منافسة بينه وبين زوجته؛ لأنّه يشعر أنه أب جيد، ولا يستطيع تخيل السبب الذي يجعل من زوجته متسلطة إلى حد كبير، إن بدا لكم هذا الأمر مألوفاً، فذلك؛ لأنّ طقس (الأم هي الغول) عادة ما يُتناول في المسرحيات الهزلية على التلفاز. وحتى البرامج العائلية المشهورة والمجازة من النقاد يمكن أن يكون لها وقع دراماتيكي سلبي على العائلات.

يجب أن يكون هناك بعض الانضباط في المنزل، فيجب أن يُرشد الأطفال، ولأن الأب هو (الشخص الجيد)، فيسمح لزوجته بتحمل مسؤولية سنّ القوانين للأطفال، ولا يهتم كثيراً بعمل القواعد، ومن الواضح أنّ الأم ترى أهمية وجود خطوط إرشادية للأطفال.

فتضع القوانين، وهنا المصيدة: تعدّ الأم القواعد والقوانين، وهو الذي يكسرهما، أو في الأقل يرشد الأطفال بتحاذق؛ لاكتشاف الثغرات فيها. وفيما يلي مثال على هذا الأمر:

### المشهد (الأول)

يتفق الأب والأم على قاعدة: على الأطفال إنجاز واجباتهم المنزلية قبل أن يشاهدوا التلفاز. ووضعت القاعدة في اجتماع للعائلة يوم الأحد، وأصرت الأم عليها ضد رغبات الأب والأطفال. اليوم هو يوم الإثنين، تدخل الأم إلى غرفة المعيشة لترى ماثيو يتابع مباراة كرة قدم ليلة الإثنين.

الأم: هل انجزت واجباتك المنزلية يا ماثيو؟

ماثيو: (لا إجابة)

الأم: ماثيو، هل أنجزت واجباتك المنزلية؟ ماثيو، هل تذكر القاعدة التي اتفقنا عليها في اجتماع الليلة الماضية؟

ماثيو: نعم... لحظة واحدة، هذه مباراة مهمة.

الأم: (تفادر الغرفة، وتعود بعد بضع دقائق) ماثيو، هل انتهت اللعبة؟ يجب عليك إنجاز واجباتك المنزلية.

ماثيو: (ناظراً إلى الأعلى) قال أبي: بإمكانني إنجازها بعد المباراة. هذه مباراة ضمن البطولة.

الأم: (تفادر الغرفة محبطة) قال أبي، قال أبي، ما الذي يمكنني فعله إذن؟

### المشهد (الثاني)

انتهت اللعبة. يجلس ماثيو مع أبيه على الأريكة، ويتحدثان عن المباراة.

الأم: ماثيو، لقد قلت: إنك ستجوز واجباتك المنزلية بعد المباراة. (مخاطبة زوجها) عزيزي أتذكر القاعدة التي وضعناها يوم أمس في اجتماع العائلة؟

ماثيو: أنا وأبي نتبادل أطراف الحديث فقط، فقليلاً ما نتاح لنا الفرصة للتحدث، سأنجزها خلال بضع دقائق.

الأب: (مخاطباً الأم) عزيزتي، يجب أن يكون هذا استثناء، سينجز ماثيو واجباته في دقائق معدودة، كنا فقط نتحدث عن اللعبة. (لا تكفي مشاهدة اللعبة فحسب، بل يجب التعليق عليها بعد ذلك).

الأم: (تفادر الغرفة شاعرة بقلّة الحيلة، ومتمتمة) يا لها من قاعدة!

### المشهد (الثالث)

الأم: (تدخل الغرفة بعد أن نفذ صبرها، شاعرة بغضب شديد وصارخة بصوت مرتفع مشدود) ماثيو، يستحسن بك أن تنجز واجباتك المنزلية! سترسب، إنها العاشرة مساءً، لا يمكنك الجلوس والتحدث طوال الليل...

ماثيو: لماذا تصرخين يا أمي؟ سأُنجزها، لقد تأخر الوقت، وأصبح من الصعب التركيز الآن، أعتقد بأنني سأخلد إلى النوم، وأستيقظ مبكراً في الصباح. (بنبرة غاضبة متمردة) لا تقلقي بشأنها، إنها واجباتي المنزلية وسأُنجزها! إنك لا تتقين بي.

الأب: (لزوجته) لا بأس يا عزيزتي، لا داعي لأن تفقدي رباطة جأشك، سينجزها ماثيو في الصباح، وسيكون ذلك سريعاً بعد أخذ قسط وافر من النوم الليلية. (مخاطباً ماثيو بنبرة صبورة) عمت مساءً يا بني، خذ قسطاً وافراً من الراحة، احرص على إنجاز واجباتك المنزلية في الصباح.

يذهب ماثيو إلى السرير معتقداً بأن أمه نكدة فعلاً، وعاقداً العزم على إنجاز واجباته المنزلية في الصباح، ويستقر الوالد أمام التلفاز متعجباً كيف أصبحت زوجته امرأة متسلطة إلى هذا الحد. تجلس الأم معه أمام التلفاز شاعرة بالاستنزاف وغاضبة على نفسها؛ بسبب فقدانها لأعصابها، ومتمنية أن تتمكن من حث زوجها على مساعدتها، ومتعجبة لماذا لا يستمع لها الأطفال؟

إنها متأكدة من أن ماثيو لن ينجز واجباته المنزلية، فعندما يدق جرس المنبه في الصباح سيكمل نومه، وحتى بعد أن ينطلق منبه الغفوة مرتين، وتنادي عليه ثلاث أو أربع مرات، سيستطيع جرّ نفسه من الفراش بتناقل، وبتلكأ بالنزول؛ كي تفوته حافلة المدرسة، سيعرض عليه الأب أن يوصله إلى المدرسة في طريقه إلى العمل، فتشعر بالسخط؛ لأنها تعلم أنها عندما تحضر اجتماع أولياء الأمور والمعلمين القادم من دون زوجها، ستسمع المعلمة تقول مرة أخرى: ماثيو طفل لامع، وسيصبح طالباً رائعاً إن استخدم دماغه في إنجاز واجباته بدلاً من البحث عن طرق لتجنبها، ويصبح ماثيو ذو التحصيل المتدني لامعاً بصورة غامضة لمعلمته وأمه ولاحقاً لأبيه.

ترعى لعبة (الأم هي الغول) متلازمة تدني التحصيل لدى الفتيات كذلك، ويتدنى تحصيلهن لأنهن يرين أمهاتهن عاجزات وغيلان كذلك. لا يرينهن بوصفهن نماذج ملائمة، ويفضّلن أن يكن بنات آبائهن المدللات، ويُرّضين آباءهن دون أدنى مجهود، ويكون الأولاد في هذه العائلة سعيدين في التماثل مع آبائهم، فهم يحبون أن يكونوا أقوياء وعطوفين. ولسوء الحظ، لا تشجع الرسالة التي يتلقونها من الأب على التحصيل، إنها رسالة عدوانية - سلبية لتجاهل الأم والمعلمين والقواعد، إنها رسالة لأن يقوموا بفعل ما يحبون، وأن يسوّفوا ما عدا ذلك كله، إلى أن يشعروا بأنهم مستعدين، وهو الأمر الذي نادراً ما يحصل.

## الطقس (الثالث): الأب هو الغبي

يوجد هذا الطقس الذي يعدّ تعديلاً بسيطاً على مسرحية الغول في المنازل التي تكون الأمهات فيها اختصاصيات في علم النفس، أو أكاديميات، أو عاملات اجتماعيات، أو أخذن دروساً في الرعاية الأبوية، ويكون أزواجهن من الناحية الأخرى مهندسين، أو أطباء، أو سائقي شاحنات ولم يأخذوا دروساً في الرعاية الأبوية، والفرق الوحيد، أنّ الأم تعلمت الأسلوب (الصحيح) في تربية الأطفال، ولم يتعلمه الأب. ولذلك، تقرر الأم أنها مسؤولة عن إعطاء الأب إرشادات عن كيفية تربية الأطفال بالصورة الصحيحة.

تعلم الأم بصورة مؤكدة أنّ الأولاد في حاجة إلى أن يكون آباؤهم نماذج ملائمة يقتدى بها. لذلك تشرح الأمر لزوجها، فيسعد الزوج بذلك، ويبدأ بتخيل نفسه مع ابنه يصطادان السمك، ويشاهدان مباريات كرة القدم معاً كل أحد. في البداية، تخبره أنّ عليه اللعب مع ولده الصغير حتى يدير عجلة العلاقة الإيجابية، وكذلك يفعل، يفني للطفل، ويطعمه، وحتى إنه يغيّر حفاظاته، فالأولاد مُسلّون! وإلى الآن يبدو أنّ الأمور تجري على ما يرام؛ فالأب مسرور وراضٍ عن معرفة زوجته بعلم النفس، ويمكنه الاعتماد على معرفتها لترشده في دوره الأبوي.

تبدأ المشكلة مع اقتراب السنة الثانية، فالأب مسؤول عن ولده (لامار)، ويجده يستكشف ويتلف كتبه وأوراقه، وعمله يتصف بالتهريج، فيفقد الأب هدوءه، ويمسك بلامار الصغير ويوبخه، ثم يضعه في مهده صارخاً وبكياً، فتدخل الأم لتجد غرفة المعيشة تتناثر فيها الأوراق في كل جانب، والأب مضطرب، والولد الملائكي يصرخ يائساً في سريره. عند ذلك، تبدأ خطوتها الأولى في (الإسعافات الأولية النفسية)، فتأخذ ولدها من مهده بصورة فورية؛ لتهدئته وتوضيح أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنّ الأب المسكين قد فقد رباطة جأشه فقط.

تنتقل الأم إلى الخطوة الثانية بعد أن يهدأ لامار، فتوضح للأب طريقة أفضل للتعامل مع هذه المعضلة في المستقبل، وتشير إلى أنه يجب عليه أن يشرح لولده السلوك الملائم، وأن يتمتع في الأوقات كلها عن توبيخ لامار؛ لأن العقاب ضار بمفهومه الذاتي، وسيجعل ولده يمتقه، وتذكر زوجها بحسنات التعزيز الإيجابي، فيستمع الأب بصبر وهو يجري الإسعافات الأولية الخاصة على أوراقه المبعثرة التي تغطي الأرض، يتساءل: لِمَ فقدت أعصابي؟ ويشعر بالسوء حيال إمكان إيذاء ولده، وهو عازم على المحاولة مرة أخرى، ويلجأ لاستخدام تعزيزاته الإيجابية

على الرغم من أنه ليس متأكداً من كيفية تطبيق هذا الأمر على الموقف الحالي، ولكن زوجته أخذت دروس الرعاية الأبوية وهي المثقفة في هذا المجال.

يحاول الأب مراراً وتكراراً، وفي كل مرة يبدو أنه يفقد السيطرة، وينتهي به المطاف بأذية مفهوم ولده الذاتي، فيعتقد أنّ النساء قد يكنّ أفضل في تربية الأطفال، ويتمنى لو يستطيع تأجيل اللعب مع لآمار، حتى يصبح الطفل بحجم يمكن التعامل معه، عندها يصبح بإمكانه القيام بوظيفته على نحو أفضل. ربما من الأفضل للأب لو عاد إلى الجامعة للحصول على درجة أخرى، أو لو كان بإمكانه تخصيص مزيد من الوقت لعمله في المساء، وإن عمل أيام السبت، فسيحسن ذلك بالتأكيد من فرص ترقيته، ما يترتب على ذلك جني مزيد من المال. وعلى المدى البعيد، سيتمكن من فعل مزيد لمصلحة ابنه.

استنتاج الأب: سأجتهد بالعمل، وسألعب مع لآمار عندما يكبر.

استنتاج الأم: أتمنى لو لم يتعيّن على زوجي العمل كثيراً، ولكنه لا يستطيع التعامل مع لآمار بصورة جيدة على أيّ حال، لذلك يمكنني في الأقل أن أعيد الولد إلى المسار الصحيح.

استنتاج لآمار: أبي منقطع عن المنزل، إنه يعمل، بالتأكيد لا أريد أن أكون مثله.

في هذا الوقت تقريباً، تسحب نعمة (الأب هو الغبي) إلى لحن (الأب هو الغول)، وتُعزف الأغنية كما كانت في المقطوعة الأولى.

### الطقس (الرابع): الأم هي فأرة المنزل

يبدأ الطقس الذي تكون فيه الأمهات هن الغيبات، والذي تتمخض عنه فتيات مراهقات متمردات، بعلاقة تأمرية بين الأب والبنات، إنه تحالف من نوع خاص، يجمع بين الأب وابنته الصغيرة الرائعة، ولكنه بطبيعته يضع الأم في دور أَل (ليست لامعة كفاية) أو بصورة أخرى (مُنطَفئة):

ليس الأب مضطراً إلى قول لا لابنته ليلاً خلال طفولتها، فلديها أسلوبها الخاص في تدويره كخاتم في إصبعها الصغير. تحترم الأم العلاقة، ولكنها لا تفهم تلك العلاقة من بدايتها، لم تفهمها بصورة واضحة، ولم تكن في الواقع جزءاً منها. ينطلق الأب وابنته يداً بيد متطلعين بدهشة إلى بعضهما بعضاً، ويتفق الجميع على أن ليلاً كاملة الأوصاف.

تأتي مرحلة ما قبل المراهقة، وتلاحظ الأم وجود معركة مأكرة- وأحياناً ليست بذلك الدهاء- بينها وبين ابنتها، لا تعلم على وجه اليقين السبب، ولكن لا يبدو أن ليلا تتقبل أي انتقاد منها وفي الواقع، إن قالت الأم (أسود)، تقول ليلا (أبيض)، وهلمّ جرّاً، وغالباً ما تلجأ ليلا إلى أبيها لأنها تواجه مشكلات مع أمها، فيتوسط بينهما وينجح، ويساعد ليلا على تحسين شعورها، في حين هي جالسة في حجره تتذمر من أمها التي أصبحت متسلطة جداً.

تدخل ليلا المدرسة المتوسطة، وتبدأ درجات النضج الجسدي بالظهور عليها، فيبدأ الأب فجأة بالقلق على ابنته الكاملة، ويتذكر مرحلة مراهقته بوضوح، حيث يكمن الخطر في ممرات المدرسة، وفي المراهيض، والحفلات المدرسية الراقصة، وحفلات ما قبل المراهقة.

لذلك، يبدأ الأب خطبته المسهبة في التحذيرات من السجائر، والكحول، والمخدرات، وبصورة أساسية الشباب. يجب عليه أن يحمي طفله المثالية من شروخ النمو والنضج، ولكن ليلا تسأل: ألا تثق بي؟ ويجب الأب إنه يثق بها، ولكنه غير واثق من الآخرين، ويقرر أن الوقت قد حان لوضع القواعد.

تعني القواعد (لا)، ولأنها لم تواجه بأي (لا) فظيعة من أبيها، فإنها تستغيث بوالدها، وتسألها إن كان والدها يمر بأزمة منتصف العمر أو بشيء من هذا القبيل، يمكن أن يكون الوالد بمحض المصادفة يمرّ حقاً بأزمة، ولكن الأهمّ من ذلك، تجد الأم فرصتها الأولى في بناء جسور التودد مع ابنتها، وتفترض أنهما قد أصبحتا متقاربتين لأن ليلا في مرحلة نضوج، والآن أصبح هناك تحالف جديد؛ الأم والبنت مقابل الأب، وبنجاح ذلك التحالف، تكون ليلا سعيدة، أما إذا فشل، فإنها تعود مرة أخرى إلى أبيها، فتتعلم ليلا اللعب على الحبلين جيئةً وذهاباً، وحتى إنها تعلم بصورة جيدة كيفية الحصول على الطلبات الخاصة من كل من والديها: الملايس، وحظر التجول، والإعفاءات من والدتها، والأنشطة الرياضية والسفر من والدها.

الآن، أصبحت ليلا في المدرسة الثانوية. والدها قلقان، وقد أدركا أنه قد حان الوقت لجبهة متحدة، يصبح الأب والأم الآن في الفريق نفسه، وتقف ليلا وحدها مقابلهما، فهما يقولان (لا) بصورة أكثر حاليّاً، ومهما كانت تلاعباتها متقنة، فإنها لا تستطيع تغيير آرائهما، فتشعر ليلا باليأس، وأنّ أياً منهما لم يعد يفهمها، فهي لا تستطيع حثهما على عمل الأشياء كلها التي ترغب في عملها، فتحتاج إلى مساعدة، وتتطلع إلى أقرانها، لتجد بعضاً منهم يعانون المشكلات نفسها مع أهليهم، فيساعدونها على فهم أنّ بعض الآباء هم كذلك وحسب، لدى

ليلا الآن فريقها المخصوص بها. ومعاً سيبرهنون بأنهم قادرون على التصدي للآباء، تجرب ليلا التدخين الذي انساق أصدقاؤها جميعهم نحوه.

أصبح الأب والأم قلقين بصورة فعلية الآن، فليلا ترافق الخاسرين، وقد وجدنا سجاثر في غرفتها، فكيف لهما الوثوق بها؟ تحاول الأم التحدث معها، ولكن ذلك بالكاد ينجح، ويحاول الأب أن يعبر عن مخاوفهما، فهذه طريقة أفضل قليلاً، ولكنها ليست فاعلة؛ لأن الأب يريد أن تقلع عن التدخين وأن تغير أصدقاءها، ولكنها لن تفعل. وتقول: إنه يتعين عليها أن تكون شخصاً متفرداً، ويجب على والديها التوقف عن التحكم فيها، لا يتفق والداها معها، فهما يعتقدان أن عليهما أن يكونا أكثر حزماً، فيقيمان حظر تجوال، ولكن ليلا تتسلل خارج البيت عبر النافذة، وهي الآن تدخن الحشيش.

اكتشف والداها الأمر؛ لأن الأم تقرأ مذكرات ليلا التي تتركها على طاولتها، وقد علما كذلك من المذكرات نفسها أن ليلا تكره والديها، إنها قليلة الاحترام للآخرين، وتستخدم لغة بذيئة، وتتجاهل قواعدهما، وقد انخفضت درجاتها التي كانت في السابق (أ) و (ب) إلى (د) و (و)، وأصبحت تغفل حصصها الصيفية، وتجادل والديها، وأكثر كلماتها تكراراً هي: توقفا عن محاولة التحكم في شؤوني. في الحقيقة لم يعد بإمكان والديها التحكم فيها، ولا يستطيعان فهم ما حدث للفتاة الحلوة الصغيرة التي يتذكران صغرها بكثير من الحنين.

أحضرها والداها إلى عيادة، ولكنها لم ترد المجيء، إنها تغمر نفسها إلى الأسفل في الكرسي، عاقدة العزم على أن المتخصص النفسي لن يساعدها، وتقول له بازدراء: «أمي غبية، ستعتقد أنها ولدت قبل مئة عام.»

وماذا عن أبيك؟

ليلا: إنه ليس أفضل منها بكثير.. ربما أفضل منها بقليل، كلاهما لا يعلم كيف يعيش، ولا أستطيع تحملهما في الواقع، إنني في شوق إلى اللحظة التي سأترك فيها المنزل، إنني أعدّ الأيام.

تشعر الفتاة المتمردة، التي امتلكت سلطة كبيرة في صغرها، التي شجعها والدها دون قصد على أن تتنافس مع والدتها، بالرفض وعدم الحب، وبالخروج عن السيطرة، إذ يمكن أن تسلك مثل هذه الفتيات طرقاً مختلفة، ولكنهن جميعهن يظهرن الحسّ نفسه بالعجز، العجز الذي يشعرن به بصورة أساسية بسبب الإفراط في إعطائهن السلطة بوصفهنّ أطفالاً. تقوم بعض هؤلاء الفتيات

بتهدئة مشاعر رفض الآباء لهنّ عبر أنماط من العلاقات الجنسية غير الشرعية، ويقلن بأنّ والديهم (ولاسيّما الآباء) لا يحبونهن، وبأنهن يجب أن يحظين بالحب. وعندما تكون فتاة كأولئك بين ذراعي رجل، فهي تعتقد بصورة غير صحيحة أنه يحبها، وأنه يشعر بالارتياح لها، ولكنه عندما يهجرها تشعر بالرفض وبالمرارة، وتستقبل بسهولة الدعوة الآتية التي تبدو شبيهة بالحب. تُعبّر فتيات أخريات عن التمرد بصمت. فالنهم، وفقدان الشهية العصبي، والاكتئاب، ومحاولات الانتحار هي طرق قوية للتعبير عن مشاعر فقدان السيطرة، فتترك هذه الأمراض الآباء شاعرين بالعجز، ويلوم كل منهما الآخر، إضافة إلى أنّها تجعل المراهقين، أو الراشدين اليافعين، متحكمين في آبائهم، ولكن ليس في أنفسهم. ستصبح غمزة العين بين الأب وابنته التي تجعل من الأم (فأرة المنزل)، لاحقاً تسبيلة عيون الابنة المراهقة لوالدها، وعندما يقول الأب لا، تشعر هذه الابنة بالرفض من الأم والأب معاً، ومن المحتمل أن تنتقل من صديق إلى آخر بحثاً عن الحب بوصفه بديلاً للرفض الذي تشعر به.

يلجأ بعض المراهقين المتمردين إلى العمّات، أو الخالات، أو الأعمام، أو الأخوال، أو الأجداد، أو آباء الأصدقاء، الذين سيقفون إلى جانبهم ضد آبائهم، وسيدخلونهم في ألعاب الغول والغبي، يمكن أن يتذمروا إلى الأقارب من أنّ آباءهم يحبون بعضهم بعضاً، ولا يحبونهم وسيبحثون مرة أخرى عن راحة وجود الوالد إلى جانبهم ضد والدتهم، ولكن في هذه المرحلة يكون كل من الأب والأم قد استسلما. يشعر الآن الراشدون الآخرون ذوو النية الحسنة بالأسى تجاه هؤلاء المراهقين، ويأخذونهم إلى بيوتهم، مساعدين لهم دون أن يقصدوا بذلك إقصاء المراهقين أحياناً عن آبائهم إلى الأبد.

### تركيبة من الطقوس

يمكن أن تحدث طقوس التخريب الأربعة كلها بصورة متزامنة في بعض العائلات التي يكون فيها الزوج والزوجة على خلاف شبه دائم. وعلى الرغم من إدراك الوالدين لمشكلات زواجهما الخاص، فإنهما لا يميزان في العادة آثار التخريب في أطفالهم. وعلى أي حال، سيعكس تحصيل الأطفال المدرسي وأنماطهم السلوكية الوالد الذي يتماثلان معه.

في العائلات التي يعيش أفرادها في خلافات دائمة، هناك رابحون وخاسرون، معتدون ومعتدون-سليبيون، وأحياناً إن كانت العائلة مولعة بالمشاحنات والعراك بصورة كبيرة، يكون الأطفال جميعهم خاسرين، على الرغم من إمكان تعبيرهم عن خسارتهم بأساليب متفاوتة.

ومثال العائلة التي يعيش أفرادها في خلافات مستمرة، التي يخسر فيها الأطفال من كلا الجنسين، هي التي تصبح فيها الطفلة المدللة الصغيرة (مدللة أبيها) ربييكا المتمردة، ويصبح الولد الذي يتماثل مع سلوك أمه العطوفة العدواني-السليبي بول السليبي. في العائلات التي يعيش أفرادها في خلافات مستمرة ولديها طفلان من الجنس نفسه، يأخذ أحد الأطفال بصورة نمطية دور أحد الوالدين، تاركاً للشقيق الآخر دور الوالد الآخر، وسيظهر أحد الأشقاء أكثر عدائية، في حين يظهر الطفل الآخر سلبياً أو بصورة محتملة أكثر عدوانياً - سلبياً.

وفيما يأتي بعض أمثلة الأشقاء:

يتماثل تريفور الابن الأكبر مع أمه، حيث لم يكن الأب موجوداً بكثرة في سنواته المبكرة؛ لأنه كان مهتماً ببناء مستقبله الوظيفي. أما جوردان، الابن الأصغر، فقد اختار الوالد بوصفه نموذجاً يقتدي به، وكان كل من جوردان والأب مجتهدين، وكان جوردان سعيداً بالخروج ومساعدة والده، في الوقت الذي فضل فيه تريفور المحمي من والدته، البقاء في الداخل للقراءة أو مشاهدة التلفاز. وفي الوقت الذي تداعى فيه الزواج، كان الولدان قد كبرا، وأصبح الأب إدارياً ناجحاً، وشعرت الأم بالتعاسة والرفض، وأصبح جوردان رجل أعمال ناجحاً، أما تريفور فترك المدرسة، ولم يستطع الاحتفاظ بوظيفة، وكان مكتئباً بشدة.

وفي عائلة ثانية، كانت فيليشا الابنة الكبرى مدللة والدها الصغيرة، وقد بدأت بوصفها طالبة ممتازة، وتمتعت بموهبة موسيقية. أما شيريس أختها الصغرى، فقد تماثلت مع الأم، وكانت طالبة ممتازة أيضاً، وتمتعت بموهبة موسيقية متساوية، أخذت فيليشا في مرحلة المراهقة نمط ربييكا المتمردة، فتدنت درجاتها، وخبا اهتمامها بالموسيقا، في حين استمرت شيريس بجهودها بوصفها طالبة ممتازة، وموسيقية بارعة. توفي الأب في هذه العائلة في حادث سير عندما كانت الفتيات في الجامعة، وقد استمرت الأم باستقلال ونجاح، وتأقلمت بصورة جيدة جداً مع الكارثة، عانت البنت الكبرى التي تماثلت مع أبيها حالات طلاق متعددة وتغيرات مهنية في الوقت الذي استمرت فيه البنت الصغرى بنجاح في علاقات أكثر ثباتاً ومهنة جيدة حسنة.

في العائلات التي فيها أطفال عدة، تصبح المماثلة مع الوالدين الصداميين أكثر تعقيداً حيث يجبر الأطفال على الانحياز لطرف ما بسبب وجود فريقين متناقضين، وعادة ما يعمم الأطفال، الذين يتقاتلون مع أحد الوالدين، المعركة لتشمل مقاتلة كل سلطة، ولما كان أسلوبهم المعتاد هو العراك، فلا يتركون المجال لأنفسهم لتحقيق جيد في المدرسة، ويشعرون في مرحلة ما، بوجوب اتخاذهم موقفاً صلباً معادياً للمدرسة وللسلطة. وعند هذه النقطة تحديداً، يبدأ تدني تحصيلهم.

أحد الأسباب الأساسية الكامنة وراء متلازمة تدني التحصيل، صراع السلطة داخل العائلة حيث ستؤثر درجة صراع السلطة وطرقه في أنماط التحصيل لدى الأطفال. ويمكن للمعلمين على الرغم من ذلك، أن يحدثوا فرقاً عند هؤلاء الأطفال، حتى لو كانت تلك الأنماط قد بدأت في المنزل.

ومن الجدير بالذكر، وجود أشياء في خطر أكثر من مجرد تدني درجات الأطفال الذين تعصف بهم طقوس الغول والغبي، فإن كانت الأم غاضبة باستمرار من الرجال، أو كانت تحاول أن تجعل من ابنها رجلاً أفضل من زوجها، فستعلم ابنها التنافس مع أبيه بصورة مكثفة، الأمر الذي من الممكن أن يقود إلى الاكتئاب والغضب وحتى العنف.

إضافة إلى ذلك، فبينما يحاول الصبي التفوق على والده في نظر والدته، وأن يصبح رجلاً في الوقت ذاته، وبخاصة في المراهقة، فقد يحوّل الغضب ضد والدته. وعلى الرغم من عدم تفهمه للغضب الشديد الذي يشعر به، فإن هذا الشيء مدمر بالتأكيد لوالدته، التي استثمرت نفسها من أجله بصورة مكثفة جداً.

فإن كان الأب غاضباً من تحكم زوجته، أو كان يتوسط العلاقة بين ابنته وزوجته، مخرباً سلطة زوجته، فسيشكل دون قصد مراهقاً قوياً، يمكن ألا يستطيع التحكم فيها بعد ذلك، أو حتى لا يستطيع إرشادها، سيصبح محبطاً، وستشعر ابنته بالرفض، وهنا يبدأ بحث الابنة عن علاقة حميمة وحصرية مع رجل يشبه بنمطها علاقتها مع أبيها، عندما تركت أمها من دون قصد خارج الصورة.

تذكر دائماً أنّ طقوس الغول والغبي عادة ما تحدث في العائلات جميعها. أما الأطفال الصغار، فتنشأ المشكلات فقط عند وجود نمط مستمر من هذه الطقوس. وعلى أي حال، يميل

الأشخاص اليافعون في مرحلة المراهقة إلى تحديد أدوارهم في طريقهم لسن الرشد، وحتى وقوع حادثة واحدة فقط من التخريب، من قبل أحد الوالدين، فستشجعهم على اختيار الوالد الآخر بغير احترام، حيث يتطلب الأمر قليلاً من تخريب الوالدين لدفع المراهق نحو السلوك الصدامي الجريء، الذي يمكن أن يصبح صعب التوجيه لاحقاً.

وسواء كانت النتيجة تدني التحصيل، أو الغضب أو الاختلاط، فقد يقود البحث عن سلطة مفرطة إلى الكحول والمخدرات، التي ستعطي مستخدمها شعوراً مؤقتاً بالسلطة.

عندما يتعلم الرجال والنساء في مجتمعنا تقدير اختلافاتهم بطرق إيجابية، وعندما لا يكون الأبوان في حالة حرب مع بعضهما، سيكون هنالك مزيد من التحصيل، وأطفال لائقون عقلياً.

قبل أن تقرأ الفصل (الرابع) اسأل نفسك الأسئلة الآتية عن الاعتمادية والهيمنة: (إن كنت معلماً، فاقراً (هذا الطالب) بدلاً من (طفلي))

1. هل يبدو أنّ الأطفال الآخرين يسعون الى مضايقة طفلي؟
  2. هل الأم أو الأب في عائلة هذا الطفل مفرطان في الحماية؟
  3. هل يحتاج طفلي إلى كثير من المساعدة الأبوية عند قيامه بواجباته المنزلية؟
  4. هل يلعب طفلي غالباً دور مهرج الصف؟
  5. هل يبكي طفلي، أو ينتحب، أو يتذمر بكثرة؟
- ضع نقطة واحدة لكل إجابة ب (نعم). النتائج مفسرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط :

- (4 - 5) يمتلك طفلي مشكلات اعتمادية خطيرة جداً.
- (2 - 3) يمتلك طفلي مشكلات اعتمادية خطيرة إلى حد ما.
- (1) يمتلك طفلي مشكلات اعتمادية ثانوية.
- (0) لا يمتلك طفلي مشكلات اعتمادية.

6. هل يتباهى طفلي كثيراً عندما يقوم بعمل شيء ما بصورة جيدة؟
  7. هل يعصي طفلي عادة أمه أو أباه أو معلمه؟
  8. هل يلوم طفلي الآخرين أو يجد أعداءاً؟
  9. هل يقنع طفلي غالباً أحد الأبوين أو معلماً لتغيير رأيه؟
  10. هل يجعل أحد الأبوين (أو معلماً) يقول نعم بعد أن قال الآخر لا؟
- ضع نقطة واحدة لكل إجابة ب (نعم). النتائج مفسرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط :

- (4 - 5) يمتلك طفلي مشكلات هيمنة خطيرة جداً.
- (2 - 3) يمتلك طفلي مشكلات هيمنة خطيرة إلى حد ما.
- (1) يمتلك طفلي مشكلات هيمنة ثانوية.
- (0) لا يمتلك طفلي مشكلات هيمنة.





## الفصل الرابع

### الاعتمادية والهيمنة

قليلاً ما يكون الأبوان متخصصين معتمدين في تربية الأطفال، إذ يمكن أن يتأثر إطار عملهما في تربية الأطفال بمعلومات يجدونها في الكتب، أو المقالات، أو الإنترنت، أو في دروس الرعاية الأبوية، ولكن التأثير الأكبر سيكون تقييمهم لكيفية تربيتهم هم من قبل آبائهم.

وبحلول الوقت، تملكهما الرهبة بوصفهما والدين للمخلوق الرائع الذي أنجباه، وقد يكونان قد أمضيا مسبقاً عدداً لا يحصى من الساعات في تدارس كيفية رعاية طفلهما. وبينما تراجع أنت وشريكك / شريكك طفولتيكما الذاتية، يمكن أن تخلصا إلى أنها كانت في الواقع جيدة، وأنكما ترغبان في توفير بيئة عائلية مشابهة لأطفالكما. على أي حال، إن كنت أنت أو شريكك / شريكك تظنان أن طفولتكما كانت غير ملائمة، فستتدارسان، بلا ريب، بصورة مطولة الأساليب المختلفة التي يمكن لكما أن تكونا بها والدين أفضل، والتي ستساعد على تجنيب أطفالكما تجارب الشعور بالضعف، وعدم الأهلية الجارحة التي يمكن أن تكونا قد اختبرتماها.

أحياناً، تناقش أفكارك مع الوالد الآخر، وفي أغلب الأحيان، تفكر في خطتك التي وضعتها لأطفالك وحدك. وبينما تفكر ملياً بسنواتك المبكرة، وتسقط تجاربك العاطفية على حياة المولود الموجود بين يديك، تأمل أنك ستتمكن من (فعلها بصورة جيدة) مع هذا الطفل الذي تشعر تجاهه بحب والتزام عظيمين، تشعر بأنك جزء لا يتجزأ من هذا الطفل الذي أنجبته.

## المماثلة المغايرة

تعرف العملية التي تقوم خلالها بالتماثل مع أطفالك أو برؤية نفسك فيهم بالمماثلة المغايرة، يبدو أن لهذه المماثلة وقعاً إيجابياً وآخر سلبياً على تحصيل أطفالك. فعندما تماثل بصورة معاكسة مع أطفالك، فإنك تستثمر نفسك في أنشطتهم، وتشارك بتعاطف في جهودهم ونجاحاتهم وإخفاقاتهم، وتأتي احتمالية المساهمة الإيجابية في تحصيل أطفالك بصورة أساسية من استثمارك للوقت، ومشاركتك للمهارات.

وفي دراسة نمطية عن سمات الطفولة لدى الرياضيين، والرسمين، والسباحين الموهوبين، أشار هؤلاء الأفراد إلى قيام أحد الوالدين أو كليهما في بعض الأحيان بتوفير نموذج مبكر ومؤثر<sup>1</sup>، إضافة إلى أنه من المعقول القول بأنه بالنسبة إلى الأفراد موضع الدراسة، وجدت درجة عالية من المماثلة المغايرة من قبل الوالدين.

مثال آخر مألوف على المماثلة المغايرة، ولكنه أقل إيجابية: الأب الصاحب الذي يجادل الحكم في مباراة البيسبول لبطولة الصغار كما لو أنه هو الذي أخرج من اللعبة بصورة غير عادلة، ومثال آخر أيضاً: الأم التي تعضب بصورة غير اعتيادية عندما تخسر ابنتها صديقها الأول، ويبدو الأمر كما لو أن الأم كانت تختبر نبتها وألمها الشخصي.

يمائل معظم الآباء مع طفل واحد في الأقل من أطفالهم. وبذلك، لا تسبب هذه العملية في حد ذاتها أي مشكلات، ولكن عندما تدفع المماثلة المغايرة الأبوين إلى عمل كثير لأطفالهم؛ إلى الحد الذي لا يعطى معه أولئك الأطفال الاستقلال الكافي ليطوروا من روح المبادرة الذاتية بهم أو عندما يبدأ الوالدان بإعطاء أطفالهم كثيراً من السلطة، حتى يشعر الأطفال بأنه يجب عليهم دائماً السيطرة والإمساك بزمام الأمور، عندها تصبح المماثلة المغايرة أكثر احتمالية؛ لأنها تؤدي إلى متلازمة تدني التحصيل.

هنالك طيف عريض من الأساليب التي يمكن للوالدين من خلالها رعاية الاستقلال المناسب لدى الأطفال، وعليهم فقط تجنب النواحي المتطرفة. وعلى أي حال، عندما يتأمل الوالدان تقنيات التربية التي استخدمت في تربيتهم عندما كانوا أطفالاً، فقد يستنتجون بصورة غير صحيحة أنهم إذا ربوا أطفالهم بصورة مغايرة تماماً للطريقة التي اتبعها والداهم، عندها سيكون الأطفال أكثر سعادة مما كانوا هم عليه. لذلك، يمكن للأبوين في خضم محاولاتهم لتربية أطفالهم بصورة

مختلفة أن يخطئاً بالجنوح بعيداً في الاتجاه المعاكس. على سبيل المثال، غالباً ما يصرّ الآباء الذين ترعرعوا بقليل من الممتلكات المادية على إعطاء أطفالهم كل شيء، ويحصلون على متعة بديلة من خلال إمطار أطفالهم بالألعاب والملابس. وإذا تربّى الوالدان بانضباط شديد فيمكن أن يبالغوا في توفير مزيد من الحرية لأطفالهم. وإن اعتقد الوالدان أنهما تلقياً عدداً ضئيلاً من الإطراءات من آبائهم، فيمكن أن يبذروا في الإشادة بأطفالهم؛ من أجل أن يبنوا ثقة قوية بأنفسهم. وتستمر القائمة، ولكن في كل حالة يسبب الوالدان اللذان يجنحان بعيداً في الاتجاه المعاكس، بدلاً من استخدامهما لتقنيات تربية معتدلة، مشكلات لأطفالهما.

إضافة إلى ذلك، يتذكر الآباء بوجه عام قليلاً عن كيفية تربيتهم عندما كانوا صغاراً، وفي الحقيقة ما يتذكرونه في الغالب هو مرحلة مراهقتهم، ويمكن ألا تكون تلك هي الحقبة المثلى للتذكر عندما يرشدون أطفالهم الصغار.

أحياناً، يقود الآباء الذين يماثلون بصورة مغايرة، أطفالهم بأساليب تشبع أمنيات طفولتهم الذاتية. على سبيل المثال: ربما تعقد الأم الموهوبة المتخصصة في مجال الموسيقى، التي لم تتمكن مطلقاً من تحقيق مهنتها في الموسيقى، العزم على مساعدة ابنتها على تطوير مواهبها الموسيقية، بغض النظر عن قدرات الطفلة ومواهبها. ويرى المهندس الذي يتمنى لو كان لاعب كرة قدم، ويتذكر باعتزاز أيام لعبه لكرة القدم في المدرسة الثانوية، مواهب ابنه مبكراً، ويشجعه على التدريب ليصبح لاعب كرة قدم محترفاً.

يمكن لهذه المماثلات المغايرة أن توفر إرشاداً إيجابياً، إن لم يضغط أولئك الآباء على أطفالهم كثيراً، وإن لم يقوموا بفعل كثير لهم. على أي حال، يمكن للضغط الكبير أن يسبب مشكلات تدني التحصيل عند الأطفال، ومن الممكن أن يساعدك فهم أساليب المماثلة المغايرة التي تسبب المشكلات للأطفال، على تعديل تقنيات الرعاية الأبوية خاصتك بصورة لائقة.

## تعزير الاعتمادية

عندما تشجع المماثلة المغايرة الآباء على فعل كثير لأبنائهم، فإنها تعزز الاعتمادية، حيث يمكن وصف الاعتمادية الناتجة عن المماثلة المغايرة في ثلاثة حالات (سيناريوهات)، أطلق على الأول منها (الأمومة الخائفة):

أمي طفلة موهوبة في الفنون، تخصصت أمها في الفنون في الجامعة، وكانت موهوبة جداً كذلك، ولكنها قررت أن تتزوج، وتحظى بعائلة بدلاً من التخرج في الجامعة. أمدت الأم ابنتها بكثير من مستلزمات الفنون، وبمنذجة إيجابية وفيرة، حتى عندما كانت في مرحلة ما قبل المدرسة. لقد ألحقت أمي بصنوف تعليم الفنون لمرحلة ما قبل المدرسة في المتحف المحلي، وأعجبت بموهبتها بمجرد أن ظهرت إلى العيان، التي كانت بالنسبة إلى الأم منذ استطاعت أمي الإمساك بالقلم الشمعي.

أمي متحمسة لفنها وفخورة بموهبتها، وقد بدأت بربح مسابقات الفنون المدرسية، ما أبهج الأم والبنات. إنهما تعملان معاً لكل مسابقة، حيث تشارك الأم بابتهاج أفكاراً واقتراحات تدمجها أمي بحماس في أعمالها الفنية، وكلما فازت أمي بمزيد من المسابقات شعرت بضغط أكبر للفوز، وتستمتع الأم التي تتماثل بصورة معاكسة مع أمجاد ابنتها تماماً، وتسقط آمانياتها غير المشبعة بمهنة فنية على أمي.

تصنع تجربة الانتصار ضغطاً قوياً على أمي؛ لتستمر في التفوق، ولتكتسب الاعتراف والتقدير حتى دون وجود ضغط خارجي من الأم. وفي حين تتوقع الأم والمعلمات مستقبلاً عظيماً لأمي تشعر هي بمزيد من الضغط لتكون استثنائية، وتحاول الأم ألا تضع ضغطاً عليها؛ لأنها تتعاطف مع مشاعرها بالإجهاد، وتساعد أمي في أعمالها الفنية، ولكن في النهاية تبدأ أمي بالقلق تجاه عدم تمكنها من الفوز بمسابقات الفنون دون أفكار والدتها ومساعدتها، والآن هي في وضع مضطرب لأتحسد عليه.

توضح أمي لأمها أنه يجب عليها عمل هذه الرسمة بمفردها؛ لأن المسابقة الآتية مهمة، هي مستعدة للبدء، ولكنها تبدو أنها لا تستطيع التفكير في فكرة جيدة، وتحاول لأيام عدة، دون أن يتمخض تفكيرها عن شيء سوى ذلك الخوف الرابك من أنها لا تستطيع توليد أي أفكار دون

والدتها. تحاول الأم عدم التدخل، ولكنها الأخرى قلقة. ولأن أمي لم تبدأ عملها بعد، فتخلص الأم إلى أنه يتعيّن عليها إعطاء ابنتها بعض التلميحات؛ لتستطيع بعد ذلك إكمال العمل الفني بمفردها، فنتقبل الابنة التلميحات، وتتظاهر لنفسها بأن الأفكار هي على نحو كبير أفكارها الذاتية، وتعمل على لوحاتها لوهلة. لكنّ هنالك شيئاً ما غير صحيح، ربما تستطيع الوالدة المساعدة بتقديم بعض الاقتراحات. تقدم الأم تلك الاقتراحات، فتشعر أمي الآن بالرضا الكبير عن لوحاتها، وتدخل بها المسابقة. يا للسعادة! جائزة أولى أخرى لأمي (وأمها). وعلى أيّ حال، أمي ليست متأكدة هذه المرة أم والدتها من استحققت الجائزة الأولى؟

في المنافسات الآتية، تصبح أمي أكثر تردداً واعتمادية على اقتراحات أمها، وأقل ثقة بقدراتها، وحتى أقل إبداعاً، لقد أصبحت تقنية موهوبة، ولكن ليست فنانة مبدعة.

تدني تحصيلي؟ نعم، قادت المماثلة المغايرة للأم مع أمي إلى أن تفعل كثيراً لابنتها. وفي خضم هذه العملية، سرقت الأم من أمي ثققتها وإبداعها، ولا تستطيع أي منهما أن تفهم سبب عدم تطور موهبة أمي المبكرة، ما وراء مجرد قدرة فنية آلية، وسبب افتقار أمي للثقة بنفسها على الرغم من تلك الموهبة.

يمكن أن يُطلق على الحالة (السيناريو) الثانية (الأبوة المزعجة):

لا شك أنّ جيفري موهوب فكرياً، فدرجة ذكائه في حدود (150)، تمكن من القراءة قبل دخوله المدرسة، وفهم الكسور والنظام العشري بحلول الصف الثاني، وعلى الرغم من خطه غير المتقن، فإنه استحق درجات (أ)، ولكن لغاية الصف الرابع فقط.

حدث تغيير في الصف الخامس، لم يعرف جيفري ماذا حدث، ولكنه عرف أنّ العمل المدرسي أصبح أكثر صعوبة، والخط كذلك أصبح أكثر سوءاً، ووقع أحياناً في بعض الأخطاء وأحياناً أخرى حصل على درجة (ب) فقط. لذا، قرر ألاّ يصطحب أوراق (ب) معه إلى المنزل، وبذلك كان والداه فخوريين بدرجاته لأنّها كلّها من فئة (أ).

ظن جيفري أنه إن استطاع العمل بصورة بطيئة، فسيتمكن من إنجاز عمل بصورة مكتملة لا سيّما في الرياضيات، وقد بدا له أنه يقع في كثير من الأخطاء المتهورة. لذلك، أبطأ من وتيرته إلى درجة لم يعد بإمكانه إكمال المهمّات الموكلة إليه في المدرسة، وكان عليه أن يحضر أوراقه إلى المنزل بوصفها واجبات منزلية.

وفي أحد الأيام، لم يتمكن من فهم درس الرياضيات على الإطلاق؛ فطلب إلى والده توضيحه له، كان الأب مهندساً، وشرح المادة لابنه بسرعة. اعتقد جيفري أنه فهم، ولكنه لم يكن تام التأكيد من ذلك، وأراد أن يكون واثقاً، حتى ينجز واجبه المنزلي بالصورة الصحيحة. فشرح الأب الدرس مرة أخرى، ولكن هذه المرة جلس مع جيفري، وقاما بعمل واجب الرياضيات معاً كان الأب صبوراً وحنوناً، وعمل جيفري واجباته كلها، وتشارك مع أبيه شعوراً جميلاً بالرفقة. في الليلة الآتية، أحضر جيفري مزيداً من الواجبات إلى البيت، وقضى مع أبيه وقتاً أطول. عمل جيفري ببطء وبدقة، وقد وجد مجارة زملائه في الصف تصعب أكثر فأكثر، على الرغم من أن درجاته بقيت في الغالب (أ)، أمضى الأب مزيداً ومزيداً من الوقت في مساعدة جيفري فإن صبره بدأ بالنفاد؛ وبدأ القلق.

قطعاً، لم يرغب الأب بأن يأتي ابنه العبقري إلى المنزل بمزيد من الدرجات السيئة، ولم يستطع فهم سبب بطء جيفري الشديد، واحتياجه لكل هذه المساعدة. أمّا جيفري، فقد أصبح الأمر الذي بدا رفقاً جميلة لوالده، دعامة تعلم يتكئ عليها، دعامة يصعب عليه أن يتخلى عنها. لم تظهر متلازمة التحصيل الخاصة بجيفري على الشهادة المدرسية، ولكن الأب حسن النية قد زاد من اعتمادية جيفري، وافتقاره للثقة بنفسه ليلة بعد أخرى.

كان جيف لامعاً بصورة استثنائية، وقد استلزم الأمر بعض الجهد للحدّ من أنماط تدني تحصيله الاعتمادي، لكن هذا الأمر يبقى نمطياً في الأحوال كلها.

يبدأ الآباء الذين ينجزون واجبات أطفالهم المنزلية نمطاً اعتمادياً، يصعب السيطرة عليه. والغريب في الأمر، أن أنماط الاعتمادية غالباً ما تبدأ في الصفوف الابتدائية، بناءً على نصيحة المعلمين ذوي النية الحسنة، الذين يحذرون الآباء في اجتماع مبكر، من انحدار تحصيل أطفالهم بصورة مقلقة. لذلك، يحتاجون إلى المساعدة وإنجاز واجباتهم المنزلية، وسرعان ما يكتشف الأطفال أن أي عمل لا يكملونه في المدرسة، يمكن إحضاره إلى البيت، حيث سيعطيهم الأب أو الأم انتباهه ومساعدته غير المنقطعين.

يأتي مزيد من العمل إلى البيت، ويمضي الآباء مزيداً من الوقت مع الأطفال، ويغضب الأب من الأم أحياناً؛ لأنه أو لأنها تقضي كثيراً من الوقت مع الواجبات المنزلية، ويتجادل الأب والأم على ما إذا كان الأطفال في حاجة فعلية إلى هذه المساعدة كلها، ويصرّ الأطفال على أنهم لا

يستطيعون فهم واجباتهم، ولن يكتبوا أي حرف أو رقم دون إشراف الأم اللطيف. أمّا في المدرسة فيصنف مثل هؤلاء الأطفال بغير القادرين على التعلم؛ لأن تحصيلهم أدنى مما يمكن لهم تحقيقه بناءً على نتائج اختبارات ذكائهم، ولأنهم يعملون بفاعلية فقط في العلاقات المباشرة (واحد إلى واحد). وفيما يلي مثال لحالة أخرى:

خلال جلسات العلاج، يطلب جاميل الطالب في الصف الثالث، المساعدة في كل كلمة تقريباً في أثناء قراءة اختبار الشخصية. أوضحت له المعالجة بأنها ستذهب لتشرب كوب قهوة، وفي أثناء ذلك، يتعمّن عليه كتابة الكلمات التي لم يستطع معرفتها، فوجدت عند عودتها بعد خمس دقائق، أنّ جاميل أكمل القائمة دون أن يكتب كلمة واحدة، وقال: إنّه استنبط الكلمات جميعها. خلال عملية عكس اعتمادية جاميل في إنجاز الواجبات المنزلية، احتاجت الأم إلى الجلوس بصبر في الطابق السفلي مستمعة للولد يبكي من غرفته مدة أسبوع كامل؛ طلباً للمساعدة قبل أن يوافق على عمل واجباته المنزلية بنفسه، والآن لا يعمل جاميل واجباته المنزلية وحده فحسب، بل يحضر كمّاً أقل من الواجبات إلى المنزل؛ لأنه يكمل معظم واجباته في الغرفة الصّفيّة.

ينجز معظم الأطفال الاعتماديين الذين يركنون إلى أمهاتهم واجباتهم المنزلية في المطبخ حيث تحوم الأم حول مسائل الرياضيات المخصوصة بطفلها، في أثناء تحريك الحساء، في حين من المحتمل أن تكون الأماكن الاعتمادية على الأب في الواجبات المنزلية في غرفة المعيشة، في مكان لا يبعد كثيراً عن التلفاز.

سنطلق على الحالة (السيناريو) الثالثة (الطفل المسكين)، الذي يمثل الحالة الأكثر تطرفاً في الاعتمادية.

الأطفال الذين تغسل أمهاتهم شعرهم وهم في الصف الثامن، وتساعدهم على الاستحمام وهم في الصف السادس، وتهدهدهم وهم في الصف الأول؛ لأن الأم تخاف أن تجعلهم المدرسة متوترين وقلقين، هؤلاء هم الأطفال المفرط في حمايتهم. تلتقط ملابسهم المتسخة عن الأرض وتغسل ثم توضع مرتبة في خزائن ملابسهم، وكأن الأمر حصل بصورة سحرية. يأتون من المدرسة متذمرين من اليوم العصيب الذي مرّ بهم، ومن الأطفال اللثيمين معهم، ومن المعلم غير العادل، أو المدير الذي يتقصد مضايقتهم. وبعد انتهاء وصفهم للمشكلات، والذي غالباً ما

يكون معزراً بالحلوى، يستمرون لمشاهدة التلفاز، حيث يشرحون لوالدهم أنّ عليهم الاسترخاء من اليوم العصب في المدرسة. إنهم أكثر تعباً من أن يتمكنوا من عمل واجباتهم المنزلية ولا يستطيعون كذلك المساعدة على غسل الأطباق؛ لأنهم عملوا بكد طوال اليوم، إنهم يتهدون تنهيدة الراحة بعد جهد مدته خمس دقائق من أي عمل كان.

يربك هؤلاء الأطفال آباءهم ومعلميهم، بأعراض التوتر الحقيقية التي تظهر عليهم: التبول في الفراش، وقضم الأظافر، والتثاؤب المتكرر، والتنهيد، واللهاث، وأوجاع المعدة، وأوجاع الرأس، والدموع، فيسأل الآباء والمعلمون أنفسهم باستمرار أيضاً على هؤلاء الأطفال بصورة كبيرة؟ أو إن كانوا يتوقعون ما لا يستطيعون. ولكن ما يحدث في الواقع، أنّ كثيراً قد فعل هؤلاء الأطفال إلى درجة لم يختبروا معها أي مجهود حقيقي (الأعمال كلها تبدو صعبة على الأطفال الذين لم يتعلموا القيام حتى بأبسط المهمات وحدهم). لم يتعلم هؤلاء الأطفال السرور المنبعث من استثمار الطاقة في نشاط ما. إضافة إلى ذلك، فهم دائمو القلق من فشلهم، ومن إنجاز حتى المهمات البسيطة، التي يبدو أنّ أقرانهم قادرون على فعلها؛ لأن الأعمال جميعها تبدو صعبة في نظرهم.

إنّ القلق من عدم القدرة على القيام بمهمة ما يستبدل المهمة نفسها. وبناءً على ذلك تظهر أعراض التوتر. يساعد قانون رم الخامس: - يشعر الأطفال بتوتر عند قلقهم على العمل الذي يقومون به، أكثر من التوتر الناتج عن قيامهم بالعمل نفسه- الآباء على فهم أسباب تلك الأعراض من التوتر.

واحد من أمثلي المفضلة هو تجربتي الخاصة في الطفولة، عندما كنت أقف أمام مغسلة المطبخ ناظرة إلى كومة الأطباق المتسخة التي تحتاج إلى غسل، (لن أتمكن أبداً من الانتهاء) فكرت، وتذمرت لوالدي من المهمة المهولة القادمة، تجاهلت والدي تدمري وقالت ببساطة: (اغسليها)، فعلت ولكن المهمة بدت غير منتهية أول مرة، وبحلول المرة العاشرة تساءلت لم تدمرت في البداية؟ فقد كانت مدة المهمة عشر دقائق، تخيل لو شعرت أمي بالأسى تجاهي وغسلت هي الأطباق!

يعي الأطفال الاعتماديون أنهم لا يواكبون أقرانهم في الغرفة الصقيّة، إضافة إلى أنّهم لا يمتلكون الثقة لإكمال العمل المدرسي دون مساعدة، الأمر الذي يسبب التوتر، ولكنّ أعراضه

تختفي عندما يستغرقون فعلياً بالمهمّة. يمكن لأيّ راشد أن يتعاطف مع شعور الدهشة عندما يواجه بمهمّات متعددة، ولكننا نعلم أنّ تلك المشاعر ستختفي عندما نبدأ بإنجاز تلك المهمّات.

يسعى الأطفال الاعتماديون باستمرار إلى الاهتمام، والتوجيه، والمساعدة، والدعم، والحب. وينظر المعلمون إلى هذه الأعراض بوصفها مؤشّرات على نقص الحب، والاهتمام، والتقبل في البيت. ومن الممكن أن يطلبوا من الآباء أن: (أ) عدم ممارسة ضغط على هؤلاء الأطفال، (ب) التأكيد من إعطائهم مزيداً من العطف والحب، وهذا بالضبط هو التواصل غير الصحيح مع ما يعطى للآباء الذين يمارسون ضغطاً متواضعاً على أولئك الأطفال، وجادوا عليهم بالحب والعطف.

لقد أعطانا الإرث الفرويدي التصرّو بأنّ أعراض الاعتمادية هذه من عدم الأمان والتوتر تمثل الحرمان، لكنها تشير في الحقيقة إلى فائض من الاهتمام والمساعدة، وهذا ما أعنيه بقانون رم السابع: (غالباً ما يسبب الحرمان والوفرة الأعراض نفسها)، فغالباً ما يدمن هؤلاء الأطفال الاعتماديون العطف والاهتمام والحب، ويطلبون مزيداً من الاهتمام باستمرار على الرغم من أنهم يأخذون كثيراً منه في الغرفة الصفيّة وفي المنزل، وهذه المفارقة تجعل من الصعب على المعلمين والآباء تحديد طرق فاعلة لمماثلة هؤلاء الأطفال وعلاجهم.

## تعزير الهيمنة

يمكن أن يخطئ الراشدون المماثلون بصورة معاكسة، الذين يشعرون بأنّ آباءهم لم يمنحهم الحرية الكافية، بإعطاء أطفالهم حرية وسيطرة بصورة زائدة عن الحد، حيث يفترض هؤلاء الآباء وجود ميزة فطرية متأصلة في أطفالهم ستثير لهم الدرب، ويؤمنون بأنهم إن منحوا أطفالهم الحرية الكافية، فإنّهم سيستشعرون بطريقة ما توجههم الخاص. إضافة إلى ما سبق يرى أولئك الآباء أنّ دورهم هو التيسير، أو السماح بالنمو المستقل المناسب. وزيادة على ذلك يعدّون أنفسهم عطوفين ومهتمين وحساسين. وعندما يأتي إليهم أطفالهم طلباً للإرشاد أو التوجيه، يخبرونهم باتخاذ خياراتهم الخاصة. وبدلاً من القيادة، يتبع هؤلاء الآباء اتجاه أطفالهم وعندما يخالف أولئك الأطفال القواعد التي وضعها آباؤهم ليحددوا أيّ التصرفات مسموح به وأيها غير

مسموح به، لا يجدون حدوداً فاصلة واضحة، بل على العكس من ذلك، فإنَّ الحدود تتفاوت اعتماداً على القدرة التلاعبية للأطفال، وعلى المزاج المحدد لوالد بعينه. وكذلك يمكن أن يعطى الأطفال الرسالة القائلة: (كونوا مبدعين) والتي يحولونها إلى: (كونوا مختلفين).

ومن الممكن أن يفترض هؤلاء الأطفال في البيئة المدرسية، بأنه لا يتعيّن عليهم فعل ما يطلبه المعلمون إن لم يجدوا إثارة كافية في ذلك الأمر؛ فهم يتوقعون القيام بالاختيارات كلها. لقد أصبح هؤلاء الأطفال معتادين كثيراً التحكم في آبائهم، بحيث أصبح التحكم في الأقران والآخريين أسلوبهم المعتاد عند التعامل معهم، وغالباً ما تسبب عادة التحكم، أو الهيمنة المتطرفة مشكلات سلوكية وتعليمية للأطفال، وأحياناً يوجد خط رفيع يفصل بين التحكم المشكل المسمى الرغبة بالسيطرة أو القهرية، أو التنافسية، أو التمر، من جهة والصور الأكثر إيجابية من الهيمنة المعروفة بالاستقلال، والقيادة، والدهاء السياسي، والإبداع. سوف توضح بعض دراسات الحالة كيف أن المماثلة المغايرة تسبب درجات من مشكلة الهيمنة:

أت سونورا ذات الأعوام الثلاثة ونصف إلى عيادة الإنجاز العائلي؛ فقد طلب إلى والديها ألا تعود إلى أي مركز مينتوسوري لمرحلة ما قبل المدرسة؛ لأنها تعاني نوبات غضب عارمة، عندما لا يسمح لها بفعل ما تريد، وهذه النوبات تحدث في المنزل أيضاً، ولاسيما عندما كانت أمها ترفع من صوتها لتعنيفها. توضح الأم بأن سونورا كانت دائماً لامعة جداً إلى درجة أنّها تناقش قضايا مع والدها كما لو كانت راشدة، وقد وصف الأب إشارة يعطيها لزوجته؛ كي تهدأ إن رفعت صوتها على سونورا.

ولأن سونورا طفلة لامعة جداً، فمن السهل الوقوع بخطأ إعطائها سلطة الراشدين بصورة مبكرة، أمسكت سونورا بزمام الأمور في المنزل، وعمّمت حاجتها لتكون محور المنصة وفي موقع المسؤولية إلى غرفتها الصّغرى في مركز ما قبل المدرسة.

في حالة سونورا، قادت مماثلة أمها المغايرة إلى أن تستخدم الأم أسلوب الراشدين الحوارية مع سونورا بصورة مبكرة جداً، واتخذت سونورا ذلك الأسلوب ببساطة، وقد بالغ الأب في إمدادها بالقوة بإشارته إلى زوجته بأن تلتين من تعاملها مع ابنتها، على الرغم من أنّ كل ما أراداه هو تقديم المساعدة. هذه الإشارة الصغيرة منحت سونورا السلطة على والديها. ولحسن الحظ كان من السهل عكس مثل هذا النوع من المشكلات لدى الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة بصورة دراماتيكية، من خلال تعليم الآباء كيف يدعمان بعضهما بعضاً، إضافة إلى كيفية وضع

حدود متناسقة، وبعد أن بدأ والدا سونورا باستخدام هذه التقنيات، أصبحت سونورا طفلة مريحة ومأمونة.

يمكن أن يتماثل الآباء المبدعون، الذين كانوا محبطين من تجربتهم المدرسية، بصورة معاكسة مع أبنائهم، مفرطين في إعطائهم السلطة باسم الإبداع، فهم يقدرون ويكافئون أطفالهم على أفكارهم واسعة الخيال والأنواع المختلفة لتفكيرهم، وسلوكهم الاستقصائي، ويوجه عام على طرائقهم غير المألوفة في التصرف، ويلفتون الانتباه بفخر إلى أن أطفالهم يسرون على إيقاع مختلف. ولأن الإبداع ميزة إيجابية يجب صقلها، فلن يظهر هذا الأمر على أنه يسبب أي صعاب، ولكنه من الممكن أن يكون؛ لأن هؤلاء الأطفال يعقدون العزم على القيام بالأعمال الإبداعية في الغرفة الصفية فقط، ويستخدمون الإبداع بوصفه عذراً لاختيار العمل الذي يفضلونه فقط. على سبيل المثال، سيكتب كريس المبدع قصصه ومسرحياته الخاصة، وسيشارك في التمثيل وسيجرب في الرياضيات والعلوم، ولكنه سيرفض القيام بأي كتاب أنشطة، أو تدريب، أو عمل متعلق بالذاكرة، وسيصر على أنه من غير العقلاني القيام بمثل تلك الأعمال الفارغة المملة، وغير الهادفة.

عندما وضع طالب الصف الأول كريس يديه في وعاء كبير من المعجون؛ ليتحقق من مفهوم الإزاحة، غضب معلمه من تصرفه الفوضوي، فيجادل كريس بأن المعلم يحول دون تجاربه، وتجادل الأم المعلم ليقدر استكشافاته الإبداعية.

يصر طالب الصف الرابع كريس، على أنه لا يرى أي سبب لتعلم حقائق الرياضيات؛ لأنه اختار مسبقاً مهنته بوصفه رجل إطفاء، وكل ما يحتاج إليه هو تعلم كيمياء إخماد الحرائق فقط.

تجادل طالبة الصف السادس كريستين، بأنها ليست قلقة حيال درجة (و) التي حصلت عليها في العلوم؛ لأنها حصلت على درجة (أ) في الموسيقى، وذلك هو اختيارها المهني. وعندما يطرح الراشدون سؤال الاستعداد للمهن الأخرى، ويشيرون إلى تنافسية الأداء المهني، تجادل كريستين بأنها ستعمل بجد في الموسيقى. وإن عمل أي شخص بجد كافٍ في أي حقل، فإن النجاح حليفه الأكيد.

تدعي طالبة الصف العاشر كريستين بأنها لم تعد تقيس مدى نجاحها بالدرجات، لكنها الآن تضع المهارات الاجتماعية في صدارة أولوياتها، ولأنها تنوي النجاح في حياتها الاجتماعية

فقد قررت نقل إبداعها إلى ذلك المجال، وبالتأكيد لاقت نجاحاً كبيراً، فهي ترتدي أكثر الملابس غرابة، وتستضيف أكثر الحفلات أصالة.

يرفض خريج المدرسة الثانوية كريس منحة لجامعة ممتازة؛ لأنه عاقد العزم على تقديم إبداعه لمجموعة تمثيل تجريبية أو لفرقة (روك) متنقلة، وكلا الأمرين سيدومان مدة ستة أشهر أو أقل.

تلقى كل من كريس وكريستين المبدعين، رسائل تقييد بأنهما أصيلان وغير اعتياديين ومبدعان ومختلفان. ولجذب الانتباه إلى تفردهما، فقد اختارا مجالات مختلفة للمهارات تتفاوت مع عمريهما واهتماماتهما، وسيستخدمان هذه المجالات بصفتها أعداراً؛ كي لا يقوموا بالمهام المعتادة المتوقعة منهما. ومن ثم، الابتعاد عن المهمات التي تتضمن تحديات حقيقية أو احتمالية للفشل. في واقع الأمر، يمكن ألا يظهر الإصرار، والانضباط، والانتباه للتفاصيل اللازمة للمشروعات المبدعة الناجحة، حتى لو كانت تقع ضمن مجالات مهارتيهما، وحتى إنهما من الممكن أن يرسبا في الصفوف المنضوية تحت هذه المجالات؛ لأنهما يواجهان صراعات سلطة مع معلميهما، ولن يتقبلا النقد. يدعيان أنه يجب ألا ينتقد الآخرون إنتاجاتهما الإبداعية ويرفضان الرسم، أو التصوير، أو التمثيل، أو الكتابة، بالطرق التي يدرّبهما عليها المعلمون؛ لأنهما يخشيان ألا تكون المخرجات من نتاجهما الإبداعي الخالص.

مثل أولئك الأطفال يكونون مبدعين، ولكنهم ليسوا منتجين بصورة إيجابية، إنهم أقوياء في جلب الانتباه إلى إبداعاتهم. وعلى أي حال، فإن إبداعاتهم مصحوبة بالعدائية للراشدين، بحيث يأتي حسهم بالهوية من: ما هو، ومن هو، الذي يعارضونه. وفي المدرسة الثانوية، يعادون معظم المعلمين، إضافة إلى آبائهم كذلك. وفي بحثهم عن التفرد، غالباً ما يشعرون بالوحدة الشديدة ويجدون صعوبة في الاعتراف بأن أحداً - حتى أصدقائهم المبدعين - من الممكن أن يكون مبدعاً كفاية لفهم مشاعرهم، تصبح المخدرات كذلك مغرية جداً لبعض الأطفال المبدعين، على أمل أن تسمح لهم حالتهم المتغيرة نتيجة تلك المخدرات بتجارب إبداعية استثنائية.

يمكن أن يرتبط الأطفال المهيمنون بأناس آخرين كما لو أنّ أولئك الآخرين دمي متحركة وغالباً ما تأتي اهتمامات الأطفال، وارتياحهم، وثقتهم، من سحبهم للحبال الموصولة، فهم يتلاعبون بالأباء، والمعلمين، والأقران، ولديهم موهبة خاصة في التلاعب بالأشخاص الرئيسيين ضد بعضهم بعضاً؛ من أجل مصلحتهم الذاتية. يتعلمون مبكراً أن إلقاء اللوم في مشكلاتهم

المدرسية على معلمهم، ويقنعون آباءهم بأنهم على حق. ومن الممكن أيضاً أن يتلاعبوا بالمعلم ضد أبويهم، فهم خبراء يجعل أحد الأبوين يتحالف معهم ضد الآخر. ويتعرعون في المنازل التي تجري فيها الألعاب الرهيبة والغبية؛ ولأن تلاعباتهم تُحَفِّز، وتُدعم، وتُشجِّع من هذه الطقوس، حيث يمكن أن يصبح الأجداد، والأخوال، والأعمام، عرضة لتلاعباتهم، عندما يتعلم هؤلاء الأطفال أن الأجداد يمكن أن يقولوا: نعم عندما يقول الوالدان: لا.

من الممكن أن يتلاعب هؤلاء الأطفال بأقرانهم بصورة اعتيادية متكررة، ويشعرون بالإحباط، والغضب، وعدم الحب، والرفض، عندما لا يفعل الأصدقاء ما يرغبون به. إنهم يضمنون خيبة الأمل في الصداقات عندما يعرفون صداقاتهم على أنها علاقات تحكم كلي، ويشعر ضحايا تلك الصداقات كأنهم مملوكون أو كبيادق الشطرنج. إنها علاقة ينظر إليها المتلاعب المهيمن على أنها إخلاص، فالصداقات ليست سهلة على الأطفال المهيمنين؛ لأنهم يشعرون بالأمان فقط عندما يتحكمون في أقرانهم بصورة كاملة.

مارك المتلاعب طفل في مرحلة ما قبل المدرسة، يذهب مع أمه إلى المتجر، ويطلب إليها أن تشتري له اللعبة نفسها التي رفض أبوه شراءها له حديثاً.

تقنع طالبة الصف الثاني ماريا المتلاعبه أباهما أن يعطيها قطعة موز، على الرغم من أن أمها أخبرتها بأنها لا تستطيع أكل التحلية؛ لأنها لم تأكل الخضار الخاص بها. وبوصفه طالباً في المرحلة المتوسطة، يقنع مارك المتلاعب معلمه بتمديد الموعد النهائي لتسليم مشروع مدرسي لأنه حالياً يعمل على مشروع ضخم جداً، ولكنه أخيراً عندما يسلم مشروعه نصف المكتمل بعد أسبوعين، يوضح بأن أمه كانت مشغولة جداً، ولم تتمكن من أخذه إلى المكتبة.

ترفض طالبة المدرسة الثانوية ماريا المتلاعبه، ألد (لا، لاحقاً) التي قالها والدها عندما طلبت الذهاب إلى المتجر، حيث توقع منها أن تنجز واجباتها المنزلية في البداية، تمكنت من إقناع أختها الكبيرة باصطحابها إلى المتجر، وعادت لتجد أباهما شديد الامتناع من تصرفها. كان غاضباً جداً، وأرسلها إلى غرفتها، ولكنها كانت غاضبة أيضاً، ورفضت الذهاب. دفعها نحو الغرفة فدفعته في المقابل، وأخبرت المرشدة لاحقاً أن أباهما كان ضعيفاً، وقد استمتعت بدفعه في الأرجاء. وقالت أيضاً: إنها انسجمت بصورة حسنة مع والدتها، ولكن بصورة سيئة مع والدها.

قالت والدة ماريا المتلعبة: إنها لم تتمكن من السيطرة على ابنتها بتاتا، وقال الأب: إنه تمكن من ذلك فقط في بعض الأحيان، فإن كليهما قالا (نعم) لهذه الفتاة بصورة متكررة كثيراً عندما كانت صغيرة، ولا يجرؤ أي منهما على قول (لا) كثيراً الآن. وعندما جربا قول لا، كانت ماريا خبيرة في التلاعب بوالدتها لتغير قرار والدها، إن أي مجهود مفاجئ من والديها لوضع القواعد، يمكن في الأغلب أن ينقل ماريا لتصبح ربيكا المتمردة، ستقول عنهما دون شك: إنهما غير عقلانيين، ومتسلطان، ثم تستخدم ذلك بوصفه عذراً لتفعل ما تريده دون أخذ موافقتهم.

يعلم الأبوان أحياناً المهارات الصدامية، جنباً إلى جنب مع توليد قوة زائدة عن الحد، وعادة ما ينظر الآباء الذين يفعلون ذلك إلى تجاربهم السابقة في المدرسة الثانوية بأنها بغيضة وغير مناسبة. وعليه، فهم عندما ينظرون إلى الوراء إلى طفولتهم الذاتية، لا يشعرون بأنهم لم يكونوا ناجحين في لعبة المدرسة فقط، بل هم مقتنعون أيضاً أن المعلمين والمديرين علموهم بصورة غير صحيحة، وأداروا المدرسة بصورة ضعيفة، فهم مصممون على أن أطفالهم سيحظون بتجارب تعليمية أفضل، وعاقبدو النية على أن يضمنوا أن المعلمين لن يكررو الأخطاء نفسها مع أطفالهم مثلما حصل معهم. تُعطى رسالة مقاومة المدرسة بصورة مبكرة - أحياناً بصورة ضمنية وأحياناً بصورة علنية - وأحياناً لأسباب ملائمة وأحياناً أخرى غير ملائمة. وبذلك، يوسع الأبوان من سلطة أطفالهم حتى ما بعد مرحلتها المتوغلة الحالية، لتتضمن ما يمكن أن ينجزه الأب أو الأم لهم في السجلات الحانقة مع المعلمين، أو المرشدين، أو المديرين. وبالتأكيد تصبح مقاومة السلطة، وتأسيس الأمور التي يقفون ضدها أسس بناء ثقة هؤلاء الأطفال الصداميين بأنفسهم.

يجد الأطفال الصداميون دعماً كبيراً لانشقاقيتهم الحازمة، وتنسجم هذه الانشقاكية والتوجهات الصدامية بصورة جيدة مع الألعاب البشعة والغبية في المنزل، حيث (تشحنهم) الأم (الجيدة) ضد الأب (اللئيم) وتعزلهم عنه، ويحميهم الأب (الشاب اللطيف) من الأم (اللئيمة الصارمة)، فيستشعر الأطفال المعركة، وينجرفون إلى صف الوالد الذي يعطيهم ما يريدون في أغلب الأحيان، ثم يجندون الأبوين لمساعدتهم ضد معلمهم، وهم غالباً ما يتنافسون مع المعلمين على مرأى من الصف وعادة يفوزون. وفي أحيان أخرى، يمكنهم أخذ آباء الأطفال الآخرين إلى صفهم، ويكون النصر الأخير عندما تُطرد السيدة لوبيز: لأنها لا تستطيع السيطرة

على داميان أو بقية الصف، حيث يسيطر هؤلاء الأطفال على الأقران والآباء من خلال سوررات مزاجية، أو من خلال القتال الحقيقي، ولكن في الأغلب من خلال السجال، والجدال، والمحاماة. يبدو كأن كل قاعدة تقريباً تنطلق كصيحة المعركة، وينحاز آباء الأطفال إلى صفوف أطفالهم حتى مرحلة المراهقة، حيث يصبح الآباء عند هذه النقطة، بصورة شبه مؤكدة هم الأعداء، إلا إذا قالوا نعم لكل شيء على الإطلاق. فالآباء الآن هم السلطة، ويشارك هؤلاء الأشخاص اليافعون، الذين أصبحوا على شاكلة ريببكا وروبرت، المتمردین ضمن تجمعات فتيّة أخرى مضادة للمدرسة، مضادة للحكومة، مضادة للفقر، ومجموعات مضادة لأي شيء.

غني عن القول، إنّ بعض المجموعات المضادة سيئة وبعضها الآخر يمتلك قيمة حقيقية، ولكن هذا ليس بيت القصيد، فبيت القصيد أنّ المكوّن الحرج في المجموعة أنّ أعضائها يوحدهم ما يقفون ضده ليس ما يقفون معه، فهم يعرفون أنفسهم بما هم ضده، وما الذي يمكنهم التغلب عليه، وما الذي هم غاضبون تجاهه. قد يمضي هؤلاء اليافعون سني مراهقتهم وشبابهم ناقمين على العالم؛ لأنه لا يتجاوب مع جهودهم الشخصية وتطلعات مجموعاتهم، وتتباطأ كذلك هوية تكوينهم بفعل تأثيرات تمردهم المتطرف، واكتئابهم وغضبهم، فهم يؤمنون بوجود امتلاك سلطة لا بأس بها، ولكنهم مع ذلك يشعرون بالوهن.

ولحسن الحظ، يبني بعض هؤلاء الأشخاص هويات إيجابية من الرماد المتبقي من حروبهم السابقة، ولكن التعارك مدمر، ويأخذ إتاوته منهم، ومن مدارسهم، وعائلاتهم، ومجتمعهم. من الممكن أن تستمر أزمة هويتهم في مرحلة المراهقة إلى مرحلة العشرينيات والثلاثينيات، ولبعضهم يمكن ألا تحل أبداً.

يؤمن بعض علماء النفس بأن التمرد نمط ضروري للمراهقة. نعم، إنه بعض الجموح وخرق الحدود المراهقة الطبيعية. ولكن لا يكون السلوك المتطرف والجامح باستمرار مراهقة طبيعية إنها في الأغلب سلوكات غير منتجة؛ عواقبها وخيمة، وتؤخّر المهمّة التطويرية لتأسيس الهوية، إنها على الأرجح استجابة للسلطة المفرطة المعطاة للأطفال في مرحلة مبكرة. (إن كان من المقدر للأطفال إدارة منازلنا، لخلقهم الله - عز وجل - أكبر<sup>(2)</sup>).

## ملخص

يشعر الآباء والمعلمون بالإحباط غالباً؛ لأنهم لا يتمكنون من كسر أنماط الاعتمادية أو الهيمنة. في الحقيقة هم يعززون الأنماط؛ لأنهم يستمعون بصورة حرفية أكثر من اللازم لما يقوله لهم الأطفال، حيث يخبر الأطفال والمراهقون الآباء بما يشعرون به عن احتياجاتهم لليوم أو للأسبوع، ونادراً ما يسقطون ذلك بصورة واقعية للشهور، وبالتأكيد ليس السنوات القادمة. وحتى يتسنى للراشدين توفير احتياجات ذوي التحصيل المتدني، فيجب أن يستحوذوا على السلطة والقوة للقيادة. وعلى الرغم من أنه يتعين عليهم الاستماع لكلمات هؤلاء الأطفال فإنه يتعين عليهم أيضاً تحويلها بأساليب تكون مثمرة للأطفال على المدى البعيد، حتى لو تسبب ذلك بعدم ارتياح مؤقت.

يحتاج الآباء إلى ثقة شخصية بترجمتهم الخاصة لمستقبل أطفالهم، ومن المهم للراشدين ألا يفرطوا في منح الأطفال السلطة إلى درجة يفقد معها السلطة من يتعين أن يوجههم، فإن استمعوا إلى رسائل الأطفال، وأعادوا تأطير وجهات نظرهم ليعطوا توجهات مناسبة، فسيقبل الأطفال قيادة الراشدين، وسيطورون مهارات وثقة، ستوفر لهم مزيداً من الخيارات في أثناء تأسيسهم لهوياتهم الشخصية.

يقوم الراشدون بعمل الجزء الأكبر من رعايتهم الأبوية وتعليمهم بصورة غريزية، حيث تعمل الغريزة بصورة جيدة إن تمت رعايتهم وتعليمهم بصورة جيدة، وإن كانوا إيجابيين ومتعلمين ومحصلين. أمّا الراشدون الذين لا يرون حياتهم العائلية أو المدرسية المبكرة على أنها مثمرة فيمكن لحسّهم الغريزي أن يضلّهم، في حين أن الأطفال الذين يظهرون اعتمادية وهيمنة، فيمكن للاستجابات القائمة على المماثلة المغايرة أن تكون أكثر فاعلية. وعلى أي حال، فإن الاستجابات الغريزية أثبتت عدم فاعليتها.

يتعين حصول الأطفال على المساعدة عندما يحتاجون إليها، ويجب أن يكون الآباء حساسين لمشاعرهم، ويتعين كذلك أن يُشجّع الأطفال على تطوير الاستقلالية والإبداع، فالجوانب المتطرفة فقط هي التي تقود إلى الاعتمادية والهيمنة، وعندما يتدمر الأطفال، أو ينحبون، أو عندما يكونون سلبيين على الدوام، أو عندما يطلبون المساعدة بصورة متكررة أكثر مما يحتاجون إليه - فهم يظهرون أعراضاً لعلاقات مفرطة في الاعتمادية. أمّا إذا كانوا مبدعين فقط لغايات المعارضة

ليس إلا، أو إن كانوا يصرون على لي ذراع السلطة دون احترام حقوق الآخرين، عندها يكونون مهيمين جداً، إضافة إلى أنه سينتج عن هذا التطرف تدني التحصيل في مرحلة ما، وتدني تحصيلهم هو مجموعة من الأعراض.

وعلى الرغم من أن المحور الأساسي لهذا الكتاب هو تدني التحصيل، فإن الأطفال سيتسببون بمشكلات عائلية، ومشكلات علاقات أخرى، إذ يمكن علاج تدني التحصيل، ويمكن كذلك تعديل اعتمادية الأطفال، أو هيمنتهم المتطرفة، لمساعدتهم على عيش حياة مثمرة ومرضية بصورة أكبر.

توفر المماثلة والمماثلة المغايرة الوسائل التي يتعلم من خلالها الأطفال الارتباط ببيئاتهم الشخصية، فإذا تعلم الأطفال الارتباط بطرق تسبب لهم كثيراً من الاعتمادية، فسيفتقرون إلى حس الثقة والتحكم. ومن ناحية أخرى، إن تعلموا الهيمنة على بيئتهم، فسيؤدون دوراً فقط عندما يمكنهم التفوق، أو إن امتلكوا القوة، ومن الممكن أيضاً أن يتأرجح بعض الأطفال بين طرفي النقيضين هذين؛ من السلطة، والشعور بالإخفاق، إلى الربح.

يجب أن يتعلم المحصلون المثابرة، ويجب أيضاً أن يتمكنوا من حل المشكلات، حيث يسمح التحصيل بمتعة الفوز ومعاناة الخسارة، ولكنه يتطلب أن يكون الأفراد قادرين على الخروج من تلك الخسائر دون أن يروا أنفسهم خاسرين، يخفق الأطفال جميعهم بين حين وآخر، ولكن ما يميز المحصلين من غير المحصلين هو كيفية تعايشهم مع تجارب الفشل.

قبل أن تقرأ الفصل الخامس، اسأل نفسك الأسئلة الآتية: (إن كنت معلماً فاقراً (هذا الطالب) بدلاً من (طفلي))

1. هل طفلي صَجِرٌ من المدرسة؟
2. هل يبدو أن طفلي يطلب مساعدة المعلم بصورة أكبر من معظم الأطفال الآخرين؟
3. هل يميل طفلي إلى عدم إكمال المهمّات المدرسية في المدرسة؟
4. هل يشوش طفلي على الصف بالتحدث كثيراً؟
5. هل يتذمر طفلي من أن العمل المدرسي شديد السهولة؟
6. هل تكوين الصداقات هو الجزء من المدرسة الأكثر أهمية لطفلي؟

7. هل يعزز صف طفلي التنافس في كل شيء تقريباً؟

8. هل يحاول صف طفلي الحد من المنافسة؟

ضع نقطة واحدة لكل إجابة بـ (نعم). النتائج مفسرة في الأسفل:

### المجموع الكلي للنقاط:

(8 – 5) هنالك في الأغلب مشكلة خطيرة جداً متعلقة بالغرفة الصفية.

(4 – 3) هنالك في الأغلب مشكلة خطيرة نوعاً ما متعلقة بالغرفة الصفية.

(2 – 1) هنالك في الأغلب مشكلات صغيرة متعلقة بالغرفة الصفية.

(0) لا توجد أي مشكلات ظاهرة في الغرفة الصفية.



## الفصل الخامس

### حالات مدرسية لمتلازمة تدني التحصيل

تحدث المدارس والمعلمون فوارق هائلة في تحقيق الأطفال. وعلى الرغم من قدرة المعلمين على اتباع فلسفات تعليمية مختلفة بنجاح، فإن بعض البيئات الصفية تكون مشكلة للأطفال ذوي التحصيل المتدني، حيث تقاوم بعض البيئات من متلازمة تدني التحصيل وتديمها، في حين تُبطلها بيئات أخرى أو تساعد على منعها. وفي بعض الأحيان، تكون الظروف المدرسية في الواقع السبب الرئيس للمتلازمة.

هنالك طيف واسع من الأساليب المناسبة لتعليم الأطفال، ويبقى تجنب المغالاة، والحفاظ على مناخ صفّي متماسك وإيجابي، خطوطاً إرشادية مثمرة للمعلمين جميعهم، يُضاف إلى ذلك أن بإمكان بعض أمثلة أساليب التعليم الضارة وغير المرغوب فيها، أن تبصر كلاً من المعلمين والآباء.

### البنية

يقدم المعلمان روجر المتزمت ولويس اللينة، بيئات تعليمية متناقضة في غرفهما الصفية ولكنها في الوقت نفسه متساوية في نتائجها غير المنتجة، حيث تقود الغرف الصفية غير المنظمة، التي لا توفر أي بنية لذوي التحصيل المتدني، الذين يفتقرون للمهارات التنظيمية إلى التعثر والتخبط؛ فهم لا يضبطون أنفسهم، وعادة ما يتجاوزون الحدود، حيث يتركون مقاعد

باستمرار، ويهيمنون على وجوههم دونما هدف، ولا يكملون المهمّات المطلوبة منهم، ويوقعون أنفسهم في المتاعب، ويكون إنجاز الأطفال الذين يعانون اضطرابات نقص الانتباه، ولاسيّما المصابين بفرط الحركية، أو بطاقة عالية غير موجهة، أقلّ في الأوضاع غير المهيكلة؛ لأنّهم يفقدون تركيزهم بسهولة؛ بسبب الحركة والإزعاج في الغرفة الصّفيّة، ويفترض المعلمون عادة أنه يتعيّن إعطاء هؤلاء الأطفال حرية التحرك في الأرجاء. وفي الواقع، يمكن للأطفال مرتفعي الطاقة الجلوس بثبات في مقاعدهم إلى أن يكملوا الواجبات المطلوبة منهم، ما داموا يمتلكون طرقاً مناسبة لتفريغ طاقتهم في الأوقات الأخرى.

وكذلك، فإن الأطفال الذين يعتمدون على الانتباه المباشر (واحد إلى واحد) سيكونون عند مكتب المعلم بصورة متكررة؛ طلباً للمساعدة أو لطرح الأسئلة، إن لم تكن هناك قواعد واضحة في الغرفة الصّفيّة. أتذكر مراقبة طفل مفرط النشاط في الصف الأول، في غرفة صفية متواضعة الإمكانيات، كنت أجدّه باستمرار خارج مقعده، وكانت أطول مدة قضاها في إنجاز مهمة سبعين ثانية، وعندما راقبت طالباً اعتمادياً في الصف الثالث، وجدت أنه ذهب إلى المعلم أو الأقران؛ طلباً للمساعدة اثنتين وعشرين مرة في ثلاثين دقيقة. ففي مثل تلك الغرف الصّفيّة، يقاطع المعلمون مجموعات القراءة بصورة مستمرة؛ لإسكات الأطفال الذين يعملون على مقاعدهم، حيث يكون هناك حسّ عام بالإزعاج والحركة والاضطراب، ويميل هؤلاء المعلمون إلى التعنيف المتكرر على الرغم من مساهمته في رفع درجة الإزعاج.

يملك المعلمون القليل من التحكم في مثل تلك الغرف الصّفيّة، ويصبح الطلاب المهيمنون في تلك الأوضاع أكثر قوة، ويتحدّون معلمهم بنجاح: (لا تستطيع إرغامي على عمل هذه الوظيفة فأبى في هيئة إدارة المدرسة)، أو (لا أستطيع القيام بعملتي؛ لأن هذا الصف شديد الإزعاج. لم لا تعمل على تهدئته؟)، يسهم التعليق الأخير فقط، على الرغم من أنه غالباً صحيح، في زيادة الجلبة والضوضاء، وحتى الأطفال الذين يملكون سجلاً سابقاً في مشكلات الانضباط، سيحدثون أثراً في مثل تلك الغرف الصّفيّة غير المنظمة، ويمكن كذلك أن تبدأ مشكلاتهم السلوكية بالظهور.

يشرف روجر المتمزمت على بيئة تعليمية فقيرة، قد يعمل الأطفال مرتفعو الطاقة بصورة أفضل في هذا الصف، إن تراقق ذلك مع عدم إفراط روجر المتمزمت في استخدام العقاب، ولكن إن وُبِّح هؤلاء الأطفال بصورة مستمرة، فمن الممكن أن تصبح عبارات التوبيخ نوعاً من اهتمام

الراشدين، ولمثل هؤلاء الأطفال الاعتماديين على الانتباه، يكون أي نوع من الاهتمام أفضل من لا شيء، وهكذا يحصلون على مشكلات أكثر.

يدخل الأطفال المهيمنون المبدعون، أو الصداميون، في صراع على السلطة مع المعلمين المتميزين، حيث يرى هؤلاء الأطفال التحكم الشديد نداءً للمعركة عليهم تلبيته. سيقوم الأطفال المهيمنون بتصحيح المعلمين وإحراجهم أمام الصف كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، وسيجادلونهم في القواعد، ويمتنعون عن تسليمهم الواجبات التي يدعون بأنها لا تعني لهم شيئاً، ويعلمون أن المعلمين ليسوا عادلين مع الأولاد (أو البنات)، ويجادلون المعلمين لغرض الجدل فقط، ويتلاعبون بصراعات القوة بين المعلمين والآباء والمديرين، وغالباً ما تكون الدرجات هي أسلوب المعلمين الوحيد للسيطرة على هؤلاء الأطفال. على أي حال، يفضل هؤلاء الأطفال الرسوب على الاعتراف بأنفسهم بوصفهم خاسرين أمام المعلمين، وفي معركتهم مع المعلمين المتميزين، قد يشعر الأطفال المهيمنون أن الانصياع للمعلمين سيتسبب لهم بخسارة مكانتهم بين زملائهم في الصف. لذا، يستمرون برفض القيام بالدروس الموكلة إليهم، بغض النظر عن التهديد أو الدرجات.

لا يحظى أي طرف بالنصر في صراعات السلطة بين روجر المتميز والأطفال المهيمنين، الذين يعانون متلازمة تدني التحصيل، وفيما يلي الحالة الآتية:

أوضحت لي تاليشيا طالبة الصف السابع التي تمتلك درجة ذكاء ضمن فئة الموهوبين، وتتمتع بقدرات قوية في مادة الرياضيات بصورة خاصّة، سبب درجة الرسوب (و) التي حصلت عليها في الرياضيات. قالت: استوعبت المفاهيم على نحو حسن، وأدّيت جيداً في اختباراتي. وعلى الرغم من ذلك، أصرّ معلمها على صيغ محددة جداً لكتابة الاسم، والتاريخ وتسيق مسائل الرياضيات، فخفّض درجات الطلاب الذين لم يتبعوا تلك التوجيهات. أشارت تاليشيا إلى مدى إحجاف تلك التوجيهات، وأنها غالباً ما تنسى واحدة أو أكثر منها، وكانت النتيجة أنّ درجاتها تنخفض دائماً.

إضافة إلى ذلك، لم ترَ تاليشيا أي سبب وجيه للقيام بكل هذا العمل الذي لا معنى له بنظرها. لذلك سلّمت الواجبات التي عدّتها معقولة، ورفضت القيام بالواجبات السهلة عندما فهمت

العمل المطلوب. في الحقيقة، فإن تاليشيا متمكنة جداً في الموضوع، وبدا لها تجربة ما إذا كان باستطاعتها قهر المعلم تحدياً أكثر حماسة، وقد أصرت على عدم الانصياع لمعايير المتزمتة. في حالة تاليشيا، انخفضت درجاتها في الرياضيات لعام واحد فقط، وفي العام اللاحق، ألهم معلم أكثر مرونة هذه الفتاة؛ كي تعود إلى وضعيتها السابقة في التحصيل.

## المنافسة

كما قلت سابقاً: إن ذوي التحصيل المتدني لا يتعايشون مع المنافسة بصورة جيدة، فهم خاسرون ضعيفو المستوى، ويمكن ألا ينخرطوا في أي نشاط إلا إذا كانوا واثقين من فوزهم، وهم نادراً ما يعترفون بمشاكلهم، حتى إنهم لا يفهمونها في بعض الأحيان، ويفضون وينسحبون، أو يتذمرون، أو يجدون الأعذار ويستسلمون. إنهم يميلون إلى رؤية الأمور في إطار تنافسي، ولكنهم يخشون الفشل؛ لأنهم يتوقون بشدة للفوز، وتكون إخفاقاتهم أكثر وضوحاً في بيئة صافية ذات تنافسية عالية.

وكلما تكررت رؤيتهم لأنفسهم بوصفهم خاسرين، قلت محاولاتهم. وحتى الأطفال الذين بدأوا بعكس مفعول متلازمة تدني التحصيل، سيشعرون بالتهديد من المنافسة الزائدة.

شجعت المعلمة التنافسية كاساندر، على الحفاظ على درجة مرتفعة من المنافسة في غرفتها الصفية؛ بسبب التغذية الراجعة الإيجابية التي تلقاها من الطلاب المحصلين، حيث يترعرع هؤلاء الطلاب، ويؤدون بأفضل حالاتهم، بوجود التحديات التنافسية.

وفي العادة، لا يكون متدنو التحصيل على وعي تام بتأثير المنافسة في أدائهم، فهم يكتفون بالتعليق بأنهم يكرهون الصف والطلاب الذين يتفوقون عليهم.

نعم، يجب أن تكون هنالك بعض المنافسة في الغرفة الصفية، حيث تساعد المسابقات الفردية والجماعية، التي تختلف من موضوع إلى آخر، الأطفال جميعهم على التعامل مع النجاح والفشل. وعلى أي حال، يجب تجنب بعض الممارسات بصورة كاملة: الإعلان عن الدرجات الفردية بصورة علنية، والانتقاد العلني للأداء الفردي للضعيف لبعض الأطفال، وإظهار الدهشة

عندما يؤدي طفل ما جيداً، في حين لا يقوم بذلك عادة، والمقارنة الحسودة بين الأوراق الصّفيّة. فيما يلي مثال على إمكان جنوح تشديد المعلم على المنافسة إلى حد بعيد:

بغض النظر عن درجة ذكائها العالية جداً، كانت إميلي ذات الأعوام الخمسة متدنية التحصيل وقد ساعد على تشجيع هذا السلوك بصورة مبكرة جداً بيئة رياض الأطفال الصّفيّة. كانت إميلي طفلة متحمسة وعفوية في صف الحضّانة، حيث وصفتها معلمتها بأنها لامعة جداً وتأقلم بصورة سعيدة، ولكن إميلي لم ترغب بالذهاب إلى المدرسة في مرحلة رياض الأطفال، ووصفت معلمتها في رياض الأطفال سلوكها المدرسي بالضعيف، فإميلي لا تنجز عملها إلا نادراً، ولم تبد سعيدة، وكانت ميالة إلى الابتعاد عن الأنشطة الصّفيّة. لقد أظهرت الاستطلاعات أنّ البيئة التنافسية الصّفيّة هي التي أعطت إميلي حسها بالفشل، ودفعتها إلى التراجع في الصف.

جلس الأطفال في هذا الصف على الأرض مقابل السبورة خلال درس كتابة الأحرف، وأعلن المعلم عن الحرف المراد كتابته، فرفع بعض الأطفال أيديهم بحماس، وبعد أن كتب الطفل المختار الحرف على السبورة، سأل المعلم الأطفال إن كان قد كتبه بصورة صحيحة، فيقولون معاً وبحماس: نعم، إن كان كذلك، وبنبرة معاقبة: لا، إن كان الحرف مكتوباً على بصورة غير صحيحة، وكان المعلم يوافق الأطفال أو يختلف معهم مبيّناً الميزات الجيدة أو المشكلات المتعلقة بكتابة الحرف.

وعندما وقع الاختيار على إميلي التي رفعت يدها بتثاقل، جلب أداؤها غير الكفاء أد (لا) التي توقّعتها. إضافة إلى ذلك، روقب تمرين الكتابة في المقعد اللاحق عن كُتب من قبل المعلمة التي علقت على أداء كل طفل.

لم تكن رؤية أداء إميلي البطيء وجهودها - غير المكلفة بالنجاح - نحو الكمال الذي لم تكن لتحقيقه أمراً مفاجئاً، ففي صف رياض الأطفال مرتفع التنافسية، أُخبرت إميلي بأنها لن تنجح في بيئة صفية. ولحسن الحظ، وُضعت إميلي في الصف الأول مع معلمة داعمة رعت بيئة أقل تنافسية فتمكنت إميلي فيها من إعادة تطوير الثقة والحماس، فعُكست متلازمة تدني التحصيل خاصتها في عام مدرسي جيد<sup>1</sup>.

توضح استجابة ذوي التحصيل المتدني للمدارس المتوسطة أو الثانوية الكبيرة ردود أفعال هؤلاء الطلاب المتفاوتة للمنافسة. وعادة ما يبدأ تدني تحصيل الأطفال، الذين كان أداؤهم

جيداً في المدرسة الابتدائية، في المحيط المدرسي الكبير؛ فعندما يقارنون أداءهم بأداء كثير من الطلاب الآخرين، يقيّمون أنفسهم بأنهم غير مؤهلين. لذلك، يتوقفون عن بذل الجهود، إذ من المحتمل أن تكون أدوار النجاح أقل من أدوار الفشل في البيئة المدرسية الكبيرة. على سبيل المثال: يمكن فقط لعدد محدود من الأطفال الوصول إلى فريق كرة السلة المدرسي، أو إلى مسرحية نادي التمثيل. ولأنّ مجتمعنا عالي التنافسية، فمن المهم لذوي التحصيل المتدني تعلم الأداء ضمن المنافسة. ببساطة، لا يحظى ذوو التحصيل المتدني بفرصة عادلة في الغرفة الصّفيّة، أو المدرسة عالية التنافسية.

## التصنيف

عندما يكون تحصيل الطالب ضعيفاً في المدرسة، يطلب المعلمون والآباء عادة المساعدة، حيث يكون من الواضح أنّ الطفل في حاجة إلى شيء مختلف. ويمكن لذلك الشيء أن يأتي على صورة حصص خاصة، أو مساعدة خاصة من محترف مدرب. لا جرم، تكلف المساعدة الإضافية المال، من الممكن أحياناً أن توفّر الحكومات الاتحادية (الفدرالية) والمحلية مثل تلك الموارد، ومن أجل الحفاظ على المسؤولية، يوفّر التمويل بشروط محددة، إضافة إلى أنّه يجب تقييم الطفل وتصنيفه؛ كي يتمكن من الحصول على الدعم اللازم. وقد تتفاوت هذه التصنيفات بصورة كبيرة، وعادة ما يشار إليها باختصارات، مثل: عاجز عن التعلم، مضطرب عاطفياً، معوّق سلوكياً، اضطرابات نقص الانتباه وفرط الحركة، اختلال أسبيرجير، اضطراب المعارض المتحدي.

تنضوي عمليات التصنيف هذه على أخطار حقيقية، حتى بوجود دلائل الاحتواء المدرسي الإرشادية، حيث تؤثر التصنيفات في التوقّعات الذاتية، إضافة إلى توقّعات المعلم، وفي بعض الحالات، تسبب رفض الأقران الذي يقود إلى مزيد من المشكلات.

صُنّف براد بأنه عاجز عن التعلم، ومعوّق سلوكياً، ووُضع في صف خاص معظم سنواته في المدرسة الابتدائية. لقد كره براد هذا التصنيف، وأراد بشدة أن يكون مثل الطلاب الآخرين، كان يفقد مزاجه بصورة متكررة في المدرسة، ولم يكمل الواجبات المطلوبة منه، وكان تفاعله

مع الأقران ضعيفاً. وازداد الأمر سوءاً عاماً بعد عام، على الرغم من بذل الوالدين والمعلمين جهوداً مستمرة لتوفير احتياجاته الخاصة.

أخيراً، في محاولة لإزالة وصمة العار، ومساعدة براد على التكيف، أُحِقَّ بصفه النظامي بنسبة (85%) من وقت اليوم، قُلَّتْ وظائف براد لمساعدته على التكيف مع المادة، وشُجِّعَ على إكمال عمله؛ حتى يتسنى له البقاء في الصف النظامي، وعلى الرغم من أن تحسنه لم يكن متناسقاً وانسيابياً تماماً، فإنه خلال عام واحد انسجم بصورة أفضل مع أقرانه، وشعر بثقة أكبر، وأكمل عملاً مدرسياً أكثر؛ لقد تحسنت مهاراته في الرياضيات، والقراءة، بصورة قابلة للقياس، استمر براد في الحصول على بعض المساعدة الإضافية للتغلب على صعوبة تعلمه، ولكنه أصبح قادراً على الأداء بصورة أفضل في الصف النظامي، عندما استُبعِدَت التصنيفات، وخرج من الصفوف الخاصة.

يمكن أن يؤثر التصنيف في توقّعات المعلمين بطرق تؤثر بدورها في التحصيل، فقد وجد كتاب روزينثال وجاكوبسين (بجماليون في غرفة الصف) إضافة إلى البحوث اللاحقة الملهمة من هذا الكتاب، دليلاً قوياً على توقّعات المعلم لسلوكه الفعلي الموجه نحو الأطفال<sup>2</sup>، حيث يمكن لتصنيف (عاجز عن التعلم) والمؤثر في توقّعات المعلم، أن يكون وقعه كارثياً في تحصيل الطفل ومفهومه الذاتي، وتتفاوت التقديرات بتفاوت درجة تأثر توقّعات المعلم، حيث يُعدّ انخفاض الدرجات بمقدار (15%) تأثيراً متوسطاً، وإن كانت (15%) هي المتوسط، فسيكون لتوقّعات المعلم أثر أعظم من ذلك. ويمكن للتصنيف السلبي من أي نوع - الصور النمطية، الفئات التعليمية، توقّعات الدرجات - أن يسبب المشكلات.

كارلا طالبة من أصول لاتينية، دخلت الجامعة بتوقّعات معقولة بالنجاح، وعلى الرغم من أنّها كانت ضعيفة في المدرسة الابتدائية، فإن العمل الدؤوب في المدرسة الثانوية أظهر أنه يمكنها الأداء بصورة جيدة. كانت درجاتها في المدرسة الثانوية جيدة جداً، وشعرت بالحماس لتحدي الجامعة.

وبناءً على اختبار مستوى اللغة الإنجليزية، وضعت الجامعة كارلا في صف علاجي صغير للغة الإنجليزية، كان معظم الطلاب فيه تحت المراقبة، وقد افترض المعلم أنّ كارلا - كذلك - طالبة ضعيفة. وعندما جاءت كارلا طالبة المساعدة، كان ذلك؛ بسبب خوفها من أنّها لا تملك القدرة التي آمنت أخيراً بامتلاكها.

هددت التوقعات التي بُنيت إليها في صف اللغة الإنجليزية افتراضاتها الحذرة الإيجابية عن قدراتها الشخصية. ولحسن الحظ، وثق معلم آخر بقدرات كارلا، وأقنعها بأنها كانت في الواقع طالبة مقتدرة، وأنها تحتاج فقط إلى مجهود تعويضي صغير؛ لتتعلم بعض المهارات التي غابت عنها مسبقاً في المدرسة.

لقد كانت مكانتها الاجتماعية بوصفها أقلية ثقافية، جنباً إلى جنب مع بعض الفجوات التعليمية الحقيقية، هي ما سبب أن تُصنّف كارلا بوصفها صورة نمطية سلبية. وبعد أن استرجعت ثقتها بنفسها، تعلمت مهارات اللغة الإنجليزية بسهولة، وتخرجت في الجامعة طالبة ناجحة جداً<sup>3</sup>.

والحالة الثانية لتوقعات المعلم مرتبطة بتصنيف (العاجز عن التعلم):

جلس معلمو جيف حول طاولة الاجتماعات، محاولين حلّ لغز طالب الصف الثامن هذا. لقد صُنّف بأنه عاجز عن التعلم. ومع ذلك، لم يكن أحد متأكداً من أمره، فدرجة ذكائه (121)، ومع ذلك هناك تشتت في درجاته المنفصلة؛ فبعضها مرتفع جداً، وبعضها الآخر ما دون المتوسط، بدت مقتطفات من تعليقات أحد المعلمين كالآتي:

(هل تفترضون أنه يتعيّن عليّ تقييمه بناءً على معيار ناجح/ راسب؛ لأنه عاجز عن التعلم؟)

(أرغب في إخراجه من المجموعة بسبب صعوبات تعلمه)

(إنه مزعج، ويعيق تعلّم الآخرين)

(إنه يقوم بعمل جيد في الرياضيات، ولا أرى أيّ مشكلة حقيقية. كيف يمكن له الأداء بهذه

الصورة الجيدة إن كان عاجزاً عن التعلم؟)

(أعلم أنه عاجز عن التعلم، ولكنه حصل اليوم على درجة كاملة في اختبار استيعاب القراءة،

ظننت أنه غشّ. لذا، طلبت منه إعادة الاختبار مرة أخرى)

(قلقي في العلوم الاجتماعية أنه لا يُسلّم واجباته المنزلية، يقدم أعذاراً غريبة عن سبب عدم

قيامه بهذه الواجبات، ولا أعلم هل أصدقه أم لا! يبدو صادقاً وأعداره ذات خيال خصب ولكنه

لا يستطيع الأداء.) (درجاته متدنية، وواجباته المنزلية متشتتة، لا نعلم إن كان لامعاً أم بطيئاً،

إضافة إلى ذلك، لسنا متأكدين إن كان يقول الحقيقة أم لا. ماذا نفعل مع جيف؟ صُنّف بأنه

عاجز عن التعلم، وذو مشكلة سلوكية، وطفل متلاعب، وطالب غير مبالٍ، وراوي قصص، إنه لا ينسجم مع البرنامج المدرسي. لذا، يجب أن يكون عاجزاً عن التعلم.)

فيما يلي، موقف يتكرر بصورة أكثر من الموقف السابق؛ معلم مصمّم على إقناع والدين أنّ طفلهما غير موهوب:

درجة ذكاء أمبر (138)، لم تعرف أمها ولا معلمتها تلك الدرجة وقت حصول الحادثة الآتية: كانت أمبر طالبة ناجحة جداً في الصف الرابع، وغالباً طالبة من مستوى (أ) في الصف الثالث، ولكنها كانت هادئة جداً في الصف، ونادراً ما تتطوع خلال النقاش. اعتقدت الأم بأنه يمكن لأمبر الاستفادة من مواد مطالعة متقدمة. وبناءً عليه، اجتمعت مع المعلمة لتعطيها اقتراحها في بداية ذلك العام المدرسي، بدت المعلمة بصورة ما دفاعية وقالت: إنها اعتقدت بأن أمبر تواجه صعوبات كافية، وأن أمها كانت كثيرة الضغط عليها.

أحضرت الوالدة أمبر إلى عيادتنا، وسألت بذهنية تبريرية مشدودة، إن كان بالإمكان فحصها؛ لتحديد نوعية العمل المدرسي الذي يجب توقعه منها، كانت نتائج اختبار الذكاء مرتفعة على نحو مستمر، وأيدت اختبارات التحصيل الفردية لأمبر أنّ مستوى مهاراتها أعلى بكثير من مستوى صفها العمري. لقد كانت هادئة، وتفتقر إلى الثقة بالنفس في الوقت الذي قدمت فيه إلى العيادة، وكان تحصيلها سيستمر في الانحدار في السنوات الآتية، إن لم تتحد أمها تصنيف المعلمة المُقيّد.

مثل هذه القصص منتشرة كثيراً، وتكرر على وجه الخصوص بين المعلمين المعادين للبرامج التعليمية الموهوبة. يمكن لأيّ تصنيف يحدّ من تطلعات أداء الطفل أن يكون مدمراً ويمكن لضغط الأقران الناتج عن ذلك، وتطلعات الآباء، والمعلمين، المُخفّضة أن تكون لها آثار موهنة في أداء الطفل المدرسي. وعلى الرغم من وجود بعض الحالات التي تكون فيها مثل تلك التصنيفات مهمة جداً للحصول على الدعم التعليمي، فإنني أحتكّم على مراعاة التبعات السلبية كلها، قبل إلحاق أيّ نوع من التصنيفات لطفل ما.

## الانتباه السلبي

كما أشرنا سابقاً، يكون الأطفال ذوو التحصيل المتدني في العادة اعتماديين على الانتباه فقد جمعت أنماطهم المنزلية المبكرة بين الاهتمام المفرط، ومناورات وتلاعبات اعتمادية، أو مهيمنة، إنهم معتادون التعلق بالناس بأساليب جذب الانتباه، ويتربعون في الأوضاع التعليمية المباشرة (واحد إلى واحد)، ولكنهم يتكيفون بصورة سيئة في الغرفة الصفية، حيث يشعرون بأنهم محرومون من الانتباه، ويمكن أن تظهر عليهم أعراض اضطرابات نقص الانتباه. حتى وإن لم يكونوا يعانون مشكلات بيوكيميائية، فهم يبحثون عن أساليب لجذب الانتباه، ويحصلون بصورة جيدة إن حصلوا على النوع الصحيح من الانتباه بسهولة، ولكن يجد كثير من هؤلاء الأطفال كسب الانتباه السلبي أسهل.

تعطي المعلمتان (سالي الجزعة) و (نيلي السليبة) الانتباه السلبي بصورة مجانية. وعليه فإنهما تحافظان دون قصد على سلوك تدني التحصيل، (سالي الجزعة) هي النوع الأصعب للاكتشاف؛ لأنها في العادة معلمة ممتازة ومخلصة، ولكنها حساسة لتعبيرات الأطفال عن مشاعرهم، إلى درجة أنها تتبالغ في التفاعل مع أهمهم وطلبهم للمساعدة. تفعل ذلك بأسلوب يعبر عن الاهتمام والعناية، دون أن تدرك أنها تعزز نمط تدني التحصيل من خلال الإفراط في مساعدتهم، أو من خلال تعاطفها الزائد.

كانت كايشا طالبة الصف الثالث متوسطة القدرات، في أضعف مجموعة قراءة في صفها، ولم يكن لديها أي صعوبة تعلم قابلة للتشخيص، ولا أي سبب مميز يفسر قدرتها على القراءة المتأخرة عن مستوى صفها بعام ونصف. لقد كانت طفلة هادئة وخجولة، وتعلمت الاعتماد على مساعدة أمها لها في الأعمال المدرسية اليومية. وبعد أن أوضحت لوالدتها بضرورة تعزيز استقلاليتها في المنزل، راقبت الفتاة في المدرسة، كانت هادئة في الغرفة الصفية، وكذلك لم ترفع يدها بتاتاً لتتطوع في طرح الأسئلة أو الإجابة عنها، سألت المعلمة: هل طلبت كايشا مساعدة زائدة عن معظم الأطفال؟ فأجابت بالنفي. وأسهب في الإيضاح بأنها بعد أن كانت تعطي الطلاب تعليمات بخصوص الوظيفة الموكلة إليهم، كانت تتوجه على الدوام إلى مقعد كايشا؛ لأنها كانت متأكدة من أن كايشا تحتاج إلى مزيد من المساعدة، وقد تعلمت كايشا أن تفترض ذلك الأمر، فكانت تنتظر قدوم المعلمة قبل أن تبدأ في العمل بمفردها.

وبتقديم الانتباه اليومي لكايشا العاجزة عن قول أي شيء، وأهنت كل من الأم والمعلمة ثقة الفتاة دون قصد، كانت كلاهما عطوفتين وقلقتين، ولكن أيًا منهما لم تدرك نبوءة تحقيق الذات التي تبثانها لكايشا. أعادت كل من التطلعات المختلفة، وتشجيع الاستقلالية، وبعض التدريس الخصوصي المتسارع، أداء كايشا إلى مستوى أعلى من مستواها الصفي، وقد استمر الأمر على ذلك النحو، وأصبحت طفلة أكثر ثقة واستقلالية بكثير.

الفخ الثاني الذي يمكن أن تقع فيه (سالي الجزعة) هو سوء تفسير أعراض الضغط لدى الأطفال:

كانت دموع جيسيكا طالبة الصف الأول، تترقق في عينيها في حالة عدم تمكنها من فهم الإرشادات مباشرة، كذلك لم تكن تكمل عملها، وكانت تُجهش في البكاء إن أجرت المعلمة تصحيحات على ورقتها. لم ترد سالي الجزعة الضغط على جيسيكا. لذا، حاولت برفق ألا تعطيها كثيراً من الواجبات، وألا تصحح أخطاءها، وبصرف النظر عن محاولات سالي فإن جيسيكا بدت متوترة، واستمرت في التراجع دون أقرانها في الصف.

أوضحت المعلمة في اجتماع أولياء الأمور الأول، أن جيسيكا، إمّا أنها لا تتمتع بالنضج الكافي لتعامل مع وظائف الصف الأول، أو أنّ الواجبات كانت صعبة جداً عليها، وقد أشارت نتائج اختباراتنا إلى قدرات مرتفعة، ما أدى إلى عدم القدرة على تفسير توترها وقلقها الواضحين. وفي نقاشات لاحقة مع والديها، اكتشفت أنّ جيسيكا كانت الطفلة التي طال انتظارها، وهي الطفلة الوحيدة في السنوات الخمس الأولى من حياتها، فضطيت بالحب والاهتمام البالغين، وكانت رغباتها تلبى على الدوام، واسترعى بكاؤها للمساعدة استجابة والديها، وإن كانت مهامها صعبة بالنسبة إليها في المنزل، كان والداها يكملانها، ويهرعان لمساعدتها عند ملاحظتهما لأقل مؤشرات التوتر، لقد توقعت جيسيكا القدر نفسه من الاهتمام في المدرسة، وبعد شرح سبب مشكلاتها، أسرع الوالدان إلى تغيير طريقتهما، وشاهداً تغيراً شبه فوري عند ابنتهما.

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن إقناع سالي الجزعة بالشيء السهل؛ لأنها كانت خائفة من إيذاء مشاعر تلك الطفلة شديدة الحساسية، وقد احتاج الأمر إلى ثلاثة أشهر من متابعة المعلمة، وكثير من المكالمات الهاتفية من المعالج النفسي، قبل أن تقر المعلمة بارتياح أنها رأت فعلاً تغيراً على جيسيكا.

كانت المعلمة سالي في السابق مقتنعة تماماً أنّ الطفلة تحت وطأة توتر زائد في المنزل، في حين أنّ الأمر هو العكس تماماً، وفي الواقع، كانت جيسिका غير معتادة - إلى حد كبير - بذل أي مجهود، إلى الدرجة التي كان فيها أي عمل يسبب لها توتراً. في هذه الحالة، ينطبق هنا قانون رم السابع: غالباً ما يسبب الحرمان والوفرة الأعراض نفسها. كانت أعراض التوتّر الظاهر على جيسिका مؤشرات إلى خبرة غير كافية مع التوتّر، وليست أعراضاً لكثير من التوتّر.

مثال آخر على التعاطف غير المناسب هو حالة طالب الصف الثاني ألونزو:

حدث طلاق منذ مدة قريبة في عائلة ألونزو، إضافة إلى مشكلات أخرى. في البداية، كان قلق سالي الجزعة حيال توتّر الطفل واضحاً، وقد أوضحت إلى ألونزو أنه إن احتاج إلى التحدث مع أحد بخصوص مشكلاته، فستكون سعيدة بمساعدته. وقد بدأ كل يوم بقصة محزنة ودموع، واهتمام فردي، حتى قبل أن يبدأ الدوام المدرسي صباحاً، واحتاج الأمر إلى كثير من ساعات الدرس؛ كي يتمكن ألونزو من تحيية مشكلاته جانباً، والاهتمام بعمله المدرسي.

شعرت سالي الجزعة بالأسى حيال ألونزو مدة طويلة قبل تدخل المعالج النفسي، فغيّرت من दिनها اليومي. وبياعطائها ألونزو ملصقاً لكل بداية يوم سعيدة، تمكنت من جعله طفلاً سعيداً حيويّاً من جديد.

لا شك في أن الطلاق حدث مأساوي للأطفال، ويتعيّن أن تتسنى لهم الفرصة بالحديث عن مشاعرهم. ولكن، يجب على أي حال ألا يصبح الانتباه المتعاطف مكافأة للمشاعر الحزينة، فردة فعل المعلمين المبالغ بها، تجعل الأطفال يحسّون بضرورة الشعور، والتفكير، والتصرّف، بحزن وكذلك يفعلون. وبينما يستمر هذا السلوك، سيتراجعون أكثر وأكثر في دراستهم، ويشعرون بأنهم أقل كفاية أكاديمياً. يقلقون أكثر، ويصبح هلعهم المدرسي مختلطاً مع شؤونهم العائلية وتصبح أعراض التوتّر أسس الاهتمام الذي يتوقعونه من الراشدين، إنهم حزينون وسريعو البكاء ومتلاعبون من دون قصد، بل بصورة عفوية.

يتعيّن على المعلم العطوف أن يعطي رسالة تعاطف مقتضبة، ولكن يجب عليه أن يبث الثقة بأنّ الطفل قادر على تحمل المشكلات الصعبة، ما من شأنه مساعدة هذا الطفل على تطوير القوة التي تعزز ثقته بنفسه. وعليه، تساعده على تجاوز الصعاب بسلام، وعلى التعامل مع مشكلات الحياة.

باختصار، في العادة يكون أمثال سالي الجزعة أشخاصاً رائعين وعطوفين، وتكون حساسيتهم وتعاطفهم أموراً إيجابية إن لم تنجح إلى التطرف. إضافة إلى أنه من الصعب دائماً تحديد الخط الدقيق بين الاهتمام والإفراط في الاهتمام، ولكن الرسالة التي يتعين أن يتبناها المرء في الحياة، رغم الصعاب والمشكلات كلها، حيوية للتحصيل ولعيش حياة مرضية.

تكون معظم مشكلات الأشخاص - من أمثال (نيللي السلبية) - أكثر وضوحاً للعيان، ومن الممكن أنك سمعت أو قرأت عنها في صفوف الرعاية الأبوية أو صفوف علم النفس. على أي حال فهي تتطلب اهتماماً مستمراً؛ لأن السلبية تظل مشكلة في معظم الغرف الصفية، وهي متعلقة بتدني التحصيل، والمشكلات السلوكية، والعلاقات الاجتماعية السيئة. من الصعب على المعلمين تجنب السلبية، ومن الممكن ألا يكون المعلمون مدركين للتوتر الذي يسبب فيه الانتباه السلبي المشكلات الصفية العامة.

إن أكثر صور الانتباه السلبي وضوحاً الدعوات المستمرة والمتكررة من المعلمين للالتزام الهدوء أو الانتباه. وبوجه عام، تواتر تلك الدعوات وحجمها يزداد بصورة طردية مع زيادة إزعاج الأطفال، ومن المغري الاعتقاد بأن الدعوات تعزز في الواقع من السلوك غير المرغوب فيه.

على الرغم من أنني راقبت كثيراً من الغرف الصفية، فإن هذا النوع من الفوضى يوجد غالباً في الصفوف المدارة من قبل معلمين جدد، أو بديلين لم يتعلموا بعد كيفية التحكم في المناخ الصفّي. وبناءً على ذلك، لا أعتقد أن هذا النوع من الانتباه السلبي ذو شأن مهم؛ فهناك أنواع أخرى أقل وضوحاً، ولكن أكثر خطورة.

عندما يسيء طفل التصرف يوبّخه المعلمون عادة أمام زملائه في الصف؛ بسبب صعوبة القيام بالتوبيخ أو العقاب الطارئ بصورة هادئة. ومع ذلك، تشير مزيد من البحوث والخبرات العملية إلى أن التوبيخ العلني يزيد من السلوك السلبي. وعلى الرغم من أن كلاً من التوبيخ العلني، والسري، من صور الانتباه، فإن الانتباه الذي يتلقاه الطلاب من أقرانهم نتيجة التوبيخ العلني، يحفزهم إلى أن يزيدوا من سوء تصرفهم.

هناك مشكلة إضافية في المدرسة الابتدائية، يعانيها الطفل الذي يوبّخ من قبل المعلمين باستمرار، حيث يصبح (الولد الشرير) في الصف، ولا يرغب الأطفال الآخرون في صداقته

وهذا، حتماً، يعطيه سبباً آخر لإساءة التصرف بوصفها وسيلة لجذب الانتباه. وعندما تتبدل نظرة المعلم والطفل إلى كيفية تأثير السلوك في الصداقة، ويعتمد المعلم إشارات هادئة مع الطالب، يتحسن السلوك وتحسن العلاقات مع الأقران. وفي المعنى الحقيقي، تحول الانتباه السلبي إلى انتباه إيجابي. حينئذٍ، يصبح المعلم والطالب الآن جنباً إلى جنب في الفريق نفسه، وربما ليس من المفاجئ أن يتغير سلوك الطفل.

من الممكن أن تدرك مشكلة (الولد الشرير) في الغرفة الصفية إن رجعت بذاكرتك إلى الوراء عندما كنت في المدرسة الابتدائية. في مدرستي، كان الولد الشرير هو بليير، لقد كان في صفي مدة خمسة أعوام، اعتاد مضغ أقلامه، ولم يكن يجلس في مقعده، ولم يكن ينجز العمل المطلوب منه، كان مقعده دائماً موضوعاً في مكان قريب من المعلم، أو في مقدمة الغرفة الصفية وكان له طريق معتاد بين الغرفة الصفية ومكتب المدير، لم يحب أحد بليير؛ فلم نكن نجرؤ على مصادقته، كان بليير كالسم!

في العادة يُحفز الطالب الذي لا ينهي العمل المطلوب منه في اليوم المدرسي من خلال الانتباه السلبي. توضح بعض أمثلة الحالة بعض التحذيرات:

قلما أنهى ريكاردو عمله قبل الاستراحة، وكانت عقوبة العمل غير المكتمل هي البقاء في الغرفة الصفية خلال الاستراحة، كانت هذه العقوبة ذات جدوى مع الأطفال الآخرين، ونادراً ما أجبر أحد على البقاء عدا ريكاردو. ومع ذلك، لم يكن هذا العقاب فعالاً معه، وذلك لسببين: الأول، استمتع ريكاردو بالمساعدة الشخصية والاهتمام الذي تلقاه عند وجود باقي الأطفال خارجاً في الاستراحة. والثاني، غالباً ما كانت تتم مضايقة ريكاردو خلال الاستراحة. لذا، شكل البقاء في الصف خلال الاستراحة مأوىً قوياً معززاً لريكاردو، واستمر بعد إكمال مسائل الرياضيات إلى أن تغيرت العقوبات.

لم يكمل جاكسون طالب الصف الرابع الموهوب فكرياً، عمله في المدرسة مطلقاً. قال لي: إن أكملت عملي بسرعة، فستتقديني المعلمة، وتخبرني بأنني قد قمت بعمل سيئ، وإن عملت ببطء، فكل ما ستقوم به هو المجيء بقربي وتذكيري بالانتباه إلى العمل. وفي حالة جاكسون كانت كلتا الاستجابتين انتباهاً سلبياً، ولكنه اختار السلوك الأسهل، الذي عاد عليه بأقل توتر وإجهاد.

## الملل

الكلمة الأكثر تداولاً، التي نسمعها باستمرار من ذوي التحصيل المتدني بخصوص المدرسة، هي الملل. يجب ترجمة الكلمة مُمل بصورة مختلفة، اعتماداً على استخدامها من قبل طفل محدد، فهي تعني لبعض الأطفال أنّ العمل شديد الصعوبة، في حين تعني لآخرين أنه سهل جداً. وتعني كذلك (إنني خائف من المنافسة)، أو (يجب على المعلم القيام بالأمر على طريقتي)، أو (لدي صراع سلطة مع المعلم)، أو (لا أحب هذا الموضوع)، أو (أفضل الآن أن أصادق الآخرين، أو ألعب كرة القاعدة أو أشاهد التلفاز). ولعلها، لعدد قليل من الأطفال، تعني أنّ العمل ممل حقاً.

هنالك من المعلمين من أمثال (باربارا المملة) أو (بوب الممل)، وهناك على ما أمل نسبة ضئيلة فقط من المعلمين الذين لا يأخذون بزمام المبادرة لجعل أنشطتهم الصفية متنوعة ومحفزة، يمتلك هؤلاء المعلمون تأثيراً سلبياً في الطلاب جميعهم؛ المحصلين منهم وغير المحصلين، ولكن، على أي حال، عندما يستخدم طالب كلمة ممل بوصفها عذراً لتدني التحصيل، فمن الواضح وقتها أنّ المشكلة لا تكمن في المعلمين الرتيبين، وسيستمر وصف هؤلاء الطلاب للحصص بأنها مملة بصرف النظر عن موضوع الدرس، أو محتواه، أو طريقة التدريس.

يسبب أكثر أنواع الملل حدوثاً - الإشارة إلى المادة بأنها شديدة السهولة أو شديدة الصعوبة - مشكلة حقيقية لذوي التحصيل المتدني، ويمكن أن يكون ذلك هو سبب تدني تحصيلهم في الأساس، فالمادة الشديدة الصعوبة هي سبب واضح لتدني التحصيل، وإن كان على الأطفال تعلم محتوى ليسوا مستعدين له، فمن الممكن أن يشعروا بهزيمة مبررة، ويستسلموا. وعادة ما يحدث هذا للأطفال الذين يمتلكون قدرات غير متساوية. وعليه، فإنهم يجدون موضوعاً ما سهلاً نسبياً، في حين تكون الموضوعات الأخرى صعبة فعلاً. يفترض المعلم أن هؤلاء الأطفال قادرين على تحمل المهمات المطلوبة منهم كلها بصورة جيدة لأنهم يعطون انطباعاً بأنهم قادرين. ولسوء الحظ، يوسع الأطفال الذين يشعرون بالهزيمة في إحدى المهارات، ذلك النمط من التجنب بسهولة إلى موضوعات أخرى هم فيها أكثر قدرة.

يمكن للأطفال العائلات، التي تنتقل للعيش من مكان إلى آخر، ما يجعلهم يغيرون من مدارسهم بصورة متكررة، أن يشعروا بالتأخر عن أقرانهم بسبب اختلافات المدارس، إذ من الممكن أن تكون كل مدرسة جديدة متقدمة بصورة محدودة عن مدرستهم السابقة، ولكن مشاعر

عدم التنافسية التي تأتي مع نظرهم الدائم للعمل المدرسي على أنه صعب، يمكن أن تكون حساً بالهزيمة يشعل شرارة متلازمة تدني التحصيل.

نصائح  
المعلم

من الممكن أن يؤدي العمل المدرسي شديد السهولة إلى معضلة أخرى، فهو مسبب متكرر لمتلازمة تدني التحصيل لدى الأطفال الموهوبين فكرياً، إذ غالباً ما يعرف الأطفال الموهوبون في الصف الأول، معظم المادة التي ستعطى في ذلك الصف، وعادة ما يكونون ضجرين بصورة مبررة ومستمرة طوال عامهم المدرسي الأول، فيطور بعض هؤلاء الأطفال (الأولاد أكثر من البنات) مشكلات سلوكية، في حين يمكن أن يُقدَّر آخرون (البنات أكثر من الأولاد) الاهتمام الإيجابي من المعلمين بسبب العمل المتقن، ويمكن أن يستمتعوا بصورة كبيرة بأعوامهم الأولى في المدرسة. ولسوء الحظ، يتعلمون أنّ العمل المدرسي لا يتطلب مجهوداً، ولكن عندما يصبح المنهاج في حاجة إلى الجهد لأول مرة، في الصف الخامس أو التاسع أو في الجامعة، فسيجدون أنهم لم يتعلموا كيفية الدراسة أو المثابرة. لم يجربوا الحصول على درجات أقل من (أ) قط ويمكن أن يصفوا المدرسة بأنها مملة؛ بسبب ذلك الحس الجديد بالمجهود الذي عليهم القيام به الآن، أو مشاعر الفشل التي تأتي مع درجتى (ب) و (ج)، ويرجع مصدر مشكلاتهم إلى الوراء لنقص التحدي مبكراً في حياتهم.

المثال الآتي لحالة مثيرة للاهتمام لطفل موهوب:

عندما دخل كريغ؛ الطفل اللامع ذو الأعوام الخمسة رياض الأطفال، كان باستطاعته القراءة بمستوى طالب في الصف الثالث، وقد ترددت والدته بذكر قدراته على القراءة أمام المعلمة؛ لأنها لم ترد أن ينظر إليها بصفقتها ولي أمر يتدخل في أمور غيره.

كان موضوع إساءة تصرف كريغ هو المحور الأساس في الاجتماع ربع السنوي الأول، وكان والداه مرتبكين بخصوص تلك التقارير، ما دعاهما مرة أخرى، إلى تأجيل مناقشة قدراته على القراءة، استمر كريغ معاناة المشكلات السلوكية طوال ذلك العام كله. وبحلول الربيع، كانت المعلمة على استعداد لأن توصي بمعاقبته. وإضافة إلى مشكلاته السلوكية، رسب كريغ أيضاً في اختبار الاستعداد للقراءة ولم يحدث حتى نهاية العام أن أعلم والدا كريغ المصدومان المعلمة بأن ابنهما كان قادراً على القراءة طوال العام.

وقد أوضح كريغ لاحقاً أنه عند قيامه بالإجابة عن الاختبارات، رأى أنّ من الضروري وضع دائرة حول إجابتين من الإجابات الواردة في البنود، حيثما وجد حرفاً، أو بدا له الحرف، تماماً مثل الشكل المقلوب للحرف الأصلي. ومن المؤكد أن هذا التفسير غير الصحيح يؤدي إلى فشله في الاختبار، وقد بيّن تقييم جديد لمهارته في القراءة أنه حقق تقدماً في القراءة عند مستوى الصف الخامس. لذا، فليس مستغرباً أن يصبح كريغ الذي يشعر بالملل مشكلة سلوكية.

نعم، يمكن إلقاء اللوم على المعلم؛ لعدم كشفه عن مهارة كريغ مبكراً، ولكن يقع اللوم على الوالدين أيضاً؛ لعدم تواصلهما مع معلم ولدهم. في حالة كريغ كانت مهارته في القراءة جيدة جداً، لدرجة أنه لن يقوم أي معلم منطقي بتفسير مثل تلك المعلومة بأنها تدخل من الوالدين.

يمكن أن يسبب التسريع الأكاديمي غير المتوافق، أو غير المتسق مشكلات مشابهة للأطفال الموهوبين. فعلى سبيل المثال: سرّعت شانتريل سنة واحد في الرياضيات، بالسماح لها العمل بمفردها، وفي الحقيقة، كانت لامعة جداً إلى درجة أنها أكملت رياضيات الصف السادس في ستة أسابيع، ولكنها اضطرت إلى إعادة رياضيات الصف السادس عندما انتقلت إلى مديرية أخرى؛ بسبب عدم وجود قسم خاص للتسريع الأكاديمي. وفي حالة أخرى، سُمح لإيريك، الطالب في الصف الأول بالقراءة مع الصف الثاني؛ لأن ذلك كان مستواه المناسب. ولكن عندما انتقل في السنة اللاحقة إلى مديرية أخرى، لم تسمح له المدرسة بالعمل في مستوى صفين مختلفين. لذلك، تعيّن عليه إعادة مادة القراءة للصف الثاني مرة أخرى، أُجبر هذان الطفلان اللذان تعلمتا بسرعة أكبر من الآخرين على إعادة المادة الدراسية، وبصورة طبيعية نال منهما الملل.

في بعض الأحيان، يجبر الأطفال على إعادة المادة الدراسية في المديرية التعليمية نفسها أو حتى في المدرسة نفسها، ويحدث ذلك إن افترض أحد المعلمين التسريع الأكاديمي ملائماً في حين رفض آخر إعطاء استثناءات. وقد يحدث ذلك أيضاً إن غيرت المدرسة من سياسة مجموعات القراءة إلى القراءة الجماعية الصّفيّة، ومن المحتمل أن يشتاظ الأطفال الذين تكبلهم هذه السياسات وآبأؤهم غضباً، ما يضعهم في موقف صدامي مع المدرسة.

يمكن لهذا الموقف الصدامي أن يعمم ليشمل موضوعات وصفوفاً أخرى، وتكون سمة (ممل) هي السمة التي يختارها هؤلاء الأطفال عادة لوصف المدرسة، وكل ما يتعلق بها تقريباً، وهم محقون بذلك بصورة جزئية في الأقل؛ فقد أظهرت البحوث أنّ الأطفال الموهوبين فكرياً، تعلموا

في العادة ما بين (35%- إلى 50%) من مواد المهارات الأساسية، قبل التحاقهم بالصفوف الابتدائية. وهناك كثير من الاستقرارات المشابهة، وفيما يلي مثال حالة على هذا الموضوع:

كان تيريل طالب الصف الخامس اللامع جداً يعاني مشكلة أساسية في الرياضيات، وقد وصف فخ تدني التحصيل عنده على النحو الآتي: قال: إنه كان يستمع للمعلم في أثناء شرح المادة الدراسية، ولكنه يشعر بالملل مع استمرار المعلم بالشرح؛ لأنه فهم المادة مسبقاً، ولم يكن في حاجة إلى الاستماع أكثر، فعقله يحوم، ويفكر في أشياء أخرى. وأخيراً، كان المعلم يعطي الوظيفة، ويشعر تيريل في حلها، ولكنه يصطدم لاحقاً بجزء لم يفهمه جيداً؛ لأنه لم يستمع، ولم يكن واثقاً أشرح المعلم هذه المادة أم لا؟ وكان خائفاً من طلب المساعدة.

لم تكن خيارات تيريل جيدة، فيلجأ إلى الغش في إنجاز واجباته، أو لا يقوم بها بتاتاً، أو يقوم بها مع اقتراح كثير من الأخطاء، أو يعترف بعدم الاستماع. لقد راح بين الخيارات الثلاثة الأولى، لكنه لم يجزؤ قط على الاعتراف بحاجته إلى المساعدة. وعلى الرغم من إدراكه للفخ الذي وقع فيه، فإنه استمر بالتراجع أكثر وأكثر في الرياضيات، كانت فجوات المهارات تمنع فهمه للمادة. ولأنه أراد حفظ ماء وجهه، لم يكن يعبر عن مشكلته لمعلمه أو لوالديه، وغالباً ما يتجنب المواجهة من خلال عدم إكماله لواجباته، وأصر على رأيه أن الرياضيات مملة وسهلة.

يجب أن يتعلم الأطفال وجود علاقة بين المجهود والنتيجة مبكراً؛ لأنّ هذا الإدراك يؤدي إلى حسّ بالتحكم الداخلي، ويميز المحصلين عن ذوي التحصيل المتدني. وإن كان العمل المدرسي شاقاً جداً، فلن تؤتي جهودهم أكلها، ولن يحصلوا إلا على الإخفاقات، أمّا إذا كان العمل سهلاً جداً، فسيتعلمون أنّ النجاح يتطلب مجهوداً ضئيلاً. إن التصورين غير ملائمين، ويؤديان إلى تدني التحصيل. يجب أن يكون المعلمون متيقظين لمستويات طلبتهم؛ حتى يتمكنوا من تقديم المساعدة المطلوبة أو التحديات الضرورية. لا توجد هناك ضمانات بأننا قادرين على منع الأطفال من وصف المدرسة بأنها (ملة)، ولكن يمكن للمعلمين أن يكفلوا توافقاً ملائماً ما بين المجهود والنتيجة.

## ضغط الأقران

يصبح ضغط الأقران، لأن يكون الفرد مشهوراً، أولوية في الصفوف المتوسطة<sup>6</sup>، وفي استطلاع رأي حديث أجري على أكثر من (خمسة آلاف) طالب وطالبة في الصفوف من الثالث حتى الثامن، احتلت الشهرة والشعبية، مرتبة عالية ضمن مصادر قلقهم؛ لأنها مرتبطة بالخوف من الإرهاب<sup>7</sup>، وقد أشار (15%) من الطلاب، في مرحلة مبكرة كالصف الثالث، من قلقهم أن يكونوا مقبولين من الجنس الآخر، وارتفعت نسبة الأطفال القلقين تجاه هذا الأمر مع كل صف.

حاز القلق على أن يكون الفرد ذكياً مرتبة متدنية ضمن قائمة الأمور المقلقة، على الرغم من أن الشعور بالتفوق فوق المتوسط في الذكاء، توسط مخاوف الشعبية، والجمال، والثقة وارتداء الملابس الجميلة، والوزن النحيل، وكان تقييم الشخص لذاته بأنه فوق معدل الذكاء وسيطاً أقل فعالية لهذه المخاوف من مجرد الشعور بأنه فوق المتوسط.

وفي مجموعات التركيز، قال طلاب الصفوف المتوسطة بصورة متكررة بأنهم يشعرون بتضارب حول الاجتهاد في المدرسة؛ بسبب خوفهم من أن يضعهم ذلك في فئة الأشخاص غير الشعبيين، وغالباً ما يصعق الآباء والمعلمون لسماعهم عن الطلاب الذين يعتمدون عدم تسليم واجباتهم، أو يرفضون الدراسة للاختبارات؛ لأنهم يفضلون الدرجات المتوسطة. من الممكن أن يحول الراشد الفطن دون أن يصبح هذا نمطاً، ولكن بمجرد أن يبدأ، يصبح تدني التحصيل الناجم عن الرغبة في ظهور الطالب بمظهر محبوب، يستحوذ على الحياة كلها. وعندما يصبح تدني التحصيل عادة، فإنه يدمر الفاعلية الذاتية، ويمكن أن ينجز الطلاب، إن نضجوا وقرروا أن بإمكانهم أن يكونوا شعبيين ومحبوبين من خلال حصولهم على درجات جيدة، أكثر مما كان بإمكانهم تخيله ممكناً في السابق.





## الجزء الثاني

ما الذي يمكنك فعله تجاه ذلك؟



## الفصل السادس

### الرعاية الأبوية نحو التحصيل

الرعاية الأبوية نحو التحصيل، والرعاية الأبوية الجيدة طريقتان تصفان العملية نفسها. سيتفق معظم الآباء على أن ما يريدونه لأطفالهم بشدة هو الصحة الجيدة، والسعادة، والحس بالقيمة الذاتية. وعلى الرغم من أن كثيراً من الأطفال سيشيرون فإنهم سعداء بتدني التحصيل وأنه لا رغبة لديهم في تغيير سلوكياتهم أو توجهاتهم، لكنهم سيجدون بعد عكس أنماطهم وحصولهم على درجات أفضل، وعرضهم لسلوكيات أكثر إيجابية، أنهم يفضلون حياتهم المتسمة بالتحصيل والعمل الدؤوب، وسيشيرون إلى تفضيلهم لأنماطهم السلوكية الجديدة.

إنّ التحصيل المدرسي والإنجاز الحياتي، وما ينجم عن ذلك من ثقة بالنفس، ورضا عن الذات هي مخرجات يتمناها الآباء جميعهم لأطفالهم. ويعي الآباء حقيقة أنّ مزيداً من أبواب الفرص ستفتح للأطفال الذين يبدعون في المدرسة. هناك أيضاً أمور أخرى يقدرها الآباء، إذ إنّ كثيراً منهم قلقون حيال تقبل أطفالهم اجتماعياً، وبعضهم يرغب في أن يكون أطفالهم نشيطين في الرياضة، أو الفن، أو التمثيل، أو في حقل موهبة محدد. في حين يرغب بعض الآباء في التشديد على الإبداع، أو العطف، وتستمر القائمة إلى ما لا نهاية. وعلى أي حال، لما كان هذا الكتاب يشدّد على الوقاية من متلازمة تدني التحصيل وعكسها، فسيوفر هذا الفصل خطوياً إرشادية عامة للرعاية الأبوية تشدد على تحقيق الأهداف.

## نمذجة التحصيل

ينص قانون رم الثاني على أن الأطفال يتعلمون السلوكات المناسبة بسهولة أكبر إن وجدوا نموذجا فاعلاً لتقليده، وهذا يكون عنصراً حيوياً في الرعاية الأبوية نحو التحصيل. فلا يشترط أن يكون الآباء أنفسهم محصلين فحسب، بل يتعين عليهم مشاركة وجهات نظر واقعية وإيجابية عن التحصيل مع أطفالهم، ويجب أن يرى الأطفال في آبائهم العلاقة بين المجهود والمخرجات وأن يفهموا أن الآباء يفشلون، ويشعرون بخيبة الأمل أحياناً. ولكن، يجب عليهم أن يروا آباءهم ينجون من الفشل وينجحون مرة أخرى، ويجب كذلك أن يختبروا تثبيط الآباء لهم وابتهاجم منهم، إضافة إلى أنهم في حاجة إلى القدرة على رؤية المكافآت الذاتية والخارجية التي تأتي مع جهود آبائهم. كذلك يجب عليهم أن يروا في آبائهم الإبداع وقدرًا معقولاً من الامتثال. ويجب أن يكون هناك توازن بين نظراتهم الإيجابية والسلبية نحو آبائهم بوصفهم نماذج يقتدى بها؛ لأن ذلك التوازن سيجد في الأغلب ما إذا كان الآباء محصلين، ولكن من الممكن أن يعطي الآباء أطفالهم أحياناً منظوراً سلبياً منحازاً عن عملهم بصورة غير مقصودة.

على الآباء أيضاً أن يظهروا شركاءهم بـ (صورة مُحَصِّل)، وبفعلهم ذلك، هناك بعض المزالق المنتشرة التي يتعين أن يدركها كل من الزوج والزوجة، لا تتذمر باستمرار من غياب شريكك / شريكتك؛ بسبب العمل، حتى لو كنت قلقاً حيال حرمان أطفالك من رعايته/ رعايتها الأبوية. لا تصفا وظائف بعضكم بعضاً أنها سيئة، أو تلقيا باللوم عن عصبية شريكك / شريكتك على الضغط الناتج من الوظيفة. تأكداً من ألا تعزوا المشكلات العائلية إلى رئيس شريكك / شريكتك في العمل، وألا تلوما عمله/ عملها في المشكلات الزوجية أو الاقتصادية. وبدلاً مما سبق، وضّحاً لأطفالكما الرضا الحياتي، والفوائد المادية لعمل شريكك / شريكتك الدؤوب. يمكن أن تكون محقاً في الأجزاء التي لا تحبها في وظيفة شريكك / شريكتك، ولكن من المهم تعزيز المكونات الإيجابية، وتوضيح سبب اختيار الأم أو الأب إلى مهنة صعبة مليئة بالتحدي.

من الممكن أن يبدو بناء وظيفة الشريك أحياناً، إما أمراً شديداً الصعوبة، أو أمراً عديم الأهمية، ولكن، - على أي حال - هناك تناظر قوي بين تحصيلك الشخصي، أو تحصيل شريكك / شريكتك في العمل، من جهة، وميول أطفالكما التحصيلية في المدرسة من جهة أخرى. وعلى الآباء الذين يسهبون في خطب مطولة عنيفه عن واجباتهم، أو وظائف شركائهم الفظيعة

أن يكونوا مستعدين لسماع توجهات مشابهة نحو المدرسة من أطفالهم، وعندما يصل أطفالهم إلى مرحلة المراهقة، فمن المحتمل أن يجد الآباء تعليقات الأبناء لا تطاق، وفي الأغلب أن تكون كالآتي:

- (لا أرى مبرراً لقيامي بهذا العمل المدرسي كله؛ فأنا في حاجة إلى وقت ما للترفيه).
- (أنا لا أشبه أبي بتاتا، ولن أختار أبداً وظيفة مثل وظيفته).
- (لا أعرف ماذا أريد أن أكون أو أعمل - شيء لا يتعين علي فيه العمل طوال الوقت).
- (الدرجات المتدنية ليست خطئي؛ فالمعلمة تضع درجات رهيبه، وهي تتوقع مني ما لا أستطيع).
- (لا أريد وظيفة كوظيفة والدتي؛ فهي لا تجد وقتاً للعائلة).

مقابل كل رسالة سلبية يعطيها الآباء لأطفالهم عن وظيفتهم أو وظيفة شركائهم، سيسمعون رسالة مشابهة من أطفالهم عن المدرسة؛ لأن المدرسة هي (مكان عمل) الطفل. أحياناً، يكون من المستحيل تجنب السلبية والتشاؤم. ولكن، على أي حال، إن تعلم الآباء توفير نظرة أكثر إيجابية وتوازناً عن عملهم، فبإمكانهم أن يتوقعوا من أطفالهم توجهات أكثر إيجابية نحو التحصيل المدرسي؛ هذا مؤكّد.

إن لم تكن الأم تعمل خارج المنزل، فيجب على الأب أن يكون حساساً لكيفيّة وصفه لعمل زوجته المنزلي؛ فهناك مشكلة منتشرة عند الأزواج، وهي ميلهم إلى التقليل من قيمة مساهمة زوجاتهم غير الوظيفية، ومن شأن تعليقات من مثل: (ألم تعلمي شيئاً اليوم؟) أو (إن كل ما تقومين به هو التنقل في الأنحاء والتسوّق فقط) (في أثناء جلوس العائلة لتناول العشاء المنزلي الشهي الذي أعدته الأم في المنزل الذي نظفته الأم مرتدين ملابسهم التي غسلتها الأم) - أن تظهر مساهمة ربة المنزل دون راتب شهري بأنها تافهة.

الأنشطة التطوعية التي تتطلب مجهوداً وحساً قيادياً، وإبداعاً، ومسؤولية، وتكون مهمة للمجتمع أو للأطفال، غالباً ما يصفها الأب أنها أنشطة اجتماعية طائشة لا فائدة منها. وإن قررت الأم العودة إلى الجامعة لإكمال تعليمها، فغالباً ما يصف الأب ذلك التعليم أنه عمل فارغ يهدف إلى إضاعة الوقت، أو أن يشير إلى أنّ تعليم الأم يتعارض مع الواجبات والأنشطة العائلية وهذا يجعل الأطفال يعتقدون بأنّ تعليم الأم غير حيوي وغير ذي قيمة. من الممكن أن تواجه الأم إن بدأت

وظيفة ما في مرحلة متأخرة من حياتها؛ لأنها انتظرت حتى يكبر أطفالها، عائقاً متعلقاً بالراتب؛ بسبب بدئها العمل في سن متأخرة، أو بسبب نقص تدريبها وخبراتها، أو بسبب المحددات الجغرافية، أو بسبب الراتب القليل الذي يعطى للنساء بصورة عامة. يقلل بعض الرجال من شأن المساهمات المادية التي تقوم بها النساء، إضافة إلى المكانة المتدنية لواجباتهن، وأحياناً يشعر الرجال بالتهديد من النجاح الحديث لزوجاتهم.

إن خطر مثل هذا النوع من التعليقات الصادرة عن الأب في أنه يقلل من قيمة الأم في أعين أطفالها، ويسلبها قوتها وسلطانها. ولما كانت الأم هي المسؤولة الرئيسة عادة عن تهذيب الأطفال، والتواصل مع المدرسة، وتوفير التوجيه التعليمي للأطفال، فإنها صارت عديمة الحيلة في تعليم الأطفال وتهذيبهم؛ بسبب سحب الزوج السلطة من بين يديها. وعلى الرغم من أن الأب لم يخبر أطفاله بصورة مباشرة ألا يطيعوا أمهم، بل ويمكن في الحقيقة أن يكون واضحاً جلياً فيما يتعلق بموضوع الطاعة، فإنه في الواقع نمذج عدم الاحترام دون أن يكون مدركاً لخطورة أفعاله، ولم يقلل من قيمة زوجته فحسب، بل بخس كل ما تمثله: الاهتمام العطوف، والمحب للأطفال، والاهتمام بالتعليم والتعلم، والمبادرة العظيمة التي يتطلبها الجمع بين التعليم أو العمل والعمل المنزلي.

سينظر أطفاله إلى أمهم -ولو بصورة جزئية- عبر وصفه وإعلائه (أو تقليله) من قيمة إنجازاتها، وسيجاهل الأولاد أمهم، وسيخذلونهم ويتدنن تحصيلهم، أما البنات، فسيستنافسن، ويتجادلن معها، ويتدنن تحصيلهن أيضاً. يتعين على أي أب يتوقع من أطفاله احترام أمهم، أن يصف بصورة صريحة احترامه لجهود زوجته، ومساهماتها، وقناعاتها، والتزامها تجاه المجتمع وتجاه التعليم.

على الرغم من قلة عدد الأزواج الذين يلازمون المنزل في مجتمعنا، فإن عددهم الآن أكثر من أي وقت مضى. ويغلب أن يكون الأب الذي لا يعمل خارج المنزل في خطر أن يقلل الجيران والراشدون الآخرون من شأنه، ويكون من المهم بصورة أكبر أن تجعل الزوجة العاملة من إدراكها لإنجازاته واضحاً؛ بسبب الأدوار والصور النمطية الجنسانية للآباء والأمهات، ومن الممكن أن تجد الأمهات اللواتي يشعرن ببعض الذنب؛ بسبب تخصيصهن لوقت قليل للرعاية الأبوية، أن ينتقدن الرعاية الأبوية لأزواجهن على مسمع من أطفالهم، الأمر الذي يشل الأب المتفاني للرعاية الأبوية، ويسلبه سلطته بالطريقة نفسها التي تقلل فيها من قيمة الأم في البيوت التقليدية.

تحدث نمذجتك للتحصيل ووصفها في شريكك فرقاً حيويّاً في دافعية أطفالك نحو التحصيل. وإن بدا هذا الأمر مثاليّاً أو مستحيلاً، فاستمع إلى ما يقوله أطفالك عن المدرسة، ستعرف أنّهم يشاهدونك، وينصتون إليك، وأنهم تلقوا رسائلهم عن عملك وعمل شريكك. وإن توقعت منهم تغيير جهودهم وتوجهاتهم، فسيتعيّن عليك تغيير نمذجتك. وستكون هناك منفعة إضافية من النمذجة الإيجابية، وهي تقديرك الشخصي الإيجابي لعملك.

### السلطة والسيطرة

تقع على الآباء مسؤولية أطفالهم، حيث يشعر الأطفال بالأمن عندما يتبعون قيادة آبائهم بشرط أن يعتادوا هذا النموذج، وعلى الرغم من أنّهم سيتخطون الحدود بصورة عشوائية كي يحددوا مدى حريتهم، فإنهم سيحترمون كلمة (لا) عندما تقال لهم بصورة حازمة ومنصفة.

الأطفال الذين لم يتعلموا تقبل الحدود في صغرهم، بالتأكيد لن يتقبلوها في مرحلة المراهقة، أنعم النظر في الحرف (V) بوصفه نموذجاً لتوجيه الأطفال: عندما يكون الأطفال صغاراً، فإنهم يبدؤون من قاعدة الحرف (V)، متمتعين بحرية محدودة وبنية ضيقة، وعندما ينضجون، ويصبحون قادرين على التعامل مع قدر أكبر من الحرية بصورة مسؤولة، فستباعد الجدران المحددة للحرف (V)، معطية إياهم حرية أكبر، ومحافظة في الوقت نفسه على حدود واضحة، أمّا خلال مرحلة المراهقة، وعندما ينتقلون إلى قمة الحرف (V)، فإنهم يصبحون قادرين على اتخاذ قرارات وأحكام مستقلة نوعاً ما، ولكن يتعيّن عليهم الاستمرار في إدراك خضوعهم لتوجيه الراشدين، وهم بذلك مستعدون للخروج من الحرف (V) إلى سن الرشد اليافع، والاستقلال، واتخاذ القرارات الشخصية.

اعكس الآن الحرف (V) ليبدو على الشكل الآتي: (Λ). يُعطى الأطفال الذين ينشؤون عند قاعدة هذا الشكل، كثيراً من الحرية وكثيراً من الخيارات، حيث يصبحون معادين اتخاذ القرارات بصورة مستقلة، قبل أن يكونوا قادرين على تحمّل مسؤولية الحرية، وعندما يتجهون نحو سن المراهقة، يصبح الآباء قلقين بأن أطفالهم سيسبئون استخدام هذه الحرية، ويقلقون حيال الأخطار التي تظهر في المدرسة وفي المجتمع؛ حيث يُنظر إلى التبغ، والكحول، والمخدرات

والممارسات الجنسية غير الأخلاقية، على أنها تهديدات يجب أن يُحمى أطفالهم منها، فيبدأ الآباء بوضع الحدود للأطفال، وتُسلب الحرية منهم.

يشعر الآن المراهقون الذين امتلكوا سلطة مفرطة في طفولتهم، بأنهم غير أحرار ومسيطر عليهم بصورة زائدة من آبائهم، وتوضح تصريحاتهم شعورهم بالتكبير، فيتذمرون بالقول (والداي مسيطران علي). فيدفعون الحدود، والمعارضة، والتمرد بصورة ارتكاسية، ويفرط الآباء القلقون عندها بالمعاقبة وتضييق الحدود، الأمر الذي ينجم عنه مزيد من العصيان؛ حيث يستطيع مراهق غاضب متدني التحصيل أن يحول منزلاً سعيداً إلى منزل عدائي بسرعة. إضافة إلى ذلك، يشعر هؤلاء الأطفال بقلّة الحيلة مقارنة بالسلطة التي كانوا يحظون بها يوماً؛ فعندما تُمنح الحرية، يكون من الصعب انتزاعها، إن أسلوب الحرف (V) في التوجيه أكثر نعومة وراحة للمراهقين ولآبائهم على حد سواء.

إن توقع اتخاذ قرارات بصورة راشدة من الأطفال يعطيهم سلطة دون حكمة، ويقود إلى صراع على السلطة التي أعطاها الآباء بصورة مبكرة، ويحاولون الآن استرجاعها بصورة متأخرة ومن الممكن أن يجبر الصراع الناتج المراهقين على التمرد بعناد، وأن يجبر الآباء على الاستجابة بصورة سلبية، حيث يخسر كلا الطرفين البيئة المنزلية الإيجابية التي من الممكن أن تكون قيمة جداً في توجيه الأطفال.

### إعطاء رسائل إيجابية واضحة

تستطيع الرعاية الأبوية بالتوقعات الإيجابية أن تكون ناجحة جداً في توجيه الأطفال، سواء داخل المدرسة أو خارجها، وإن توقعنا التحصيل المرتفع، والتوجهات الإيجابية، والسلوك البنّاء وعزّزت من الآباء، فستصبح مستبطنة من الأطفال، وستكون الحاجة إلى العقاب مهمة في العادة.

كيف يوجه بعض الآباء أطفالهم بصورة جيدة جداً من غير عقاب، في حين يلجأ إليه آخرون

بصورة متكررة؟

## المديح المعقول

أظهرت الدراسات المتعلقة بالأشخاص الناجحين والمشهورين، أنّ هناك في الأقل والداً واحداً أو راشداً مهماً آمن بقدراتهم<sup>1</sup>، وقد تعلم الآباء والتربويون إدراك أهمية تقدير الأطفال الذاتي في إنجازاتهم. ولكي يتمكن الأطفال من بناء التقدير الذاتي، فإنهم يحتاجون إلى بعض من التغذية الراجعة الإيجابية على صورة مديح من الراشدين المحيطين بهم. وفي الواقع، ينقل المديح قيم الراشدين إلى الأطفال.

وعلى الرغم من أنّ بعض المديح جيد للأطفال، فإن الإفراط فيه يمكن أن يجعل الأطفال اعتماديين عليه. ولأن المديح ينقل القيم إليهم، فمن الممكن أن ينقل الإفراط فيه قيماً من الممكن استبطانها بوصفها ضغطاً. ومن المحتمل لكلمات المديح، مثل: (رائع)، (عبقري) (نابهة)، (أخاذا)، (الأذكي)، (فائق للعادة)، إن استخدمت باستمرار مع الأطفال، أن تُستبطن بوصفها توقّعات مستحيلة بحلول الوقت الذي يبلغون فيه سن المراهقة. وعلى أيّ حال فإنّ كلمات مثل: (تفكير جيد)، و (عمل دؤوب)، و (موهوب)، و (مواظب)، و (جذاب)، يمكن أن تنقل قيماً ستحفزهم دون الضغط عليهم. لا يضرّ الإفراط في المديح بين فينة وأخرى، لكن كثيراً من الأطفال قد شاركوا معي قصصاً عن الضغط الناجم عن توقّعات آبائهم، الذي يشعرون به في الوقت الذي أراد الآباء فيه تشجيعهم فقط.

سيقع الأطفال الذين نادراً ما يتلقون مديحاً في مشكلة؛ لأنهم يعتقدون بأن العالم يتوقع منهم القليل. ومن الطبيعي أن الأطفال الذين يسمعون فقط عبارات الإذلال، مثل: (كسول)، و (غبي) و (مغفل)، و (أخرق)، يكونون أكثر احتمالية لأن يعانون المشكلات الأكثر خطورة، ويشعرون بأنهم حقيرون وغير أكفاء بصورة يومية.

إن المورد الأكثر ثمناً الذي على الآباء تقديمه هو اهتمامهم الشخصي؛ إذ عادة ما يفضل الأطفال الاهتمام الإيجابي، ولكنهم يطورون بصورة متكررة عادات سلبية؛ للحصول على أيّ نوع من الاهتمام. وبعبارة أخرى، يتعلمون طرقاً جديدة فاعلة في الاستحواذ على الانتباه، سواء كانت هذه العادات جيدة لتطورهم الشخصي أم لا. وإن استحوذ الانتباه للسلوكات المشكلة في الوقت الذي يتفاعل الأطفال من خلاله مع الآباء، فلن يجدوا أي وقت للانتباه للأمور الإيجابية، قريباً ما يخسر هؤلاء الأطفال ثقتهم في قدرتهم على نيل الملاحظة الإيجابية، ولن يُكوّنوا عادة العمل والتطلع نحو توقّعات الآباء الإيجابية أبداً.

صرح أكثر من والد مُحبطٍ بأنهم قليلاً ما كانوا يجدون تصرفات عند أطفالهم تستحق الإشادة، وفي هذه الحالات تسود دورة سلبية أو عقابية، ويصبح تحفيز هؤلاء الأطفال نحو السلوك البناء - أي التحصيل - أمراً شديداً الصعبة.

### الانسجام بين الأبوين

إن الرسائل الواضحة، والمنسجمة، والمتفق عليها من قبل كلا الأبوين (أو الثلاثة أو الأربعة) والمرسلة إلى الأطفال جوهرية، فيجب على الأبوين الاتفاق على القيم الضمنية، مثل: (1) أولوية الدراسة، والتعلم، والمدرسة، والعمل والمسؤولية. (2) احترام التنفرد. (3) احترام الراشدين. (4) إدراك التوازن بين مدد معقولة من المرح والترريح عن النفس، التي تنضوي تحتها جميعها على ما يبدو بيئة إيجابية تعنى بالتحصيل. ويلخص قانون رم الأول: الأطفال أكثر احتمالاً لأن يكونوا متفوقين إن اتحد الوالدان معاً؛ ليعطوا الرسالة الواضحة الإيجابية نفسها عن مجهود المدرسة والتوقعات منها، (أهمّية الجبهة الأممية المتناسكة).

يبدو فعل هذا الأمر أسهل مما هو عليه في الواقع، حيث تتولد مشكلات الانسجام والوضوح في كثير من المواطن. بإمكان أيّ والد أن يكون غير منسجم من وقت إلى آخر؛ بمعنى أن الآباء بإمكانهم تغيير تطلعاتهم بناءً على آخر جارٍ تحدثوا معه، أو مزاجهم المتغير، أو الضغط الشخصي الواقع عليهم. ولا يعطي الآباء رسائل واضحة على الدوام؛ لأنهم قد يكونون مشغولين. وعليه، لا يأخذون الوقت الكافي لأن يكونوا واضحين، أو لأنهم لم يفكروا بالرسالة ملياً، أو لأنهم غير متأكدين من كيفية شعورهم حيالها.

هذا مثال على ذلك: تخبر الأم ولدها بمدى سعادتها لرؤيته يعمل بجد على مشروع العلوم المخصوص به، ثم تتمشى في الخارج لتستنشق هواء الربيع الطلق، وترى أصدقاء ولدها يلعبون كرة القاعدة، فتعود إلى البيت شاعرة بالذنب حيال افتقاد ولدها للمرح، وتقترح عليه أن يأخذ استراحة، وألاً يقسو على نفسه إلى تلك الدرجة. لقد تغيّرت الرسالة المبعوثة لولدها من قيمة العمل الجاد إلى قيمة اللعب، حيث يمكن لهذا الأمر أن يصبح أكثر تعقيداً إن بعث كل من الوالدين رسائل مختلفة للولد: تشيد الأم بعمل ولدها الجاد، ولكن الأب يقترح عليه ألا يضيع المباراة مع أصدقائه، فمن الممكن أنه - أي الولد - يتعامل مع موضوع العلوم بصورة جدية زيادة عن اللازم.

يمكن لهذه التعقيدات أن تتراكم بعد الطلاق أو إعادة الزواج، ويمكن أن تتفاقم المشكلة بصورة أسّية، عندما يكون هنالك ثلاثة أو أربعة (آباء). ومن المؤكد أنه كلما ازداد التباين بين الرسائل، ازدادت إرشادات الأطفال اضطراباً.

توماس الممزق الذي ورد ذكره في الفصل الأول، هو ضحية للرسائل المتناقضة المعطاة بعد الطلاق، وعلى أيّ حال، حتى في العلاقات الزوجية السليمة، يمكن لتطلعات الأبوين أن تناقض بعضها بعضاً، وهنالك تناقضات على الدوام في المواقف التي يوجد فيها ثلاثة (آباء) أو أربعة.

يجب على الأبوين أن يحاولوا التواصل برسائل متشابهة إن كانا حقاً قائلين حيال أطفالهما وإلا فسيجد الأطفال أنه من المستحيل إرضاء كلا الأبوين، واستبطان اتجاهات واضحة للسلوك الإيجابي. وصف شخص ذو سبعة عشر عاماً مشاعر (توماس المحبط) على النحو الآتي:

والدا لويس متزوجان منذ عشرين عاماً، وعلى الرغم من أنهما دائماً الخلاف والجدال، فإنّ لويس شعر الآن بحدة مشكلتهما، فقد شعر أنّ أباه يحاول بشدة إرضاء أمه، على الرغم من أنّها هي القائلة: إنها تحاول تحسين الزواج، شعر لويس أنه مُتلاعب به بدهاء من أجل أن يكون مع والدته ضد أبيه، وتذكر واقعة حصلت معه حديثاً، فقد سأل أباه أيامكانه قيادة السيارة إلى المدرسة؟ فرفض، ثمّ جاءت والدته لتدافع عنه، وأقمت أباه بتغيير موقفه فتنازل الأب، وغادر إلى العمل. انتقدت الأم بعد ذلك ولدها؛ لأنّه لم يُلح على أبيه بصورة كافية. غادر لويس المنزل ممتعضاً، وخرق إطارات السيارة في أثناء خروجه من المنزل، نعم لقد أراد السيارة، لا، لم يتوقع أن تتحدث أمه بالنيابة عنه، لا لم يخطط للإجابة على أبيه بقلّة احترام، حتى لو كانت هناك مشكلات بين والديه، لقد ألم اليأس رأسه، فكيف له أن يرضيهما كليهما؟ كيف يمكنه أن يمنع الزواج من التماذي في التحلل والاضمحلال؟ لقد أمضى كامل اليوم المدرسي باحتياج عظيم دون أن يستمع إلى ما قاله المعلمون أو الأصدقاء، وقد بدت له المدرسة مبهمة مقارنة بمشكلته التي على ما يبدو أنها لا تقهر: تعلم التعامل مع شخصين يحبهما، كان كل منهما يستغيث به للوقوف إلى جانبه في معركته مع الآخر.

بإمكان الأطفال المراهقين وصف مشاعرهم، وتعلّم التحدث عن إستراتيجيات للتعامل مع الرسائل المتناقضة، أمّا الأطفال الأصغر سناً، فهم يشعرون بالتمزق؛ من جرّاء حسّهم بعدم

القدرة على التقدم للأمام؛ بسبب الخوف من أن أحد والديهم سيكون مستاءً من ذلك بكل تأكيد إنهم يقولون ببساطة: إنهم لا يكرثون، ولكنهم في الحقيقة غاضبون ومرتبكون.

قد يشعر أحد الوالدين أنّ الوثوق في الأطفال عن الوالد الآخر هو أمر (صادق ومتفتح) وغالباً ما يفتقد الآباء الذين يقومون بذلك مودة الشريك الآخر وحميميته، ما يوقعهم في فخ إرشاد الأطفال بصورة مبكرة جداً. ويشعر الأطفال من ناحية أخرى أنّ المودة منحتهم سلطة يتقبلونها دون تردد، فعندما تخبر الأم أبناءها وبناتها: إنّ أباهم فاسد وسخيف، أو عندما يخبر الآباء أطفالهم: إنّ أمهم متكلفة ومتسلطة، فإنهم يشعرون بحرية مناداة أبيهم بـ (الوغد) أو أمهم بـ (العجوز القبيحة)، وبذلك يكون أحد الوالدين قد علم الأطفال بصورة غير مقصودة التنافس مع الوالد الآخر.

وعندما يسمع أحد الوالدين هذه الكلمات قليلة الاحترام توجه نحو الآخر، فمن الممكن لذلك الآخر ألا يقول/ تقول أي شيء، ولكن، حتى لو طلب هؤلاء الآباء إلى الأطفال أن يتسموا بمزيد من الاحترام، فيمكنهم أن يؤمنوا بدقة الكلمات قليلة الاحترام، ومن الممكن ألا يدرك الوالدان عندما تقول الأم لنفسها: إنه وغد، ويقول الأب لنفسه: إنها عجوز قبيحة، بأنهما في الواقع قد غرسا تلك الكلمات، بل يفترضون بدلاً من ذلك أنّ الأطفال يتمتعون بالانضج الكافي الذي يؤهلهم لتكوين رأي يتوافق مع آرائهم. ويستمر عدم الاحترام، ويبدأ هؤلاء الأطفال متحصنين بسلطة الراشدين التي يمتلكونها بعدم الشعور بالخرج من مناداة معلمهم بالأوغاد والعجائز الشمطاء، وسينتهي بهم المطاف بتوجيه غضبهم نحو ذات الوالد الذي أعطاهم، من دون قصد، الإذن المبدئي بأن يكونوا عديمي الاحترام.

عندما يتفق الأبوان- ولو بصورة طفيفة- على قلة احترام أطفالهما للراشد الآخر، فإنهم بذلك يعطون رسالة واضحة، مفادها أن يكون الأطفال صداميين ومتحدين. وعندما لا يقول الأبوان أي شيء بتاتاً، فإنهم لا يختلفون مع أطفالهم أو يعززون من عباراتهم، ويفترض الأطفال أنهما متفقان معهم. يلخص ذلك قانون رم التاسع: يصبح الأطفال أكثر معارضة إن انحاز إلى صفهم شخص راشد ضد ولي أمر أو معلم، جاعلاً منهم أقوى من شخص راشد.

كيف تستطيع إعادة صياغة سلوكك لتعطي رسالة احترام واضحة لأطفالك؟ تستطيع الأم التي تشعر بالرفض وبالغضب تجاه رغبة زوجها بالانفصال، إخبار ابنها وابنتها أنّ شعورها

فظيع، ويمكنها أن توضح لهما أنه من الصعب عليها فهم سلوك أبيهما، ويستطيع الأب الذي شعر بالتسلط، أو زوجته السابقة، الإشارة إلى أطفاله إلى مدى فعالية إرشاد أهمهم لهم، وكيف يبرهن ذلك على حبها واهتمامها بهم.

حقاً يجب ألا يخبر الآباء أطفالهم بأنهم أحبوا سلوك شريكهم في الوقت الذي هم في الواقع قد كرهوه؛ لأن ذلك سيكون كذباً ونفاقاً؛ لأن الأطفال قادرون على اكتشاف هذه الأكاذيب.

### الانسجام والتناقض ضمن أحد الوالدين

هناك مثال على التناقض عند أحد الوالدين برسالة (نعم-لا)، ويحدث الارتباك عادة مع الآباء المصممين على أن يكونوا عقلانيين مع أطفالهم. فهم يؤكدون أنه من غير الصواب توبيخ الأطفال دون شرح سبب ذلك التأنيب، وهم واثقون من أن أطفالهم قادرون على فهمهم.

يبدأ هؤلاء الآباء مبكراً جداً في محاولة إنجاز المستحيل، وذلك شرحهم بالتفصيل لماذا بالضبط يجب عدم وضع لعبة في قابس كهربائي لطفل في عمر عامين مضغاً بالنشاط. وعلى الرغم من احتمالية أن يكون الأطفال لامعين، ويتمتعون بحصيلة لغوية ممتازة في سن عامين فإن قدرتهم على التفكير العقلائي أدنى بكثير من المرحلة المجردة التي تفترض الأم وجودها فالأبعاد الزمنية لانتباههم قصيرة، وبالتأكيد لا ترتقي إلى المدة الزمنية التي يستثمرها الأب أو الأم في الشرح. من الممكن أن يستتبط الأطفال من نبرة الوالد الصوتية أنهم قد اقترفوا أمراً غير صحيح، ولكنهم لا يزالون يشعرون بأنهم محبوبون، ويمكن حتى أن يزخرف الوالد العبارات المنطقية باحتضان أو اثنين، وعندما يتأكد الأطفال بأنهم محبوبون، فسوف يعودون إلى لهوهم وإدخال لعبتهم في القابس الكهربائي، ويحاول الأب أو الأم من جديد.

بينما يكبر الأطفال، وتزداد شقاوتهم التي أغدقت عليهم بالأصوات الحنونة والاحتضانات يفقد الوالدان صبرهم ورباطة جأشهم، فيصرخون، ويوبخون، ويزعقون، وأحياناً ينتفضون ويصفعون، ولكن لما كانت نيتهم أن يكونوا عقلانيين، فإنهم يشعرون بوخزات تأنيب الضمير بعد فقدانهم للسيطرة، فيعتذرون لأطفالهم على عصبيتهم أو ضعفهم إياهم، ويفسرون لماذا هم (الأبوان) سيئون التصرف.

لا يعرف الأطفال في هذه المرحلة حقاً إن كان الوالد موافقاً أو غير موافق على سلوكهم ولكنهم يتعلمون على أي حال أن ما فعلوه قد عاد عليهم بكميات مبالغ فيها من الحب والاهتمام. وبصورة منطقية جداً، يزيدون من نوع السلوك غير المرغوب فيه الذي يؤكد هذا الانتباه وتترافق أصناف العقاب بالاحتضانات والعواطف الجياشة، ومن الممكن أن يزيد الأطفال مدفوعين برغبة قوية أساسية للحب، السلوك الضار بطقس سلبي متسارع مستديم.

لقد أتى كل طفل قاصر الانتباه ومفرط الحركة، وزارنا والداه في العيادة طلباً للمساعدة، من بيئة منزلية أعطى فيها أحد الوالدين - في الأقل - رسائل (نعم-لا) متكررة. قد يكون سلوك الطفل مرتفع الطاقة الصعب هو الذي حث على رسائل الوالدين الراكبة. ولكن، ما يبدو أكثر احتمالية، أن الرسائل المتعارضة شتت تركيز انتباه الأطفال إلى المرحلة التي أصبحوا معها يتجاوزون الحدود؛ لجذب الحب والانتباه من أحد الوالدين، واكتشفوا بمحض المصادفة أن السلوك المسبب للمتاعب أمدهم بالدفء الذي يسعون إليه، وتعلموا حدوداً غير واضحة المعالم لما هو غير مقبول منهم، واندمجت العواقب غير المرغوبة بتلك المرغوبة، وسمحت لهم بالقيام بأي شيء يجذب انتباه والديهم بتهور واندفاع.

يتبنى الأطفال أحياناً أنماط والديهم المتناقضة لأنفسهم، ويجدونها فاعلة، ويتعلمون عندما يكبرون الاعتذار بسرعة عن أخطائهم؛ ليقصروا الوقت بين التوبيخ والعواطف الجياشة.

ويتعلم هؤلاء الأطفال أن أي سلوك تقريباً، (مثل: تجاهل الأعمال المنزلية المتكررة المعتادة، الوقاحة، العمل المدرسي الخائب) هو سلوك مقبول، ومن الممكن أن يصبحوا متلاعبين رشيقين في البيت وفي المدرسة؛ حيث يُنقل الطقس التلاعبية نفسه الذي يتعلمونه في المنزل إلى الغرفة الصّفية. على سبيل المثال: لديهم عذر واعتذار يصدقه المعلم في البداية بعد كل اختبار يفشلون في الدراسة له، فتربك ديناميكيا الموقف الوالدين والمعلمين، والأطفال أنفسهم أيضاً.

يزيد الأطفال الذين هم نتاج رسائل (نعم-لا) المختلطة من سوء تصرفهم وتلاعبهم، إلى أن تعود عليهم وعلى الآخرين بمشكلات خطيرة، ليصبحوا بذلك خبراء في السلوك غير المسؤول وفي تجنب العواقب السلبية.

## رسائل (تغلب على النظام)

يمكن ألا تظهر التزامات الراشد الوظيفية والمالية أول وهلة بأنها مرتبطة بمتلازمة تدني التحصيل، ولكنها على أي حال تؤدي دوراً مهماً في إيصال رسائل المسؤولية في المدرسة، فالمدارس هي (النظام) للأطفال، وإن نظروا إلى نموذج آبائهم بأنه محاولة (التغلب على النظام) عبر محاولة تجنب العمل، فسيحاكون ذلك الوالد من خلال محاولتهم لـ (التغلب على النظام) وتجنب العمل في المدرسة.

كان أحد طلاب المدرسة الثانوية الذين عملت معهم فائتاً وذكياً ومبدعاً بطرائق عدّة إضافة إلى أنّه خبير في تجنب عمل واجباته المدرسية، لقد تبجح خلال جلسة الاستشارة بأنه على وشك تدبر أموره، وكأنما حول الأمر إلى لعبة. أوضح والده خلال الجلسة نفسها كيف كان يجمع إعانات البطالة، على الرغم من الفرص المحتملة والموجهة نحو إعادة تنظيم أهدافه الوظيفية، لقد بدت تبريرات الأب وتسويغاته مألوفة - فقد كانت الأعذار نفسها التي سمعتها للتو من ابنه! إن كان ينظر إلى تدبر الأمر على الحافة بوصفها قيمة أبوية، ستترجم من قبل الأطفال بتدبر الأمور على الحافة في المدرسة، من الواضح أنها رسالة هدّامة للأطفال عوضاً عن التواصل بالتطلعات التي توجه التحصيل.

## الحديث المرجعي

استخدم مصطلح الحديث المرجعي في وصف المحادثة بين الراشدين عن الأطفال ضمن نطاق سمع أولئك الأطفال. يتحدث الآباء بصورة متكررة عن أطفالهم كما لو كانوا الأطفال لا يستمعون، ودون مراعاة للتأثيرات التي من الممكن أن تسببها هذه المحادثة، فإن سمعك أطفالك تتحدث عنهم، فكن متأكداً أنهم سيستمعون وسينتبهون.

يتحدث الآباء بهذه الطريقة مع بعضهم بعضاً، ومع الأجداد، والأقارب، والمعلمين، والجيران، وحتى مع الأشقاء الآخرين، فالحديث المرجعي ليس جيداً أو سيئاً، ولكن قد يكون له أثر كبير في الأطفال، سواءً بالإيجاب أو بالسلب، إضافة إلى أنّه من الممكن أن يكون السبب الأساسي لكثير من مشكلات الأطفال. إنّ طريقة ينقل الآباء بوساطتها القيم لأطفالهم دون قصد، وفي أسوأ الحالات، يمكن أن يصنفهم، ويحد من مشاعرهم بالتحكم الذاتي في تصرفاتهم.

الحديث المرجعي عفوي جداً، بحيث إن معظم الآباء من الممكن ألا يكونوا واعين لمدى أثره في أطفالهم، وأود تبنيهاك لانتقاء ما تقوله للراشدين الآخرين بالقرب من الأطفال بحذر، حيث يميل الآباء للانخراط في الحديث المرجعي مع الأطفال الأصغر سناً بصورة أكبر، ويجب أن تدرك أنه حتى أصغر الأطفال يضبطون سمعهم فوراً على أحاديث الراشدين التي تشير إليهم.

فإن أشرت بصورة إيجابية لتصرفات، مثل: حسن الأخلاق، أو الاحترام، أو العمل الدؤوب أو الاستقلال، أو المجهود، فستشجع أطفالك على الاستمرار في مثل تلك التصرفات، فهذه الأوصاف مدعّمة، إضافة إلى أنّ مناقشتك إنجازات أطفالك وتحصيلاتهم، فاعلة أيضاً في تعزيز توجههم نحو التحصيل، ولكن يمكن للتعليقات الكثيرة عن الإنجازات أو الدرجات المرتفعة أو الجوائز، أن تدفع أطفالك للشعور بضغط كبير للتحصيل. فعلى سبيل المثال: سينقل تفاخرك أمام الجدة بالشهادة المدرسية الممتازة، أنك تُعلي من شأن الدرجات المرتفعة، وهو أمر مناسب، ولكن أن تُضمّن ذلك التفاخر بأوصاف لسجل حافل بدرجات (أ)، من الممكن أن يشعر الأطفال بوجوب تحقيق ذلك المعيار بصورة دائمة. ويتساءل الآباء: لِمَ يشعر أطفالهم بضغط كبير، في الوقت الذي كانت فيه رسائلهم المباشرة والوحيدة لأولئك الأطفال هي تقديم أفضل ما عندهم؟ والجواب: إن الأطفال كانوا ينصتون في الوقت الذي كان آباؤهم يعطون رسائل مرجعية عن توقعاتهم لراشدين مهمين آخرين في حياتهم.

إن أكثر الرسائل المرجعية تدميراً هي التواصلات السلبية، التي تحدث بصورة متكررة في معظم المنازل. وفيما يأتي مقتطفات نمطية من رسائل والد إلى جاره:

- (بيتر مشوش جداً، فحتى معلمته لا تستطيع مساعدته على حلّ مشكلاته).
- (ديفينا شديدة الخجل إلى درجة أنني لا أستطيع حتّها على الحديث إلى أي راشد).
- (لا يبدو أن ستيفين يهتم بأي شيء سوى الرياضة).
- (لم تنظف سيلينا غرفتها لأسابيع، إنها غير مهندمة، ويبدو أنني لا أستطيع أن أجعلها تأخذ مسؤولياتها المنزلية على محمل الجد).
- (يصر نيك على عمل كل شيء بطريقته الخاصة، وقد استسلمت في الصدام معه).
- (كارلي منغمسة بشدة؛ يبدو أنها لا تستطيع أن تتحكم في أكلها).
- (جيرمي أحق، بغض النظر عن محاولاته الحثيثة).
- (أرون لئيم جداً مع أخته الصغرى).

تدفع هذه التعليقات السلبية الأطفال إلى الافتراض بأنهم لا يستطيعون التحكم في سماتهم أو تصرفاتهم السلبية.

واحدة من أكثر الرسائل المرجعية شيوعاً وأكثرها تدميراً بين الأبوين، تحية الوالد اليائسة عند عودة شريكه/ شريكها إلى البيت من العمل أو السفر، وغالباً ما تتضمن خطبة الوالد الأولى المسهبة عن اليوم الفظيع، وكم كان الأطفال لا يطاقون، وهو بذلك يُهَوِّل من يأس الوالد وعدم قدرته على ضبط الأطفال، وستسهم هذه الخطبة فقط في تشجيع هيمنة الأطفال على والد ضعيف، وسيكون من الأفضل للوالد إخبار الشريك عن إنجازات الأطفال؛ حيث سيرحبون عندها بأهمهم أو أبيهم، عاقدين العزم على إثبات مدى حسنهم ودمائهم.

تتمتع المكالمات الهاتفية بين الأبوين عند سفر أحدهما أو عمله المتأخر بالتأثير القوي نفسه، إذ يجب على الوالدين ألا يتواصلا بمشاعرهما بالعجز (حتى إن كانوا يشعرون بالعجز فعلاً) على مسمع من الأطفال؛ لأن ذلك تأثيراً سلبياً في سلوكيات الأطفال، وفي بعض الأحيان، قد يكون الانفتاح دون حدود مدمراً.

عادة ما تأتي أصعب صور الحديث المرجعي الذي يصعب التحكم فيه من راشدين غير الأبوين، وهي الإشارات إلى المظهر والجمال، السمات ذات التقدير في مجتمعنا، حيث يتلقى الطفل الجميل إعجاباً متكرراً، مصحوباً بتعليقات موجهة في العادة إلى الأبوين عن الطفل وعلى مسمع منه. من الممكن أن تقود رسائل الجمال المستمرة هذه الطفل بسهولة إلى الشعور بالضغط بما يتعلق بمظهره أو مظهرها، وبالأخص إن قُدِّرت من الأبوين، أو إن صدرت في الأساس عن الأبوين أو الأقارب.

ليس بالضرورة أن يكبر الأطفال الجميلون ليصبحوا راشدين جميلين، حيث يبعث التعامل مع تشديد المجتمع على المظاهر الحسنة إلى الشعور بالإحباط لدى معظم الناس، الذين لا ينطبق عليهم دليل سحر المشاهير. ويثقل الأطفال الجميلون الذين يمتصون بصورة ثابتة أوصافاً مرجعية لمظهرهم بحمل لا يطاق، من الممكن أن يقود في مرحلة المراهقة إلى عتية اضطرابات الطعام، والبحث عن الكمال، وهوس الأزياء والتسوق. وعند هؤلاء الأطفال تقع المدرسة، والاهتمام بالإنجازات، أو التحصيلات المهنية، في أدنى قائمة أولوياتهم.

المحاضرة المرجعية بين الراشدين عفوية وطبيعية، حيث يستمتع الآباء بالحديث عن أطفالهم للراشدين الآخرين ممن يظهرون اهتماماً. ولسوء الحظ، فإنّ الانخراط في محادثات الراشدين أمر شديد السهولة، كما لو أنّ الرفاق الصغار الذين يلعبون في الجوار يبدوون منشغولين عن الاستماع إلى النقاش الدائر. تذكر هذه الكلمات التي كانت جدتك تقولها: الجرة الصغيرة لها آذان كبيرة.

### المنافسة - الربح والخسارة

إن القدرة على الأداء في جو المنافسة أساسية للتحصيل، إضافة إلى أنّ متدنيي التحصيل لم يتعلموا تقنيات التنافس. وعلى الرغم من إمكان فوزهم بسعادة، فإنهم لم يتعلموا التعافي بعد الخسارة، حيث يفقدون رباطة جأشهم، ويعبسون، وينسحبون، أو لا يخاطرون باللعب، إلا إذا كانوا واثقين من فوزهم. لذا، يجب على الآباء تعليم أطفالهم التعايش مع المنافسة؛ لأنّ الأداء في البيئة التنافسية مرادف للتحصيل.

تناقش جيل شيهي في كتابها (المستكشفون)، الاختلافات بين الراشدين في التعامل مع معضلات نموهم الخاصة، وبمقارنة الراشدين الذين يرون أنفسهم ناجحين، وعاشوا حياتهم بعقلانية، مقابل أولئك الذين رأوا حياتهم مليئة بالإحباط وال فشل. توصلت شيهي إلى أنّ الفارق الأساسي بين المجموعتين هو الأسلوب الذي تعامل الراشد الناجح به مع الفشل. اختبر (المستكشفون)، المصطلح الذي استعملته لوصف الراشدين الأكثر رضا، العدد نفسه للإخفاقات التي اختبرها الآخرون، ولكنهم كانوا قادرين على استخدام تلك الإخفاقات في النمو والتقدم إلى الأمام، ومن ناحية أخرى، عرّف أولئك الذين كانوا أقل رضا عن أنفسهم بأنهم فاشلون، وظلّوا في المواقع الحياتية الأقل من مقبولة<sup>2</sup>.

يوطد الأطفال أنماطاً مشابهة؛ حيث ينظر المحصلون المبدعون الموجهون نحو النجاح إلى إخفاقاتهم وخساراتهم، بأنها خبرات تعلم<sup>3</sup>، وعندما يحدث الإخفاق، يحددون المشكلة ويعالجون العلل، ويعيدون ضبط أهدافهم، وينضجون من الخبرة؛ فالفشل ما هو إلا نكسة مؤقتة ويتعلمون عزو إخفاقاتهم إلى ضعف المجهود المبذول، أو إلى صعوبة المهمة غير الاعتيادية، أو

ربما إلى المهارات الفاتحة للمنافسين الآخرين. وبوصفها إستراتيجية للتعايش، من الممكن أن يضحكوا على أخطائهم، ويعقدون العزم على العمل بجد أكثر، و/أو يعيدون تصميم أهدافهم التحصيلية. أما الأمر الأكثر أهمية، فهو أنهم يرون أنفسهم مقصرين عن هدف لا مقصرين بوصفهم أشخاصاً.

يسلك أطفال آخرون طريقاً أكثر تدميراً للذات، ما يقود إلى تدني التحصيل، ومع الفشل يصبحون موجّهين نحو الفشل<sup>4</sup>. ينظرون إلى المدرسة بأنها لعبة تنافسية غير قادرين على الفوز بها. لذلك، يقررون بصورة منطوية عدم وجود سبب كافٍ للعب، فيتعلمون الاستسلام بسهولة، وتدبير أمورهم بأقل مجهود. يزداد عجز مهاراتهم، وتصبح ثقة هؤلاء الأطفال متدني التحصيل قليلة، أو معدومة بقدرتهم على الأداء في لعبة المدرسة.

ولكي يتمكن الآباء من مساعدة أبنائهم على التعايش مع الفشل، يجب عليهم أولاً أن يتفحصوا نمطهم التنافسي الخاص؛ قد يكون الأطفال تعلموا في المنزل استجابات قليلة التأقلم للإخفاقات. مثلاً: قد يُظهر الأباوان موقف الاستسلام السريع عندما تزداد المشكلات صعوبة، أو تجنب أي نوع من المنافسة، أو عادة إلقاء اللوم على المصادر الخارجية فيما يتعلق بمواطن ضعفهم أو قلة جهودهم. وعليه، يمكن أن تكون إعادة بناء الأباوين لمواقفهم وتوقعاتهم، الأولوية الأولى لمساعدة الأطفال الذين لا يحصلون بصورة جيدة في المدرسة.

يتعيّن تعليم الأطفال تحديد استجابات مبدعة لخسائرهم أو إخفاقاتهم. على سبيل المثال يجب عليهم أن يدركوا أنّ الأشخاص الطبيعيين - حتى أكثرهم موهبة - لا يستطيعون أن يكونوا (رقم واحد) في كل شيء، ولكن توجد لكل شخص حقول يكون موهوباً فيها.

يجب ألا يشعر الأطفال بعدم الأمان أو بالتهديد بسبب انتكاسة عَرَضية، وألا يتلقوا تعاطفاً مبالغاً فيه كذلك، وإن واجهوا خسارة ما، فقد يتطلب الأمر تأجيل مناقشتها إلى أن يقل التوتر العاطفي؛ كي نتجنب استجاباتهم الدفاعية، إذ لا تستطيع توقع إدراك عقلائي، أو تفكير منطقي خلال مدة التوتر التي تتلو مباشرة الخسارة المزعجة، ومن الممكن أن يساعد الحوار الأطفال بصورة أفضل من المحاضرة على فهم أنه: (1) لا يمكنهم الفوز دائماً. (2) لا تعني خيبة الأمل أنهم فاشلون. (3) لم تكن هذه التجربة تحديداً بالنجاح الذين تطلعوا إليه. (4) يرغب كل واحد في

أن يكون أكثر ذكاءً (أو أفضل، أو أسرع... إلخ.)، وخصوصاً أنّ (5) الهدف الأساسي هو أن يؤديوا أفضل ما لديهم بصرف النظر عن ترتيبهم التنافسي؛ فالجهد ضروري.

يتعيّن عليك أن تبعث رسالة واضحة ومباشرة لأطفالك عن الدور المركزي الذي يؤديه التعلم المدرسي في حياتهم. وإذا أُريد للأطفال النجاح أكاديمياً بصورة تستغل قدراتهم كلّها، وتُمدّهم للتعليم العالي على النحو الأمثل، فيجب أن تُلعب لعبة التعلم فوق الألعاب جميعها. وإن شددت على أنّ الفوز - بصرف النظر عن اللعبة - أمر مهم جداً، فيمكن أن يصبح الفوز في لعبة التنس، أو في فريق السباحة، أو في المسابقات الشعبية، أمراً مصيرياً لأطفالك. في الأغلب، يشعر الراشدون اليافعون في العشرينيات أو الثلاثينيات من أعمارهم، الذين كانت ذروة تحصيلهم الحياتي هي انتخابهم رئيساً لمجلس الطلاب، أو نجوميتهم في فريق المدرسة لكرة السلة، بعدم تحقيق ذواتهم بمقاييس الراشدين، فقد ساعدهم كفاحهم التنافسي على الأداء بأفضل ما يستطيعون، ولكن في مجالات هامشية. يجب ألا تكون المدرسة الثانوية كلها كدح وعمل شاق، بل يتعيّن على الأطفال السعي للتعليم العالي وتحقيق أهداف طويلة الأمد، ويجب ألا يكون تعليمهم الأكاديمي بأيّ حال من الأحوال ثانوياً للأنشطة الاجتماعية أو الرياضية.

من ناحية أخرى، تهيبّ الفرق الرياضية فرصاً رائعة لتعليم الأطفال عن المنافسة، ويعكس عالم الرياضة كيفية لعب لعبة المدرسة، حيث يستمر الرياضيون الجيدون باللعب، ويلعبون بأفضل ما عندهم، حتى لو خسروا اللعبة؛ لأنّهم يروضون أنفسهم، ويمارسون بانتظام قاسٍ المهارات اللازمة لرياضتهم، إضافة إلى التعليم، والإنجازات الحياتية، والمساهمات الإبداعية في الفنون، والعلوم، والأعمال، فهي ألعاب رياضية صلبة، والمنافسة محتدمة، ولا يوجد مكان للمنسحبين؛ إنها الطريقة التي يلعب بها الأطفال لعبة المدرسة، والحياة هي التي تجعل منهم محصلين ومتدنيين تحصيل.

وعلى الرغم من ضرورة تعلم الأطفال الأداء في خضم المنافسة، ولا سيّما الانبثاق من الخسائر والإخفاقات، فإنه يتعيّن عليهم أيضاً الانخراط في الأنشطة غير التنافسية، التي هي بطبيعتها معززة للاهتمامات، ويستمتعون بها للرضا الشخصي وليس التنافسي، فإن كانت أنشطة الطفل جميعها متمحورة في الاعتراف الشخصي والتقدير أو المنافسة، فقد لا يكون الطفل مستعداً للاسترخاء. وسيشعر الأطفال الذين لم يتعلموا الاستمتاع بالأنشطة غير التنافسية بالملل والإحباط، عندما لا يتقدمون نحو هدف ما، حيث توفر الأنشطة غير التنافسية والمُحفّزة

جوهرياً، تنوعاً مهماً يُكسب المنافسة هدفاً. إضافة إلى ذلك، فهي توفر ارتياحاً من توتر الربح والخسارة؛ فزيادة على أهداف التحصيل، يجب على الأطفال تقدير قيمة الأهداف الشخصية والعائلية غير التنافسية.

## التنظيم

إن سوء التنظيم عرض متكرر لمتلازمة تدني التحصيل. يظهر معظم متدني التحصيل غير منظمين عن تصور وتصميم، حيث ترى سوء التنظيم عند بعضهم في المكاتب، والأوراق المبعثرة والغرف الفوضوية، ويبدو آخرون غير قادرين على التخطيط لوقتهم. وعليه، يتأخرون في تسليم الواجبات، أو لا يسلمونها أبداً، ويكون آخرون غير قادرين على تنظيم كلامهم وتفكيرهم، وعلى الرغم من أنهم صوتيون، فإن محادثتهم تتغير باستمرار من موضوع إلى آخر.

تصاحب أنماط سوء التنظيم عبارات ليست صحيحة بصورة كاملة، مثل: (لقد نسيت)، (لم أعلم بوجود أي واجبات منزلية)، (لم أعلم بأن اليوم هو موعد التسليم)، (ظننت بأنني أكملت الوظيفة). وعلى الرغم من أن بعض الطلاب سيعترفون بأن هذه العبارات ما هي إلا أعذار، فإن بعضهم الآخر سيصرون على أنهم صادقون ودقيقون؛ تبدو كأنها تصريحات معادية للتنظيم والتزامات بالانشاقية.

هنالك نمطان من الرعاية الأبوية يبدوان كأنهما يرعيان أنماط سوء التنظيم؛ أحدهما وجود والد مدافع عن نمط الحياة غير المنظم، حيث يقدر هؤلاء الآباء سوء التنظيم بوصفه رديفاً للحرية والإبداع، ويؤكدون أنهم يفضلونه على النظام. وعليه، يحاكي أطفالهم ذلك. وبكل بساطة، لا يتعلمون تقنيات التنظيم، ويبدو سوء التنظيم طبيعياً وصحيحاً ومبدعاً، ويظل بالنسبة إلى العائلة كلها الطريقة المثلى للحياة اليومية. وفي الأحوال كلها، فإن سوء التنظيم المتطرف ضار للتحصيل في المدرسة. أمّا النمط الثاني من الرعاية الأبوية، فبعد أكثر انتشاراً ومن الصعب تحديده، إذ يستخدم أحد الأبوين سوء التنظيم في هذا الوضع العائلي بوصفه لعبة قوى سلبية-عدائية في زواج صدامي، وفي العادة، يكون أحد الأبوين متوخياً للكمال، وشديد التنظيم، ومن الواضح أنه الوالد القوي، ولا يستطيع (الوالد) الثاني الذي يشعر بالتحكم من قبل الأول وبقلة الحيلة،

التعامل بصورة حازمة أو عقلانية مع شعوره بالوهن وقلة الحيلة. ولذلك، يستخدم تقنيات سلبية-عدائية، مثل: نسيان الأشياء، وعدم تحضير الأشياء في مواعيدها، وعدم إنجاز المهمات المطلوبة، وتجاهل المسؤوليات ومن الممكن أيضاً أن يحاكي الأطفال الوالد السلبي-العدائي في مواجهته، أو تجاهله للوالد الأكثر تطلباً والأكثر تنظيماً، ويصبح سوء التنظيم في المدرسة سلاحاً قوياً في أيدي هؤلاء الأطفال.

يبدو العيش مع جرعة قليلة من الفوضى أو التسامح مع التشويش صحياً، ويمكن أن يسهم في الإبداع ونمط الحياة غير الحازم. من ناحية أخرى، تعدّ البنية المعقولة والتنظيم، أموراً مهمة للإنجاز، ويظهر من جديد أن الوسطية أكثر فعالية من التطرف. لذا، يجب على الآباء أن يبادروا في نمذجة التقنيات التنظيمية المعقولة وتعليمها؛ للتعامل مع المسؤوليات المنزلية والمدرسية.

حاول أن تجاهر بتنظيمك الخاص لرفع وعي أطفالك في مجال التقنيات التنظيمية. عندما يطور الآباء نظام تواصل يحسن من التعاون الفاعل في الأعمال المعتادة والمسؤوليات المنزلية، يكون الأطفال أكثر احتمالية لتنفيذ طلبات آبائهم، ومن المهم للأبوين أن يتفقا على كيفية التنظيم، فأحياناً يكون تواصل المهمات من خلال الملحوظات وقوائم الجرد، وسيلة مريحة لكل من الراشدين والأطفال.

ومن المهم أيضاً تحديد جزء/أجزاء التنظيم التي يفتقر إليها طفلك، حيث يتذمّر كثير من الآباء والمعلمين من مهارات أطفالهم التنظيمية، ويعترف كثير من الأطفال بأنّ المهارات التنظيمية تسبب لهم المشكلات في المدرسة.

وعلى الرغم من أنّ سوء التنظيم يعدّ هو المجرم، فإنّ الآباء والمعلمين، والأطفال أنفسهم ليسوا متأكدين من موطن الخطأ بالتحديد. ويتفحص عناصر المهارات التنظيمية، سيكون من السهل تحديد المهارات التي يحتاج الأطفال إلى المساعدة بها وتحسينها. يظهر الشكل (1.6) تسعة عناصر أساسية للمهارات التنظيمية، سيساعدك هذا على تحديد مشكلات طفلك الخاصة حتى يتمكن من تصحيحها، وسأضيف في الفصل الحادي عشر اقتراحات للتحسين في الحقول التي يحتاجون فيها إلى الممارسة.

- وضع الأشياء المتشابهة بعضها مع بعض
- تنبؤ الوقت
- البرمجة
- التذكر
- إعطاء الأولويات
- الإقضاء
- المراجعة
- تأسيس عادات جيدة
- المحافظة على المرونة

المصدر: رم، س. ب. (2004م). نشرة سيلفيارم الإخبارية عن تربية الأطفال، 15(1). ووترتاون، ولاية وايومنغ: أبل.

#### الشكل (1.6): العناصر التسعة الأساسية للمهارات التنظيمية

### عادات الدراسة والواجبات المنزلية

يجب هيكله عادات الدراسة والواجبات المنزلية عند الطلاب الذين يفتقرون إلى المهارات التنظيمية، ويجب كذلك أن تكون أداة الهيكله تلك مألوفة لمعظم الآباء.

من الواجب توافر كراسة للمهمات أو أي وسيلة للتذكر. استخدم الكراسات الكبيرة بدلاً من الصغيرة؛ لأن الكراسات الصغيرة تضيع بسهولة. ومن العوامل المساعدة وجود ملف منفصل وكراسة لكل موضوع. سيساعد تحضير الحقيبة المدرسية في الليلة السابقة الأطفال على التنظيم، وسيحول وجود مكان لوضع الحقيبة المدرسية والكتب بالقرب من المدخل، دون تكوّم الحقائق والكتب في غرفة المعيشة، أو المطبخ، أو غرفة النوم، أو غرفة العائلة، وستساعد على جعل التنظيم عادة دون تدمير. شدّد من البداية على أن الدراسة يجب أن تتم في مكان هادئ بصورة منفردة على طاولة، أو مكتب، بعيداً عن الأشقاء أو الأبوبين، ودون تلفاز، أو ألعاب فيديو، أو مسجل صوت إلى أن يكتمل العمل.

إن كان تحصيل أطفالك جيداً، فيمكن السماح لهم بالاستماع الى موسيقا الهادئة في أثناء الدراسة، ولكن الدراسة أمام التلفاز ليست فاعلة بتاتاً.

يجب ألا تكون القراءة على الأرض، أو في السرير في حالة الاستعداد للمدرسة؛ فالأوضاع المستقلة ليست مساعدة على التركيز المكثف، على الرغم من جدال أطفالك بأنهم يفضلون مثل تلك الراحة. فإن أصرت على الدراسة المنظمة، فسيطور أطفالك عادات منظمة من شأنها أن تساعدهم على التعلم. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الأطفال الذين ينظمون عملهم ويحصلون بصورة جيدة، لا يحتاجون إلى إرشادات؛ لأنهم في الأغلب طوروا معظم عاداتهم بمفردهم.

يجب ألا يتوقع أطفالك تحت أيّ ظرف من الظروف أن تجلس أنت أو شريكك / شريكتك إلى جانبهم بانتظام في الوقت المخصص للوظائف المنزلية. لا تدعهم يقنعونك بأنهم لا يستطيعون العمل من دونك، ويجب أن ينصبّ اهتمامك على إكمال مهامهم. من المعقول أن يوفر الأبوان بعض المساعدة، أو الشرح بين حين وآخر، ولكن، يجب أن تكون مقتضبة، وأن تُعطى فقط بعد أن يحاول الأطفال فهم العمل وحدهم. وإن درسوا المادة في البداية، فيمكن أن يختبرهم الأبوان، أو أن يعطوهم امتحاناً تجريبياً، أمّا إن كان أداءهم سيئاً، فيجب أن يعودوا إلى مكاتبهم للدراسة. ويجب ألا يدرس الأبوان عن أطفالهما، ولكن يُنصح أن يُدرّسوا إستراتيجيات تعلم من الممكن أن تكون فاعلة في بعض المواقف.

بالتأكيد سيجادلك الأطفال عندما تقدم لهم خطوط الدراسة الإرشادية هذه. لذا، يجب أن تكون إرشاداتك حازمة، أمّا إذا كان تحصيلهم جيداً، فيمكن أن يقوموا بها على طريقتهم الخاصة، وإذا لم يحالفهم النجاح في أسلوبهم، فيجب أن يغيروا إلى أسلوبك مدة عام كامل في الأقل؛ حتى يحصلوا بصورة واضحة.

## الدرجات والمكافآت

الدرجات مهمة، ويجب أن يظهر الآباء اهتمامهم بالدرجات الجيدة؛ إذ إنّها ستستخدم دائماً بصورة أو بأخرى في تقييم الأداء في الحياة، سواءً كانت درجات مدرسية، أو تعليقات لفظية، أو تقييمات مكتوبة، أو زيادات على الراتب للأداء الوظيفي؛ إنّها طرق مختزلة في التواصل تخدم هدفها بفاعلية معقولة.

سيتمكن الأطفال دائماً من التحكم في درجاتهم إلى حد ما، ولكن ليس بصورة كاملة، حيث ستؤثر معايير المعلمين والمقيمين المتفاوتة والمختلفة دائماً في النتيجة. على سبيل المثال: نادراً ما يعطي بعض المعلمين درجة (أ)، إذ إنّ بعضهم يعطي فقط (أ) و(ب). لذا، يجب عليك أنت وأطفالك أن تضعوا هذا المتغير نصب أعينكم عند تفسير الدرجات أو الكلمات، حيث يجب أن يُتوقع من الأطفال الحصول على أعلى الدرجات التي يمكنهم الحصول عليها، ولكن يجب كذلك الإقرار بتباينات المعلمين والقدرات.

يتساءل كثير من الآباء أعليهم تقديم النقود لأطفالهم، أو أن يقدموا لهم مكافآت إن حصلوا على درجات جيدة، وعادة درجات (أ)؛ إنهم يتصورون أن إعطاء النقود على الدرجات الجيدة سيكون دافعاً لهم للتحصيل. وفي تجربتي، المكافآت النقدية ليست فاعلة بصورة خاصة، إذ يعمل الأطفال في العادة للحصول على درجة (أ)، إذا اعتقدوا أنّ العمل الجاد سيساعدهم على الحصول على الدرجات الجيدة، وهذا ما لا يعتقده ذوو التحصيل المتدني، وإذا سألتهم: ما الدرجات التي يرغبون بها؟ فسيعترف كثير منهم بابتسامة أنهم جميعاً يرغبون درجات (أ)، وعند مواصلة الاستكشاف، فعادة ما يعترفون بأنهم لا يرون أنّ درجات (أ) في متناول أيديهم، ولا يرون فائدة من العمل الجاد ليحققوا درجات (ب) أو (ج) فقط. لذا، فهم يرون أن إعطاءهم المكافآت الإضافية للحصول على درجات (أ) غير القابلة للتحقيق لا تحفزهم، وفي الواقع، تؤكد هذه المكافآت بعيدة المنال عدم كفايتها، أمّا للأطفال الذين يحققون درجات (أ) عادةً، فإنّ المكافآت المالية لا تسبب أيّ ضرر، ولا تقدم أيّ فوائد كبيرة كذلك.

هذا لا يعني أنّ المكافآت لا معنى لها، سأحدث عن الأماكن المهمّة للحصول على مكافآت في فصول لاحقة.

## عواقب التساهل

لقد وصفت بعض الأنماط العائلية التي تؤدي نتائجها إلى متلازمة تدني التحصيل، هناك بعض الممارسات (التكتيكات) التي قد يستخدمها الآباء في تقليل الأخطار في هذه الحالات الخاصة، بدءاً من تجنب التساهل الزائد، فالقيام بكثير للأطفال يسبب لهم المشكلات، ومع

ذلك، يعدّ تحديد ما هو كثير، أمراً صعباً جداً على الآباء، ويوقعهم بسهولة في المصيدة، دون أن يدركوا الضرر الذي تسببوا فيه.

إذا كنت أحد الوالدين، وتدرك أنّ الأطفال هم ضحايا لتلك المصايد، فيمكنك إعادة توجيه أطفالك على الرغم من عواقب محبتك الزائدة لهم فعلاً. أولاً: يجب أن تتقنع نفسك وتقول: إنه في ظل كثير من الظروف، يمكن أن يكون قول (لا) أكثر لطفاً وأكثر حُباً من قول (نعم)، هذا أمر مهم؛ لأن تعريف الحب والعطف عندك أنه فعل أشياء لأطفالك وإعطاؤهم التعزيز، وحرمانهم من أي شيء يُشعرك بالذنب. لذلك، حاول تجنب ذلك ما استطعت. قال أحد الآباء على هذا النحو: هل تعني أنه بعد العمل الجاد لكسب ما يكفي من المال من أجل ابني، أود أن أقول له (لا) إذا طلب إلي شراء لعبة له؟، لا أستطيع التحمل، وأود شراءها له.

كان من الصعب أن أشرح لهذا الأب الحنون الكريم، أن إعطاء ابنه كل ما يريد، سيحرمه من قيمة يقدرها هو والآخرون، وهي الرغبة في العمل من أجل الشيء الذي يريده. كان هذا الأب يسرق من ابنه شرف التحصيل والكسب لنفسه.

يمكن لهؤلاء الآباء الذين يريدون منح كل ما يطلبه أطفالهم لهم قياس العطاء المناسب مع الجهد، وهذا يقدم قواعد عملية لتجنب العمل الكثير، على سبيل المثال: يقترح أحد الوالدين على طفله قائلاً: ما رأيك لو عملنا معاً على إعادة تنظيم غرفتك، حيث إنّها حقاً في حالة من الفوضى ولكن هذه المرة إن نظّمناها معاً، فعليك أن تكون قادراً على الاحتفاظ بها نظيفة بسهولة أكبر. أو: اعتدت على استخدام بعض الإستراتيجيات الجيدة لدراسة الإملاء (أو الإسبانية أو التاريخ)، يمكنني مشاركتك هذه الإستراتيجيات، وبعد ذلك ستجد دراستك أكثر سهولة وحدك.

يقدرّ بعض الآباء الآخرين الجهود، ويقدمون المكافآت في الوقت نفسه لمبادرات أطفالهم حيث يمكن للوالدين استخدام هذا للاسترشاد به في قياس تقديم المساعدة للأطفال، عند قيامهم بالمهمّات المنزلية والمدرسية، إضافة إلى شراء الأشياء المادية. وإذا وزن الأطفال الجهد المبذول مع المال، فإنهم يكسبون التقدير لمساهماتهم إضافة إلى جهود آبائهم، فهم يكسبون الثقة من التحدي، ويشعر الآباء بالسعادة عند العطاء. فعلى سبيل المثال: يقترح الوالدان إعطاء الطفل نصف المبلغ لشراء الشيء المطلوب، إذا عمل الطفل لكسب النصف الثاني من المبلغ.

إذا أفرط الآباء في العطاء، فإن الهدايا لا تحظى بالتقدير؛ لأن المتلقي اعتاد المكافآت المادية السخية، وإذا كان الوالدان عكس كرمهم في وقت سابق ولا يعطون في كل شيء، فسيشعر الأطفال بالغضب، والاستياء، والحرمان. توافقت الجهود، وتوصلت إلى تفاهم يسمح بإعطاء ثقة الوالدين وتقديرهم لجهود أطفالهم المبذولة على مراحل.

تتضمّن عواقب التدليل الزائد إعطاء كثير من الثناء والاهتمام، إضافة إلى كثير من الأشياء المادية. وبعد الثناء الذي يظهر للأطفال أنهم الأفضل أو الأذكى هو الأكثر ضرراً. وعلى الرغم من أن إمكان إدراك الأطفال أنهم في الواقع ليسوا الأفضل أو الأذكى، فإن هذا النوع من المديح المقارن يعلمهم أنّ والديهم حددوا لهم أهدافاً تنافسية.

يجب تقليل مقدار المديح والثناء تدريجياً، بحيث ينتقل الأطفال من الاعتماد على التعزيز الخارجي إلى المكافآت المتحصل عليها عند إنجاز المهمّات والتحصيل الشخصي، لا تلغِ مدحك بصورة كليّة أبداً، وإذا شعرت أنك مدحت طفلك كثيراً، فابدأ في عد مرات مدحك لطفلك كل يوم، وحدّد هدفاً لنفسك لتحقيق نصف هذا العدد، حيث يعمل تقليل المديح تدريجياً على منع طفلك من التصرفات السلبية لجذب الانتباه.

ويمكنك كذلك إعادة صياغة مدحك بصورة إيجابية دون مبالغة. أكّد عمليات التعلم والجهود الصحيحة، وتأكد ألاّ تثنّ على طفلك لقيامه بجهود بسيط، يجب أن يكسبوا مدحك ومجاملاتك، وليس كسب حبك؛ فالحب يجب أن يعطى دون شروط.

من الصعب قياس ما هو كافٍ، ولكن ليس التعزيز المفرط. يتذكر معظم البالغين خلال طفولتهم الثناء المستمر عليهم، ففي البداية كان الإطراء المستمر يعجبهم، ولكن في وقت لاحق أدركوا أنه معنى له؛ لأنه يعطى لهم بحرية، ولا علاقة له بجهودهم أو نتائجهم.

إذا كنت قلقاً من أنّ أجداد أطفالك يدللونهم كثيراً، فتستطيع استخدام الرسالة المفتوحة الآتية للأجداد، ولكن قبل إعطائهم الرسالة، ذكرهم بأنك شاركتهم هذا؛ لأنك تعرف كم يحبون أحفادهم.

## أعزائي الأجداد:

رعاية الأجداد لأحفادهم ممتعة! أنتم تستمتعون برعاية أحفادكم وبرضا أكثر مما يتحلى به أبائهم، إضافة إلى أنكم تتحلون بالصبر، والحب، والعطاء. ولكن رجاءً تذكروا أيام رعايتكم لأبنائكم، تريدون تربية أطفالكم من خلال قوانينكم فقط، تحبذون النظام الحازم، وتعرفون أن أطفالكم يتبعونه بسهولة، إذا كنتم متناسقين ولا تستسلموا لهم دائماً، فعندما ربيتهم أطفالكم، علمتموهم ألا يتوقعوا سيلاً لا نهائياً من العطايا والممتلكات المادية، وأن يتوقعوا تحمل المسؤولية، وبذل الجهد والمثابرة، وأنه يجب عليهم فعل أشياء كثيرة صحيحة.

نطلب إليكم الآن السماح لأطفالكم أن يكونوا آباءً وأمهات بنمطهم الخاص ومعاييرهم، ادعموا أطفالكم وشجعوهم بصفتمكم والدين. دور الجد أو الجدة الجيد ممتع ومغري، ولكن بحيث لا يجعل من أبنائكم آباءً سيئين، فإذا تجاهلتم إرشادات أبنائكم لأبنائهم، فلن يحترم أحفادكم آباءهم. وعليه، لن يحترمواكم أيضاً؛ إذ إنَّ المبدأ الثابت الصارم مفتاح لنمو أحفادكم بمراحل هادئة سلسة. أعطِ الحب، والانتباه، وامنح الهدايا أيضاً؛ ولكن لا تغدق بكثرة منها لتسرق من أحفادكم إبداعهم، وانضباطهم النفسي، وثقتهم بأنفسهم؛ فالاعتدال - إعطاء أقل مما أردت أن تعطي - هو دليل أفضل من الكرم الذي تشعر به، هذه رسالة صعبة عليكم؛ لأننا نعرف مقدار حכם لأحفادكم، ولأننا نعرف أنكم ستهمونها؛ لقد كنتم آباءً أيضاً.

## اعتبارات البنية العائلية

لقد تغيرت البنية العائلية، وما اعتدنا التفكير به بوصفنا عائلات نمطية (والدة واحدة ووالد واحد، والأبناء الطبيعيون لهم) قد لا يكون نمطياً في كثير من المدن، فتمط الأطفال من والد واحد، أو من والدين تزوجا أكثر من مرة، لم يعد فريداً من نوعه. ومع ذلك، فالأطفال الذين أشاهدتهم في العيادة ممن لا تطول إقامتهم مع والديهم الاثنتين، يعبرون عن أمنياتهم بأصلهم السليم والعودة للعائلة مع والديهم، ويضيفون أحياناً بين قوسين (من غير مشاحنات، حتماً).

لا يستطيع أحد تجاهل الحاجات الذاتية، والضغوطات على هؤلاء الأطفال، ووالديهم في البنية العائلية الجديدة. وعلى الرغم من أنّ كثيراً من الأطفال يتبنون حياة منتجة بالرغم من الضغوطات، وآخرون يعانون خبرات عاطفية قاسية وأذى نفسياً، فإن تدني التحصيل يعدّ دليلاً مرئياً على ضغوطاتهم. وفيما يأتي بعض الترتيبات النمطية العائلية، والطرق المقترحة لتجنب العثرات والمآزق.

## بعد الطلاق

الطلاق دائماً يؤذي الأطفال، على الرغم من أنّ الزواج السيئ في كثير من الحالات قد يسبب مشكلات أكثر من الطلاق، فإذا كنت ممن تعرضوا للطلاق، إليك بعض الخطوات التي تساعد بها أطفالك على التعامل مع هذا الأمر:

- التأكيد على الأطفال أنّ الطلاق ليس ذنبهم.
- معرفة كيف يرى الأطفال الوضع، وكيف يشعرون تجاه الطلاق.
- البحث عن طرق تشعرهم بأنهم محاصرون بين الوالدين.
- اسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم دون تناقض فيما يتعلق برغباتهم، في وضع شبيه بما كان قبل الطلاق.
- استنبط منهم كيف يمكن تحسين الوضع، أو ما لا يرغبون به، على سبيل المثال: عدم الرغبة في زيارة الأب؛ لأنه يعيش مع الجدة، وهم لا يشعرون بالراحة هناك.
- كن حساساً لتعرف أتعبيرهم عن مشاعرهم هو من أجل إرضائك أو أنهم يؤمنون بذلك حقاً؟
- كن حذراً بالألا تشجع شفقتك وعاطفتك تلاعبهم، وإلا سيجدونها (طريقة سهلة).
- زوّدهم ببعض الإستراتيجيات للحديث مع كل من والديهم عن مشاعرهم، فبعض الآباء الذين يتعرضون للطلاق يجدون صعوبة كبيرة لا يظهرونها؛ لتجنب محاصرة أطفالهم في مشكلات مستحيلة.
- أكد للأطفال أنّ التكيف سيصبح أسهل مع الوقت، وقد تذكر بعض الأشياء التي تحسنت فعلاً.

- لا تسمح لهم استخدام الطلاق ذريعةً لعدم المسؤولية.
- أكد لهم أنّ لديهم الفرصة للذهاب لاستشاري لتقديم مشورات مختصرة، فقد يخافون من الحديث مع الأب أو الأم عن بعض القضايا التي يعتقدون بأنها مؤذية لأحد الوالدين.

### الوالد المنفرد

بعد الوالد المنفرد بلا شك الصورة الأصعب في تربية الأطفال، فقد يصبح الوالد منفرداً نتيجة الطلاق أو نتيجة وفاة أحد الوالدين، وقد يختار بعض الوالدين البقاء منفرداً من غير شريك، حيث تتوافر أفضل الظروف المثالية للوالد المنفرد إن كانت له مهنة إيجابية، وعندما يكون هناك شخص واع يدعمه، وعندما تتوافر الرعاية الموثوقة للأطفال، وعندما يحافظ الوالد أو الوالدة على حياته الاجتماعية الإيجابية.

يتمتع أطفال الوالد المنفرد ممن تتوافر لهم الظروف أعلاه بأبوة متسقة ومتماسكة وينظرون إليه بأنه منجز، ويُعاملون بصفتهم أطفالاً (ليسوا بالغين) مع مقدار معقول من الانتباه والاستقلالية. ولسوء الحظ، نادراً ما تتحقق هذه المثالية، ولن تتوافر. وبمنظية أكثر، يصبح الوالد المنفرد بعد الطلاق ضحية للرفض، ويشعر بثقة قليلة بإنجازته الشخصي، وقد يعتمد هو أو هي على والديهم في الرعاية، وتحمل عمل إضافي في الوظيفة والمنزل، وعندما يفقد الوالد المنفرد شريكه بسبب الموت، يشعر بالوحدة والاكتئاب.

وفي كلتا الحالتين، قد يصبح للأطفال عدة مربين بنوعيات مختلفة، كالأجداد، والمربيات، ومراكز الرعاية اليومية. وقد يعدّ الوالد أو الوالدة بسبب الوحدة أو الشعور بالذنب الطفل على أنه السبب الوحيد للاستمرار في الحياة، ما يجعل الطفل اعتمادياً بصورة كبيرة.

وبدلاً من ذلك، قد يسلك الوالد المنفرد الاتجاه المعاكس. وبسبب البقاء منفرداً والوحدة، فمن الممكن أن يعامل طفله بصفته بالغاً، ويشاركه الثقة وحتى سرير البالغين، وهكذا ينتقل بالطفل إلى النمط السائد ليأخذ كثيراً من السلطة، فعادة ما يحاط الأطفال وحيدى الوالد بمختلف مقدمي الرعاية البالغين، وعليه، فإنهم يطورون حساسية عالية للناس. ومع ذلك، ومع أنهم أصبحوا بديهي التحسس لأمزجة الراشدين وعواطفهم، فإن عاداتهم وتجاوزهم الحدود تسبب لهم المشكلات في الغرفة الصّيفية.

فإذا كنت والداً منفرداً، فقد لا يعاني طفلك مشكلات تدني التحصيل. ومع ذلك، لا بد من أن تعترف بأن وظيفتك أكثر صعوبة. فيما يأتي بعض القواعد البسيطة لتوجهك؛ لأنها قليلة ودقيقة وفي الواقع، إنها بالغة الصعوبة للوالد المنفرد للتعامل معها. أربت على ظهرك لكل يوم ناجح! إليك هذه القواعد:

- حدد الاتجاه الصحيح لحياتك لتشعر بهدفك، ولتبني ثقمتك الشخصية بنفسك، ولا تجعل أطفالك هدفك الوحيد؛ لأن ذلك يمنحهم مزيداً من السلطة، ويسبب لهم الضغط الذي من شأنه إرهاقهم في إدارتها.
  - جد المنافذ الاجتماعية لنفسك، لا تشعر بالذنب عندما تمتع نفسك بوصفك بالغاً بعيداً عن أطفالك.
  - جد مربية موثوقة لأطفالك، أو جليسة أطفال نهائية. فالانساق والثبات في تقديم الرعاية والحضانة أمر مهم لهم.
  - عامل طفلك بصفته طفلاً، وليس بصفته لعبة تلعب معها أو بصفته بالغاً تعتمد عليه. لا تشارك سريرك مع طفلك (باستثناء العواصف الرعدية). ذلك المكان الذي تحتفظ به لبالغ آخر.
  - لا تخبر أطفالك بأنك تحبهم أكثر من أي شخص كان إلى الأبد، فعندما يكون لديك شريك جديد سيسبب لهم الاعتقاد بأنك خدعتهم.
  - إذا عاد أطفالك إلى البيت من زيارة والدهم الآخر بعناد وجموح، فلا تلقِ باللوم عن ذلك السلوك السيئ على الوالد الآخر، بل أخبر أطفالك بأنك مسرور لأنهم قضوا وقتاً ممتعاً وقدم تعليقاً لطيفاً عن الوالد الآخر إن استطعت، فهذا يجعلهم يهدأون بسهولة أكبر لأنهم في حاجة إلى معرفة أيا مكانهم أن يحبوا والديهم الاثنين؟
  - استثمر الوقت (حتى عندما يكون لديك الوقت القليل) للاستمتاع بإنجازات أطفالك، وشجعهم على تحمل المسؤولية.
- وهنا بعض القواعد الخاصة للأمهات المنفردات غير المتزوجات اللواتي يربين الأولاد

الذكور:

- يجب أن يكون للأولاد نموذج من الرجال كبار السن في حياتهم، جدي النماذج المؤثرة لأولادك، فقد يكون الأعمام والأجداد، والمعلمون، وقادة الكشافة الذكور، والأخوة الكبار جميعهم مفيدون لأولادك؛ ليتعلموا الراحة في رجولتهم.
  - إذا كنت لا ترين الوالد الطبيعي لطفلك نموذجاً مؤثراً، فلا تخبري أولادك بأنهم يشبهون أباهم أو يذكرونك به على الإطلاق، بخاصة إذا كنت غاضبة.
  - إذا كنت تعدين والد طفلك الطبيعي نموذجاً مؤثراً، فأخبري أولادك بأنهم يشبهون والدهم، إذا كان هذا هو الحال.
  - تجنبني الصراع على السلطة مع والد أطفالك، وإذا كان يسيء لك ويظهر عدم الاحترام فأولادك سيقلدون سلوكه.
  - لا تشتكي لأطفالك عن قلة الدعم المادي من والدهم، فإن هذا يظهر لهم بأن والدهم قوي، فالأطفال ينسخون النماذج القوية دون وعي.
- قد تبدو هذه القواعد أمراً بسيطاً لبعض الناس، ومستحيلة لآخرين، ويصعب عليك تطبيقها ولكنها مؤثرة وفاعلة في تربية الأطفال مع والد منفرد في الأسرة. تذكر: هناك كثير من الأطفال السعداء والناجحين الذين نشؤوا وتربوا في عائلات مع والد منفرد.

### العائلة المتمازجة

يرافق إعادة الزواج وجود زوج الأم أو زوجة الأب، والإخوة غير الأشقاء وأنصاف الأشقاء وقواعد ومنافسات وعلاقات جديدة، ويواجه الأطفال الذين اعتادوا العيش مع والد واحد كماً من التعديلات والمشاعر الجديدة. فما الطرق التي يمكن للآباء، والآباء الجدد، التخفيف بها من حدة هذه النقلة؟ وكيف يمكنهم إعطاء رسائل متناسقة ليعرف الأطفال بوضوح أن الشخصيات الأبوية كلها تريد منهم التحصيل في المدرسة؟ وكيف يمكن أن يتجنب الآباء تلاعب أطفالهم بهم؟ وكيف يمكن أن يكون الآباء حساسين لمشاعر أطفالهم جميعها؟

تثير العائلة الممتزجة، التي تُشوّش فيها حميمية الوالد-الطفل الخاصة، من خلال علاقة الوالد بشريك زواج جديد، مشاعر متضاربة لدى الأطفال، إنهم يدركون دماثة الشعور بالسعادة لوالدهم/ والدةهم، ولكنهم يشعرون غالباً بخيبة الأمل؛ بسبب فقدان الاهتمام الذي كانوا يحصلون عليه في السابق، ويمكن كذلك أن تختلط مشاعرهم تجاه (الوالد) الجديد؛ فقد يمقتون

بالتأكيد استبدال هذا الوالد بالوالد بوالدهم الحقيقي، ولكنهم في الوقت نفسه سعداء لوجود أب وأم في المنزل، وإن كان الوالد السابق منح الأطفال كثيراً من السلطة، وكان غير قادر على ضبطهم بصورة مستمرة، فمن المحتمل أن ينظر الأطفال إلى (الوالد) الجديد على أنه متطفل وسيدركون أنّ سلطتهم السابقة آيلة إلى الزوال. لذا، لن يرحب هؤلاء الأطفال بالقادم الجديد.

هنالك خطوط إرشادية عريضة تساعد على الوضع العائلي الجديد، على سبيل المثال: يجب أن تتمتع النقاشات الاعتيادية عن تعديلات الرعاية الأبوية بألوية قصوى، ويجب أن تحدث في البداية بصورة يومية، عندما يكون الأطفال جميعهم غير موجودين أو نائمين، ويجب كذلك ألا ينخرط الأطفال في هذه الأحاديث؛ لأنه سيصبح من السهل عليهم التلاعب في والديهم الطبيعيين، فالهدف الأساسي من هذه النقاشات اليومية تجنب مثل تلك التلاعبات، ويجب أيضاً أن يكون تركيز النقاشات على العدالة والاتساق. في البداية، يتعين أن يقوم الآباء الطبيعيون بعملية التأديب وحفظ النظام، ويمكنهم الاستفادة من لقاء مستشار لتخطي مشكلة (أطفالهم) إن أصبحت هذه العقبة بالتحديد متعبة.

من الممكن تنظيم لقاءات عائلية تتضمن بعض الأطفال أو جميعهم؛ لتتاح للأطفال فرص تحديد أماكن الدراسة، وأوقاتها، والمسؤوليات المنزلية، والخطوط الإرشادية الاجتماعية، ستختلف موازنة التحكم بين الأطفال والآباء في هذه اللقاءات اعتماداً على أعمار الأطفال ودرجة مسؤوليتهم. لذا، فإن القرارات النهائية يجب أن تتخذ من قبل الوالدين مع الأخذ في الحسبان الآباء البيولوجيين أو (الآباء) الآخرين.

قد يسود الاعتقاد أن العائلة الممتزجة ستكون قادرة على المشاركة في الأنشطة جميعها بصفتها وحدة واحدة، ولكن في التطبيق العملي، يكون تخصيص الآباء البيولوجيين لبعض الوقت مع أبنائهم الفعليين وحدهم أمراً أكثر فعالية. ومن المهم أن يعطى الأولاد بالتحديد وقتاً مباشراً مع آباءهم؛ لتنمية الاهتمامات المشتركة مع آباءهم البيولوجيين وأزواج أمهاتهم، أو الاثنين معاً حيث إنّ تطوير اهتمامات مشتركة مع آباءهم خارج المدرسة يساعد الأطفال على تقبل الرسائل المتعلقة بالتحصيل المدرسي.

ويجب على زوجات الآباء، وأزواج الأمهات الانخراط في أنشطة الأطفال المرتبطة بالمدرسة ولكن مع تجنب وضع توقعات غير منطقية أو تعزيز السلوك الاعتمادي.

تأتي أعظم المشكلات في العائلات الممتزجة عادة من رغبة الأطفال بالحفاظ على علاقات حميمة مع آبائهم البيولوجيين، من خلال تجاهل (آبائهم) الجدد. لذا، فهم يبحثون عن طرق يتدمرون فيها من زوج الأم/ أو زوجة الأب، إضافة إلى أن الآباء البيولوجيين سيكونون أكثر عرضة للتأثر بهذه التلاعبات. ومما تجدر الإشارة إليه أن مشكلات العمل المدرسي والانضباط كثيرة الحدوث، ويصبح تدني التحصيل الدراماتيكي أداة معروفة وقوية للتلاعبات. لذا، من الممكن للتواصل اليومي بين الآباء، بدلاً من ردود فعل إدارة تجاه الأخطاء، أن تحول دون حدوث هذه المشكلة المستنزفة.

### عائلة الزيارات الرسمية

تتضمن التسوية الاعتيادية المتعلقة بالأطفال بعد الطلاق أن يعيشوا مع أحد الوالدين، ويزوروا الآخر في عطل نهاية الأسبوع، ولأوقات أطول في العطل وخلال فصل الصيف. ولأن الأطفال يقضون معظم وقت ما بعد المدرسة في منزل الوالد صاحب الحضانة، لذا فإن المسؤولية الرئيسية في الإشراف على الواجبات المنزلية، والبقاء على تواصل مع المدرسة تقع عليه. ولهذا، فإن هذا الوالد هو الأكثر أهمية في إيصال الرسائل المتعلقة بالمدرسة.

في العادة، يأخذ الأب صاحب حقوق الزيارات الرسمية وظيفة توفير المرح والألعاب والرحلات والهدايا. لذا، لا يتوافر وقت كبير للنقاشات المتعلقة بالمدرسة خلال الزيارات الرسمية. وعلى أي حال، إذا أردت من الأطفال أن يحصلوا في المدرسة، فيجب أن يتلقوا رسائل واضحة من عائلة الزيارة الرسمية خاصتهم، عن أهمية عادات الدراسة الجيدة والتحصيل المدرسي. ويجب أيضاً أن يخصص آباء الزيارة وقتاً لمناقشة الدرجات، والمشروعات، والأنشطة المدرسية، وأن يبذلوا جهداً مضاعفاً لدعم التوقعات الدراسية للوالد صاحب الحضانة. وبصرف النظر عن أيّ عدا يشعرون به الأبوان تجاه بعضهما، يجب أن يتوصلا إلى اتفاق واضح عن التوقعات المدرسية.

قليلاً ما يحصل الأطفال المنفصلين عن أحد والديهم في المدرسة بصورة جيدة. وحتى يتمكنوا من التعامل مع المسؤوليات المدرسية بطريقة ترضي كلا الوالدين، يجب على آباء الزيارة أن يشتركوا بصورة فاعلة في وضع توقعات التحصيل من أطفالهم، وفي إيصال تلك التوقعات لهم

بصورة منتظمة، فقد تكون هذه الرسائل فاعلة جداً، إذا اقترنت التوقعات المدرسية بالأوقات الممتعة السعيدة خلال الزيارة الرسمية.

ما الذي يحدث إن كانت توقعات الوالد المُستقبلِ أعظم وأكثر واقعية من تلك لدى الوالد صاحب الحضانة؟ من الواضح أنّ هذا الوالد سيشعر بخيبة أمل كبيرة، وسيكون ما يقدر على تحقيقه محدوداً دون وجود التوافق والالتزام من الوالد صاحب الحضانة.

فإن كانت الزيارات أسبوعية أو نصف شهرية، عندها يستطيع الوالد المُستقبلِ وضع أهداف ومسؤوليات أسبوعية للأطفال، وبإمكانه تعزيزها بأنشطة إيجابية خلال عطلة نهاية الأسبوع، حيث سيكون من الصعب مراقبة التقدم، وقد يطلب الآباء من المعلمين المتعاونين تغذية راجعة منتظمة.

من الممكن في الحالات الصعبة أن يساعد العون الاختصاصي الأطفال ذوي التحصيل المتدني، الذي يتلقون رسائل تحصيلية مختلفة، وبإمكان المستشارين والمعالجين النفسيين أن يكونوا وسطاء فاعلين بين العائلتين لتوضيح متطلبات التقدم المدرسي.

لقد شدّدت حتى الآن على بعض أنماط الرعاية الأبوية العامة، التي تشجع على التحصيل التي من شأنها منع متلازمة تدني التحصيل. فإن كنت ترى درجات تدل على وجود متلازمة تدني التحصيل لدى أطفالك، فيجب أن تهتم بالموضوع دون أن تصاب بالذعر؛ إذ إنّ هناك خطوات محددة يمكنك اتباعها لعكس تدني التحصيل. ستناقش في فصول لاحقة.





## الفصل السابع

### التدريس من أجل التحصيل

يستطيع المعلمون إحداث فرق كبير في الوقاية من تدني التحصيل وعكس تأثيره، ستأتي التوصية بكثير من الإستراتيجيات المحددة في فصول لاحقة، وسيقدّم إطار العمل الاجتماعي-العاطفي في هذا الفصل.

#### المنهاج المتمايز

لا تبني مواد المنهاج السهلة جداً أو شديدة الصعوبة، بؤرة داخلية للتحكم أو الفاعلية الذاتية لدى الطلاب، ولا تسهم في خبرات يجد الأطفال من خلالها النجاح عبر بذل جهود قوية. يلخص الشكل (1.7) العلاقة المناسبة بين الجهد والنتيجة، ويوضّح أيضاً المنهاج الصفي الانتقالي الذي يدفع الأطفال إلى فقدان حسّهم بالفاعلية الذاتية.

+ النتيجة -		
الربع الثاني -+	الربع الأول ++ المحصّلون	+
ذوو التحصيل المتدني	الربع الثالث +-	
الربع الرابع --	ذوو التحصيل المتدني	-
المصدر: رم، س. ب.، كورنالي، م.، مانوس، ر. & بيهريند، ج. (1989). دليل إرشادي: متلازمة تدني التحصيل: الأسباب والعلاجات (ص. 289). ووترتاون، ولاية وايمنغ: آبل.		

الشكل (1.7): العلاقة بين الجهد والنتيجة

يذكرنا قانون رقم # 12 بأهمية المنهاج المتميز في بناء الفاعلية الذاتية: سيستمر الأطفال بالتحصيل إن استطاعوا (عادة) رؤية العلاقة بين العملية التعليمية ونتائجها (لاحظ كلمة عادة) فالأطفال مرنون كفاية ليتوقع منهم من حين إلى آخر، إكمال عمل مدرسي شديد السهولة أو شديد الصعوبة أو محاولة القيام به.

قد تكون هذه الخبرات مفيدة في الواقع، إضافة إلى أن اختبار الملل أحياناً بسبب التكرار هو جزء من الحياة. زد على ذلك الاعتراف بأن المادة الجديدة شديدة الصعوبة تساعد الأطفال على التواضع بخصوص قدراتهم، حيث يحدث الضرر الحقيقي فيما يتعلق بفاعلية الأطفال الذاتية، عندما يكون المنهاج غير ملائم. ولأن الأطفال يتمتعون بقدرات، واهتمامات، وأنماط تعلم مختلفة، فإن المنهاج المتميز يصبح مهماً جداً في تشجيع الدافعية والتحصيل<sup>1</sup>.

عند استعراضك الأجزاء الأربعة في الشكل (1.7)، خذ في الحسبان أن كلاً من النجحين الداخلي والخارجي يبينان الفاعلية الذاتية. وعليه، يوفر حبّ التعلم الذاتي والاهتمام به مكافآت داخلية، في حين توفر الدرجات الجيدة، ومدح المعلم والوالدين مكافآت خارجية. ويستمر الأطفال بالتحصيل إن تعلموا أن الجهود القوية ينتج عنها نتائج داخلية وخارجية جيدة (الربع الأول)، وعندما يبذل الأطفال جهداً قليلاً، سيعانون خيبة أمل بخبراتهم التعليمية، ودرجاتهم واستحسان المعلم، والوالدين (الربع الأول أيضاً)، هناك توافق بين الجهد والنتيجة، وسيتعلمون أن القيام بجهود قوية أمر مهم.

يمثل الربع الرابع تدني التحصيل عندما لا يختبر الأطفال أي صلة بين الجهد والنتيجة وحتى عندما يصف متدني التحصيل دراستهم، فإنهم يقولون: إنها في العادة دراسة غير ممتعة. على سبيل المثال، يمكن أن يدعوا الدراسة عند قراءتهم لشيء ما بصورة سريعة بالتزامن مع مشاهدة التلفاز، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو من الممكن أن يقولوا: لقد كنت محظوظاً، وأعطاني المعلم (أ)، أو: الدراسة لا تتفجع معي، أنا دائماً أخفق في الاختبارات عندما أدرس.

يمثل الربعان؛ الثاني والثالث مناخات منهجية غير ملائمة، التي إن استمرت ستقود إلى تدني التحصيل، ففي الربع (2)، يبذل الطلاب في البداية جهداً جيداً، ولكن النتائج لا تكفل بالنجاح، ويعاني الطلاب ذوو صعوبات التعلم، وأخصّ الطلاب المصابين بعسر القراءة، في هذا الاحتمال (السيناريو<sup>2</sup>)، وفي حين يشعرون بأنهم أذكاء بطرق عدّة، عندما يقارنون أنفسهم

بأقرانهم في الغرفة الصّفيّة، فإنهم يشعرون بأنهم فاشلون فيما يتعلق بالقراءة. ولما كانت القراءة جزءاً من المنهاج، فإنها ستؤثر في قدرات هؤلاء الأطفال في الحصول على مخرجات ناجحة في معظم المواد.

يعاني الأطفال الذين يواجهون مشكلات في الكتابة أو سرعة التحليل، في إنتاج عمل واضح مقروء، ويتباطؤون في إكمال صفحات كتاب الأنشطة واختبارات الرياضيات المسرعة، حيث يشعر هؤلاء الأطفال (المهمومون من القلم) بالخرق والغباء، وهم في غالبهم من الأولاد الذين بإمكانهم التعامل مع المفك أو مكعبات الليجو بحرفية؛ لأنهم يقارنون أنفسهم بأقرانهم بصورة تسبب الاستياء، وغالباً ما يعرفون الطلاب الأذكيا بأنهم أولئك الذين أنهوا عملهم أولاً.

بكلمات أحد اليافعين عندما سُئل عن مدى ما يتمتع به من ذكاء مقارنة بأقرانه في الغرفة الصّفيّة قال: أنا الخامس من أسفل، وأوضح ذلك بقوله: إنه عندما كان يكمل عمله، كان هنالك دائماً أربعة طلاب آخرين لم يكملوا عملهم بعد، يشعر الطلاب النوايح الذين يعانون الإعاقات الذين تعودوا المديح المبكر وملاحظة ذكائهم، كما لو أنّ شيئاً قد حدث بطريقة غير صحيحة ويفقدون رغبتهم، ويصفون عملهم بأنه (ممل).

يمكن أن تدفع الغرفة الصّفيّة شديدة التنافسية الطلاب إلى الشعور بعدم الكفاية، وهذا مثال آخر على الربع الثاني، يبدد الشعور بوصفك خاسراً في معظم المساعي الأكاديمية الدافعية للعمل الشاق، لاحظ أنني قلت (الشعور بوصفك خاسراً). فقد يكون شعور بعض الأطفال لأنهم في المرتبة الثالثة هو الشعور بوصفك خاسراً.

يمثل الربع الثالث معضلة الطلاب الموهوبين المعتادة، الذين لم يوضعوا في موقف تحدٍّ وإضافة إلى أنّ المنهاج مكرر، فهم يجدون أنّ بإمكانهم الحصول على درجات جيدة مرفقة بالمديح بأقل جهد. ويعلق الطلاب والآباء والمعلمون بالتساوي على مدى السرعة والسهولة التي يتعلم بها هؤلاء الأطفال المادة الصعبة؛ ففي الصفوف الأولى، غالباً ما تكون النتائج ناجحة دائماً، ويكون الجهد ضئيلاً، فلا يختبر هؤلاء الأطفال الجهد المطلوب من الطلاب الأقل قدرات. وعليه، يقود الإنجاز بأقل مجهود إلى عقلية جامدة بدلاً من عقلية نماء وتطور<sup>3</sup>.

فإن كان المنهاج متميزاً بصورة ملائمة، فيتعيّن أن يكون فيه تحدٍّ للأطفال الموهوبين وربّما يحتاجون في بعض الحالات إلى تخطي موضوعات أو صفوف؛ كي يتسنى لهم تعلم المزيد.

وفي حالات أخرى، يمكن أن يساعد تجميع الأطفال الموهوبين في مجموعات ضمن الغرفة الصفية على توفير منهاج جديد كافٍ. ولسوء الحظ، لا تضع بعض المدارس الطلاب في مجموعات اعتماداً على درجات تحصيلهم؛ خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى شعور الأطفال بوصفهم خاسرين في المنافسة. على أي حال، لا توجد طريقة تجعل الطالب ذا المستوى المتوسط أو دون المتوسط يشعر بوصفه خاسراً أفضل من وضعه في منافسة مع طفل مستواه جيد بصورة استثنائية.

في النهاية، سيُتحدى الأطفال الموهوبون، حيث ترتفع لبعض منهم، صعوبة المنهاج في المدرسة المتوسطة<sup>4</sup>، ولآخرين في المدرسة الثانوية، في حين يمكن لبعض الطلاب عظيمي الموهبة ألا يختبروا التحدي إلا في الجامعة وسنّ الرشد. ومع ذلك، سيرتطم حتى الأطفال شديدي الموهبة بحائط التحدي في مرحلة ما؛ فبينما يزيد بعضهم من جهودهم، ويكافحون للارتقاء إلى مستوى التحديات الجديدة، يبدأ آخرون بتحفيز سلوكيات دفاعية لتجنب التحدي، فيُخفون حسّهم بعدم الكفاية؛ بسبب الخوف من أنهم لم يعودوا أذكاء، وكذلك يتجنبون العمل الصعب، وتراجع مهاراتهم، وتخفض درجاتهم، ويزداد عقاب المعلمين والآباء، إضافة إلى زيادة خيبة أملهم. في حين يكون عقاب المعلمين والآباء كافياً لعكس أنماط تدني التحصيل لدى بعضهم، ويفقد آخرون حسّهم بالفاعلية الذاتية، ويتوقف إيمانهم بأنّ المجهود يمكن أن يأتي بالنجاح.

تأتي تقييمات الفاعلية الذاتية لهؤلاء الطلاب من المقارنة بالطلاب الآخرين، وعادة ما ترتبط الزيادة في تعقيد المنهاج بالمدارس التي تكون أكبر وأكثر تنافسية. لذا، يتضاعف الضغط على هؤلاء الأطفال. إن الافتقار إلى التحدي المبكر هو الذي يقودهم إلى افتراض قدرة الأطفال النوايح على التعلم بسرعة ودون جهد، ويقلقون بصورة غير واعية من أنّ العمل الجاد من الممكن أن يشير إلى أنهم ليسوا أذكاء، وهذا ما يستدعي بدء أنماطهم الدفاعية التجنبية التي تقود إلى متلازمة تدني التحصيل. تعطي القصة الآتية (نزهة الدراجة الهوائية)، تشبيهاً متعلقاً بأهمية وضع الطلاب في مجموعات المنهاج المتميز؛ حتى يتمكن الأطفال من تطوير العلاقة بين الجهد والنتيجة<sup>5</sup>.

وبهدف تحسين لياقتنا البدنية في أحد فصول الربيع، قررت أنا وزوجي ركوب الدراجة الهوائية بصورة يومية، وكانت الدراجات الجبلية هي المركبات الملائمة لمنطقتنا الريفية الجبلية في ولاية ويسكونسن؛ لأن فيها واحد وعشرون ناقل سرعة (غياراً) متضمنة غيار ("granny gear") للمرتفعات الأكثر حدة، لقد بدأت نشاطنا الجديد بعد حمية غذائية صارمة إلى حد ما

وافترضت نفسي لاثقة جسدياً على نحو معقول، لم يمارس زوجي التمارين الرياضية بصورة منتظمة خلال الشتاء. لذلك، تمتعت بميزة التحمل المبكر عليه.

كنا نخرج في الصباح الباكر معاً، نتعلم استخدام ناقل السرعة (الغيار) المناسب، ونستمع بتجدد الربيع من حولنا، كنا متواقين بصورة ممتازة في أول صباحين أو ثلاثة، وبدا لنا ركوب الدراجة نشاطاً اجتماعياً معقولاً. ولكن بعد أقل من أسبوع، ازدادت قوة زوجي وتحمله عني بصورة كبيرة، ولم يعد إيقاعي البطيء يوفر التحدي الجسدي الكافي له. ولأن هدفنا الأساسي من ركوب الدراجة كان اللياقة البدنية، افترحت عليه الشعور بالحرية للتقدم والسير بالسرعة التي تناسبه، وفّر لي شوط الأميال الخمسة كثيراً من التحدي، ولكن زوجي سرعان ما أضاف ميلين إضافيين، كنا نلوح لبعضنا بعضاً عند مرور كل منا في الاتجاه المعاكس للآخر.

زارتنا ابنتنا سارة التي كانت تدرس في الجامعة في عطل نهاية الأسبوع، وانضمت إلينا، وكان من الواضح بفضل شبابها وحيويتها أن لياقتها البدنية تطلبت منا مزيداً من التحدي مقارنة بما أردته أنا أو زوجي، وعلى الرغم من ركوبنا معاً مدة قصيرة، فإنه لو أردنا تدريب شرايين عضلات القلب، لاختلقت الإيقاعات والمسافات اللازمة لكل منا.

وبتأمل شعوري ولأني تخلفت عنهما، وحاجة زوجي وابنتي إلى القيادة بصورة أسرع إلى اللياقة، فقد ماثلت تجربتنا في ركوب الدراجات الهوائية، النزاع الذي يحيط حالياً بوضع الطلاب في مجموعات تربوية في مدارسنا.

بداية، تخيلت أن الذين يركبون الدراجات الهوائية على الطريق الريفي لم يكونوا ثلاثة، بل ثلاثة وعشرين. عندها، سألت نفسي كثيراً من الأسئلة عن مشاعري، وتبدو هذه أسئلة يجب أن يسألها المعلمون لأنفسهم عن المجموعات في الغرفة الصفية. لطفاً، تظاهر بأنك تركب الدراجة الهوائية معي وشاركني الأسئلة:

1. هل كان الهدف الأساس من ركوب الدراجة الهوائية اجتماعياً أم للياقة البدنية؟
2. هل من الممكن لنا جميعاً تحقيق أهدافنا الاجتماعية وأهداف اللياقة البدنية في النشاط نفسه؟
3. كيف شعرت وأنا الراكب الأبطأ؟ هل كنت سأشعر بصورة أفضل لو أن هنالك راكبي دراجات بطيئين آخرين بالقرب مني؟

4. كيف سيشعر زوجي وابنتي لو أنني طلبت إليهما الإبطاء من إيقاعهما من أجلي، أو أن يقضيا معظم وقتهما في تعليمي كيفية القيادة بصورة أفضل؟
5. ما شعوري لو أن راكبي الدراجات الأكثر قدرة مني قضوا معظم وقتهم في تعليمي، أو الإبطاء في انتظاري؟
6. هل سيستمتع راكبو الدراجات الأفضل بالركوب بصحبة أناس لديهم المهارات وقدرات التحمل نفسها؟
7. كيف يمكنني الشعور بالرضا عن لياقتي البدنية على الرغم من أنني كنت الأبطأ؟
8. كيف سيكون شعوري لو أن شخصاً غريباً أصرَّ على مجاراتي لراكبي الدراجات الأكثر سرعة؟
9. كيف سأشعر لو لم يدرك الآخرون قيمة لياقتي البدنية؟
10. كيف سأشعر لو أن لياقتي وقوتي تحسنتا، ولكن أُجبرت على الاستمرار بالركوب بالسرعة نفسها وللمسافة نفسها أيضاً؟
- لطفاً، إذا فوجئت من أسئلتني عن ركوب الدراجات الهوائية، فَعُدَّ إلى الأسئلة نفسها، وتظاهر بأنك طالب في غرفة صفية، واستبدل (اللياقة التعليمية) في الأسئلة كلها بـ (اللياقة البدنية).
- واستبدل (المدرسة) بـ (ركوب الدراجة الهوائية)، والآن أجب عن هذه الأسئلة المتعلقة بمجموعات الطلاب في المدرسة. تالياً إجاباتي:
1. الهدف الأساس من المدرسة ليس اجتماعياً، بل هو اللياقة التعليمية. لا نستطيع تجاهل الجانب الاجتماعي، ولكن هناك كثير من الفرص ضمن المدرسة والمجتمع لحياة اجتماعية لن تتعارض مع السعي وراء اللياقة التعليمية.
  2. لا نستطيع تلبية احتياجات الطلاب الاجتماعية، واحتياجات اللياقة التعليمية بالأنشطة نفسها، ويمكن تلبيتها بصورة أفضل من خلال اعتماد سياسة المجموعات في بعض أجزاء المنهاج، وليس لأجزاء أخرى.
  3. لا يوجد طالب يرغب في أن يُعدَّ الأبطأ في الصف، إضافة إلى أن تجنب المجموعات الصغيرة من القارئيين البطيئين المؤلفة من اثنين أو ثلاثة، سيحول دون إحساسهم بصفنتهم خاسرين.

4. يمقت الطلاب الذين يحتاجون إلى تحدٍّ إضافي المعلمين والطلاب الآخرين لتسببهم في إبطاء عمليتهم التعليمية، ويشعرون كذلك وبصورة مشروعة بالملل في الصف ويميلون إلى الشعور بالتفوق على الأطفال الآخرين، إن أمضوا وقتهم المدرسي في التعليم لا في التعلم.
5. يتردد الطلاب الأبطأ في طرح الأسئلة، أو في التطوع، أو النقاش، إن شعروا أنهم يُبطنون الطلاب الآخرين، الأمر الذي ينعكس بصورة غير جيدة على مفاهيمهم الذاتية.
6. يستمتع الطلاب ذوو القدرات العالية بالتعلم مع الأقران الفكريين لهم، وغالباً ما يفتقدون المحفز إن فقدوا هؤلاء الأقران.
7. يستمتع الأطفال بحسّ التعلم إن شعروا بأنهم يحرزون تقدماً؛ فوضع الأهداف الشخصية وتحقيقها مهم للأطفال في المستويات جميعها.
8. يشعر الأطفال بالضغط إن حُمّلوا ما فوق طاقاتهم.
9. لا يمتلك الأطفال الذين لا ينظر إليهم الآباء والمعلمون بأنهم محصلون شعوراً جيداً عن أنفسهم، ويجب أن يشعر الأطفال جميعهم بحسّ الإنجاز وثمرة الجهد.
10. من المهم أن يُبيّن للأطفال طرق الحركة بين المجموعات، وبالأخص الانتقال إلى المجموعات الأكثر تقدماً عبر المجهود.

لقد اختفى مفهوم المجموعات الأكاديمية من كثير من الغرف الصفية، اعتماداً على بحث محدود، وفي محاولتنا لحماية الأطفال من الشعور بوصفهم خاسرين في المنافسة، فإننا نأخذ منهم بعض مهارات التعايش المهمة التي سيحتاجون إليها في مجتمعنا التنافسي<sup>6</sup>.

أما الأطفال اللامعون، فإننا نطلب إليهم بطريقة عالمية جداً، ألا يعملوا بطاقتهم الذهنية القصوى، ونحن في الواقع نمنعهم من التعلم المهم خلال كثير من سنواتهم المدرسية، إضافة إلى أنه من الصعب توقع النتائج التعليمية لهؤلاء الأطفال الممنوعين من تطوير لياقتهم الذهنية لكي يتكيفوا اجتماعياً مع أقرانهم، حيث من الممكن ألا ندرك الخسارة إلا بعد التحاق جيل كامل بالجامعة.

تطلب أمم أخرى ممن يعلون من قيمة التحصيل من طلابها كفاية ذهنية أكثر، فلن يتباطأ طلبتهم في انتظار لحاق طلبتنا بهم، حيث يوفر ركوب الدراجة الهوائية اللياقة البدنية فقط عندما

يُشجّع الدَرّاجون جميعهم على التمرُّن وفقاً لقدراتهم. وبصورة مشابهة، فإن تمايز المنهاج يجب أن يوفر الجهد المناسب - لا أكثر ولا أقل - للطلاب جميعهم.

### بناء قيمة المهمة

يكون الطلاب أقل احتمالاً لأن يتدنى تحصيلهم إن قدّروا قيمة المهمة أو نتيحتها<sup>7</sup>، من الممكن أن تكون بعض المهمّات ممتعة بطبيعتها، في حين تكون الأخرى تكرارية ومملة. على سبيل المثال، في الأغلب، سينظر إلى تجربة علمية جماعية على أنها ممتعة، ولكن من المحتمل ألا تكون المهارات التأسيسية الابتدائية مثل المشاركة في حقائق ضرب الأعداد، أو تعلم تهجئة الكلمات ممتعة لمعظم الطلاب، فمن السهل انخراط الطلاب في العلوم، ولكن حتى يحفزوا على المشاركة في المهارات التأسيسية، فيجب إقناعهم أن تلك المهمّات قيمة بالنسبة إليهم، أو يجب أن يؤمنوا أنهم إن درسوا بغيّة الأداء الجيد، فستكفل نتائجهم بالدرجات الجيدة، أو استحسان والديهم ومعلميهم. ولكن على أي حال، لن تحفزهم الدرجات ولا الاستحسان إلا إذا قدّروا قيمة تلك النتائج فقط. وإن احترمو أو تماثلوا مع نماذج قدوة يقدرون تلك النتائج، ففي الأغلب سيعملون للحصول عليها.

لا يقدر الطلاب جميعهم المهمّات نفسها، سواءً جاءت القيمة من المهمة أو النتيجة، ويكمن جزء من تحفيز ذوي التحصيل المتدني لعكس تدني تحصيلهم، في تشجيعهم على تقدير المهمة أو مخرجاتها، أو كليهما. وعندما يبرز المعلم بصورة صريحة أسباب قيمة المنهاج الأساسي تكون هنالك احتمالية أكبر أن يبذل الطلاب الجهد، وعندما يوفر المعلمون أساليب مختلفة وجذّابة للمنهاج، تزيد احتمالية تحفيز الطلاب.

## تعليم المنافسة الصحية

يجب أن يتعلم الطلاب جميعهم التعاون والتنافس معاً في الغرفة الصفية. وعلى أي حال فإن تعليم الأطفال المهارات التعاونية والتنافسية عملية تطويرية. على سبيل المثال، لا يتقبل معظم أطفال المرحلة الأساسية الخسارة بصدر رحب، ويحبطون سريعاً عندما يخسرون حتى أنه قد يكون من الصعب على الأطفال الصغار التشارك وأخذ الدور. فبينما هم ينضجون يطورون بصورة تدريجية فهماً لمفاهيم مثل العمل الجماعي، والروح الرياضية الجيدة، والألا يكونوا منسحبين، والإصرار والمثابرة، حيث سيستمر حبهم للفوز، وسيحفزهم فوزهم ويبهجهم، ولكن يتعلم معظمهم التعايش مع الهزيمة والاستمرار في بذل الجهد. لذلك، يجب تعليم المنافسة تدريجياً، وبأساليب تطويرية مناسبة. ويجب أن يتمتع المعلمون بالرعاية والحنان عند تعليم الأطفال المنافسة بصورة مبكرة، وبإمكانهم وضع مقاييس أعلى للتعايش مع المنافسة فيما بعد<sup>8</sup>.

غالباً ما يمتلك الطلاب متدنو التحصيل مشاعر تنافسية عالية، ولكنهم لم يتعلموا المرونة اللازمة للتعايش مع الفشل في المنافسة. إذ يمكنهم سرد قواعد الروح الرياضية الجيدة، ولكنهم نادراً ما يعلمون كيفية التعامل مع المشاعر المرتبطة بخسارتهم. ولأنهم متبارون ضعاف، فإنهم يتعايشون مع التنافس عن طريق إنكار مشاعرهم التنافسية، يقولون: إنهم (لا يباليون) أو إنهم (غير مهتمين) في الوقت الذي يعنون فيه أنهم لا يعتقدون أن بإمكانهم الأداء بصورة جيدة ويميلون إلى كره الأطفال الناجحين؛ لأنهم بالمقارنة معهم يشعرون بعدم الكفاية والأهلية، وهم نادراً ما يتبصرون مشاعرهم المتعلقة بالمنافسة، ولا يكشفون عن سبب تجنبهم لها. سيقولون بصورة نمطية: إنهم لا يؤمنون بالمنافسة ولا يستمتعون بها، وفي الواقع، هم شديدو التنافسية إلى الدرجة التي يخافون معها الانخراط والخسارة، فالعمل غير المنجز، وعدم الاكتراث بالمدرسة يقودانهم إلى أن يكونوا متدنيي تحصيل - في الأقل بصورة جزئية -؛ بسبب مخاوفهم من التأخر في المنافسة الأكاديمية.

يؤمن بعض التربويون أن المنافسة التي تقود الطفل إلى الشعور بالتخلف عن الركب، ولو بصورة مؤقتة، يجب ألا توجد في المدارس. كذلك، فإن الإخماد المبالغ فيه للهب المنافسة من الغرفة الصفية، يبدو أمراً غير منتج وغير واقعي، ويجب أن تعد الغرفة الصفية الأطفال بصورة تدريجية لكل من التجارب التنافسية والتعاونية على حد سواء، فلن يتعلم الأطفال الأداء في خضم

المنافسة إن اجتثت من المدارس، وستكون الحياة بعد التخرج بمثابة صدمة إن لم يتحضر الطلاب خلال سني دراستهم الابتدائية والثانوية، وإن لم نعلم المنافسة، فسيختلف مقياس التعليم في دولتنا أكثر وراء آسيا وأوروبا، نحن في حاجة إلى أن نكون تنافسيين.

يجب تقليص المنافسة الفردية في الغرفة الصفية، على الرغم من ترّبع المتفوقين على قمتها؛ لأن ذوي التحصيل المتدني، وحتى الطلاب المتوسطين، يصبحون ضحايا المناخات عالية التنافسية، إضافة إلى أن إعلان الدرجات أمام الطلاب، مثال على المنافسة الفردية التي يمكن أن تكون مضرّة للأطفال. عوضاً عن ذلك، تُعلّم منافسات الفرق أو المجموعات الصغيرة الأطفال إستراتيجيات التعايش التنافسية، وفي الوقت نفسه تجنبهم أخطار الشعور بصفتهن خاسرين في المنافسة.

إنّ وضع الصف في مسابقة مع الصفوف الأخرى، سيساعد الطلاب على اختبار الريح والخسارة بوصفهم جماعة، وتساعد المنافسة ضمن الفريق على رعاية التضامن وصلابة المجموعة، وتعطي الطلاب جميعهم أسباباً لرغبتهم في المساهمة. إضافة إلى ذلك، يجب توجيه منافسة المجموعة بعناية من قبل المعلم، ويجب بناؤها لتتضمّن الطلاب جميعهم؛ لأنها تمدّ المعلمين بفرص ممتازة لتعليم الروح الرياضية الجيدة.

يشجع حثّ الطلاب على التنافس مع أدائهم الشخصي السابق منافسة (أفضل شخصية)، ذوي التحصيل المتدني من خلال جعل الخسارة أقلّ تهديداً، وإظهار تقدم هؤلاء الطلاب، حيث سيساعدهم تسجيل تقدمهم الشخصي على أن ينظروا إلى أنفسهم بأنهم قادرين.

تعدّ المنافسة الشخصية، أفضل إستراتيجية، وهي فاعلة حتى مع الأطفال الصغار؛ إذ قد تكون شديدة الفعالية في مساعدة الأطفال على بناء ثقتهم. فعلى سبيل المثال، أظهرت الاختبارات المؤقتة، التي يتعلم من خلالها الأطفال حقائق الرياضيات، نجاعتها في تحفيز منافسة أفضل شخصية، حيث يشكر المعلم كل يوم الأطفال الذين تغلبوا على رقمهم القياسي الشخصي السابق فتترك هذه الأساليب عدداً أقل من الأطفال محبطين، وتحسن سرعة مهارات الضرب والقسمة لدى الجميع، سيحدّد سجل خاص لأولئك الأطفال الذين يحافظون على سرعة عالية جداً، ولكنهم لا يتجاوزونها، من مشكلة معاقبة الخبراء بالمصادفة، إضافة إلى أنّ بإمكان المعلم الطلب إلى

الأطفال جميعهم الذين أنهوا الاختبار في أقل من خمس دقائق، أو الذين أدّوا بصورة أفضل من المرة السابقة، أن يرفعوا أيديهم. وعليه، يصبح الفوز ممكناً لكل من يبذل جهداً.

غالباً ما يتمتع متدنو التحصيل المهيمنون والمطيعون، بمواهب معينة، ويؤدّون جيداً في المجالات التي يستطيعون الفوز فيها، ولكنهم يستمرون في تجنب محاولة الأنشطة التي يخافون من الخسارة فيها. ولأنّ الغرف الصّفيّة تنافسية بصورة أساسية، فإن مساعدة الأطفال على تحديد المشاعر المتعلقة بالمنافسة وفهمها، خطوة جيدة نحو إظهار كيف يمكنهم الأداء في مجالات أخرى لا يتمتعون فيها بالقوة نفسها. إضافة إلى ذلك، يوفر توجيههم نحو نشاط، وإمكان مشاركتهم فيه بمواهبهم ولكنهم قد لا يكونون (الأوائل)، خبرات جيدة للأداء بعيداً عن استحسان الجمهور. وإن اعتاد الأطفال هذا النوع من مناخات التحدي، فستقلّ احتمالية إحباطهم عندما يتركون المدرسة الثانوية التي كانت تحميهم، وسيكونون أكثر استعداداً بصورة واقعية لمنافسة العالم الحقيقي في سن الرشد.

هنالك كثير من المناخات الفنية، والأكاديمية، والرياضية الغنية، التي يتمكن فيها الأطفال الذين يتمتعون بمواهب معينة من مجازاة طلاب موهوبين مثلهم، وحتى لو كانت مثل هذه المناسبات قليلة، فيمكن لمثل تلك الخبرات أن تساعد ذوي التحصيل المتدني المهيمين المطيعين فخلال سنوات المدرسة، وبالاعتماد على موقعك، يوجد كثير من: الفرق الغنائية (الأوركسترات) الشبابية، والفرق الموسيقية، والجوقات، ومنافسات الرياضيات، ولقاءات المناظرات، وكثير جداً من الفرص الرياضية عالية المستوى، وغالباً ما يعرف المعلمون المتخصصون عن الفرص المتعلقة بمجال اختصاصهم، مثل: النوادي، والمخيمات، ومخيمات الكتاب المحتملين والمصورين، والفنانين، والممثلين، والمنشدين، والأطفال الموهوبين أكاديمياً. ومن المفيد أن ينبّه المعلمون هؤلاء الطلاب عن التميز الذي سيواجهونه في هذه المناخات عالية الطاقة أمّا بعض الطلاب المهيمين المطيعين، فستكون مواجهة المنافسة أول مرة، حتى في المخيم الصيفي، تجربة مُخيّبة للأمال، وسيكون من الصعب التكيف معها.

بإمكان المدرسين والمعلمين أيضاً استخدام المنافسة ضمن حقول اختصاصاتهم؛ لتعليم الأشخاص اليافعين كيفية إدارة المنافسة في مجالاتهم كالأكاديميين. وفيما يأتي مثال على محادثة بين مستشار وطالب متدني تحصيل كان قائداً لفريقه في كرة القاعدة:

المستشار: لتحدث قليلاً عن فريقك، كيف تشعر عندما يأتي عضو موهوب في فريقك متأخراً عن التدريب، أو يغيب عنه، أو لا يبدو أنه يلعب بأفضل ما عنده؟

الطالب: هذا الأمر يغيظني؛ لأنني أعلم أنّ بإمكانه مساعدتنا على الفوز إن استخدم حتى نصف موهبته.

المستشار: كيف تشعر حيال الأشخاص المتوسطين أو اللاعبين الموهوبين حقاً الإيجابيين الذين يتمرنون بجدّ؟

الطالب: أنا سعيد جداً لوجودهم في فريقتي، يمكنني أن أعتد عليهم وحتى لو أخفقوا؛ لأنني على يقين أنهم قدّموا أفضل ما عندهم.

المستشار: كيف ترى مشاعرك مقارنة بتصرفات معلمك حيال كمية العمل القليلة التي تقوم بها؟

الطالب: (هناك وقفة ولمعة في الأفق) حسناً. لقد فهمت!

إن سؤال الطلاب عن مجالات قوتهم التنافسية، يساعدهم على التعميم من أنشطتهم المفضلة إلى الغرفة الصّفيّة، ويعطيهم لمحات مهمّة لتحسين توجهاتهم نحو المدرسة.

متدنون التحصيل المهيمنون غير المطيعين هم الأكثر مقاومة لدخول منافسة ما، إلا إن افترضوا أن بإمكانهم الفوز فيها، ومن المغري تعليمهم التنافس من خلال إشراكهم في منافسات واقعة في مجالات قوتهم. ولسوء الحظ، نادراً ما تكون هذه الطريقة فاعلة؛ لأن هذه المجالات هي التي تعظم خوفهم من الخسارة فيها. وعليه، من الأفضل إرشادهم إلى مجالات جديدة لم يحاولوا القيام بها من قبل، ولكن قد تشجعهم الانتصارات الصغيرة فيها: فالمناظرة، والتمثيل، والموسيقا، وأحاجي العقل، وحلّ المشكلات المستقبلية، هي منافذ ممتازة يمكن أن تعرفهم المنافسات الفردية والجماعية، فإذا انسحبوا من الموسيقا، على الرغم من موهبتهم فيها، فيمكنك تشجيعهم على التمثيل، أو المناظرة حيث سيشعرون فيها بضغط أقل، ولا تُشجّع في أي حال المناظرات عبر قولك شيئاً مازحاً، مثل: أنتم في جدال دائم على أي حال؛ لأن من شأن ذلك تثبيط عزيمتهم، ويمنعهم بالتأكيد من المخاطرة.

أيّ توقّعات تتضمّن ضغطاً على طلبتك سترددهم أيضاً، إذ من الأفضل أن تقول لسريع التأثر بالنقد منهم: يمكنك أن تصبح ممتازاً في المناظرة. بدلاً من: أراهن على أنك مناظر ممتاز. وما

لا أشك فيه أن المنافسة تشل هؤلاء الطلاب، ولكنهم ينكرون ذلك لأنفسهم وللآخرين، فإذا تمكنوا من تجديد ثقتهم في مجال معين، فقد يعودون إلى التنافس حتى في مجالات خبراتهم السابقة.

ومن الأمور المثالية للمعلم تنظيم بعض الأنشطة التي توصف بأنها تعاونية في الغرفة الصفية التي يُشجّع الطلاب فيها على مساعدة بعضهم لما فيه مصلحة الجميع. وكي يتمكن الأطفال من تعلم كيفية التعامل مع العملية التنافسية، يجب أن تتاح لهم الفرص لاختبار كل من الريج والخسارة. لذلك، يجب هيكلة المنافسات الصفية لتعطي الطلاب جميعهم بعضاً من كلتا الخبرتين؛ فالريج أو الخسارة المستمران ليسا مثيرين؛ لأنها ممتعة للرايحين، ولكنها كارثية على الخاسرين الدائمين. وإن شجع المعلمون النقاشات المفتوحة عن الريج والخسارة، فسيساعد ذلك الطلاب على فهم استجاباتهم للهزيمة والتعامل معها. يبيّن الشكل (2.7) بعض الأمثلة على النقاشات المثارة من قبل المعلم عن المنافسة.

**الخطوة الأولى:** نبدأ بعمل قائمة طويلة للمواقف التي يشعر الأطفال فيها بالمنافسة، أمثلة: الرياضة، ألعاب السبورة، الأعمال المدرسية، مع الأخوات أو الإخوة أو أبناء العمومة، الموسيقى، الفن، الملابس التقليدية.

**الخطوة الثانية:** الآن، لنفكر في نتائج محتملة مختلفة عندما نتنافس في هذه المجالات كلها، أمثلة: أن تكون الأول أو الثاني أو الثالث، تعادل في المباراة، الخروج في المنتصف، أن تكون في المركز الأخير، أن تخسر ألا تشارك لخوفك من الخسارة، أن تسحب في منتصف النشاط.

**الخطوة الثالثة:** ما أنواع المشاعر التي يمكن أن يشعر بها الناس إن ربحوا، أو خسروا، أو تعادلو، أو انسحبوا؟ أمثلة: الإثارة، السعادة، الحزن، الاكتئاب، الغضب، الذكاء، الغباء، الرفض، البغض تجاه شخص ما.

**الخطوة الرابعة:** ما الذي يفعله الأطفال عندما يشعرون بهذه المشاعر؟ أمثلة: الصراخ، التصفيق، القفز إلى الأعلى والأسفل، رمي المضرب، فقدان رباطة جأشهم، لوم الآخرين، الانسحاب، الهرب بعيداً عدم اللعب مرة أخرى، قول أشياء بذيئة عن الفائز، الشجار، التدرّب أكثر للمرة القادمة.

الشكل (2.7): التعايش مع المنافسة (نقاش صفّي عن المنافسة)

## التدريس وفقاً لاحتياجات الطلاب العاطفية

إنّ ملاءمة المنهاج مع قدرات الطلاب وأنماطهم التعليمية أمر مهمّ للمعلمين، لكنه ليس الأمر الوحيد، إذ يُلام المعلمون غالباً عن بدايات تدني التحصيل من قبل الآباء والطلاب، ولهذا اللوم دورٌ نفسيّ مهمّ في إشعال فتيل تدني التحصيل؛ فقد يكون المعلمون الملامون من قبل أحد الطلاب، هم المعلمين المفضلين لطلاب آخرين في الصف نفسه. لذا، يعدّ معلّم موهوباً ومتبصراً فعلاً، إذا تمكن من بناء تحالف مع طالب فقد حسّه بالفاعلية الشخصية في الغرفة الصّفيّة<sup>9</sup>.

لقد أوضحت من خلال عملي في العيادة للطلاب ذوي التحصيل المتدني أنّ المعلمين لا ينجذبون إلى الطلاب غير المهتمين بالتعلم، والذين لا يسلمون واجباتهم، ولا ينتبهون في الصف لأنهم يستمتعون بتدريس أولئك الذين يرغبون بالتعلم، وغالباً ما يكون مفاجئاً لهؤلاء الطلاب أنهم ينفرون المعلمين بقلّة اهتمامهم. أمّا المعلمون الناجحون، فيجب أن يظهر عدم الاهتمام هذا بوصفه تحدياً؛ لأن المعلم قادر على إثارة الاهتمام لدى الطلاب غير المهتمين، ومن ناحية أخرى، حتى أكثر المعلمين مهارة، يشعرون بالإرهاق من الطلاب غير المهتمين ومن يتصرفون بفضاظة.

ستوضّح إستراتيجيات التحالف مع الطلاب لعكس تدني التحصيل في النموذج ثلاثي البؤر. يُظهر الشكل (3.7) سلسلة تحالف تلخص الخطوات بوصفها مفكرة مسبقة للمعلمين.

إنّ مفهوم التحالف مهمّ جداً لعكس تدني تحصيل الطلاب، إذ يجب أن يشعر الطلاب أنّ المعلمين متّحدون معهم في جهودهم للتحصيل، فقد يشعر بعض متدنيي التحصيل أحياناً أنّ تحصيلهم يعدّ خسارة المعركة لمصلحة المعلم. وأنهم من أجل أن يربحوا، يجب أن يتجنّبوا كلّ ما يريد المعلم منهم فعله. لذا، من المهم أن يشعر الطلاب بوصفهم رابحين لا بوصفهم خاسرين عندما يحصّلون.

يتذكر المحصّلون ومتدنيو التحصيل على حد سواء، معلمين أشعلوا فتيل اهتمامهم، وألهبوا دافعيتهم نحو التعلم، حيث يوفر المعلمون الذين يؤمنون بقدرات طلابهم الشرارة التي تشعل الدافعية، ودائماً ما يبرهن علم النفس أهميّة التعليم الإيجابي الحازم؛ فالقسوة على الطلاب لم تنجح في تحفيزهم مطلقاً.

الإستراتيجيات الآتية في هذا الكتاب هي أدوات مفيدة، ولكن أوج فاعليتها يكون عندما يدرك الطلاب أنّ المعلمين يهتمون لأمرهم، ويؤمنون بقدراتهم على التحسن، وكما أنّ مسيبيات تدني التحصيل تعزى إلى المعلمين، فعكس تدني التحصيل يسجل غالباً لهم أيضاً.

تحالف مع الطالب في الاهتمامات والهموم بصورة شخصية على انفراد.  
استمع إلى ما يقوله الطالب.  
اعرف ما الذي يفكر فيه الطالب.  
بادر بفرص لتقدير مواطن قوة الطالب.  
أضف أفكاراً تجريبية لإشراك أنشطة منهجية ولا منهجية.  
ارعَ علاقات مع نماذج قدوة لراشدين وأقران ملائمين.  
نفذ العقاب بصورة معقولة، ولكن بحزم إن لم يحقق الطالب ما عليه من التزامات.  
عزز الجهد والاستقلالية والتوقعات الواقعية، وكيف يمكن لمواطن القوة أن تستخدم للتعايش مع المشكلات، وابتسط الإمكانيات بصبر.

### الشكل (3.7): التحالف من أجل عكس تدني تحصيل الطلاب

فيما يلي قصة لتذكير المعلمين بأهمية (الاستماع إلى ما يقوله الطالب) في سلسلة التحالف:

كنت أنا وزوجي نتناول العشاء مع ضيف نبيل مهذب، كان أستاذاً جامعياً فخرياً مرموقاً لمادة الإحصاء في كلية الصحّة العامة في جامعة هارفارد، أوضح زوجي اهتمامي الكبير بمرحلة طفولة الأشخاص البارزين، وطلب إليه أن يشاركنا بعضاً من طفولته، فشعرت بقليل من الخجل من طلب زوجي الشخصي، ولكنني كنت في الواقع تواقّة إلى سماع قصة الأستاذ الجامعي.

بدأ حديثه قائلاً: حسناً، لم أحظَ ببداية جيدة جداً في المدرسة، إذ اضطرت لإعادة سنة رياض الأطفال، لم يتفق والداي، ولم أكن أحبّ والدي كثيراً، وأعتقد أنّ أمي كذلك لم تحبه وفي النهاية تطلقا. لم يكن أدائي جيداً في المدرسة، وقد كانت أمي تأتي لرؤية المعلمين بصورة متكررة، وتتذمّر لي بخصوص المعلمين، وأعتقد أنّ المعلمين لم يكونوا سعداء بها أيضاً.

وفي أثناء استماعي إليه، حصرت أخطار تدني التحصيل المألوفة جميعها، ثم أكمل الأستاذ الجامعي: أعتقد أنه بإمكانك القول: إنني كنت متدني تحصيل حتى الصف الخامس. آنذاك وقعت في حب معلمتي.

أضف بنظرة بعيدة في عينيه: أظن أنه بإمكانك القول: إنني ما زلت مغرماً بها، لقد درستني مدة عام واحد فقط، ثم تركت التعليم لالتزوج، ولا توجد لدي أدنى فكرة ما الذي حدث لها بعد ذلك، ولكنني أحببتها جداً، إلى درجة أنني بدأت في العمل بجد واستمتعت بذلك. بعد ذلك لم يكن باستطاعة أي أحد أو أي شيء إيقافني.

أرأيت، في الوقت الذي أزودك فيه بكثير من الأدوات والأدلة لعكس تدني تحصيل الطلاب فإن الأداة الأكثر أهمية تكمن في داخلك، القدرة على التحالف مع الطلاب؛ حتى يؤمنوا بأنك تهتم بهم فعلاً، فيغريهم ذلك للقيام بأعظم جهودهم؛ لإثبات أنفسهم لك، وبقيامهم بالجهود، فغالباً ما يكتشفون حبهم للتعلم.

تذكرنا الخطوتان الآتيتان في سلسلة التحالف بالاستماع إلى الطلاب، ومعرفة ما يفكرون فيه بأنه على المعلمين عدم الاكتفاء بالاستماع الحرفي فحسب، بل عليهم أيضاً الاستماع إلى ما بين السطور؛ ليسبروا أغوار مشاعر الطلاب؛ لأن ذوي التحصيل المتدني يستخدمون آليات دفاعية لحماية مفاهيمهم الذاتية الهشة، فغالباً لا يكون الطلاب صادقين بصورة كاملة مع أنفسهم أو مع الآخرين، وفي أحيان كثيرة، لا يتبصرون مشكلاتهم الحقيقية. لذا، يجب عليك زيادة حساسيتك للمعنى الحقيقي وراء ما يقوله الأطفال عندما يصفون مشكلاتهم المدرسية. إضافة إلى ذلك عندما يبدأ ضغط المراهقة، فمن الممكن أن يخفوا أسراراً تحير الآباء والمعلمين، ولكن عندما يشاركون مشكلات أصدقائهم معك، فربما تعبر تلك المشكلات عن مخاوفهم الشخصية.

ففي عيادة التحصيل العائلي، غالباً ما أستمع إلى ما لا يقوله الأطفال؛ لأتمكن من تحديد مشاعرهم الحقيقية وتوجيههم، وبإمكان المعلمين أيضاً أن يضبطوا أسماهم على ما لا يقوله طلابهم، إن استمعوا بانتباه.

فيما يأتي بعض الأمثلة من بحثي وعملي في العيادة، التي ستساعدك على فهم ما لا يقوله الأطفال بصورة مباشرة، ولكنهم يشعرون به<sup>10</sup>.

## التنافسية

تتذكر مُقَدِّمَةُ النشرة الإخبارية التلفزيونية دونا دريفس، أنها أخبرت والدتها برغبتها في ترك دروس الرقص؛ لأنها أصبحت مملة، ولكنها كشفت لمقابلتنا البحثية شيئاً لم تشاركه مع أحد من قبل، وهو أنّ السبب الحقيقي وراء تركها لدروس الرقص أنها لم تعد أفضل راقصة في الصف<sup>11</sup> لقد كان التعايش مع المنافسة، لا الملل الذي استخدمته بوصفه عذراً في صميم تركها (ممل - ألا يبدو ذلك مألوفاً؟).

## هموم الصديق الحميم

لقد توقفت طالبة الصف السادس أنا ماريا حديثاً عن القيام بواجباتها اليومية، وأخبرت والديها: إنها لم تعد تستطيع التركيز منذ وفاة جدها، وقد تراجعت عاداتها في العمل المدرسي في ذلك الوقت. وخلال الاستشارة، ألقّت أنا ماريا باللوم لتخلفها عن العمل المطلوب على موت جدها، وترقرقت عينها بدموع صادقة عندما وصفت مشاعرهما، ولكنها تحدثت كذلك بصورة متكررة عن صديقها الحميم الأول، والرسالة الإلكترونية التي أخبرها فيها: إنه ليس مستعداً لاتخاذها صديقة له بعد. وأصرّت على أنّ موضوع الصديق الحميم لم يعد يضايقها، ولكن تكرار إصرارها على أنها لم تعد تشعر بالرفض، أخبرت القصة الحقيقية لتدني تحصيلها المفاجئ فلقد كان قلقها حيال شعبيتها بين الأولاد، ومشاعرها بالرفض، دون شك أعظم مانع لتحصيلها من حزنها الصادق لوفاة جدها.

## السلطة وضغط الأقران

زار طالب الصف الخامس براندون، وطالب الصف السابع داريوس، عيادة التحصيل العائلي في اليوم ذاته، وعلى الرغم من عدم ارتباطهما بصلة قرابة، فإن هنالك أشياء كثيرة مشتركة بينهما؛ فكلاهما متدني تحصيل موهوب، وكلاهما تجادل بقوة مع معلميه، وكلاهما عانى علاقاته بالأقران، وكلاهما أحبّ المعلمين وشعرا بقدر معقول من التحدي، وكل من والديهما كانا مطلقين وتعاوننا معاً لمساعدة أبنائهم. أخبرني والدا براندون: إنه كان في خطر فقدان منحة الدراسية لمدرسة مرموقة مستقلة، أما داريوس فقد استُبعد من برنامج مدرسته الحكومية المخصص للموهوبين بصورة مشروطة بتحسين سلوكه.

أكد براندون في مقابليتي معه، أنه لم يعلم كيفية منع نفسه عن الحديث والجدال، على الرغم من إدراكه أنّ سجلاته المستمرة قد عادت عليه بلقب (الولد المزعج) من قبل أقرانه وعندما سألته لاحقاً في محادثتنا: أيشبه بصورة أكبر والده أو والدته أو كليهما، أو لا يشبه أيّاً منهما؟ أجاب بعفوية: أنا أشبه والدي كثيراً، هو معارض لكل شيء، وكذلك أنا. وقد وصف والد براندون نفسه لي على أنه متدني تحصيل موهوب، ولكنه احتاج إلى القيام ببعض التعديلات على صورته المعارضة؛ لكي يتمكن ابنه من إجراء تحسينات ذات أثر لاف في سلوكه المعارض في المدرسة. في حال براندون كان ضغط الأقران للتقبل أمراً مفيداً.

كانت قصة داريوس مختلفة قليلاً. قال: إنه أحبّ الجدال مع معلمته، وكان دائماً يفوز عليها، ويشعر باحترام أقرانه عندما كانت المعلمة تفقد رباطة جأشها، وكان يظن أنهم يعدونه ذكياً ومحبوياً. كذلك قال داريوس: إنه لم يعلم لماذا لم يستطع التوقف عن الجدال، ولكن كانت لديه نظرية تقول: إنّ ذلك ربما قد بدأ عندما كان صغيراً في مدرسة لم تقدم له تحدياً كافياً، وتذكر إخبار والدته بملله، وكان كلاهما يجادلان المعلمة. لم يحسّن الجدال من تعليمه، ولكنه اعتقد أنّ تلك التجربة قد تكون السبب في حبه للجدال.

كره داريوس خسارة وقته في غرفة مصادر الموهوبين، وقرر أن يستعيد الوقت المسلوب منه من جديد. وعلى الرغم من أنني لم أنصح معلمته في استخدام ذلك بوصفه تبعة لسلوكه السيئ، فإن وضعه في غرفة مصادر الموهوبين مع قليل من العلاج النفسي تكلاً بالنجاح. وبعد مرور فصل دراسي، عاد داريوس إلى برنامج الموهوبين، واختفت المجادلة المتعمدة، وتحسّن تحصيله. لقد كان الجدال عند كلّ من براندون وداريوس عرضاً، أمّا السبب الكامن فقد كان يعود إلى العائلة والأقران. لقد كان للتحالف المضاد لجدال المعلمين (في الفصل الثالث عشر، الشكل 14.13) أن يكون مفيداً لهؤلاء المعلمين.

### إكمال سلسلة التحالف

يقارن الطلاب أنفسهم باستمرار بالأطفال الآخرين في عائلاتهم، ومدارسهم، وأحيائهم. كذلك، يقارنون مشاعرهم الحالية عن التحصيل بخبراتهم السابقة. وعندما يشعرون بنجاح أكبر أو على الأقل مساوٍ في مقارناتهم، تزيد احتمالية شعورهم بالرضا عن أنفسهم، الأمر الذي يرضيهم عن تحصيلهم. وإن خافوا أن يقل نجاحهم، فقد يعبرون عن مخاوفهم أولاً، ولكن بدلاً

من ذلك، بإمكانهم استخدام آليات دفاعية، وتغيير الحقيقة؛ لحماية مفاهيمهم الذاتية الهشة. ومن أجل أن يبني الطلاب المرونة اللازمة لعيش حياة راشدة مشبعة، عليهم أن يتعلموا التعايش مع بعض الخبرات الأقل نجاحاً في كل من العمل المدرسي والعلاقات.

يكون المعلمون الذين يستمعون إلى ما يقوله الطلاب، إضافة إلى ما يلمحون له، أقدر على إرشادهم ودعمهم في أثناء تطويرهم للثقة والمرونة.

تذكر خطوة (المبادرة بفرص لتقدير مواطن قوة الطالب) في سلسلة التحالف مع المعلمين بأهمية تقدير مواطن القوة، وتهيئة فرص التعلم لكل طالب في مجالات قوته، إذ إن كل طالب يحب أن يشعر ببعض التميز. ولذلك، سيحصل أولئك الذين تُقدَّر مواطن قوتهم بصورة أكبر في الغرفة الصفية.

تتحدث خطوة (إضافة الأفكار) عن مسؤولية المعلمين في أن يكونوا مبدعين، إضافة إلى حاجة الطلاب ذوي التحصيل المتدني إلى التغيير. إن الاستمرار في الأسلوب المعتاد نفسه الذي استخدم دائماً سيسهم فقط في زيادة تدني التحصيل، إضافة إلى أن تقدير مواطن القوة مهم ولكن إضافة أنشطة تعزز من مواطن قوة الطلاب، يمكن أن يعمم أثرها ليمتد إلى التحسن العام في الانضباط الشخصي، وأخلاقيات العمل، والفاعلية الذاتية.

تذكر خطوة (رعاية العلاقات) المعلمين بأهميتهم بوصفهم نماذج قدوة لطلابهم الذين ينعمون النظر فيهم عن كتب على الدوام، وسيكون هناك مزيد من نماذج القدوة والمرشدين في الفصل العاشر.

يجب ألا تُفسَّر خطوة (العواقب) بأنها عقاب الطلاب بهدف التحصيل، إنها تعني فقط أنه يجب على الطلاب أن يفهموا بوضوح العواقب المعقولة للعمل الجيد والعمل الرديء. ويتعيّن على التربويين استكمال هذه العقوبات دون أن يكونوا ضعيفي الشخصية ولا مبالغين في العقاب.

أخيراً، يمزج (التعزيز) بين أهمية منع ضغط التحصيل، وبدلاً من ذلك تشجيع الجهد والاستقلالية التي تساعد الطلاب على تطوير أخلاقيات العمل لديهم، ونرجوا أنها تذكر التربويين أيضاً بأن عكس تدني التحصيل جهد يتطلب الصبر.





## الفصل الثامن

### كيف يمكنك عكس متلازمة تدني التحصيل باستخدام النموذج ثلاثي البؤر؟ الخطوة الأولى: التقييم

إنّ عكس متلازمة تدني التحصيل – كما اقترحت الفصول السابقة – ليس بكل بساطة بترتيب الطفل هيئته أو برفع جواربه. وقد تمكنا في عيادة التحصيل العائلي من عكس تدني التحصيل لدى أربعة أطفال تقريباً من كل خمسة، باستخدام أسلوب ذي ثلاثة حدود، نسميه النموذج ثلاثي البؤر؛ لأن مدار اهتمامه: الطفل، والأهل، والمدرسة.

بإمكان الأهل والمعلمين عكس تدني التحصيل دون الحاجة إلى معالج نفسي، وغالباً ما يخبرني الآباء الذين حضروا محاضرات ناقشت فيها النموذج ثلاثي البؤر بأنهم اتبعوا اقتراحاتي وصحّحوا المشكلات، وحسنوا تحصيل طفلهم دون أن يحتاجوا إلى مزيد من الاستشارات، وقد أشار المعلمون كذلك إلى أنّ ورش العمل المخصصة بي عن النموذج أتت أكلها، وساعدتهم على عكس تدني التحصيل عند طلبتهم. وعلى الرغم من إمكان أن يعمل الأهل والمعلمون كل بصورة منفصلة، فإن فاعلية هذه الإستراتيجية تكون في قمتها عندما يتعاون بعضهم مع بعض.

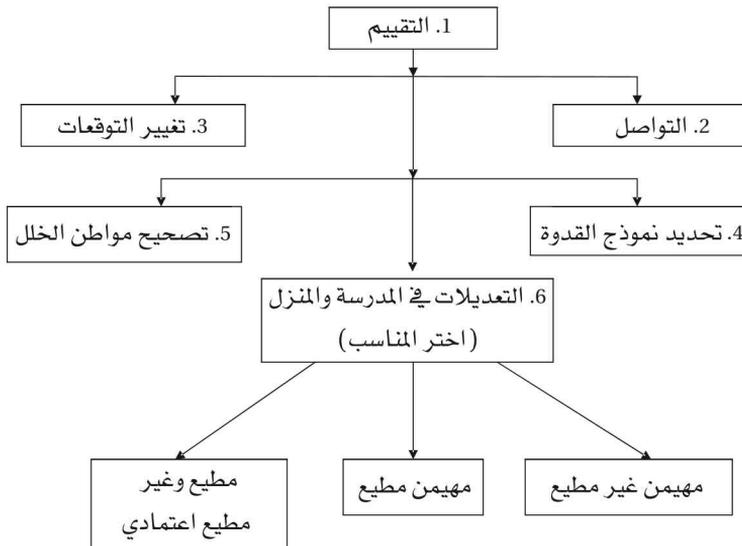
استخدمت كثير من المدارس كذلك النموذج ثلاثي البؤر بنجاح ممتاز، ووظّف بفاعلية في البرامج المدرسية العادية، وفي التعليم الخاص، وبرامج الموهوبين، وكذلك رياض الأطفال وحتى الصف الثاني عشر، إضافة إلى استخدامه مع طلاب الجامعات أيضاً، على الرغم من أنّ عكس تدني تحصيل الراشدين اليافعين عادة ما يقوم به مستشار.

تُعلّم السلوكات المميزة لمتلازمة تدني التحصيل، لذلك يمكن أن تُعلّم عادات وسلوكات وتوجهات جديدة أيضاً، حيث سيتضمّن عكس تدني التحصيل تعليماً جديداً للأطفال ولكم بصفتمكم أولياء أمور ومعلمين.

يتكون النموذج ثلاثي البؤر من ست خطوات؛ الخطوات الخمس الأولى منها تنطبق على متدنيي التحصيل جميعهم، أما الخطوة السادسة، فهي مقسّمة إلى ثلاثة أنواع من الأطفال ذوي التحصيل المتدني، ستختارون أنتم الفصل الذي ينطبق على طفلكم ذي التحصيل المتدني.

خططوا لأن تكونوا صبورين مثابرين من أجل النجاح، فعادة ما تكون مدة عكس تدني التحصيل في بيئة العيادة ستة أشهر في المتوسط، إذ يختلف الوقت باختلاف حدة المشكلة، وعمر الطفل. إنّ الأمر الأكثر أهميّة هو اختلاف استمرارية الأهل والمعلمين ومثابرتهم، حيث يحتاج الأطفال الصغار إلى بضعة أشهر فقط، في حين يتطلب الأمر مع طلاب المدرسة الثانوية عاماً مدرسياً كاملاً في الأقل، وتكمن صعوبة إعادتهم إلى سجيّتهم في ضغط الأقران وأثر الخمر.

يوضح الشكل (1.8) النموذج ثلاثي البؤر، وستناقش الخطوة الأولى (التقييم) في هذا الفصل، أما الخطوة الثانية (التواصل)، فستشرح في الفصل التاسع، في حين ستوضّح الخطوات الثلاث الآتية في الفصل العاشر، وأما الخطوة الأخيرة (التعديلات في المدرسة والمنزل) فستناقش في الفصول: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر.



الشكل (1.8): النموذج ثلاثي البؤر لعكس متلازمة تدني التحصيل

## تبني النموذج ثلاثي البؤر للطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة

يتطلب النموذج ثلاثي البؤر في الوضع الطبيعي انخراط الأهل، لكنّ الأبوين أحياناً يرفضان الانخراط، أو أنهما يقاسيان حوادث حياتية صعبة تمنعهم من الانخراط. ويُعرف الطلاب الذين لا يستطيعون أبائهم المشاركة في النموذج لعكس تدني التحصيل بالمحرومين، أو من هم في حاجة إلى رعاية لغايات عكس تدني تحصيلهم. هؤلاء، سيحتاجون إلى تكييف النموذج ثلاثي البؤر الذي أطلقت إحدى المدارس في كولورادو عليه اسماً فكاهياً (النسخة ثنائية البؤر). وبينما يجب على المعلمين الاستمرار في التواصل مع الأبوين عن التقدم الحاصل لهؤلاء الأطفال، يمكن أن ينفذ النموذج كاملاً من المدرسة دون الحاجة إلى مشاركة الأبوين؛ إذ إنّ معظم خطوات النموذج المعدل شبيهة بالنموذج ثلاثي البؤر الأصلي، ولكن يحل شخص يسمى (محامي دفاع الطفل) محل الدور التعزيزي للأبوين، ويقابل الطفل أسبوعياً لمراقبة تقدمه، من الممكن أن يقوم بهذا الدور مستشار، أو معلم تعليم خاص، أو مساعد المدير، أو حتى معلم لصف آخر. كذلك، من الممكن تأسيس نادي دراسة بعد الدوام المدرسي، يكمل فيه الطلاب واجباتهم المنزلية كلها تحت إشراف المعلم، عوضاً عن روتين العمل المنزلي النمطي، حيث يجعل هذان التعديلان النموذج فاعلاً جداً للطلاب المحرومين، على الرغم من الافتقار إلى الانخراط الأبوي الفاعل.

### التقييم

الهدف الأساس من الخطوة الأولى تحديد مدى تدني تحصيل الطفل واتجاهه، وهناك طرق رسمية وغير رسمية للتقييم؛ تتضمن الرسمية منها اختبارات ذكاء وتحصيل فردية أو جماعية إضافة إلى قوائم جرد الإبداع وتدني التحصيل. أمّا طرق التقييم غير الرسمية، فتتضمن سؤال الأطفال ومراقبتهم من قبل الآباء والمعلمين. ستناقش طرق التقييم الرسمية أولاً؛ لأن تدني التحصيل يُعرف بأنه تعارض بين قدرات الطلاب وأدائهم المدرسي، ويمكن للاختبارات أن تعطي بعض التبصّرات المهمّة عن مشكلات الطفل.

حار كثير من الآباء في اختبار الذكاء (IQ)، حيث يعني الحرفان المختصران حاصل الذكاء (Intelligence Quotient)، وهو مصطلح جاء من اختبارات صمّمها ألفريد بينيت عام 1905م؛ لتحديد ما إذا كان الأطفال أذكيا بصورة كافية ليستفيدوا من التعليم المدرسي. استنبط بينيت سلسلة من الاختبارات لكل سنة من تطور الطفل؛ لحساب الأعمار العقلية للأطفال مقارنة بأعمارهم الزمنية، وضرب النتيجة النهائية في (100) للحصول على ما يسمى (حاصل الذكاء)، وعدّ الأطفال الذين كانت نتيجتهم (100) متوسطي الذكاء، أمّا الذين حصلوا على أقل من (100) فكانوا أدنى من المتوسط، في حين عدّ أولئك الذين حصلوا على أكثر من (100) أعلى من المتوسط. وضعت فئات النتائج، وأعطيت أسماء تتفاوت من غبي إلى عبقرى، واستخدمت النتائج لعمل توقّعات عن قدرات الأطفال على التعلم.

عدّلت اختبارات الذكاء، وروجعت كثيراً من المرات منذ اختبارات بينيت الأولى، وأصبح التربويون أكثر تمسكاً في استخدامها، وعلى الرغم من الإشارة لهذه الاختبارات عادة باختبارات الذكاء، فإن التربويين يدركون الآن أنها تقيس بعض أنواع الذكاء فقط، وأنّ النتائج تتأثر بالتعلم والمناخات الثقافية، إضافة إلى ذكاء الفرد الموروث.

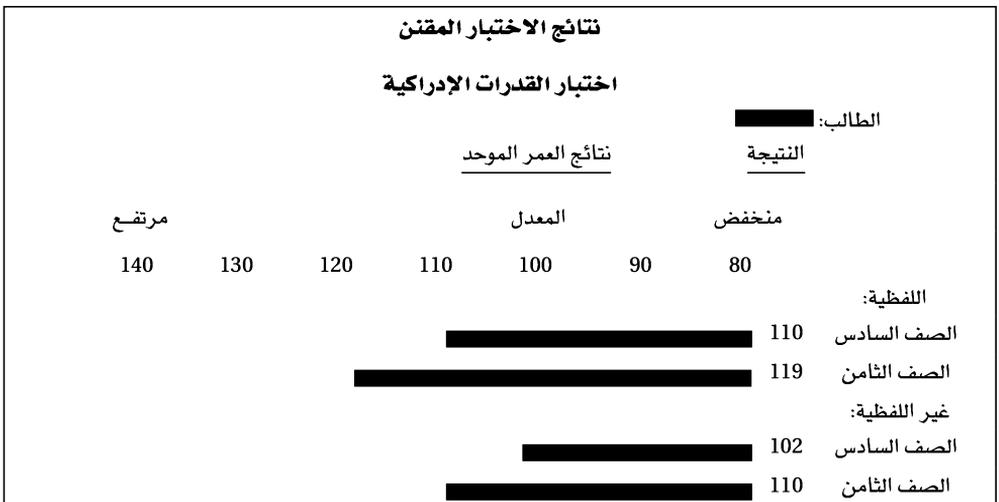
على الرغم من أنّ البحوث أظهرت أنّ متوسط الذكاء يميل إلى الثبات نوعاً ما خلال حياة الناس، فإنّ خبراتي السريرية مع طلاب المرحلتين؛ الابتدائية والثانوية أشارت إلى غير ذلك؛ فالطلاب الذين يتدنى تحصيلهم في المدرسة، يظهرون انخفاضاً كبيراً في نتائج ذكائهم، ومن الممكن أن يسبب ذلك انخفاضاً في النتائج بمقدار (10) إلى (20) نقطة أدنى من الاختبارات السابقة. ومع ذلك، عادة ما ترتفع نتائج اختبارات الذكاء، واختبارات التحصيل للطلاب الذين يعكسون تدني تحصيلهم.

يبين الشكلان (2.8) و (3.8) أمثلة على ارتفاع نتائج اختبار التحصيل الجماعي واختبار الذكاء (IQ) لأحد الأطفال الذين عكس تدني تحصيلهم، إذ ارتفعت نتيجة اختبار الذكاء (IQ) لهذا الطالب من (110) إلى (125) من الصف السادس إلى الثامن. وأظهرت المتابعات اللاحقة لهذا الشاب الياق، أنه تدبّر أمره جيداً في المدرسة الثانوية، وحصل على معدل (3.6) في جامعة عالية التنافس، درس فيها التعليم الطبي التمهيدي، ثم التحق بكلية الطب، وهو بلا شك طبيب الآن، فلو قبلت نتيجته (110) في اختبار الذكاء بصفتها حدّاً لقدرته، ولم يعكس تدني تحصيله لكانت مهنته الآن مختلفة.

نتائج الاختبار المقنن					الطالب:	
اختبارات ولاية أيوا للمهارات الأساسية						
مرتفع	الترتيب النسبي الوطني			منخفض	النتيجة	
	متوسط	50	25			
99	75	50	25	1		
						مفردات اللغة:
					72	الصف السادس
					85	الصف السابع
					88	الصف الثامن
						القراءة:
					67	الصف السادس
					71	الصف السابع
					78	الصف الثامن
						التهجئة:
					71	الصف السادس
					84	الصف السابع
					85	الصف الثامن
						الكتابة بحرف كبير:
					42	الصف السادس
					72	الصف السابع
					79	الصف الثامن
						علامات الترتيب:
					50	الصف السادس
					87	الصف السابع
					94	الصف الثامن
						الاستعمال:
					79	الصف السادس
					92	الصف السابع
					99	الصف الثامن
						مجموع اللغة:
					64	الصف السادس
					88	الصف السابع
					95	الصف الثامن
						المواد المرئية:
					59	الصف السادس
					75	الصف السابع
					93	الصف الثامن
						المواد المرجعية:
					57	الصف السادس
					79	الصف السابع

78	الصف الثامن
61	مجموع العمل-التعلم: الصف السادس
79	الصف السابع
89	الصف الثامن
81	مفاهيم الرياضيات: الصف السادس
82	الصف السابع
95	الصف الثامن
43	مشكلات الرياضيات: الصف السادس
79	الصف السابع
85	الصف الثامن
65	حساب الرياضيات: الصف السادس
72	الصف السابع
68	الصف الثامن
68	مجموع الرياضيات: الصف السادس
82	الصف السابع
90	الصف الثامن
66	التركيب: الصف السادس
84	الصف السابع
91	الصف الثامن

الشكل (2.8): مثال على نتائج اختبار التحصيل لطالب عكست متلازمة تدني تحصيله



الإحصائية:	
الصف السادس	114
الصف الثامن	135

الشكل (3.8): مثال على نتائج اختبار الذكاء (IQ) لطالب عكست متلازمة تدني تحصيله

### التقييم الرسمي

يمكن تقسيم المقاييس الرسمية لتدني التحصيل إلى فئتين، هما التي تقيس مدى المشكلة، وتصف اتجاه سلوكيات تدني التحصيل. ويكون أفضل تقييم لمدى تدني التحصيل من خلال مراجعة نتائج اختبارات الذكاء والتحصيل جميعها لتاريخه، وإيكال مهمة الإشراف على اختبارات جديدة لمعالج نفسي أو معلم، إن لم تتوافر نتائج اختبارات حديثة.

أكمل المخطط في الشكل (4.8) بمجرد الحصول على البيانات، مستخدماً النتائج والدرجات المتوافرة جميعها، ثم سل نفسك الأسئلة الآتية لتحديد مدى تدني تحصيل طفلك أو طالبك:

1. هل تدنت نتائج اختبار الذكاء (IQ) أو التحصيل، سواءً الفردية أو الجماعية، أكثر من (10) نقاط خلال مسيرة الطفل التعليمية؟
2. هل هناك فرق بمقدار فئتين أو أكثر بين اختبارات الذكاء والتحصيل؟
3. هل هناك فرق بمقدار فئتين أو أكثر بين اختبارات الذكاء الفردية والجماعية، على أن تكون الفردية هي الأعلى؟
4. هل هناك فرق بمقدار فئتين أو أكثر بين اختبارات الذكاء ودرجات المدرسة؟
5. هل هناك فرق بمقدار فئتين أو أكثر بين اختبارات التحصيل ودرجات المدرسة؟

إن كان الجواب لأي من الأسئلة السابقة نعم، فمن المحتمل عندها أن يكون طفلك متدني تحصيل، وإن كان هناك انخفاض في نتائج اختبارات الذكاء أو التحصيل لأكثر من (10) نقاط أو كان الفرق بين المتغيرات يتعدى فئتين، فتكون عندها درجة تدني التحصيل أعلى. يمكنك النظر إلى تدني التحصيل في مادة دراسية واحدة أو في المواد كلها بهذه الطريقة، وكلما زادت حقول تدني التحصيل التي تراها، أو كلما عظم تدني التحصيل في حقل واحد، عظمت المشكلة التي تواجهها.

مخطط تحليل بيانات الاختبار والصف لتحديد حقل (مجال) تدني التحصيل ومداه					
متوسط النقطة الصفية	نتائج اختبار التحصيل الجماعي	نتائج اختبار الذكاء (IQ) الجماعي	نتائج اختبار التحصيل	نتائج اختبار الذكاء (IQ) الفردي	صف الطفل
					رياض الأطفال
					K
					الأول
					الثاني
					الثالث
					الرابع
					الخامس
					السادس
					السابع
					الثامن
					التاسع
					العاشر
					الحادي عشر
					الثاني عشر
استخدم الفئات اللفظية الآتية لوصف نتائج الاختبارات والدرجات					
متوسط النقطة الصفية	نسب الإختبار من 9 نقاط	نسب التحصيل المئوية	IQ	الفئات اللفظية	
و	1 أو 2	0-15	أقل من 80	أدنى من المتوسط بكثير	
د	3	16-29	80-89	أدنى من المتوسط	
ج-	4	30-44	90-94	متوسط منخفض	
ج	5	45-54	95-104	متوسط	
ج+	6	55-69	105-109	متوسط مرتفع	
ب	7	70-80	110-119	أعلى من المتوسط	
أ-، ب	8	80-89	120-129	متفوق	
أ	9	90-99+	130+	متفوق جداً	

الشكل (4.8): مخطط تحليل بيانات الاختبار والصف لتحديد حقل (مجال) تدني

التحصيل ومداه

تتضمّن طرق التقييم الرسمية الأخرى، التي تقدم مساعدة على تحديد كل من مدى تدني التحصيل واتجاهه ووصفهما: قوائم الجرد الأبوية، ومقاييس مراقبة المعلم، وقوائم جرد الطفل الذاتية، التي من الممكن إنجازها في المنزل، أو الغرفة الصّفيّة، حيث تفيد هذه الطرق في علاج مشكلات تدني التحصيل وتحسين التواصل بين الأبوين والمعلمين.

### مقياس تحديد التحصيل (AIM) Achievement Identification Measure<sup>1</sup>

يمثل هذا تقارير الأبوين عن سلوكيات الطفل النمطية، ويساعد على معايرة جمع المعلومات وتبسيطه وجعله موضوعياً، حيث يتضمّن ثمانية وسبعين سؤالاً يمكن الإجابة عنها باستخدام الآتي: (لا)، و(إلى حد قليل)، و(متوسط)، و(أكثر من المتوسط)، و(بالتأكيد). يجب الوالدان عن الأسئلة، وتُحسب نتيجة الجرد عن طريق الحاسوب.

إن مقياس تحديد التحصيل مفيد جداً في إيصال سمات دافعية التحصيل لدى الطفل لوالديه. وتكون المعلومات التي يكشف عنها مثالية للقائه الأبوين والمعلمين؛ لأنها تحدد مدى متلازمة تدني التحصيل وأعراضها الأساسية. وهناك خمس نتائج لمجالات توافق بإحكام المشكلات الأساسية التي تميز المتلازمة، هي: (المنافسة)، و(المسؤولية)، و(التحكم) و(تواصل التحصيل)، و(الاحترام)، حيث يتلقى الأطفال نسبة مئوية عن كل مجال. يتضمّن الشكلاّن (5.8) و(6.8) وصف كل جانب، وعيّنة من أسئلة مقياس تحديد التحصيل.

المجال	التوضيح
المنافسة:	الحاصلون على نتائج مرتفعة يستمتعون بالمنافسة، سواءً ربحوا أم خسروا. إنهم رياضيون جيدون، ويتعاملون مع الانتصارات بسماحة، ولا يستسلمون بسهولة. أمّا الحاصلون على نتائج متدنية، فيكتئبون، أو يبكون، أو يتذمرون، أو يفقدون رباطة جأشهم عندما يقدمون أداءً سيئاً في مهمة ما، وعادة ما يميلون إلى التفاخر عندما يربحون. إنهم غير ماهرين في علاقاتهم مع الأقران؛ لأنهم يفضلون أن يكونوا المسؤولين، أو لا يلعبون بتاتاً.
المسؤولية:	الحاصلون على نتائج مرتفعة مستقلون ومسؤولون عن عملهم المدرسي، يميلون إلى حسن التنظيم، وينهون الأنشطة التي يبدأون بها. أمّا الحاصلون على نتائج متدنية فهم اعتماديون على الراشدين من أجل المساعدة والاهتمام، ولا يخططون لتنظيم مسؤولياتهم المدرسية، إضافة إلى أنهم قد يسيئون التصرف بطرق جالبة للانتباه.
التحكم:	الحاصلون على نتائج مرتفعة يرتاحون في جو البيت والمدرسة، دون الحاجة إلى التلاعب بالأبوين، أو بالمعلمين، أو بالأقران، أو الهيمنة عليهم. في حين يميل الحاصلون على نتائج متدنية إلى أن يكونوا أطفالاً مهيمنين أو متحكمين، أعطوا كثيراً من السلطة عندما كانوا في مرحلة ما قبل المدرسة من قبل أحد الوالدين أو كليهما، ويتوقعون أن يكونوا في مركز الاهتمام، وأن يتحكموا في أقرانهم، وفي غرفهم الصفية، وفي عائلاتهم، ويشعرون بالغضب وفقدان السيطرة حتى عندما يتعرضون لانضباط معقول.
تواصل التحصيل:	يستقبل الأطفال الذين يحصلون على نتائج مرتفعة رسائل واضحة وثابتة من أبويهم، عن أهمية التعلم والدرجات المرتفعة، ويتواصل آباؤهم معهم بمشاعر إيجابية عن تجاربهم المدرسية الشخصية. وهناك توافق بين رسائل الأب والأم. أما الحاصلون على درجات متدنية، فيتلقون رسائل متناقضة أو سلبية عن التحصيل من آباؤهم فيما يقومون به و/أو ما يقولونه.

الاحترام: يحترم الحاصلون على نتائج مرتفعة آباءهم والراشدين الآخرين، أمّا الحاصلون على نتائج متدنية، فمتمردون وغير مطيعين، ويتجاهلون طلبات آبائهم وتعليماتهم، وفي العادة هنالك عدم توافق بين فلسفات الانضباط بين الوالدين.

المصدر: رم، س. ب. (1986). مقياس تحديد التحصيل. ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

### الشكل (5.8): جوانب مقياس تحديد التحصيل (AIM)

- أساعد طفلي على واجباته المنزلية.
- عانى طفلي كثيراً من مشكلات صحية في مرحلة ما قبل المدرسة.
- يُعد طفلي متسلطاً.
- يقوم طفلي بعمله المدرسي بسرعة معقولة.
- يستمتع طفلي بالرياضات الجماعية التنافسية.
- يلوم طفلي الآخرين، أو يجد أذكاراً عندما يُضجع شيئاً ما.
- طفلي تَوَاق لأن يكون مماثلاً قدر الإمكان لأصدقائه.
- ينسى طفلي القيام بواجباته المنزلية.
- لطفلي أخت كبرى عالية التحصيل.
- يفقد طفلي رباطة جأشه في المدرسة.
- يطيع طفلي أباه في العادة.
- يشبه طفلي أمه إلى حد كبير.
- الأب في هذه العائلة أحب المدرسة.
- يستطيع طفلي جعل أحد الوالدين يقول (نعم) بعد أن قال الآخر (لا).
- الأب في هذه العائلة أكثر حزماً من الأم في الانضباط.

المصدر: رم، س. ب. (1986). مقياس تحديد التحصيل. ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

### الشكل (6.8): عينات من مقياس تحديد التحصيل (AIM)

## مقياس تحديد التحصيل الجماعي Group Achievement Identification Measure (GAIM)<sup>2</sup>

يناسب تقرير الطالب الذاتي هذا طلاب مرحلة ما قبل المراهقة والمراهقين (الصفوف من الخامس وحتى الثاني عشر). يسمح للطلاب بوصف سلوكياتهم وتوجهاتهم الشخصية. وتطلب معظم المدارس إذن الوالدين قبل القيام به. وتكون نتائجه صحيحة مادام أن الطالب صادق شأنه شأن التقارير الذاتية جميعها.

يشبه اختبار (GAIM) اختبار (AIM) في الحقل والمجال، ويعد أداة استشارية ممتازة؛ لأنه يكمم صور الطلاب الذاتية، ويقارنها بالمعيار الوطني للطلاب، وفي حال أنكر الطلاب وجود مشكلات لديهم، فستجعلهم النتائج يظهرون بمظهر أفضل من ملاحظات الآباء والمعلمين، الأمر الذي ينقل إلى الراشدين أن أطفالهم لم يتقبلوا حقيقة موضوعات التحصيل بعد. على أي حال سيشارك الطلاب أحياناً مخاوفهم وانزعاجاتهم من خلال الكتابة. وفيما يأتي مثال حالة على ذلك:

حصلت طالبة الصف الثامن (آن) على نتيجة منخفضة في مجال (المنافسة) في اختبار (GAIM)، في حين كانت نتائج تقييم اختبار (AIM) الذي أنجزته والدتها مرتفعة جداً، افترضت أم آن وجود أمر غير صحيح في اختبار ابنتها. لذا، سألتها عن الفرق، أجهشت آن بالبكاء موضحة لأنها كرهت الخسارة، وكرهت أي منافسة، وقد أحسنت إخفاء توخيها للكمال بصورة جيدة عن والديها ومعلميها.

وعلى الرغم من تماثلهما، فإن مجالات اختبار (GAIM) مختلفة قليلاً عن تلك في اختبار (AIM)، وبالإمكان الحصول على مجالات اختبار (GAIM) وعتبات منه، إضافة إلى وصف العلاقة بين مجالات اختباري (GAIM) و (AIM) في: دليل إرشادي – متلازمة تدني التحصيل: مسببات وطرق علاج<sup>3</sup>، وكذلك في الموقع الإلكتروني: [www.sylviarimm.com](http://www.sylviarimm.com).

## مقياس تحديد التحصيل: ملاحظة المعلم

### Achievement Identification Measure: Teacher Observation (AIM-TO)<sup>4</sup>

هذه أداة لملاحظة المعلم، وبإمكان الأبوين الطلب إلى معلم طفلها – إن أراد – استخدام هذه الأداة لغايات التقييم، هذه الأداة: (AIM-TO) ممتازة كذلك في قياس تقدم الأطفال منذ

بداية العام المدرسي وحتى نهايته، بشرط أن يكمل المعلم نفسه النموذج في كلتا المرتين، إنها فاعلة جداً عندما يرغب فريق من المعلمين مشاركة ملاحظاتهم عن طفل، ويمكن أن يستجيب الطلاب بصورة مختلفة في الحصص الدراسية المختلفة، وبالإمكان توثيق نتائج (AIM-TO) في اجتماع المعلمين، ومن الممكن أيضاً أن تكون مفيدة في التواصل مع الآباء أو مع الطلاب.

### التقييم غير الرسمي

قد تكون الأساليب غير الرسمية لتقييم تدني التحصيل عند أطفالك ظاهرة للعيان، فبإمكانك بصفتك والداً أن تفترض بصورة آمنة أنّ المشكلة حقيقية، إذا أخبرك المعلم لسنوات أنّ أطفالك لا يعملون وفقاً لقدراتهم؛ فإذا رأى المعلمون طلاباً نادراً ما ينتبهون في الحصة، ولا يدرسون، عندها يكونون متيقّنين أنّ هؤلاء الطلاب متدنو التحصيل، وأن تدمر الطلاب أنفسهم بأنّ المعلمين لا يحبونهم، أو أنّ ذلك الكم من العمل ممل أو غير مرتبط، أو أنّ الدرجات ليست مهمّة، فإن الهدف من عباراتهم في الأغلب تعطيّة لتدني تحصيلهم أو الدفاع عنه.

وإن كان الأطفال منغمسين في الحياة الاجتماعية، أو الرياضة، أو التمثيل، أو الموسيقى إلى درجة إقصاء العمل المدرسي، ففي العادة أنّهم من ذوي التحصيل المتدني الأكاديمي، وإن كانوا نادراً ما يدرسون، أو يقومون بالواجبات المنزلية المطلوبة منهم، عندها يكونون متدنيي تحصيل، وعلى الرغم من أنّ بإمكانك تحديد أطفالك أو طلابك متدنيي تحصيل أم لا بسهولة؟ فإنه قد يكون تحديد الأنماط المميزة لتدني التحصيل ذلك أو اتجاهاته أمراً صعباً ستبين الملحوظات الدقيقة في المنزل، أو المدرسة، أو استخدام اختبار (GAIM)، أو (AIM) أو (AIM-TO) تلك المعلومات الإضافية.

ربما تكون الأوصاف الواردة في الفصل الأول لذوي التحصيل المتدني قد ساعدتك على تحديد أنماط تدني التحصيل لدى أطفالك. إضافة إلى ذلك، سيعينك الشكل (2.1) الوارد في الفصل الأول أيضاً على أنماطهم تلك اعتمادية أو مهيمنة؟ ستحتاج إلى العودة إلى الشكل في أثناء قراءتك للتوضيح الآتي.

يتلاعب الأطفال القابعون في الربيع الاعتمادي من الشكل، بالأشخاص الموجودين في بيئاتهم خفية، بأساليب تتطلب أكثر من مجرد المساعدة والتشجيع النمطيين، وتمتد كلماتهم ولغة أجسادهم إلى أكثر مما يحتاجون إليه من المساعدة.

يرتبط الأطفال في الربع المهيمن ذهنياً بالراشدين في بيئاتهم بأساليب واضحة العدائية لأنهم يتصرفون بارتياح فقط عندما يهيمنون على موقف ما، ويشعرون بفقدان السيطرة عندما لا يبسطون سيطرتهم على بيئتهم، سيجادلون ويساجلون، وسيوقعون الراشدين في فخ اللاعقلانية ثم سيستخدمون تصرفات الراشدين تلك بوصفها أعداءراً لعدم الانصياع. إضافة إلى ذلك سيتذمرون للآخرين، وغالباً سينجحون في إقناع الراشدين الآخرين بالوقوف إلى جانبهم ضد الراشدين الأوليين.

من الممكن أن يصنف الأطفال الذين يظهرون سمات (كم أنا مسكين) بأنهم اعتماديون في حين يعدّ هؤلاء الذين يتحدون باستمرار مهيمينين. على أي حال، تذكر أنّ هذه الفئات لا تكون واضحة المعالم على الدوام؛ إذ من الممكن أن تختلط عند أيّ طفل. وبحلول المراهقة، يُظهر معظم اليافعين كلاً من؛ الاعتمادية والمهيمنة.

وعلى الرغم من أنّ تحديد الفرق بين ذوي التحصيل المتدني المنصاعين (المطيعين) وغير المنصاعين، أقل أهمية من تحديد الاعتماديين أو المهيمينين، فإنه من الممكن لهذا التحديد المبكر أن يساعد على منع تفاقم المشكلة لاحقاً. وعليه، يجب ألاّ يتجاهل، فعادة ما يكون متدنو التحصيل المنصاعون أقل ظهوراً من غير المنصاعين؛ لأنهم يميلون لإخفاء مشكلاتهم التي تكون أقل حدة، وعادة ما يفترض الآباء والمعلمون أنهم سينضجون ويتخلصون من سلوكياتهم المسببة للمشكلات. ومن المهم على أي حال، الوعي بسمات ذوي التحصيل المتدني المنصاعين لأنهم يقعون تحت خطر التحول إلى حالة عدم الانصياع، إضافة إلى أنّ الأطفال غير المنصاعين يعانون حالة أكثر حدة من متلازمة تدني التحصيل، وتكون مشكلاتهم شديدة الوضوح، ويكونون كذلك عاصين على التغيير.

عندما تلاحظ الأطفال في المنزل أو المدرسة، فمن المهم ملاحظة ماهية السلوكيات التي ينالون من خلالها اهتمام الأقران والراشدين، وكيفية قيامهم بذلك، إذ غالباً ما يكون متدنو التحصيل مدمنين على جلب الانتباه، حيث ستساعدك معرفة الأساليب التي يجذبون من خلالها الراشدين على التمييز بين ذوي التحصيل المتدني الاعتماديين والمهيمينين، على سبيل المثال: إن كانوا دائمي الطلب للمساعدة، ويتصرفون بصورة غير فاعلة، وحزينين أو خجولين، ولا يكملون واجباتهم المدرسية، فهم يظهرون بذلك سلوكيات اعتمادية، أمّا إذا كانوا يجذبون الانتباه بالتبجح، أو بفقدان رباطة جأشهم، أو بالجدال، أو بالتلاعب بعدوانية، ففي الأغلب هم مهيمنون.

إضافة إلى ذلك، تكون الوتيرة الاعتيادية للأطفال الاعتماديين بطيئة وحذرة، في حين تكون سريعة ومتهورة عند الأطفال المهيمنين.

ومن أجل مساعدتك على التثبت من صحّة تشخيصك، سألخص سمات كل ربع في الشكل (1.2) هنا. ضع في الحسبان أنّ كل طفل متفرد، وأنه يجب استخدام هذه المعلومات للتشديد على السمات الأساسية فقط.

### الاعتماديون المنصاعون

يتمتع هؤلاء الطلاب بالهدوء واللطف، ويتلاعبون بالراشدين بأساليب خفية، يسعون إلى طلب المساعدة على عملهم؛ لأنه يأخذ منهم جهداً أكثر من الذي اعتادوه، ويميلون إلى التوافق بصورة جيدة مع الآخرين، على الرغم من أنهم قلما يكونون قادة.

يصف الآباء والمعلمون هؤلاء الأطفال بأنهم حسّاسون بصورة خاصة؛ لأنّهم يبكون ويحبطون بسرعة، وينحبون، ويتذمرون، ويشكون من أوجاع الرأس، والمعدة، والإصابات التي تكون غير مرئية. إضافة إلى ذلك، يبذلون طاقة قليلة، ويجذبون الاهتمام في المنزل من خلال وعكاتهم المرضية الثانوية، وحزنهم وطلبهم للمساعدة. أمّا في المدرسة، فهم ينتظرون المساعدة، أو يطرحون الأسئلة، ولديهم مشكلة في اتباع التوجيهات، ويستغرقون في أحلام اليقظة، ويحدقون من خلال النافذة، ويميلون إلى عدم إكمال عملهم. وعلى الرغم من أنّ نوعية العمل ممتازة في المدرسة الابتدائية، لكنها تتراجع في المدرسة المتوسطة والثانوية. إنهم يفضلون المهمّات السهلة، وسيتلاعبون بالراشدين في بيئاتهم؛ لكي يتجنبوا أي ضغط أو توتر.

قد لا يلاحظ المنصاعون الاعتماديون بصفتهنّ متدنيي تحصيل في الصفوف المبكرة، ولكن تلاعبهم يبدأ عند هذه المرحلة، يميل المعلمون إلى وضعهم في مجموعات قراءة، ورياضيات أدنى؛ كي لا يقعوا تحت الضغط. وغالباً لا يحبون الكتابة؛ لأنّها شديدة الصعوبة، وقد يظهرون للمعلمين أقل ذكاءً مما هم عليه. أما في المنزل، فعادة ما يكون هنالك والد واحد يقوم بكثير من أجلهم، ويبالغ في حمايتهم، ويكون لهم المساند. وإن تصرف أحد الأبوين كالحامي، والآخر كالغول فسيقوى النمط التلاعبي لديهم؛ لأنّ الأطفال سيتلاعبون بأحد الوالدين خفية ضد الآخر؛ إذ إنّ هذا الأمر يعطي الأطفال مزيداً من القوة الاعتمادية، وعادة ما يتمثلون مع الوالد الحامي لهم.

## الاعتماديون غير المنصاعين

يختلف غير المنصاعين عن المنصاعين في القدر الأعظم من اعتماديتهم. وعليه، يكون تحديدهم أكثر سهولة، فهم يجذبون اهتماماً أكبر لمشكلتهم؛ لأنهم أكثر ظهوراً، وعادة ما يكونون حزينين ووحيدين على نحو ملحوظ، وتدفعهم وعكاتهم الصحيّة وشكواهم السيكوسوماتية المتكررة، إلى الغياب عن المدرسة بصورة أكبر، وعادة ما يشخص أطباء الأطفال هؤلاء الأطفال بأنهم واقعون تحت وطأة ضغط كبير، وبالإمكان إغاضتهم من قبل الأطفال الآخرين، إضافة إلى قيامهم بدور الضحية؛ لجذب تعاطف الأقران والراشدين.

مشكلة هؤلاء الأطفال أكثر صعوبة؛ لأن حزنهم حقيقي، وقلما يكون دور الضحية الذي يقومون به تحت سيطرتهم. وكما أوضحت طالبة الصف التاسع، التي تمثل دونا المكتئبة في الشكل (1.2): (لا يكون أحد لطيفاً معي إلا عندما أكون حزينة ومنزعجة حقاً، عندها يمكنني الاعتماد على أصدقائي للمساعدة والدعم). تمتعت هذه الفتاة بالنضج، والاستبطان الكافي لفهم أنه على الرغم من فاعلية حزنها في جذب الأصدقاء بصورة مؤقتة في أوقات المحن، فإن هؤلاء الأصدقاء أنفسهم لن يبقوا إلى جانبها، إن أساءت استخدام اكتئابها باستمرار. وعلى أي حال، فقد أعطت أيضاً تأكيدات أن مشاعر حزنها كانت حقيقية جداً.

## التلاعبات الاعتمادية

يتلاعب الأطفال الاعتماديون بخفية، وغالباً لا يكونون مدركين لتلك التلاعبات، وعادة ما يقع ضحية تلاعباتهم الأشخاص العطوفون الحساسون الذين يستصعبون رفض طلباتهم؛ لأن الرفض سيجعلهم يشعرون بالذنب وعدم الرفق، حيث يجد الآباء العطوفون والمعلمون الجزعون، صعوبة كبيرة في عدم الاستجابة، بأساليب يشعرون فطرياً بأنها صحيحة. حتى عندما توضح لهم التلاعبات، فمن الصعوبة إقناع الراشدين المحبين بأنه يجب عليهم السماح لأطفالهم بالكفاح. وقد ينظر الآباء، والمعلمون، للتوقعات المرتفعة من هؤلاء الأطفال على أنها متواضعة، وتضع كثيراً من الضغط عليهم. فإن كان هذا موطن قلقك، فدعني أطمئنك مرة أخرى بأن هؤلاء الأطفال سيبنون ثقتهم بأنفسهم، وتنافستهم، فقط من خلال الجد والمثابرة، وهكذا الأمر بالتأكيد، فالعطف الحقيقي يتمثل بالسماح للأطفال باختبار بعض التوتر.

قانون رم (#7): غالباً ما ينطبق هذا القانون على الحرمان والوفرة الزائدة التي تظهر الأعراض نفسها، وعندما يُظهر الأطفال الاعتماديون درجات التوتر، فعادة ما يُفترض أنّ الراشدين قد وضعوهم تحت وطأة كثير من الضغط، أما في الواقع، فيمتلك هؤلاء الأطفال خبرة قليلة جداً في التعامل مع الضغط، إلى درجة أنهم قد يشعرون بالضغط من أي شيء، ما يدفعهم للشعور بالتوتر. ولكن من المهم أيضاً التنبيه إلى أنه يجب ألاّ تتجاهل طلبات هؤلاء الأطفال للمساعدة عندما تكون صادقة؛ فالأطفال كلهم يحتاجون إلى يد العون أحياناً، ولكنهم يبدؤون بالتصرف، والشعور بالعون وقلة الحيلة، فقط عندما يتلقون كثيراً من المساعدة. وفيما يأتي بعض تقنيات التلاعب الاعتمادي الشائعة للحذر منها.

**ساعدوني** في الغالب، يتلقى الأطفال الذين يطلبون المساعدة باستمرار، سواء كانت متعلقة بالأعمال المنزلية المعتادة، أو الواجبات المدرسية، مساعدة أكثر من المناسب. ومن أجل تحديد أفعالهم في حاجة إلى المساعدة؟ فيمكنك مقارنة مهاراتهم بالأطفال الآخرين من العمر ودرجة الذكاء والمرحلة التطورية نفسها. إضافة إلى ذلك، من الممكن أن تساعدك كتب تطور الأطفال على معرفة أيّجب على أطفالك ارتداء ملابسهم، أو الاستحمام، أو ركوب دراجاتهم الهوائية أو المساعدة على الأعمال المنزلية، بأنفسهم أم لا؟ وستخبرك اختبارات الذكاء والتحصيل الفردية كذلك أنهم قادرين على قراءة التعليمات وإكمال المهمّات، وفهم مسائل الرياضيات؟ دع الأطفال يقومون بكل ما يستطيعون القيام به باقتدار.

تكون استغاثات الأطفال للمساعدة في المنزل موجهة للوالدين، أو الأشقاء، أو الأقارب الآخرين، وتكون في المدرسة موجهة للمعلمين، والمستشارين، والأقران وأحياناً تتخذ صورة الطلبات اللفظية ورفع الأيدي، فإن الأطفال الاعتماديين يصبحون مع مرور الوقت خبراء في لغة (ساعدوني) الجسدية، وبعض الدموع أو تعبيرات التوتر على الوجه، أو قضم الأظافر، أو التحديق من خلال النافذة أو رمي أقلام الرصاص، أو اللعب بها، أو بعثرة الأوراق بيأس، أو العمل ببطء شديد، تصبح جميعها طلبات مبطنّة للمساعدة. يحق للأباء والمعلمين التباهي بتوفير احتياجات أطفالهم، ولكن عليك أن تسأل نفسك باستمرار احتياجاتهم الحقيقية،

أم أنها إشارات لجذب اهتمامك في نمط من الوهن وقللة الحيلة؟ هناك خيط رفيع فقط يفصل بين الحساسية والمبالغة في الحماية.

**ضايقوني** يتحرك الأطفال الاعتماديون ببطء، ويعتمدون - إن لم يعملوا بفاعلية - على أن يذكرهم آباؤهم ومعلموهم العطفون بذلك، وإن كنت الآن تسميها (تذكيراً)، فيمكنك الاعتماد على أنهم سيطلقون عليها (مضايقة) في النهاية، وسيلقون باللوم عن تلك (المضايقة) على الراشدين في حياتهم، ولاسيما أمهاتهم وآبائهم وفروا على أنفسكم العناء، ولا تقفوا في شباكهم، فعلى الرغم من عدم ممانعة الأطفال تذكيرهم المستمر في البداية، وأنتم تؤمنون بأنكم تساعدونهم على الإسراع في العمل، فإنهم سيبتئون في الحقيقة، هل سمعتم بأحد أصبح أكثر فعالية من خلال المضايقة؟ أنتم لا تستمتعون بالمضايقة، وفي نهاية المطاف إنها لا تمثل عطفاً لأطفالكم، عُدوا المضايقة تعزيراً لاعتمادية أطفالكم. ستحولون دون تعلم أطفالكم كيفية تنظيم وقتهم، إذا حاولتم رعايتهم من خلال أشغلتهم ومسؤولياتهم، حيث يميل الآباء إلى الاعتقاد بأن أطفالهم في حاجة إلى المضايقة، أو لن يقوموا بالعمل المطلوب منهم. لذا، يكون الأمر على النحو الآتي: ضايق لإيقاظهم من النوم، ضايقهم ليأكلوا، ضايقهم ليرتدوا ملابسهم ويستعدوا للمدرسة، ضايقهم ليقوموا بواجباتهم المنزلية، ضايقهم ليذهبوا إلى السرير. لذا، سيكون من غير المفاجئ أن يتوقع هؤلاء الأطفال مضايقتهم في المدرسة للقيام بعملهم كذلك.

**احموني**

يستخدم الأطفال الاعتماديون هذا النوع من التلاعب لتفادي التجارب الجديدة فبإمكان الأطفال الذين يخبرون آباءهم أنهم خائفون اجتناب لقاء أصدقاء جدد أو الذهاب إلى مكان جديد، أو تجربة التحديات الأكاديمية.

أحياناً، يسمى المراهقون هذا الخوف خجلاً، فالنحيب، والبكاء، ونوبات الغضب وعلامات إشهار للخوف، تجعل من تجاهلها أمراً صعباً. وعندما توفر الحماية فأنت تكافئ السلوكات التجنبية، حيث إن إيواء الأطفال من المخاوف غير العقلانية يمثل طريقة أخرى لإخبارهم أن هناك سبباً جيداً لخوفهم. وإلا، لم

سيقوم الراشد الحكيم بحمايتهم؟ إنَّ التعايش مع التجارب المستفزة للغضب بنجاح يبني شجاعتهم.

اشعروا

بالأسى من

أجلي

ينتقل الأطفال الذين يعانون مشكلات حقيقية خطيرة - على سبيل المثال: الأوضاع المالية الصعبة، والطلاق، ومرض أحد الوالدين، والإساءة الجسدية أو العقلية، وظروف إعاقات صحّية - بسهولة إلى هذا النمط الاعتمادي، حيث يكتشفون - غالباً بالمصادفة - أنّ الراشدين في بيئتهم مستعدون لتقديم مزيد من الانتباه لمشكلاتهم، ويصبح من المحيب لهم استقبال هذا الكم الهائل من الاهتمام.

التعامل مع هذا النمط هو الأصعب على الراشدين؛ لأن هذه العلة ليست محض تخيلات، فالأطفال يشعرون بالألم حقيقي، ومروا بمعاناة حقيقية. لذا، سيكون من الصعب تحديد المكان الذي تنتهي عنده العلة، ويبدأ التلاعب. هل يريد طفلك البقاء في المنزل؛ بسبب ألم المعدة، أم أنه يتجنب مواجهة مقبلة مع الواجبات المنزلية غير المنجزة؟ هل نوبات الربو التي تصيبه حقيقية، أم ناجمة عن ضغط ما قبل اختبار الرياضيات؟ هل يتعيّن عليك الإصرار على تحمل أطفالك للمسؤوليات المولدة للقلق، أم تخفيف أعبائهم وإعافؤهم من المهمّات؟

إن اكتشاف تلاعب (اشعروا بالأسى من أجلي) أمر صعب، وكذلك علاجه أمر ينطوي على المقدار نفسه من التحدي، فقد توفر المشكلات الجسدية والألم بالمصادفة مهرباً من التعامل مع الضغوطات المدرسية. لذا، يجب على الآباء والمعلمين وأطباء الأطفال، أن يعملوا يداً بيد؛ لتمييز الأخطار الطبية، ولتشجيع أكبر قدر ممكن من الاستقلالية بصورة صحّية.

أحبوني

(احضنوني، قبلوني، عانقوني، أكدوا لي حبّكم)، جميعها تلاعبات تضرب على الأوتار الحسّاسة عند الآباء والمعلمين العطوفين، وتظهر في البداية بأنّها طلبات غير ضارة للعطف، ولكنها ليست مؤذية بتاتاً إذا كانت مرتبطة بتهرب الأطفال من المهمّات الصعبة، أو تجارب غير سارة، ولكنها ضرورية فعندما هرب طالب الصف الأول كارلوس من غرفته الصّفيّة؛ لأن المعلمة أصرّت على جلوسه على

مقعده وإكمال المهّمات الموكلة إليه جميعها، ضمّته أمه إلى صدرها، وذكّرت به بحبها له قبل أن تعيده إلى المدرسة من جديد. كذلك، تعانقه أمه في الأيام الصعبة تحديداً؛ لمساعدته على التعامل مع ضغوطه، وقد أكدت له العناقات، والتأكيدات وجود سبب للخوف، وكذلك أزاحت عن عاتقه أيّ مسؤولية لتغيير سلوكه، فلم التغيير من شيء سهل إلى شيء صعب، ولا سيّما عندما يرتاح الشخص في أداء المهّمات السهلة، في حين تكون النتائج غير مؤكدة للمهّمات الأصعب؟

سؤال يطرحه بصورة معتادة الأطفال الذين أسأوا التصرف حديثاً، وهو: (أمي هل ما زلت تحبينني؟) حقاً، تؤكّد الأم حبها له، فقد تحاول فصل السلوك غير الصحيح عن الطفل، ولكن لمّ العناء؟ فبكل بساطة، يتلاعب الطفل بتأكيدات الحب لتشتيت الأم عن السلوك غير المسؤول، وتستمر اللامبالاة، فتحار الأم بعدم أمان الطفل، ولكن ما يظهر على أنه عدم أمان، ما هو في الواقع إلا تلاعب شديد الإقناع، وفي بعض الحالات يُضاف اعتذار محبوبك الصدق إلى سؤال هل ما زلت تحبينني، وتصيح عبارة (أنا آسف، سامحيني) نوعاً إضافياً من التلاعب.

هناك كثير من الفرص المتاحة للوالدين للتعبير عن الحب والعطف والعفو، ولكنها يجب ألا تكون نابعة بوصفها استجابة لأنماط الطفل الاعتيادية لتجنب المسؤولية حيث سيقودك تكرار طلبات الحب وقربها من تجنب الجهد إلى تحديد ما إن كانت هذه الطلبات حقيقية، أم أنها جزء من سلسلة تلاعبات فاعلة.

يمكن محاولة أسلوب فكاهي في إخبار أطفالك أنك لا تحبهم، أو أنك تحب أشقاءهم أكثر منهم، مثل: (إنك على حق تماماً!) مصحوب بغمزة من العين فهذا سيجعل من الواضح أن تلاعب (أحبوني) لم يعد يجدي نفعاً بعد الآن.

يبدو أنّ الأطفال المتبنين ماهرون بصورة خاصّة في هذا التلاعب، فاستجابتهم السريعة لحمايتهم من العقاب، هي: (أمي أو أبي)، سبب عدم حبك لي أنني متبنيّ)، غالباً ما يدفع هذا القول الأبوين إلى تأكيد حبهم وإيقاف العقاب.

تدفع طقوس الغول الواردة في الفصل الثالث أحد الوالدين إلى القيام بدور المساند، فمهما كانت مطالب الوالد (الغول)، يجد الطفل مأواه لدى الوالد

الحامي فإن طلب الأب جز العشب قبل عودته إلى المنزل، ولم ينفذ الولد هذا الطلب فستذكره الأم في البداية، ثم تضايقه، ولكنها أخيراً ستساعد على حماية ابنها من نفاذ صبر أبيه، وإن لم تكمل البنت واجباتها المنزلية بعد المدرسة، مثلما أصرت الأم اللثيمة، فمن الممكن أن يقضي الأب المساء كله في مساعدة ابنته على أداء وظيفة الرياضيات الصعبة، وحمايتها من أمها الغاضبة.

يتعلم هؤلاء الأطفال نمط السلطة الاعتمادية؛ للتعايش مع ضغوطات القيام حتى في الطلبات المعقولة لأحد الوالدين، إذ لا يوجد سبب حقيقي عند الطفل يمنعه من العمل، ما دام أن تجنب العمل يوفر تجربة واقية مُحبة مع الوالد الآخر. وغالباً ما يُعزز متدني التحصيل الاعتماديون من قبل الوالد الحامي.

### المنصاعون المهيمنون

عادة لا يعدُّ هؤلاء الطلاب من ذوي التحصيل المتدني اعتماداً على درجة مشكلتهم، إنهم شديداً التنافسية بصورة خفية، في الأقل في مجال واحد، ولن يبذلوا أيَّ جهد للمثابرة في الحقول التي لا يستطيعون الأداء فيها بصورة ممتازة جداً فيها. إنهم ينكرون المهارات والاهتمامات جميعها، عدا تلك التي يبرعون فيها ويحققون مكانة مرموقة من خلالها، وقد يكونون قادة فعلاً ولكن من المحتمل أن تتمتع تلك القيادة بتوجه غير أكاديمي.

إنهم يخذلون المعلمين الذين لا يدركون مواهبهم، ومن الممكن أن يتمتعوا بتأثير كبير في أقرانهم، يميل هؤلاء الأطفال إلى وضع أهداف كبيرة غير معقولة لأنفسهم - فهم يخططون لأن يصبحوا لاعبي كرة قدم محترفين، رياضيين أولمبيين، عازفي بيانو مشهورين، نجوماً عالميين واسعي الثراء، رؤساء دول - ويظهرون انضباطاً كبيراً في الحقول التي اختاروها طالما أنهم رابحون، أما إن تدنت مكانتهم، فسوف تتدنى جهودهم، وسينسحبون.

ولأن بعضهم من الطلاب اللامعي الذكاء، فمن الممكن أن تكون درجاتهم متوسطة أو أعلى من ذلك دون أن يبذلوا مجهوداً كبيراً. ولذلك، من الممكن ألا يستحوذ تدني تحصيلهم على أي انتباه، على الرغم من أنهم يتدبرون أمورهم بصعوبة، ربما لن يسبب لهم تدني تحصيلهم الأكاديمي أي مشكلات مستقبلية إن كانت مواهبهم خارقة للعادة. وعلى أي حال، سيواجه كثير منهم خيبات أمل عظيمة بعد المدرسة الثانوية؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم مجالات عالية التنافسية

إضافة إلى أن تدني تحصيلهم الأكاديمي لن يترك لهم أي وسيلة حماية تخفف عنهم حدة السقوط ومحاولة إعادة توجيه جهودهم، وعادة لا يُميّز كثير من ذوي التحصيل المتدني إلا بعد تخرجهم في المدرسة الثانوية، إنهم أولئك الأعضاء من النخبة الاجتماعية للمدرسة الثانوية الذين لا يحصلون النجاح الذي يتوقعه لهم معلموهم وأصدقائهم.

### التلاعبات المنصاعة المهيمنة

على الرغم من إمكان تعلم التلاعبات المنصاعة المهيمنة في مرحلة مبكرة من الطفولة، فإنها لا تكون بارزة في ذلك الوقت. إضافة إلى ذلك، تدعم هذه التلاعبات في الواقع تطور الذكاء والموهبة، وتصبح مشكلة كمية لا نوعية. فإن طلب الأطفال الاهتمام وكلمات المديح باستمرار أصبحوا معتادين توقع كثير من الانتباه. وحتى لو كان ذلك إيجابياً، سيتسبب ذلك فعلاً في مشكلة حقيقية.

إن تحديد مقدار الثناء الواجب إعطاؤه أمر صعب، ولكنه شديد الأهمية. تعلم المنصاعون المهيمنون توقعات كثيرة؛ لأنهم يعتمدون على هتافات التميز والإعجاب المستمرة، يكون المعجبون بهم قلة في البداية (الراشدون في بيئتهم)، ثم يتسعون بصورة متسارعة ليشملوا الأقارب والأقران، وأباء الأقران، وقاطني الحي، والأشخاص في الشارع، وفي مراكز التسوق الكبرى وتضيف التجارب المدرسية المعلمين ومزيداً من الأقران إلى الحشد المتنامي، الذي يتلاعب فيه هؤلاء الأطفال بصورة إيجابية دون وعي بإظهارهم لمواهبهم وعبقريتهم، حيث يتفاوت المعجبون بصورة أو بأخرى بالاعتماد على الموهبة، ولكن هناك جمهور دائماً.

إن التلاعبات الأساسية للأطفال المنصاعين المهيمنين، أقل بكثير من تلك للأطفال الاعتماديين، وأكثر إيجابية منها، وعلى الآباء والمعلمين أن يكونوا واعين لها، ولكن ليجنبوا المبالغة في الاستجابة فقط.

من الممكن أن يكون تجاهل جهود هؤلاء الأطفال لجذب الانتباه ضاراً، فإن التخلص من المديح بصورة ما، والاستعاضة عنه بسلوكات معززة إيجابية أكثر إنتاجية لإضافة التوازن لخبراتهم التعليمية، سيساعدهم بالتأكيد.

موازنة الثناء الحماسي أصعب مما قد يتبادر إلى ذهن المرء؛ لأنك قد تشعر بالارتباط الشخصي والحماس تجاه نجاحات هؤلاء الأطفال. إضافة إلى ذلك، لا يستطيع الآباء والمعلمون والمدرّبون أبداً التأكيد أنّ هؤلاء الأطفال الموهوبين، سيكونون مستعدين جيداً للتنافس على المستويات الوطنية والعالمية، ولا يوجد خطأ في استثمار الوقت والطاقة في طفل موهوب، بل قد يكون ذلك مناسباً وضرورياً. ولكن، تقع عليك مسؤولية مساعدة ذلك الطفل على فهم أنّ النجاح بعد المدرسة الثانوية ليس مضموناً بالضرورة.

قدروني،  
اثنوا علي،  
اهتفوا لي

يوجد الأطفال المنصاعون المهيمنون باستمرار على المسرح، وهم قادرون على تحديد المشاهدين الذين سيقدرونهم، وسيهتتون لهم، فيؤدون أفضل ما عندهم أمام الجمهور. وتخبرك ابتساماتهم الطفولية أنهم مدركون لمشاهدتك لهم وإن لم تكن كذلك، سيجذبونك بسرعة، وربما إنّ أفضل وصف لما سيقوم هؤلاء الأطفال بفعله حقاً هو (تيجح محبب)، فإنه يبدو تعبيراً قاسياً بعض الشيء لوصف الطريقة التي يتلفظ بها طفل بعمر ثلاثة أعوام - بصورة انتقائية - الكلمات المكونة من أربعة مقاطع.

يعطي الجمهور تعليقات مفردة الحماسة، مثل: (ذكي)، و(عبقري)، و(رشيق)، و(موسيقي)، و(موهوب)، و(مثل بيكاسو أو ألبيرت آينشتاين)، و(نابغة)، و(فاتن) و(أخاذ)، و(رياضي بالفطرة)، وقائمة طويلة من الصفات الرائعة، فيستمر الأطفال بتحسين أدائهم، ويستبطنون الثناء بوصفه محفزاً للتحصيل، وعلى الرغم من أنّ التوقعات الإيجابية جيدة، فإنها قد تكون متطرفة زيادة عن اللزوم.

لا تنتقدوني

(أنا رائع، وسأشعر بالأذى إن لم تخبروني بأني رائع، سأبكي وسأفقد رباطة جأشي، سأستاء أو سأنسحب). ولأن هؤلاء الأطفال اعتادوا فقط تقبل الثناء الإيجابي، فإنهم يعدّون غياباً عن أمر سلبياً، ويمكن أن ينظر إلى الحديث باستحسان عن إنجازات أطفال آخرين على أنه استهجان شخصي مؤلم، ويعدّ التصحيح أو اقتراح التغيير أو التحسين أسوأ نوع من أنواع الإدانة. إنّ ذوي التحصيل المتدني المنصاعين المهيمنين يساوون أداءهم بأنفسهم، فإن أنت استهجنتم أداءهم،

فسيعدون ذلك هجوماً شخصياً، وسيولد أي شيء سوى الثناء والتقدير استجابات دفاعية، مثل: (لماذا تنتقدني على الدوام؟).

يشير تلاعب (لا تنتقدوني) إلى وجود نوعين من الجمهور مصنفين بوصفهم: (أصدقائي، وهم أولئك الذين يحبون أدائي دائماً. وأعدائي، وهم أولئك الذين يتجرؤون على إخباري بأن أدائي ضعيف)، ويتلاعب المنصاعون المهيمنون بالراشدين في بيئتهم؛ لتجنب أي انتقاد، سواءً كان هدفه بناءً أم لا. ومن المفاجئ أنّ هؤلاء الأطفال يتعلمون، في النهاية، تقبل التوجيهات البناءة من عدد محدود من الخبراء في مجالات خبرتهم، والذين تعلموا أن يحترمهم، ويقدرهم ويتقوا بهم، وهم لا يحاولون التلاعب بهذه المجموعة المنتقاة؛ لأنهم يدركون مكانة هؤلاء الناصحين وخبرتهم، ولا يشعرون بالتنافسية معهم، بل عوضاً عن ذلك ينظرون إليهم بوصفهم نماذج يقلدونهم، أما الآخرون، فكونوا حذرين، إذ إنّ تلاعب (لا تنتقدوني) قوي جداً.

### المهيمنون غير المنصاعين

هذه هي أكثر مجموعات ذوي التحصيل المتدني وضوحاً وأكثرها صعوبة؛ فنادرًا ما يطلبون المساعدة، ويميلون إلى إلقاء اللوم على بيئتهم – العائلة، والمدرسة، والمجتمع – عن مشكلاتهم، يتمردون بصورة فاعلة ضد أهداف الراشدين، ومصممون على أن يعيشوا حياتهم بشروطهم الخاصة، دون أن يلقوا بالأولئك الذين يحبونهم.

يؤسس هؤلاء الأطفال هويتهم من خلال المعارضة، ويدفعون بالحدود، ويرفضون قبول (لا)، يدعون بأن المعلمين لا يحبونهم، ولكن ما يعنونه في الحقيقة، هو أنهم يحبون المعلمين الذين يقدمون لهم امتيازات خاصة فقط. وكلما ازداد تمردهم، قلّ عدد المعلمين الذين يستطيعون الاعتماد عليهم في الدعم. يشعرون بفقدان السيطرة واليأس إلا إذا هيمنوا على أناس آخرين في بيئتهم، فهم غاضبون، وسليبيون، وأحياناً عنيفون. تصبح مساعدتهم في سني مراهقتهم، صعبة دون عون اختصاصي. لذلك، من المفيد تحديد هؤلاء الأطفال مبكراً؛ لمنعهم من المبالغة في التمثيل.

يمكن أن يتردوا لسنوات، ولكن يصبح كثير منهم محصلين بعد أن يكتسبوا بصّرات عن مشاعرهم الذاتية.

### التلاعبات غير المنصاعة المهيمنة

التلاعبات غير المنصاعة المهيمنة واضحة للآباء والمعلمين، على الرغم من الأطفال ينكرون في البداية أنّ تصرفاتهم مقصودة. وبحلول المراهقة، يصبحون أكثر احتمالية لأن يعترفوا بالأعباء للأصدقاء، والمؤتمنين على الأسرار، ومن الممكن حتى أن يتبجحوا بنجاحاتهم. وبصرف النظر عن حقيقة أنّ الراشدين ربما يكونون مدركين لأفعال الأطفال، يكون الأطفال عادة مقنعين ومثابرين إلى الدرجة التي ينهك معها الآباء، حيث يعترف الآباء أنّ معظم نقاشاتهم الخاصة هي في كيفية التعايش مع هؤلاء الأطفال العنيدين.

فالمهيمنون غير المنصاعين خبراء في تحسس أمزجة الآباء، حيث تشجعهم لحظات الضعف والتحالفات، ونجاحاتهم المتكررة، في مكائدهم ودسائسهم. وعلى أيّ حال، فإن ثقتهم تبنى بصورة متزعزعة على التحكم المتسلط، وتساعدهم تقلباتهم المزاجية - التي تتضمن الدموع، ونوبات الغضب والاكْتئاب - على إقناع الآباء لإعطائهم ما يريدون تماماً، وإلا فسيواجهون العواقب الوخيمة. لذا، فإنّك تحتاج إلى التفوق في المناورة على هؤلاء الأطفال. وفيما يأتي بعض المناورات؛ استعد لأن تكون مبدعاً وصبوراً.

قدروني، هذه المناورات مشتركة بين المنصاعين وغير المنصاعين، والفرق الأساس  
اثنوا علي، بين المجموعتين أنّ الطلاب المنصاعين أكثر مهارة ونجاحاً، وغالباً ما يجد  
اهتفوا لي، اليافعون غير المنصاعين أنّ هذه المناورات ليست ناجحة، على الرغم من أنها  
كانت كذلك في مرحلة مبكرة من تطوّرهم. وبعبارة أخرى، لم تعد الأنشطة  
التي أسهمت في الماضي بوضعهم في بؤرة الاهتمام الفاعلة، ويشجعهم بحثهم  
المتواصل عن ذلك الحسّ القديم بالأمان المبني على تقدير الراشدين، على  
مزيد من المناورات<sup>6</sup>.

يضع الراشدون الذين يوفرون كثيراً من الانتباه أساس هذا النمط، وعندما تولد ظروف جديدة، على سبيل المثال: يضع وجود أشقاء جدد في العائلة، والنضج والجهود السيئة، والموهبة غير الكافية، هؤلاء الأطفال في مواقف لا يحوزون فيها

على التقدير العظيم أو الهتاف الذي اعتادوه، فيصبحون محبطين ومغتاظين قد لا يتلقى الأطفال اللامعين لفظياً الاهتمام نفسه المعتاد لذكائهم، عندما يبدأ شقيق أصغر باستخدام مفردات مثيرة للإعجاب.

ترى الفتاة الصغيرة التي كانت أول أنثى منذ ثلاثة أجيال نفسها محطّ اهتمام أقل عندما تولد أختها الصغرى، فلا تعود تشعر بالذكاء، أو الجمال، أو التفرد كالسابق. وعليه، تبدأ البحث عن طرق لجلب الانتباه نحوها، وأحياناً تكون هذه الطرق متلاعبية، وأحياناً مبدعة، وأحياناً متمرده، وسلبية، وغير مستحسنة. يستجيب هؤلاء الأطفال بصورة جيدة عندما يقدرّون ويُنْتَى عليهم، فيخمد تمردهم، ولكنه يزداد عند تجاهلهم، إنهم يريدون الكثير، وقد تعلموا قليلاً من الكفاح.

لا تنتقدوني هذه المناورة الثانية هي أيضاً نفسها لدى المنصاعين المهيمنين، ولكن، مجدداً تكون أكثر تطرفاً، ولن يتبع فشل الآخرين بالاستجابة لمثل هذه المناورات بالغضب، أو المزاجية، أو الدموع فحسب، بل بسلوكات تأرية أيضاً، وإن انتقدهم الراشدون، فإنهم يبحثون عن طرق لإحراز التعادل، وقد يتضمّن ذلك شجاراً أو حرب عصابات عند المراهقين الأكثر عدوانية، سيثار الأطفال الأقل عنفاً بالرد الكلامي، أو توظيف إستراتيجيات أخرى تهدف إلى إيذاء المنتقد رداً على مشاعرهم الذاتية بالألم. يشعر هؤلاء الأطفال بسوء المعاملة وعدم الثقة عند انتقادهم.

اختلفوا معي واحدة من أبرز مناورات هؤلاء اليافعين صراع القوى، يريدون الهيمنة والفوز وهم مصممون على إثبات هيمنتهم من خلال جعل الآخرين خاسرين، يتحدثون الراشدين للاختلاف معهم فقط في المجالات التي يشعرون بالثقة بفوزهم فيها الأمر الذي يبني الثقة في قوتهم الشخصية، يضايقهم النقد الذي يتحسّسون منه ويبالغون في الرد عليه؛ لأنهم يرونه بأنه اتهام لهم بالضعف، يمارسون السجلات والجدل في مناطق قوتهم، ولكن إن شعروا بالخسارة، فسيلجؤون إلى الدفاع الذي يستخدمه الأطفال الآخرون عند انتقادهم (انظر إلى الأعلى)، غالباً ما

يحار الآباء والمعلمون من طرفي النقيض اللذين يظهرهما هؤلاء الأطفال (بداية يتصرفون بوصفهم مقاتلين مخضرمين، ثم تنهمر دموعهم فجأة).

يثق هؤلاء الأطفال بصورة كافية بمهاراتهم العدائية لبدء الجدل بصورة متكررة ويحتاج التوتر المناخ من حولهم، إضافة الى أن استعدادهم المستمر للجدال يربك الآباء والمعلمين على حد سواء، وهم نموذج حي على المثل القائل: «يحمل رقاقة على كتفه» أي أنه مستعد للقتال.

### أعطوني

(أعطوني) الطلب المألوف من هؤلاء الأطفال، كذلك: (أتمنى)، (أريد)، (أحتاج إلى مزيد ومزيد)، ويبدو أن لا نهاية لأمانهم في امتلاك الممتلكات المادية والأنشطة. يجب أن تلبى رغباتهم على الفور، حيث تقابل (لا) بغضب شديد، أو بما سيقول عنه الأطفال: غضب مشروع، أحياناً: يقولون: شكراً لك، ولكن في الأغلب لا تخرج منهم كلمات العرفان، أو حتى الشكر، ويبدو الأمر وكأن هؤلاء الأطفال يعدون كل ما يُعطى لهم من المسلمات. ومع ذلك، لا يُحصّلون درجة الرضا بتاتاً، فلا تنتهي عملية الشراء، والاختيار، والدفع، والتكديس أبداً، وهي دلالة أخرى لتعبيرهم عن التحكم والهيمنة، يظهر هذا التلاعب جلياً في العائلات التي حصل فيها الوالدان على قليل من الممتلكات المادية. ولذلك يرغبون في تعويض أطفالهم بإعطائهم الكثير.

### كونوا ملكي

(أريد كثيراً؛ لأكون شديد القرب بأحدهم، لأثق بهم تماماً، وليكونوا أصدقاءً خاصين جداً لي)، هذا يبدو تعبيراً مناسباً للعلاقات المرغوب فيها من راشد مراهق أو يافع، ولكن الكلمات تصرح بأضعف ما تقتضيه المشاعر، يرغب هؤلاء المراهقون بعلاقات كاملة ومكثفة، ويرفضون مشاركة أصدقائهم مع أي أحد يريدون كمّاً هائلاً من السلطة في علاقاتهم، إلى درجة أنّ مجرد اختلافات الرأي ينظر إليها بأنها خيانة، وينظر إلى اختلافات تفضيلات الأنشطة بأنّها غدر، والصدقات الأخرى بأنّها عدم وفاء، والتفرد بأنه معارضة، يجد هؤلاء الأشخاص اليافعون أسباباً كثيرة لعدم الثقة؛ لأنهم يعرفون الثقة بطريقة مكثفة ومقيّدة، إنهم يستثمرون أنفسهم بصورة كبيرة في الآخرين، ولكن متطلباتهم في

التحكم كبيرة جداً، لدرجة أنّ الأصدقاء يرفضونها، معززين بذلك حسّ خيبة الأمل والاكتئاب، إنهم أطفال متطرفون، يرغبون حرفياً بتملك أصدقائهم.

انظروا إلى  
تفردي

نتيجة مباشرة لتلاعب الثناء والهتاف الأساسي، أنّ رغبة الشباب غير المنصاعين المهيمين هي في النظر إليهم بأنهم مختلفون، فهم يرغبون في أن ينظر إليهم بأنهم ينتمون إلى مجموعة أخرى، أو لا ينتمون إلى أيّ مجموعة بتاتاً يطلبون إليك ملاحظة أصالتهم، وسمااتهم المعتادة، وذوقهم الفني وتفردهم، وقد يصنفون أنفسهم بأنهم شعراء وفنانون، وموسيقيون، طالما أنّ التصنيف يتضمّن حسّ التفرد والاختلاف.

يرغب هؤلاء الأطفال بالحصول على استثناءات مبنية على سماتهم المميزة ولأنهم يرون أنفسهم مختلفين، فسيقولون: هل يمكنك تمديد موعد التسليم لأن قصتي مبدعة جداً؟. هل يمكنني كتابة قصة أطول مادمت أكتب بصورة ممتازة؟. هل يمكنني أن أضع من الورقة البحثية؛ لأنني قمت بتجربتي الخاصة؟. وقد لا تكون طلباتهم معقولة، ولكن لديهم حسّ لتأسيس الاختلافات عبر جذب الانتباه إلى مميزاتهم، (انظروا إلى تفردي) ليست صفة للأطفال المهيمين كلهم، فقط أولئك الذين يرون أنفسهم بأنهم شديدي الإبداع.

إلى أي مدى  
يمكنني أن  
أصل؟

هذه هي أكثر مناورات الهيمنة نمطية، فبالنسبة إلى هؤلاء الأطفال، يؤسس دفع الحدود الهيمنة والتحكم، لقد تعلموا مبكراً ألا يقبلوا (لا) دون مساومة، ولبعضهم، بدأ الأمر بنوع محبب من الإقناع عدّه الوالد المرن أو الوالدة المرنة، مناسباً في ظل تلك الظروف. أما عند الآخرين، فقد كان ولعاً بالقتال والغضب منذ البداية، وفي الحالتين كان فاعلاً، وقد تعلم هؤلاء الأطفال (الأرزار) المناسبة التي يمكنهم الضغط عليها ليحصلوا على كل ما يريدون. تثيرهم (لا) من أحد الوالدين فقط لمحاولة طريق أخرى، أحياناً تكون تلك الطريق الوالد أو الجد الآخر، ويكون تعليقهم المعتاد: (الآباء الآخرون يسمحون لأطفالهم.....) وهم يعرفون كيفية جعل آباؤهم يشعرون بالذنب.

يصبح دفع الحدود، عادة طريقة للتلاعب في عقول الناس، تساعد هؤلاء الأطفال على الشعور بالتحكم؛ لأنها تربط حسّهم بالثقة بالتحكم. وعليه، يشعرون بالعجز والغضب والاكتئاب، عندما لا يستجيب الأشخاص الآخرون إلى مطالب المتحكم وإصراره، يستمر هؤلاء الأطفال في دفع الحدود مع الوالدين والمعلمين، وحتى الأطر المجتمعية، فكلمة (لا) غير موجودة في عالمهم، ولا توجد هناك حدود فقط (إلى أي مدى يمكنني أن أدفع؟).

المهيمن	الاعتمادى
<ul style="list-style-type: none"> <li>• قدروني، واثنوا علي، واهتموا لي.</li> <li>• لا تنتقدوني.</li> <li>• اختلفوا معي.</li> <li>• أعطوني.</li> <li>• كونوا ملكي.</li> <li>• انظروا إلى اختلافاتي.</li> <li>• إلى أي مدى يمكنني أن أدفع؟</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• ساعدوني.</li> <li>• ضايقوني.</li> <li>• احموني.</li> <li>• اشعروا بالأسى من أجلي.</li> <li>• أحبوني.</li> <li>• آووني.</li> </ul>

الشكل (7.8): المتلاعبون الاعتماديون والمهيمنون

يلخص الشكل (7.8) المناورات الاعتمادية والمهيمنة. يُظهر الأطفال الطبيعيون جميعهم هذه السلوكيات أحياناً، ولكنّ متدنيي التحصيل يستخدمون هذه المناورات بصورة متكررة بوصفها آليات دفاع؛ حتى لا يُجبروا على التعايش مع خطورة استكشاف أنّهم ليسوا الأفضل، أو ليسوا كاملين. تكون المناورات، عادة، غير واعية، ولثيمة، أو متعمدة. ولكنها على أي حال، معتادة، ومختلفة، وغير وظيفية، وتعزز من أنماط تدني التحصيل.

يستجيب الآباء والمعلمون لآليات الدفاع هذه بصورة فطرية، عن طريق مساعدة الأطفال الاعتماديين بصورة كبيرة، والجدال مع الأطفال المهيمنين أو عقابهم بصورة متكررة، يشجع النموذج ثلاثي البؤر الآباء والمعلمين على الاستجابة لهؤلاء الطلاب بصورة معاكسة للتوقعات

البديهية، من خلال الإصرار اللطيف والحازم في الوقت نفسه على استقلالية الطفل الاعتمادي وعلى تكوين تحالف مع ذوي التحصيل المتدني المهيمن في الوقت الذي تُوضع فيه حدود حازمة.

### تحديد الخطوة الآتية

في الوقت الذي تراجع فيه تقييماتك الرسمية وغير الرسمية لأطفالك، قرر بإمكان أحد الوالدين أو كليهما ومعلم/معلمين معاً العمل على عكس متلازمة تدني التحصيل؟ وإذا كنت تتطلب مساعدة اختصاصية، حيث يعدّ تدني التحصيل عند الأطفال الصغار والدرجات الأقل تطرفاً من تدني التحصيل سهل العكس نسبياً. كذلك، يسهل على الآباء والمعلمين التعامل مع أنماط تدني التحصيل الاعتمادية والمنصاعة أكثر من الأنماط المهيمنة وغير المنصاعة وقد تحتاج إلى مساعدة معالجين نفسيين ومستشارين للقيام بتغييرات معقولة عند الأطفال في المجموعة الأخيرة.

من الممكن أن يكون الأقران، والخمور، والمخدرات، والجنس، محفزات أقوى لهؤلاء الشباب من الآباء والتحصيل المدرسي. ولأن كثيراً من ذوي التحصيل المتدني يقبعون في الأرباع الاعتمادية والمهيمنة الأقل تطرفاً، فهناك كثير من الأطفال الذين يمكن عكس تدني تحصيلهم دون الحاجة إلى مساعدة اختصاصية، وحتى أولئك الذين يتلقون مثل هذه المساعدة، فمن الممكن أن يساعدهم هذا الكتاب على أن يكونوا أكثر فاعلية في مواجهة المشكلة.



## الفصل التاسع

### الخطوة الثانية : التواصل بين المعلمين، وأولياء الأمور، والطلاب

بالإمكان عكس متلازمة تدني التحصيل بأفضل صورة فاعلة، عندما يعمل أولياء الأمور والمعلمون والطلاب معاً. فقد يكون المعلم أول من يقوم بالمبادرة في هذا المجال، أو كلا الوالدين، أو الطالب، فإن النتيجة الفاعلة تعتمد على التواصل الواضح بينهم جميعاً. فإذا كان أولياء الأمور هم من يبادرون بالجهود لعكس تدني التحصيل، فيكون من الواضح حاجتهم إلى دعم المعلمين. ومن الواضح أيضاً، والمساوي في الأهمية، أنه لا بد للمعلمين الذين يسهمون في تغيير الطفل من التواصل مع الوالدين. وعلى الرغم من إمكان مساعدة المعلمين تلاميذهم دون تعاون الوالدين، فإنه من الأسهل العمل مع الوالدين؛ حيث تُعكس العملية بصورة أسرع.

### مبادرة التواصل من قبل المعلم

إن كنت معلماً نمطيّاً، فسيكون جدولك الدراسي مثقلاً بالواجبات التدريسية، إضافة إلى كثير من المسؤوليات الأخرى. وعندما تتخذ القرار بعكس متلازمة تدني التحصيل لأحد طلاب صفك، كن واقعياً في عدد ذوي التحصيل المتدني الذين تستهدفهم ونوعهم، ولا سيّما في بداية الأمر.

إضافة إلى أنّ فرصك في النجاح ستزداد إن كان والدا ذوي التحصيل المتدني مستعدين للتعاون معك؛ لأنك ستتمكن من عكس تدني التحصيل لدى اثنين إلى خمسة أطفال في أيّ عام

مدرسيّ. لذا، ينصح بأن تبدأ بمن تثق من نجاحك معهم في ذلك، سيزيد أولياء الأمور المتعاونين من تلك الاحتمالية، وإذا تواصلت مع أولياء الأمور الذين أبدوا اهتمامهم بالمشكلة، فتلك بداية جيدة.

وإذا كنت معلماً ووالداً في الوقت نفسه، فستتفهم مشاعر أولياء الأمور تجاه أطفالهم، من حيث خيبة أملهم تجاه تحصيل أطفالهم المتدني؛ لأنهم يشعرون بالإحباط والذنب عند محاولتهم فهم المشكلة، ويشعرون بالعجز تجاه تغيير وضع المدرسة، ولا يعرفون ماذا يفعلون أو ماذا يغيرون في البيت.

وإذا كنت معلماً وتعلم الأطفال أنفسهم طوال اليوم، ففي الحقيقة سيتعلم منك معظم الأطفال، ومن الصعب معرفة كيفية التعامل مع الأطفال اللامعين ممن يظهرون بوضوح رفضهم للتعلم، قد يُرجع المعلمون أسباب المشكلة للآخرين، ويتجنبون التعامل مع القضايا الصعبة، وقد يلومون أولياء الأمور أو معلمي الأطفال السابقين، وفي بعض الأحيان يقررون أنّ الأطفال كسولون.

عندما يخطط المعلمون التحدث مع أولياء الأمور أو العكس، فمن المهم التذكر أنّ البيئتين تدعمان أنماط تدني التحصيل، وأنّ على كل من أولياء الأمور والمعلمين أن يغيروا أساليبهم مع هؤلاء الأطفال.

عندما يلوم المعلمون أولياء الأمور، يقع الأطفال ضحية بين الجهتين. لذا، يميلون إلى الاستمرار في تدني التحصيل، أمّا إن تحالف المعلمون وأولياء الأمور معاً لدعم الطلاب، فلن يجد الأطفال أي منفذ، وسيقدمون إلى الأمام، وعادة ما تعمل اجتماعات المعلم-الوالد على تمهيد الطريق أمام مثل هذا التعاون.

يجب أن يكون الإعداد لهذا الاجتماع مختلفاً للمعلمين عنه للآباء، حيث يرغب المعلمون بتحديد المشكلة وتوثيقها بصورة رسمية ومهنية، وقد يفكر بعضهم بأنّ اجتماع المعلمين وأولياء الأمور يجب أن يستمر دون خوف. ولكن، كما يعرف كثير من المعلمين وأولياء الأمور، فإن الاجتماع بشأن الأطفال المثيرين للمتابعب أمر مشحون بالتوتر، فإن كنت معلماً، فتحدث مع ولي الأمر وكأنك أنت ولي أمر الطفل، بأسلوب مناسب سيجعلك تشعر بالراحة في المدرسة، ابدأ بتأكيد اهتمامك بالطفل، مع الاعتراف بأنّ تدني التحصيل مشكلة رابكة ومعقدة، وأخبر أولياء الأمور بأنك تتمنى العمل معهم؛ من أجل تعزيز دافعية طفلهم للتحصيل.

يبين الشكل (1.9) سلسلة تحالف من أجل تأكيد المبادئ التي توجه الاجتماع الناجح، فإن كنت تذكر سلسلة التحالف من أجل عكس تدني التحصيل الواردة في الفصل السابع، فستفهم بأن خطوات تعاون المعلمين وأولياء الأمور تعتمد على مبادئ التعاون النفسية المهمة نفسها، مع تجنب معاندة أولياء الأمور، والاستماع الى أفكارهم وتعلمها، ثم تبادل الخبرات لتحسين البرنامج؛ من أجل إشراك أطفالهم في المحاولة.

تحالف مع الوالدين عن مواطن قلقهم بصورة شخصية.

استمع إلى ما لاحظته الوالدان عن طفلهم.

تعلم ما الذي يعتقده الوالدان أنه الأفضل لطفلهم.

استهل محادثة عن مواطن قوة الطالب.

أضف أفكاراً تجريبية لإشراك أنشطة منهجية وغير منهجية ممتعة.

فاوض؛ لإيجاد نماذج قدوة مناسبة من الراشدين والأقران.

خذ في الحسبان الأبدال الممكنة إن لم تكن الفرص التجريبية فاعلة.

وسّع مدى الإمكانيات بصبر.

### الشكل (1.9): التحالف من أجل تواصل فاعل بين معلم ووالد

#### 1. نقاط القوة والقدرات

سيشجع الوصف المفصل لمواطن قوة الطالب تحالفك مع الأبوين.

#### 2. مواطن الضعف والمشكلات

يجب عرض المشكلات ذات الأولوية الكبرى في هذا الاجتماع، حيث قد يدهش الآباء إن عرضت

عليهم قائمة مشكلات مكثفة وممتدة، أو قد يشعرون باللوم.

#### 3. مستوى الأداء الصفي، مراجعة درجات الاختبار، ومقترحات المنهاج.

تتبع هذا ببطء وانتباه آخذاً في الحسبان أن ولي الأمر غير معتاد اللهجة التربوية. استمع إلى

مقترحات ولي الأمر المنهجية واللامنهجية. وخذ في الحسبان التطبيقات التجريبية.

#### 4. علاقات الأقران

هذه لها التأثير الأعظم في تحصيل الطلاب. لذا، استمع إلى وجهات نظر أولياء الأمور عن علاقات

الأقران.

### الشكل (2.9): عينة جدول أعمال اجتماع معلم - والد

في الشكل (2.9) جدول أعمال محتمل لمناقشته مع الآباء، وقد ترغب في إضافة بعض الموضوعات أو المعلومات الأخرى.

قدم للآباء بوضوح التقييم الرسمي الذي نُوقش في الفصل الثامن، ووضّح أداء الطلاب في اختبارات الذكاء والتحصيل. ويجب أن يفهم الآباء محددات نتائج الاختبارات إضافة إلى فوائدها، ويتعيّن وصف عواقب نتائج تدني التحصيل (AIM-TO و GAIM و AIM) لفظياً، ويجب كذلك أن تعطى تفسيرات مكتوبة للآباء جنباً إلى جنب مع النتائج.

ربما ستحتاج إلى تفسير نتائج قوائم الجرد بصورة أوسع من خلال توضيح أنها تقارير ذاتية أو تقارير آباء، أو تقارير معلمين. وعليه، فإنها تمثل الطريقة التي ينظر بها الأطفال إلى أنفسهم أو الطريقة التي يرى بها الآباء أو المعلمون أطفالهم، بالمقارنة مع مجموعة مختبرة من الأطفال والآباء والمعلمين الآخرين. وعلى الرغم من إمكان الاعتماد على هذه الأدوات للمجموعات الكبيرة بصورة كبيرة، فإنها قد لا تكون دقيقة للفرد الواحد. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يضخم الآباء شديداً التفاؤل أو التشاؤم، في وصفهم لنتائج أطفالهم على قائمة جرد (AIM) أو تخفيضها، وعندما توضّح النتائج للآباء، ربما ستتمكن من تحديد أكانوا واقعيين في ملاحظاتهم أم لا؟

إنّ نتائج اختبارات الذكاء والتحصيل هي وسيلة تواصل مدى تدني تحصيل الطفل، وتساعد نتائج (AIM و GAIM و AIM-TO) على توضيح نوع تدني التحصيل بإيجاز، ولأن الآباء اشتركوا فعلاً في إكمال قائمة جرد (AIM)، فستكون هذه النتائج وسائل فاعلة للتشديد على اعتمادية الطفل أو هيمنته. إضافة إلى أنّه من المجدي أن تكون لديك أمثلة نوعية غير رسمية عن سلوكيات الطالب في الصف؛ لتفسير كيف أنّ المشكلات المكتشفة والمحددة في درجات الاختبار تبرز نفسها في المدرسة. وبعد أن تكون قد وصفت انطباعك عن المشكلة في المدرسة، يكون من المناسب أن تسأل أولياء الأمور عن المشكلات التي يلاحظونها في البيت. وإذا كانوا غير قادرين على وصف مخاوفهم (وهذا نادراً ما يحدث)، أو كانوا ينكرون المشكلة (وهذا ممكن الحدوث) فقد يكون من المناسب إعطاؤهم بعض الأمثلة لمواقف بيئية نمطية موصوفة في هذا الكتاب فعندما يسلم الآباء بالوضع الاعتمادية أو المهيمنة، تكون قد خطوت خطوتك الأولى نحو مساعدة طفلهم.

بعد ذلك، يجب عليك وصف التغييرات التي ستقوم بها في المدرسة، وتناقش الاقتراحات للتعديلات التي قد يكون أولياء الأمور قادرين على القيام بها في البيت، حدّدوا معاً السلوكيات والأهداف الصّفيّة التي ترونها واقعية، وأكّدوا أهميّة العمل والجهد بدلاً من النتائج الفورية، ويجب ألا تكون الأهداف الصّفيّة مرتفعة بصورة غير واقعية، إذ يجب في البداية أن تكون أعلى بصورة قليلة من أدائهم الحالي، ويجب كذلك أن يكون التشديد على العمل المنجز في وقته المحدد، وعلى الدراسة والجهد. فعندما يُحفّز الأطفال، فسيختارون أهدافاً أعلى بأنفسهم، وسيختبرون الرضا الذاتي الناجم عن وضع أهدافهم الذاتية. يجب أن تؤكد لأولياء الأمور أنّ التغيير لن يكون فورياً لأنّ الأطفال يتأرجحون قبل أن يتعلموا إدراك العلاقة بين جهودهم الشخصية والنتائج.

وبإمكانك أن توضح أنّ بعض التقدم عادة ما يكون مباشراً عند الأطفال الاعتماديين، لكنه قدّما يكون مستمراً؛ لأنّهم يمرون بتقلبات كثيرة في أثناء بنائهم الثقة. ومن الممكن ألا يظهر الأطفال المهيمنون الأقوياء تقدماً فورياً في البداية، بل يظهرون جموحاً واستخفافاً فقط، وحذرّ الآباء من احتمال تلاعب أبنائهم، ولاسيّما المراهقين منهم، بالجميع بصورة مبدعة؛ من أجل تضادي أي التزام. ولكن، إن بقي الراشدون إيجابيين وحازمين، فسيبدأ الأطفال بالعمل بصورة مقلّة، وعندما يكتشفون فاعليتهم الذاتية، ستضمحل الممانعة. فإن كان الآباء مستعدين لهذه الاستجابات، فسيكونون أقلّ احتمالاً بإلقاء اللوم عن تأرجحات التقدم عليك، أو على المعلمين الآخرين، أو على المستشارين.

حدّد الأسلوب الذي تخطط من خلاله استكمال التواصل بين المنزل والمدرسة، واقترح عليك التقارير أو الرسائل الإلكترونية اليومية أو الأسبوعية، (انظر: متابعة تقدّم الطلاب) لاحقاً في هذا الفصل). يجب أن يبقى التواصل المكتوب بسيطاً، حيث تجعل قيود وقتك، وأهميّة الرسائل الواضحة من الإيجاز أمراً ضرورياً، ومن المهم التشديد على النتائج الإيجابية في عمليات التواصل كلها، فستستمر الاستجابات السلبية لمدة قصيرة من الزمن. ولكن، إن رفض الآباء والمعلمون رؤية المزايا، فسيصبح الأطفال محبطين، وستختفي هذه المزايا.

يجب أن يكون المعلمون حذرين من الانخراط في الحياة الشخصية لطلبتهم وعائلاتهم بصورة كبيرة، وإن ظهرت حاجة الآباء إلى المساعدة على مشكلات غير متلازمة تدني التحصيل، فاعمل على تزكية معالج المدرسة النفسي، أو خدمة استشارية مناسبة خاصة؛ إذ إنّ الاستشارة النفسية ليست دوراً ملائماً للمعلم ولا واجباً عليه.

اختتم الاجتماع بملخص عن الأمور المتفق عليها مع الوالدين على القيام بها وعن أهدافكم المشتركة تجاه الطفل، واقترح الكتب والمواد التي يمكنهم استخدامها في الدعم اللاحق. ومن الجيد أيضاً التعبير عن غبظتك بتطوير علاقة تواصل فاعلة مع الوالدين.

## التواصل المُستهل من قبل الوالدين

يمكن أن تبدو مراقبة تقدّم الطفل والتواصل مع الأبوين مسؤولية المدرسة، ومن الواضح أنّ هذا التواصل مهمة ملقاة جزئياً على عاتق المدرسة. على أيّ حال، سواء كان هؤلاء الأطفال في مدرسة حكومية أو خاصة، فستكون نسبة البالغين إلى الأطفال في المدرسة أكبر بكثير من تلك الموجودة في المنزل. وعليه، وبصرف النظر عن النّيّات الحسنة، فإنّ خطر ألاّ تتبّهك المدرسة بأنماط تدني التحصيل مرتفع، إن فكرة (السقوط بين الشقوق) مبتذلة، ولكنها تصف ما يحدث بسهولة مع هؤلاء الأطفال الذين لا يعتمد آباؤهم أسلوباً فاعلاً وممنهجاً للتواصل مع المدرسة.

وأشدّد في هذا المجال على (ممنهج) هنا؛ لأنه قد تبدو ردود الفعل المتفرقة المبالغ فيها وكأنها تواصل فعلي، ولكنها في الحقيقة ليست فاعلة، حيث يشعر الآباء بصورة متكررة بالتهديد من قبل المعلمين والعكس بالعكس. لذا، يميل الطرفان إلى انتظار حدوث طارئٍ ما قبل بدء الحوار. وبالتأكيد تواصلات الطوارئ ضرورية أحياناً، ولكن الجهود الثابتة المستمرة من قبل الآباء للبقاء على تواصل مع المعلمين أكثر نجاعة؛ فاجتماعات الآباء - المعلمين هدف. لذا، يجب على كلا الأبوين حضورها إن أمكن الأمر، ولكن إن شككت ولو حتى بمشكلات مدرسية ثانوية، فلن يكفي اجتماع واحد أو اثنان.

إنّ الوقت المناسب للاتصال بمعلم المدرسة هو بعد أربعة إلى ستة أسابيع من بدء العام المدرسي، إن كان لدى أطفالك، على سبيل المثال، تاريخ بعدم إكمال الواجبات، أو إن أظهروا أعراض تدني تحصيل أخرى. وبحلول هذا الوقت، ومع قرب انتهاء البداية الجديدة للمدرسة قد يستعيد أطفالك بعض العادات القديمة غير المرّضية، فيكون ذلك الوقت مناسباً؛ لأنه إن كانت هناك مشكلة ما، فلن يكون الأطفال متأخرين كثيراً عن الركب، وسيتمكنون من تعويض ما فاتهم وكذلك يكون التواصل المبكر مع المعلم مناسباً إن كانت تعليقات الأطفال عن المدرسة تدفع

إلى الشك في وجود مشكلات. اشرح للمعلمين قلقك حيال احتمال ألا يكون أطفالك يعملون وفقاً لإمكاناتهم، وسلهم إن كانوا قد لاحظوا أيّ مشكلات، فإن كان الجواب لا، ولكنك ما زلت مقتنعاً بوجود مشكلة ما، فيمكنك عندها تحديد مجالات المشكلات السابقة، أو صِعباب بعينها ربما يكون أطفالك قد ذكروها.

أمّا إذا كانت الأمور تسير على ما يرام، فيمكنك عندها الاكتفاء بشكر المعلمين، والطلب إليهم إعلامك عند ظهور أيّ مشكلات، وإن لم يبدِ المعلمون قلقهم، فاعرض أن تقابلهم في اجتماع المعلمين، سيقدّر معظم المعلمين اهتمامك، وقد تكون تلك بداية لعلاقة معلم-والد طيبة، حيث إنّها علاقة مهمّة للوقاية من متلازمة تدني التحصيل أو علاجها.

يجب أن يتضمّن اجتماعك الاعتيادي الأول بعض الأسئلة المحددة؛ ليطمئن قلبك أنّ أطفالك يعملون وفقاً لمستويات إمكاناتهم وقدراتهم، أما إذا كان أطفالك متدنيي تحصيل مدّة من الزمن، فقد يكون من المستحيل أن يقدر المعلمون على تقييم قدراتهم، إضافة إلى ذلك إذا كان أطفالك يميلون إلى الهدوء ونقص الثقة بأنفسهم، فمن المحتمل ألا يتوقع المعلم منهم كثيراً، وقد تكون أنت حكماً أفضل لقدرات أطفالك من المعلمين، حيث إنّّه من الواضح أنك تعرف أطفالك مدة زمنية أطول بكثير.

اطلب إلى المعلم تحديد إلى أي مجموعات القراءة ينتمي إليها أطفالك، إن كان هناك مجموعات، واسأل عن المرحلة الصّفيّة لقراءتهم، حيث يوجد لكثير من سلاسل القراءة مستويات لا تكون مرتبطة بمستوى الصف بصورة واضحة، ولكن يمكن أن يترجم المعلم هذه المعلومة على وجه التحديد.

وبصورة مشابهة، يتعيّن عليك السؤال عن المستوى الصّفي لأطفالك في الرياضيات فبعض المعلمين تواقون لإخبارك عن بعض المهارات المحددة التي يبرع فيها أطفالك. وعلى أيّ حال، من الصعب تقييم ما إن كان أطفالك متدنيي تحصيل بناءً على هذه المعايير، إضافة إلى أنّ مستوى الأداء الصّفي لا يشبه نتائج اختبار الصف المعادل، فمن الممكن أن يكون الأخير مضللاً بعض الشيء. وللحكم على نجاح أطفالك في المدرسة، تحتاج إلى معرفة نتائج الأول، وهو المستوى الصّفي لكتبهم المدرسية بدلاً من نتيجة الاختبار.

عادة، يفترض المعلمون- ولو بصورة غير صحيحة- أنك تضع أطفالك تحت وطأة ضغط كبير، عندما تطلب إليهم معلومات تحصيل محددة، يمكنك طمأنتهم بأن الأمر ليس كذلك، ولكن- على نحو لا يمكن إنكاره- يمكن ألا تكون هذه الطمأنة فاعلة، ولكن استجمع شجاعتك. فكثير من المعلمين آباء كذلك، أو كانوا آباءً، ومعظمهم سيتفهمون مطالبك المعقولة.

عندما يدعو الآباء إلى اجتماع، يكونون في موضع أقل سلطة بكثير من المعلمين، فأنت بوصفك والداً، تطلب من المعلمين أن يخصصوا لك من الوقت والجهد الشخصي أكثر مما يخصصونه للأطفال الآخرين، وكذلك فإنك لست خبيراً تربوياً مثلهم. ومع ذلك، فأنت من بادر في توصية التغيير. قد يشعر المعلمون بصورة مشروعة بعدم ارتياح، أو بوضع دفاعي تجاه تغيير الأدوار هذا. يظهر الشكل (3.9) سلسلة تحالف لإرشادكم إلى المبادئ المهمة للاجتماعات الجيدة مع المعلمين، يمكن تطبيق هذه السلسلة مع تلك المستخدمة لعكس تدني التحصيل عند الطلاب، على تواصل الآباء- المعلمين تبعاً للمبادئ النفسية نفسها.

تحالف مع المعلم عن مواطن قلقك بصورة شخصية.

استمع إلى ما قد لاحظته المعلم عن طفلك.

اعرف ما الذي يعتقد المعلم أنه الأفضل لطفلك.

استهل حواراً عن مشكلات طفلك ومواطن قوته.

اسأل عن الأفكار التجريبية لإشراك أنشطة منهجية وغير منهجية ممتعة.

فاوض؛ لإيجاد نماذج قدوة مناسبة من الراشدين والأقران.

ارضَ بالأبدال إن لم تكن الفرص التجريبية فاعلة.

وسَّع مدى الإمكانيات بصبر.

### الشكل (3.9): التحالف نحو تواصل ناجح بين أب ومعلم

يمكنك بدء الحوار بالتعبير عن تقديرك للمعلم على اهتمامه بطفلك، ويمكن بعد ذلك

أن تسأل المعلم إن كان يعتقد بأن طفلك يعمل وفقاً لقدراته، حيث يؤسس هذا السؤال بصورة

ما تحالف اهتمام مع المعلم، فإن أكد شكوكك أنّ طفلك قد يكون من ذوي التحصيل المتدني -وفي الأغلب سيفعل- فيمكنك تفحص الاختلافات بين نتائج اختبارات الطفل وأدائه المدرسي للوصول إلى اتفاق على مدى تدني التحصيل، وإن كانت نتائج اختبار الذكاء، أو التحصيل الحديثة أقل من السابقة، فيمكنكم اتخاذ قرار مشترك لماهية التوقعات المعقولة لدرجات طفلك، ونوعية الجهد، والالتزام الوظيفي النمطي اللازم لتحقيق تلك الدرجات.

عند هذه النقطة من الحوار، يمكنك مشاركة المعلم بحقيقة أنك قرأت بعض ما يتعلق بمتلازمة تدني التحصيل، وأنت تؤمن بوقوع طفلك ضمن فئة محددة من ذوي التحصيل المتدني ويمكنك أن توضح أنك (أو أنت والوالد / الوالدة الآخر لطفلك) تخطط نتيجة لقراءتك، لبعض التغييرات المحددة في المنزل، وأنت ستقدر دعم المعلم لهذه التغييرات في المدرسة؛ فمن المحتمل أن يكون المعلم سعيداً للتعاون، ولكن الأمر الأكثر أهمية أن تقترح على المعلم مراجعة بعض المواد المقترحة بهذا الخصوص، وربما ترغب في إعارته نسختك من هذا الكتاب، وقد عُلم عليها الأنماط الملائمة لطفلك وعلاجها، كذلك يمكنك مشاركة نتائج (AIM) أو (GAIM) المخصصة بطفلك، إضافة إلى شرح هذه الاختبارات وأي معلومات طبعتها من مواقع الإنترنت الواردة في قسم المصادر من هذا الكتاب، وسيكون معظم المعلمين متفتحين كثيراً لمساعدتك.

على أي حال، إن كان طفلك طفلاً اعتمادياً، فكن مستعداً، فمن المحتمل أن يعتقد المعلمون الجزعون أنك تتوقع كثيراً منهم. وعليه، فإنك تضع طفلك تحت وطأة ضغط مفرط، اطلب إليهم الرجوع إلى الفصل (الحادي عشر) من هذا الكتاب، الذي يصف كيفية تقييم الأطفال الاعتماديين ومساعدتهم. أما إذا كان طفلك مهمناً، فمن المحتمل ألا يتعاون معك المعلمون المنهكون أو المتزمتون، إلا عندما يظهر الطفل نيته القيام بالمجهود، وسيرفض هؤلاء المعلمون تغيير أساليبهم التدريسية، وسيستمرون في توقع انصياع الطفل وطاعته. ومع ذلك، فمن الممكن أن تشجع المعلمين عن طريق مشاركتهم محتويات الفصلين (الثاني عشر والثالث عشر) من هذا الكتاب اللذين يصفان الأطفال المهمنين، وضع في الحسبان كذلك أنه من الصعب على المعلمين تغيير أساليبهم التدريسية الأساسية؛ لأنهم وجدوها فاعلة مع غالبية طلابهم.

حتى لو لم يقتنع بعض المعلمين بخطتك، وبخاصة إن أعطيتهم معلومات مكتوبة عن الموضوع وبعض الوقت لقراءتها، فإن أكثرهم سيفعلون، ومن غير المعقول أن تتوقع من المعلمين إعطائك جواباً قاطعاً إلا بعد أن يقرؤوا المعلومات التي أعطيتها لهم. إضافة إلى ذلك، فإن من الحصافة الاتفاق على اجتماع ثانٍ يتناسب مع راحة المعلم. وخلال ذلك الوقت، يمكن أن يضع المعلمون بعضهم مع بعض خطة لتطبيقها خلال وقتهم في المدرسة، ستمكن عندها من مكاملة خطتك المنزلية مع إستراتيجيتهم المدرسية.

وإذا لم يكن معلم طفلك متعاوناً، فلا تدع اليأس يتغلب عليك، فمن الممكن إحداث تغييرات لافتة وفورية لدى أطفالك، إن غيرت الأنماط في المنزل وقمت فقط ببعض التغييرات المدرسية فقد أبلغ الآباء والمعلمون عن تغيرات صاعقة حدثت للأطفال فقط من خلال تغيير أساليب الرعاية الأبوية في المنزل، وقد كانت أكثر التغييرات الفورية النمطية لدى الطفل تحسن الفاعلية الذاتية، حيث يظهر المحصلون تزايداً في ثقتهم الذاتية عندما يوجه المعلمون والآباء جهودهم التربوية بصورة مناسبة. لذا، من المهم أن تظهر ثقتك لأطفالك، وأن تدعهم يعلمون بأن لديك أفكاراً واضحة عن تحسين تحصيلهم المدرسي، فهم لم يعودوا في حاجة بعد الآن إلى التخطيط من خلال التلاعبات وتخطي الحدود؛ وهذه خطوة مهمة في عكس تدني تحصيلهم.

### متابعة تقدّم الطلاب

إن السمة المحورية التي تميّز المحصلين عن ذوي التحصيل المتدني، هي بؤرة التحكم الذاتي الداخلية، ونعني بذلك مشاعر الطلاب التي يستطيعون من خلالها تغيير نتائجهم الأكاديمية بفاعلية عن طريق بذل الجهد، ومن إحدى الوسائل التي تساعد الطلاب على تطوير هذا الفهم للعلاقة بين الجهد والنتيجة، نموذج تقييم الطلاب الذي يكمله المعلمون، حيث تظهر ثلاثة أمثلة على النماذج التي نستخدمها في عيادتنا، وفي كثير من المدارس في الأشكال (4.9)

و5.9 و6.9)، أن بالإمكان تعديلها للتعامل مع مخاوف أو سلوكيات محددة، فإنها يجب أن تبقى عامة وبعيدة عن التعقيد؛ حتى لا يشعر المعلمون بالعبء من الوقت الذي يحتاجون إليه في تعبئتها. ولما كان معظم المعلمين والآباء يستخدمون الإنترنت، فيمكن أن يؤدي التواصل البسيط عبر البريد الإلكتروني (الإيميل) بالفرض.

تُشارك هذه النماذج أو رسائل المعلمين الإلكترونية وتناقش من قبل الأطفال وآبائهم في اجتماعات مراقبة التحصيل الاعتيادية، وإن كان الآباء منخرطين بصورة فاعلة، فسيتملقى الأطفال تقييماً لتقدمهم مرتين: الأول من معلمهم الذين وزّعوا الرسالة، والآخر من آباءهم الذين استقبلوا تلك الرسائل.

أما إذا قام المعلمون بعملية عكس تدني التحصيل دون مشاركة الآباء (النموذج ثنائي البؤر)، فيمكن أن يكون معلم أو مستشار رئيس المستقبل الاعتيادي للتواصل المتعلق بالعملية ومن الممكن أن يسمّى الشخص الذي يستعرض الأطفال معه تقدمهم بـ (محامي دفاع الأطفال).

يتعيّن أن يخطط الآباء أو محامو الدفاع مقابلات التحصيل مع الأطفال على أسس يومية أو أسبوعية. وأما الأطفال في الصفوف الابتدائية، فمن الأنسب أن تكون على صورة مراجعات يومية مقتضبة للإنجازات والتعزيزات. وفي حين يتحسن تحصيل الطلاب وسلوكهم، فيتعيّن عندها أن تُعقد لقاءات الآباء ومحامي الدفاع بصورة أسبوعية منتظمة. أمّا طلاب المدارس المتوسطة والثانوية، فتُعقد اللقاءات في البداية بصورة أسبوعية، ثمّ تتحول إلى نصف شهرية أو شهرية عندما يظهر الطلاب مجهوداً مستمراً مقبولاً.

اسم الطالب: _____	اسم المعلم: _____	التاريخ: _____
المهمّات المنجزة: <input type="checkbox"/> جميعها <input type="checkbox"/> معظمها <input type="checkbox"/> نصفها <input type="checkbox"/> أقل من النصف		
الجهد الصفي: <input type="checkbox"/> ممتاز <input type="checkbox"/> متوسّط <input type="checkbox"/> مقبول <input type="checkbox"/> غير مقبول		
السلوك: <input type="checkbox"/> ممتاز <input type="checkbox"/> متوسّط <input type="checkbox"/> مقبول <input type="checkbox"/> غير مقبول		
التعليقات والمهمّات غير المنجزة:		
_____		
_____		
_____		
_____		
شكراً جزيلاً على مساعدتكم		

## الشكل (4.9): نموذج التقييم اليومي

اسم الطالب: _____	اسم المعلم: _____	التاريخ: _____
المهمّات المنجزة: <input type="checkbox"/> جميعها <input type="checkbox"/> معظمها <input type="checkbox"/> نصفها <input type="checkbox"/> أقل من النصف		
الجهد الصفي: <input type="checkbox"/> ممتاز <input type="checkbox"/> متوسّط <input type="checkbox"/> مقبول <input type="checkbox"/> غير مقبول		
السلوك: <input type="checkbox"/> ممتاز <input type="checkbox"/> متوسّط <input type="checkbox"/> مقبول <input type="checkbox"/> غير مقبول		
التعليقات والمهمّات غير المنجزة:		
_____		
_____		
_____		
_____		
شكراً جزيلاً على مساعدتكم		

## الشكل (5.9): نموذج التقييم الأسبوعي (العينة 1)

الاسم: _____ الصف: _____ التاريخ: _____					
الأسبوع: _____					
الموضوع	السلوك	الجهد	درجة هذا الأسبوع	الدرجة لتاريخه	توقيع
			(اختياري)	(اختياري)	المعلم
الأول					
الثاني					
الثالث					
الرابع					
الخامس					
السادس					
السابع					
الثامن					
التاسع					
تعليقات المعلم:			المهام غير المنجزة:		
_____			_____		
_____			_____		
_____			_____		
_____			_____		
_____			_____		
رجاءً، استخدم التقييم نفسه للسلوك والجهد والتحصيل (درجات):					
أ = ممتاز ب = أعلى من المتوسط، ج = متوسط، د = أدنى من المتوسط، و = راسب					

الشكل (6.9): نموذج التقييم الأسبوعي (العينة 2)

من المهم أن تكون لهجة جلسات الآباء أو محامي الدفاع مع الطلاب إيجابية وبناءة، حينها ستهيئ الجلسات للأطفال فرصة استعراض تقدمهم، وتلقي التشجيع، والتعامل مع كل من

العواقب الإيجابية والسلبية لجهودهم الجديدة. لذا، فهم يصبحون الهدف من التقييم، وتعزيز الجهود ووضع الأهداف، وإيضاح العواقب.

تفضل كثير من المدارس جعل الأطفال يمررون النموذج من معلم إلى آخر، وتعليقهم هو إن أراد الطلاب الحصول على تلك المعلومات، فيجب أن يتحملوا مسؤولية تمرير النماذج، فإن الأطفال لا يرغبون في الحصول على التغذية الراجعة السلبية. وعليه، يلوي الطلاب متدنو التحصيل عنق الحقيقة بصورة دائمة تقريباً، ولاسيما فيما يتعلق بالمدرسة والواجبات المنزلية. لذا، من الممكن ألا تكون النماذج بالفاعلية المطلوبة إن ترك موضوع تمريرها للطلاب، لأنهم سيحضرون النماذج الجيدة فقط إلى المنزل، وسيتركون أو حتى يحرفون السيئة منها، عندها ينقطع التواصل، فيلوم الطلاب المعلمين، ويلوم الآباء المعلمين، ويلوم المعلمون كلاً من الآباء والطلاب.

ولهذا، من المهم وجود طريقة سهلة جداً ومضمونة لمتابعة التقدم؛ طريقة غير متروكة للطفل.

يمكن أن يسهل الآباء التواصل من خلال كتابة اسم الطالب، واسم المعلم، والموضوع على النموذج، وعمل نسخ عدة؛ حتى يتمكن المعلم من تعبئتها بصورة أسرع، ويمكنهم تضمين نسخ عدة في ملف مكتوب عليه اسم الطفل. عندها، سيتمكن المعلم من وضع درجات الاختبار، وكتابة تعليقات مختصرة. وإذا كان هنالك عدة معلمين، فيمكن أن تُبعث النماذج إلى الصندوق البريدي لمستشار المدرسة أو قائد الفريق، وربما سيحتاج الآباء إلى الذهاب إلى المدرسة لأخذ النماذج أو اتئمان بعض الطلاب على حمل مغلفات مغلقة ومختومة إلى المنزل ليستعرضها آباؤهم، يسهم استخدام البريد العادي في تسهيل العملية أكثر، وإن كان محامي الدفاع موظفاً في المدرسة فعندها تُبسّط عملية التواصل برمتها.

إنّ تقارير التقدّم من المعلم إلى الأطفال وآبائهم أو محامي الدفاع، عنصر رئيس في تطوير حسّ الأطفال الداخلي للتحكم والثقة بالنفس، وتبني هذه التواصلات حسّ الأطفال بالمسؤولية وهذه خطوة جيدة نحو عكس تدني التحصيل.



## الفصل العاشر

### الخطوات الثلاث الآتية : التوقعات، ونماذج القدوة، والعيوب

تتبع الخطوات الثلاث الآتية من خطة عكس تدني التحصيل بصورة مباشرة من نتائج تقييم الطلاب والتواصل بين المعلمين والأهل، وتحدث بصورة متزامنة نوعاً ما. ستناقش كل خطوة من الخطوات في هذا الفصل.

### تغيير التوقعات

قادت عادات الأطفال ذوي التحصيل المتدني كلاً من الآباء، والأشقاء، والمعلمين، والأقران في توقع استمرار انخفاض مستويات الأداء، إضافة إلى العراكات والمضايقات، وحتى توقّعات الأطفال من أنفسهم لا تطابق ما هو محتمل منهم في أدائهم المدرسي. يجب على الأطراف جميعها تغيير توقعاتهم لمطابقة المستويات الجديدة من التحصيل.

### التوقّعات الشخصية

حتى يغيّر الأطفال تحصيلهم، فمن المهم لأولئك القريبين من الطفل إدراك التحسن، ثم إخباره أنّ مستويات التحصيل المختلفة مناسبة، إذ يتمتع هذا التواصل بأهمية كبيرة؛ لأن الأطفال ذوي التحصيل المتدني علقوا بمستوى واحد مدّة طويلة، ومن السهل على أولئك المحيطين بهم توقع الوضع الراهن. ويعمل القصور الذاتي على إبقاء ذوي التحصيل المتدني في أماكنهم. ولذلك، سيحتاج الراشدون إلى إخبار الأطفال بأنهم يتوقعون تحسناً تدريجياً لا قفزات مفاجئة

لذا، يجب على الراشدين المهمين في منزل ذوي التحصيل المتدني ومدرسته، أن يحاولوا إدراك حتى أصغر الجهود، على الرغم من أهمية القيام بذلك بصورة غير رسمية. فإذا لم يقدر أفراد العائلة أو المعلمون أو الأقران هذه التغيرات أو تقبلها، فسيبدو التحصيل المحتمل للطفل أمراً ميؤوساً منه، وسيفقدون الأمل بعد المحاولات المبدئية يائسين.

ومن الغرابة أنه من الأفضل عدم الإشادة بالتقدم. يوضح قانون رم (#4) هذا: ستؤدي ردود الفعل المبالغ بها من قبل الآباء أو المعلمين بخصوص نجاحات الأطفال أو إخفاقاتهم، إما إلى الشعور بضغط كبير للنجاح، أو إلى الأسى والوهن في التعامل مع الإخفاق.

يتلقى الأطفال تهليلاً أو حماساً مبالغاً فيه، عند حصولهم على أول درجة (أ)، حيث يكون لذلك تأثير مدهش في معظمهم، ويبدو أنهم يتوقفون عن العمل فوراً، وتنخفض الدرجات بصورة لافتة للنظر. وقد قدمت مقابلاتي مع مثل هؤلاء الأطفال بعد تجارب مشابهة، تبصّرات عن سبب حدوث ذلك؛ إذ أشار أحد اليافعين إلى أن تهاني أمه قادتته إلى (الشعور كما لو أنها تتوقع أن تكون درجاته جميعها (أ) من الآن فصاعداً)، وأوضح طالب آخر أنّ حماس معلميه عن درجاته الجيدة، قاده إلى الشعور بأنهم كانوا متفاجئين، ولم يصدقوا فعلاً أنه قادر على ذلك، يبدو أنّ الحماسة المتطرفة تؤثر بصورة عكسية في الأطفال، الذين ما زالت بوّرتهم الداخلية للتحكم الذاتية والثقة بالنفس غير مستقرة.

إنّ أول الأمور الواجب تغييرها ثقة ذوي التحصيل المتدني بأنفسهم، حيث يؤمن هؤلاء الأطفال بأنّ موضوع التحصيل كله متعلق بالخطأ أو بكرم المعلمين، ولدى كثير منهم أهداف مرتفعة بصورة غير واقعية، ويؤمنون بأنّ حظهم سيتغير فجأة، وسيصبحون طلاباً يحصلون على درجات (أ+) كما يحلمون، فهم لا يؤمنون بأنّ لجهودهم أي تأثير، إضافة إلى أنّهم سريعو الإشارة إلى الأوقات التي حصلوا فيها على درجات جيدة دون عناء بسبب حسن الخط، واعتماداً على مدى تدني تحصيلهم ونمطه، فهم إمّا يتوقعون حلاً سحرياً، أو يؤمنون بأنهم حتى لو قاموا بالمجهود، فلن يحدث ذلك أي تأثير، ويطمئنون أحياناً الراشدين الموجودين في حياتهم بأنّ اختبارات الذكاء المستخدمة في وضع توقّعات لهم، شديدة السهولة، ولا يتعيّن استخدامها بوصفها مؤشراً على قدرتهم على القيام بمثل ذلك العمل الصعب.

يجب أن يُعطى الأطفال خارطة طريق واضحة المعالم للأمور المحتمل حدوثها، إن قرروا أن يكونوا محصلين، ويجب أن يُسَاعَدُوا على تحديد أهداف لدرجات معقولة، ولأطر زمنية للحصول على تلك الأهداف، ويجب كذلك أن يعبّر المعلمون والأهل عن إيمانهم بقدرة هؤلاء الأطفال على تحقيق تلك الأهداف. وإضافة إلى ذلك، يجب أن يدرك هؤلاء الطلاب أنّ الراشدين في بيئاتهم سيتحلون بالصبر في الوقت الذي يقومون بمحاولات جديدة، ويجب أن يدركوا أنهم سيشعرون أحياناً في أثناء قيامهم بالعمل بالتوتر، وعدم الصبر، وخيبة الأمل بأنفسهم. ولكن هذه المشاعر كلها درجات على الدافعية، ودليل صادق على أنهم على الدرب الصحيح.

أحياناً، يمتلك الأطفال ثقة قليلة جداً بأنفسهم، ويكون من المناسب مشاركة بعض نتائج الاختبارات معهم لإثبات قدرتهم على التحصيل بصورة لا تدع مجالاً للشك. وعلى الرغم من أنّ الإفصاح عن نتائج اختبارات ذكاء الأطفال (IQ) أمر غير مناسب، فإن وصف مدى قدراتهم شيء منطقي، ويجب أن يكون إيضاح أن نتائجهم تظهر قدرات أعلى من المتوسط أو متفوقة كافيّاً لإعطائهم الثقة، ويمكنك أيضاً استخدام النسب المئوية، فإن لها تأثيراً ضاعطاً غير مرغوب فيه على الأطفال، إن كانت مرتفعة، إذ يمكنهم الافتراض بناءً على نسبهم المئوية المرتفعة، أنّ آباءهم يتوقعون منهم الحصول على درجات أعلى مما يشعرون بقدرتهم عليه.

إنّ إظهار إيمانك غير المتزحزح لهؤلاء الأطفال، بأنهم قادرين على تحقيق مستويات مرتفعة، ومزاوجة ذلك مع الإصرار على ذلك بناءً على المجهود، أمر شديد الأهمية لتحصيلهم.

من الممكن أن يشير الراشدون المحصلون إلى الراشدين الذين آمنوا بقدراتهم في طفولتهم، ويمكنهم أيضاً تسمية أولئك الذين لم يؤمنوا بهم أيضاً. ولكنهم على أيّ حال، لم يكونوا لينجحوا دون مجموعة الواثقين السابقة، فأحياناً كان الذين آمنوا بهم آباءهم، وأحياناً معلمهم أو أصدقائهم، إضافة إلى ذلك، يعدّ إيصالك للتوقعات الإيجابية لأطفالك، أولوية قصوى لتحسين إدراكهم لذواتهم.

على أيّ حال، فإنّ وجود توقّعات إيجابية لا يشبه وجود توقّعات غير واقعية، إذ إنّ الآباء الذين قرؤوا سير الأشخاص البارزين الذاتية، واكتشفوا أهمية إيمان الوالدين بأطفالهم، غالباً ما يحاولون تحفيز أطفالهم عبر الإشارة إلى (عبقريتهم). (فتك رائج كفن بيكاسو)، و (سيُنشر شعرك عندما تصبح معروفاً)، و (ستتمكن من الحصول على مقعد في جامعة هارفارد)، أمثلة

على عبارات ثقة غير واقعية، يعطيها الآباء أحياناً إلى الطلاب ذوي التحصيل المتدني، وقريباً سيُشغل هؤلاء الأطفال بسبب خيبة آمالهم بأنفسهم، حيث إنّ الإيمان غير الواقعي بأنّ الأطفال سيصبحون فجأة استثنائيين، لا يعطيهم إلا قليلاً من الأمل، ويبالغ فقط في حسّهم بخيبة الأمل عن أدائهم الشخصي الرديء.

يمكن تغيير توقّعات الطلاب الذاتية أيضاً في المدارس والمراكز الاستشارية، حيث يمكن تعديل هذه التوقّعات من قبل المعلمين أو المستشارين، باستخدام الخطوط الإرشادية المرنة نفسها الموصى بها من الآباء، ويمكن كذلك استخدام المجموعات الصّفيّة أو الزُميرات الأصغر في تغيير التوقّعات الذاتية. يتضمّن الشكل (1.10) موضوعات مستخدمة في العلاج الجماعي في عيادة التحصيل العائلي، إضافة إلى المجموعات الصّفيّة المدرسية لتغيير التوقّعات الذاتية ويمكن أن يحظى المستشار المدرسي بفرصة التعديل على توقّعات الأقران من خلال استخدام هذه الأساليب الجماعية.

- المنافسة: ممارسة لعبة - نقاش المشاعر
- المنافسة: المقارنة بالألعاب الرياضية
- علاقات الأقران: الشعبية مقارنة بالصدّاقة - قراءة ومناقشة: من الغباء أن تكون ذكياً
- منافسة الأشقاء - قراءة ومناقشة: الإخوة والأخوات
- الضغط: كيفية التعايش، ما الكثير، وما هو أكثر من اللازم
- القيادة مقابل (التسلط): فهم الفروقات
- فهم الآباء
- المسؤولية والتنظيم
- توكي الكمال
- حل المشكلات الإبداعي

الشكل (1.10): موضوعات نقاش للطلاب في الجلسات الجماعية الصغيرة

## توقّعات الآباء

كيف تحدد توقّعات معقولة لطفلك؟ تظل نتائج اختبار الذكاء (IQ) من أكثر الخطوط الإرشادية نجاعة في حوزتنا، على الرغم من عدم موثوقيتها تماماً. إضافة إلى ذلك، لا توجد هناك طريقة ممتازة لقياس قدرات الأطفال. وفيما يأتي بعض العوامل التي يجب أخذها في الحسبان، عندما تضع توقّعات طفلك بناءً على نتائجه في اختبار الذكاء:

- تشير درجة الذكاء بين (100) و (110) إلى توقّعات متوسطة لمستوى الدرجات، وبوجود الدافع الكافي، يمكن توقع درجات (ب) و (ج)، ومن الممكن أن تكون القراءة والرياضيات عند مستوى الصف.
- تشير درجة الذكاء بين (110) و (120) (فوق-متوسط المدى) إلى توقع درجة (ب) عند مستوى الصف، ولكن قد يتمكن أطفال المرحلة الابتدائية ممن يقعون في هذا المدى ويمتلكون عادات دراسة جيدة، من احتمال حصولهم على درجة (أ) أيضاً، وذلك اعتماداً على تساوي قدراتهم الذاتية.
- تتوقع درجات الذكاء الأعلى من (120) (المدى المتفوق) درجات (أ) و (ب)، ويصبح الذكاء أقل أهمية من عادات الدراسة للأطفال في هذا المدى.
- تقترح درجات الذكاء في المدى (130) فأكثر (شديد التفوق) درجات (أ) و (ب) عند مستوى عمل أعلى من المستوى الصفي، ولكن يمكن أن يتفاوت ذلك بتفاوت مواطن القوة والضعف في قدرات محددة.
- حيث يمكن أن يحصل بعض الأطفال على درجات لفظية أعلى من درجات الأداء، في حين قد يحصل آخرون على درجات أداء أعلى. ولذلك، فقد تكون القراءة والدراسات الاجتماعية أقوى من الرياضيات والعلوم والعكس بالعكس. ومن المهم ألا يعطي الآباء الأطفال الموهوبين فكراً رسالة (كونوا عاديين)، والتي قد تحوّل إلى (احصلوا على درجات متوسطة). نعم، يجب تشجيع هؤلاء الأطفال مبكراً على استخدام قدراتهم للتعلم، والحصول على درجات جيدة، ويمكن أن يحتاجوا إلى التسريع والإثراء بصورة تتعدى المنهاج النمطي.
- من المهم تعديل التوقّعات التي تحددها لأطفالك بناءً على: (1) المتوسط التقريبي لدرجات اختبار الذكاء ضمن طلاب المدرسة. (2) نظام الدرجات الأكاديمي في

المدرسة، إضافة إلى معلمين محددين. على سبيل المثال: يمكن أن يكون المتوسط لدرجات الذكاء في مدرسة في الضواحي (120) تقريباً، ويمكن أن يكون متوسط الدرجات لدى أحد المعلمين (ب). وعليه، من الممكن أن يكون تحصيل طفل درجة ذكائه (125) جيداً، عندما يحصل على درجات (ب)، آخذين في الحسبان مقاييس المدرسة، وعادات المعلم في وضع الدرجات. ستكون معظم المناطق المدرسية سعيدة لإخبارك بمتوسط درجات اختبار الذكاء للمدرسة، ولكن يكون المعلمون أقل شعوراً بالراحة عند إخبارك بمتوسط الدرجات في صفوفهم. يجب أن تأخذ في الحسبان بيئة المعلم والطالب عند وضعك للتوقعات.

يجب أن تستخدم هذه الخطوط الإرشادية فقط لذوي التحصيل المتدني، على الرغم من أنه لا يجب الاعتماد على درجات اختبار الذكاء بوصفه سقفاً لأي طفل أبداً. أما الأطفال الذي يكون أدائهم جيداً، فيكون أدائهم الفعلي مؤشراً أكثر أهمية في الدلالة على إمكاناتهم من نتائج اختبار الذكاء خاصتهم. وإذا كان أداء الأطفال الفعلي أعلى مما تتوقعه نتائج اختبارات ذكائهم فيجب ألا يُعدّوا (محصلي أكثر مما هو متوقع منهم، بل يجب الأخذ في الحسبان عدم كفاية نتائج اختبارات الذكاء عند التوقع، وإن كان أداء الأطفال جيداً، عدّوهم مقتدرين. وغالباً ما نجد في عملنا في العيادة أنّ نتائج اختبارات الذكاء لذوي التحصيل المرتفع متوسطي نتائج الذكاء ترتفع لاحقاً في العادة.

قبل تعليق كثير من المصدقية على درجات الذكاء، من المهم للآباء والمعلمين فهم أنه، وعلى الرغم من أنّ البحوث أظهرت بقاء نتائج اختبارات الذكاء للمجموعات ثابتة، فإن الدرجات الفردية لذوي التحصيل المتدني تنخفض مع الوقت، وتكون الاختبارات الفرعية لدرجات الذكاء كالمفردات، والمعلومات، والمنطق الحسابي معتمدة بصورة كبيرة على التعلم والقراءة في المدرسة، فإن كان الأطفال ضعيفي القراءة، أو لا يستمتعون بها، أو فقدوا الاهتمام بالمدرسة، فيمكن لتلك النتائج الفرعية أن توثق قلة تعلمهم.

قد يستفيد المراهقون من معرفة أنّ نتائج اختبارات ذكائهم قد انخفضت. وعلى الرغم من أنّ مشاركة الأرقام الدقيقة أمر غير مناسب، فإن المفهوم السائد بأنّ تناقص مجهوداتهم ستدفعهم إلى أن يصبحوا أقل قدرة، يسبب صدمة من نوع ما للأطفال، ويمكن أن يخدم في الواقع بوصفه محفزاً، وقد ذكرناهم في عيادة الإنجاز العائلي، أنهم (إن لم يستخدموها سيفقدوها؛

أو كلما عملوا بجد أكثر، ازداد ذكاؤهم؛ وعلى النقيض، كلما قلَّ عملهم، ازداد شعورهم بالغباء، ومن الممكن أن يصبحوا فعلاً أغبياء)، يقصد من هذه العبارات تشجيع أخلاقيات العمل وعقلية التطور والنمو.<sup>1</sup>

من المعقول وضع توقعين لأطفالك ذوي التحصيل المتدني: الأول قصير المدى، والآخر طويل المدى، ويتعيّن أن يوضع التوقع قصير المدى بصورة محافظة، إلى نقطة أعلى بقليل من درجات الأطفال الحالية، ومن الممكن أن يوضع التوقع طويل المدى بصورة أكثر تفاؤلاً، حيث تعدّ الأهداف المبالغ في علوّها أو تدنيها على حد سواء مشكلة لذوي التحصيل المتدني، إذ يمكن أن تسبب مشكلات لآباء ذوي التحصيل المتدني أيضاً. لذا، يجب على الآباء أن يكونوا واقعيين قدر الإمكان، فإن وضعتم أهميّة كبيرة على المجهود، وإكمال العمل المطلوب في وقته، وقضاء مدة معقولة من الزمن في الدراسة للامتحانات، فلن يشعر الأطفال بالضغط، وستتحسن الدرجات بصورة تلقائية.

عندما يتحلّى الآباء بتوقّعات معقولة لأطفالهم، فيتعيّن مشاركتها معهم؛ كي يتمكن الأطفال من تضمينها في تغييراتهم الخاصة لتوقعاتهم، ويجب أن يقدّم الآباء عرضاً لأسباب توقعاتهم والطلب إلى أطفالهم إعطاء ردود فعلهم لتحديد ما إن كانوا يرونها عادلة أم لا، ويتعيّن كذلك الوصول إلى توقّعات الدرجات بالإجماع، بناءً على معرفة الآباء ومخاوف الأطفال، فلا غرابة إن وضع أطفالكم أهدافاً أعلى من أهدافكم. اشرحوا لهم أنّ بإمكانهم أن يعدوا توقّعات الدرجات هذه جزءاً من الأهداف طويلة المدى، ولكن ليس في البداية. فقد تكون الأهداف المبالغ فيها بشدة عذراً للاستسلام. وأخيراً، يعدّ الاتساق بين الوالدين مهماً جداً لدمج توقّعات الآباء الجديدة بمنظورات الأطفال المعدّلة.

## توقّعات الأشقاء

عندما يتوصل الآباء والأطفال متدنو التحصيل إلى اتفاق عن التوقعات، تكون الخطوة الآتية إخبار الأشقاء بالتوقّعات المتغيرة الجديدة، ويجب أن يتم هذا بصورة شخصية حتى يعطي كل شقيق الدعم المناسب للتغيير المتوقع في الحالة، ورسالة واضحة من قبل الوالدين أنّ أي انتقاص أو تشييط لشقيقهم سيكون ضاراً للجميع. فإن أُجري هذا التواصل مع الأطفال المحصلين على انفراد، تزيد احتمالية أن تؤخذ هذه الرسالة على محمل الجد، ويجب على الآباء توضيح أنهم

سيتمهمون إمكان شعور أطفالهم المحصلين بعدم الراحة، أو الغيرة، ولكن على المدى البعيد سيستفيد الجميع من (عائلة أفرادها كلهم أذكاء)، والشيء الرئيس هو الحرص على التعاون بين أفراد العائلة بدلاً من الحرص على المنافسة.

شجعوا الأطفال المحصلين ليكونوا مساندين، وأخبروهم بأنكم ستبحثون عن تلك المساندة وستقدرونها، حيث يجب أن ينظروا إلى تحصيل أشقائهم على أنه أمر يمكنهم مشاركته دون الشعور بأنه يحد من إنجازاتهم الشخصية.

إنّ تعليم الأشقاء تقدير إنجازات بعضهم، تقنية موازنة فاعلة في التعامل مع مشاعر صراع الأطفال الصعبة التي يحملها الأشقاء تجاه بعضهم، وإن لم يُضمّن الأشقاء في خطة التوقعات الجديدة، فقد يظهر تأثير لعبة الهزازة (الأرجوحة)، وعندما يبدأ الطفل ذو التحصيل المتدني بالتحصيل، فمن الممكن أن ينتقل الاتزان ليسبب انخفاضاً في أداء الطفل المحصل، وهذا ليس بالضرورة واجب الحدوث، ولكنه يبقى مجازفة محتملة. إن تجاهلت الأشقاء الآخرين في خطتك لتغيير التوقعات من طفلك ذي التحصيل المتدني، فسيعبّر مرتفعو التحصيل بالتأكيد عن مشاعر خيبة الأمل؛ ليشعروك بضرورة مراعاة مشاعرهم خلال المرحلة الانتقالية.

بدأت رايتشل الطالبة الموهوبة المحصلة في الصف الحادي عشر، مستمتعة بمساعدة أخيها طالب الصف التاسع متدني التحصيل؛ خشية الوقوع في مشكلات مدرسية أو منزلية. وعلى الرغم من إيمانها في الغالب، بأنها كانت تقوم بذلك لأنها أحبّت أختها، فإنه كان من الواضح أيضاً أنها نظرت إلى القضاء على مشكلة تدني تحصيله طويلة الأمد، على أنه أمر يهدد وضعها في العائلة بأنها (الطفلة الجيدة).

عندما يجادل الأطفال بأنهم لن يحققوا ما حققه أخوهم أو ما حققته أختهم (الأدكى) فيجدرك بك طمأنة الطفل ذي التحصيل المتدني بأن لا منافسة في العائلة، وأنه قد يكون أكثر ذكاءً من أي شخص يعدّ أكثر الناس ذكاءً في العائلات الأخرى. طمئن ذا التحصيل المتدني بأن لديه احتمال الأداء الجيد من خلال العمل الدؤوب، وأنت تتوقع منه ذلك العمل، ولا يهم بتاتاً ما إذا كان الطفل في العائلة هو الأول، أو الثاني، أو الثالث؛ لأن أفراد هذه العائلة جميعهم أذكاء.

## توقعات المعلم

تتمتع توقعات المعلم بأهمية حيوية في تغيير أداء ذي التحصيل المتدني، حيث يميل المعلمون إلى توجيه اهتمام أقل لنتائج الاختبارات، وهم متناغمون بصورة أكبر مع الأداء السابق للطفل؛ لأنّ الأداء السابق عادة ما يكون أفضل متنبئاً بالفاعلية المستقبلية. وعلى أي حال، لما كان الآباء والمعلمون والأطفال، في وضع (التغيير) حالياً، فمن المهم بصورة خاصة أن يستثمر المعلمون بصورة شخصية في توقع التحسن، حيث يمكنهم استخدام نتائج اختبار الذكاء مرشداً لهم، ولكن من المهم عدم استخدامها بصفاتها حدّاً لإمكانات أداء الأطفال وقدراتهم. يستطيع المعلمون الذين يستخدمون تلك النتائج أن يضعوا أهدافاً متدنية للأطفال، إن انخفضت النتائج بصورة منتظمة، أو لم تكن متناسقة.

إضافة إلى توقع أداء أفضل من ذوي التحصيل المتدني، يتعيّن على المعلمين أن يخبروا الأطفال بتوقعاتهم الأعلى، وكما هو الحال مع الآباء، فمن المهم ألا يبالغوا في ردة الفعل عندما يظهر الأطفال نجاحاً، بل إظهار الرضا العفوي لتحقيقهم ما يُعدّ الآن أداءً معقولاً؛ إذ إنّ ملاحظة الجهود الأقوى، وتقدير العمل الأصعب، أمر مهم جداً، إضافة إلى أنّ تغيير عقلية الطلاب بحيث ينظرون إلى الدماغ بصفته عضلة، سيساعدهم على تثمين أهمية (العمل بها) من خلال التعلم.<sup>2</sup>

من المهم أيضاً عدم المبالغة في ردود الفعل تجاه الانتكاسات العرضية على درب بناء أنماط تحصيل متناسقة؛ لأنّه يجب توقع هذه أيضاً، وعادة ما يكون تقديم ملاحظة مكتوبة عن الثقة وإعادة الطمأنة عن النجاحات المستقبلية المتوقعة أموراً فاعلة، حيث تصبح التعليقات المكتوبة على الورق أدوات تواصل مهمّة في التشجيع، يُضاف إلى ذلك أنّ الرسائل الخاصة تعدّ أكثر شخصية، ورسالة، من تلك المعطاة شفويّاً أمام الصف كله؛ إذ إنّها من الممكن أن تكون العلنية خصوصاً للمراقبين.

تحذير مهم: سيجد المعلمون الذين يصرّون على أنّ الأطفال لن يقوموا تماماً بالجهد المطلوب ما يتوقعون، ومن الممكن أن تكون توقعات المعلمين السلبية مدمّرة، في الوقت الذي يمكن أن تقلب فيه التوقعات الإيجابية حال الطفل رأساً على عقب نحو الأفضل، وفيما يأتي قصة حقيقية:

كان أول اجتماع للمعلمين في السنة الجديدة، في الوقت الذي لا يعرف فيه المعلمون أولياء أمور طلابهم جميعهم، وكان لدى السيدة دان معلمة الصف الرابع، طالبتان تحملان الاسم (بريانا) في صفها، إحداهما طالبة ممتازة وإيجابية ومكيفة بصورة جيدة، أما الأخرى فقد عانت مشكلات متعددة، وكانت شديدة السلبية.

عندما حضر والدا بريانا الثانية إلى الاجتماع، ظننتهما السيدة دان والدي بريانا الأولى فرحبت بهما بحماس عن توجهات ابنتهم الإيجابية، أما هما فردًا، تحيتها بتعابير مصدومة أدركت خطأها على الفور، وبدلاً من أن تحرج نفسها والوالدين، استمرت بالنقاش عن بعض المجالات التي احتاجت فيها بريانا إلى التحسن.

غادر الوالدان الاجتماع شاعرين بإيجابية أكثر تجاه ابنتهم أكثر من أي وقت مضى، ونقلتا تلك الحماسة إلى بريانا، وفي اليوم الآتي فوجئت السيدة دان بدخول بريانا إلى المدرسة بابتسامة عريضة وتوجهات إيجابية جديدة. وتبدلت ثقته بنفسها وجهودها في المدرسة بصورة كلية. أنهت بريانا عامها المدرسي بدرجات (ب) بدلاً من درجات (د) المعتادة، التي كانت نمطية بالنسبة إلى تقاريرها السنوية السابقة، لقد قادت زلة غير مقصودة إلى تغيير مفاجئ في حياة الفتاة.<sup>3</sup>

نعم، إنها في الواقع قصة حقيقية!

## توقعات الأقران

يختلف تأثير توقعات الأقران في التحصيل في المدرسة الابتدائية بصورة كبيرة عن تأثيره في المدرسة المتوسطة والثانوية. وعلى أي حال، فإن للأقران أثراً كبيراً في عكس متلازمة تدني التحصيل.

يكون موقع (الأبله) أو (صانع المشكلات) في المرحلة الابتدائية موقعاً غير محبب، ويكون المعلمون هم المسؤولين عن ترجمة من هو الأبله وصانع المشكلات في الصف، من الممكن تجنب كثير من ذلك إن تمكن المعلمون من إبقاء معظم التعليقات السلبية شخصية، وفي الوقت نفسه جعل بعض التوقعات الإيجابية علنية. من الطبيعي ألا يتوقع من المعلمين التمتع بمثل هذا النوع من التحكم في الأوقات جميعها. وعلى أي حال، سيجددون توقعات الأقران لتحصيل الطلاب من

خلال تعليقاتهم عن كل طفل، ولأنهم يتمتعون بمركز القوة للتأثير في توقّعات الأقران السلبية، كذلك بإمكانهم بصورة مماثلة تحفيز التغيير الإيجابي في توقّعات الأقران.

يجب أن يكون المعلمون حذرين، وأن يطلقوا العبارات الإيجابية، بالتدرّج وليس كما لو كان التغيير الحاصل سحرياً. وكما ذكرنا سابقاً، فإن المبالغة في ردود الأفعال تجاه نجاحات ذوي التحصيل المتدني المبكرة تقود الطفل إلى الاستسلام، إن لم يكن ناجحاً بصورة مستمرة سيقتبل الأقران صورة جديدة من النجاح، إن أُعطي متدنو التحصيل تقديراً متزايداً تدريجياً على تحصيلهم، وقلصوا التغذية الراجعة السلبية، وسيتبع ذلك بكل سهولة تقبُّل إيجابي من قبل الأقران.

يكون الاقتراح مغرياً للمعلم في العادة، عندما يرغب في مساعدة طالب في مشكلة سلوكية، باسم تشجيع الإحسان، وتعاون طلاب الصف لمساعدة الطالب صاحب المشكلة. ولسوء الحظ، تكون النتيجة معاكسة تماماً، فكلما دار حديث المعلم - الصف المرجعي عن مشكلة الطفل، قلَّ شعوره بقدرته على القيام بشيء حيال ذلك، وقد استؤصل كثير من المشكلات المستعصية من خلال الحدّ من نقاشات المعلم - الصف المرجعية. وفيما يأتي مثال تقليدي:

كانت أليشا خرساء بصورة اختيارية، ولا تقول أيّ كلمة في صفّها أو في ساحة اللعب، منذ رياض الأطفال وحتى نهاية الصف الأول، استُخدمت كثير من إستراتيجيات تعديل السلوك من غير فائدة، أمّا في المنزل، فقد كانت أليشا تتحدث بارتياح ولا تبدو خجولة بتاتاً.

طُلب إلى والدي أليشا التوقف عن النقاشات المرجعية عن مشكلتها المدرسية، وطُلب إلى معلمتها التوقف عن إشراك الصف في مشروع مساعدة أليشا على التحدث، وعدم إظهار الاهتمام حتى إن تحدثت الفتاة مصادفة، وقد بقيت إستراتيجيات تعديل السلوك هذه سرية وأُخبرت أليشا أنّها لا يهتم أيّ أحد إن تكلمت أم لا، فكان خيار التحدث في المدرسة بيدها تماماً.

بعد ستة أسابيع تقريباً، وبعد أن كُبتت التوقعات، بدأت أليشا بالتحدث بصورة طبيعية، اختفت المشكلة، ووجدت المعلمة نفسها تحث أليشا بمرح على إيقاف فيض الكلمات، لقد غيّر الحدّ من الحديث المرجعي في الصف والمنزل توقّعات أليشا من نفسها.

هناك بعض الكلمات المفتاحية التي يمكن أن يستخدمها المعلمون في تغيير وصف الطلاب في الغرفة الصفّية، وللتقليل من التوقّعات السلبية، يتضمّن الشكل (2.10) بعض هذه الأمثلة.

سلبى	إيجابى
• لدى سكوت أفكار غريبة.	• لدى سكوت تبصرات إبداعية.
• شيريس، لا تكونى متسلطة.	• شيريس، إنك قائدة جيدة. هذا اقتراح لتوجيهك.
• وأخيراً، أنهى كوينتون السلحفائي عمله.	• إنك تقوم بعمل نوعي يا كوينتون، إنني سعيد؛ لأنك لا تتسرع به.
• الصف ينتظر كولين حتى يعيد تنظيم أدواته	• الجميع تقريباً منظمون، سأضبط ساعتى على مرة أخرى.
	(خمس عشرة) ثانية حتى يكون الجميع مستعدين.

### الشكل (2.10): الحد من التوقعات السلبية في الغرفة الصفية

تغيير توقعات الأقران في المدرسة المتوسطة والثانوية أمر مختلف تماماً، فهنا يكون المعلمون أقل فاعلية في التأثير في الأقران، على الرغم من تمكن المعلمين المحبوبين من الاستمرار في تحفيز التغييرات الإيجابية في تقبل الأقران، وإن كان ذوو التحصيل المتدني جزءاً من جماعة أقران توجهاتها مؤيدة للمدرسة، سيُنظر إلى التحسن في تحصيلهم على أنه الأمر المتوقع منهم. لذا، سيجدون تشجيعاً من أصدقائهم. وعلى أي حال، إن كان متدنو التحصيل جزءاً من جماعة أقران مناوئة للمدرسة، فيمكن أن تجعلهم الدرجات المتحسنة غير مقبولين من أصدقائهم، وربما سيرغب الآباء في هذه الحالة في التحدث مع أطفالهم عن تغيير مجموعات أصدقائهم، فإن نقل الأطفال إلى جماعة أقران مختلفة قد يبدو أمراً مستحيلاً في ضوء سمعتهم وأدائهم المدرسي.

عندما يطلب الآباء إلى أبنائهم تغيير جماعات أقرانهم، من الممكن أن تكون ردود أفعالهم سلبية، وقد يساعد التشديد على أنه، حتى الراشدين، سيتأثرون بضغط الأقران، حيث يفهم هؤلاء الأطفال أن الراشدين لا يتعالون عليهم بهذا الطلب. يستمتع الأطفال مع أقرانهم الحاليين ويشعرون بالانتماء إليهم. لذا، لا يستطيع الآباء توقع التقبل الفوري، ومن الممكن أن يفيد تشجيع الأطفال على الانضمام إلى جماعات عدة؛ فالأطفال يحبون في العادة أن يعدوا أنفسهم قادرين على مدّ الجسور بين حشود مختلفة.

في بعض الحالات، عندما يكون الأقران سلبيين جداً، يكون تغيير المدرسة بديلاً معقولاً ولكن يجب ألا تُغيّر المدرسة دون تفكير؛ لأنّ كثيراً من الأطفال قد ينجذبون ببساطة إلى أقران سلبيين في المدرسة الجديدة. وعلى أيّ حال، التغيير من مدرسة حكومية إلى خاصة أو بالعكس الذي يكون مصحوباً بجهود تحصيل جديدة، من الممكن أن يسهل قبول الطفل في مجموعة أقران جديدة.

تشير البحوث إلى أنّ لجماعات الأقران وقعاً وسيطاً على تحصيل المراهقين، فقد وجدت إحدى الدراسات أنّ تحصيل المراهقين، الذين تلقوا رعاية أبوية جيدة، ستخفّض إن لم يكن أقرانهم محصلين - والعكس صحيح كذلك، وحتى عند قدوم المراهقين من عائلات الرعاية الأبوية فيها غير كافية، فقد أسهمت المشاركة في جماعات أقران إيجابية في تحسين تحصيلهم<sup>4</sup>.

من المحتمل كذلك وجود ضغوط ثقافية، وضغوط بين الجنسين على المراهقين الذين يحملون كثيراً من الكتب، أو يظهرون بمظهر المواظب على دروسه؛ ففي دراسة أجريت على ثمانية آلاف طالب في المدرسة الثانوية، تبين أنّ (10%) فقط من المحصلين في المدرسة الثانوية، سيترفون بارتباطهم بالمجموعات المتشابهة في تفكيرها<sup>5</sup>، وقد كانت النسبة المئوية لدى الإناث أقل بصورة طفيفة، وبصورة ما أعلى لدى الطلاب الأمريكيين من أصل آسيوي، ولم يرغب أحد من الطلاب الأمريكيين من أصل إفريقي في أن تكون له صلة بهذه المجموعات، ومن الممكن أن يوسم مرتفعو التحصيل الأمريكيون من أصل إفريقي من قبل أقرانهم بأنهم (يقلدون البيض)، ويعاقب الأمريكيون من أصل هندي المواظبون على الدراسة بوسمهم بـ (تفاحات) (حمراء من الخارج وبيضاء من الداخل)، إضافة إلى ذلك، تخاطر البنات في أن يعدّهن بعض الأولاد مفرطات في الذكاء، ويرون أن ذكاءهن يشكّل تهديداً لهم، إنّ تجاهل ضغط الأقران في سن المراهقة، يعني تفويت جانب مهم من النقاش عن تدني التحصيل. وفيما يأتي مثال على ذلك:

سُئل أندريه الطالب الأمريكي من أصل إفريقي في الصف السادس، عما تعلمه من عكس تدني تحصيله ويرغب بمشاركته مع الأطفال الآخرين، فكان لديه اقتراحان، هما: يجب أن يبدؤوا عامهم المدرسي بداية ناجحة، ويجب أن يحافظوا على صداقاتهم مع الأطفال الذين يريدون الحصول على درجات جيدة.

يجب أن يوضع أيّ طالب في صفوف التربية الخاصة بعناية فائقة دائماً، فغالباً ما يواجه الأطفال الذين يوصمون بـ (مضطربين عاطفياً)، أو (متخلفين عقلياً)، أو (عاجزين سلوكياً)، صعاباً كبيرة في التعامل مع توقّعات الأقران. لذا، يجب أن يزن الراشدون الدعم التربوي أو العاطفي الذي سيتلقاه الأطفال في غرف التربية الخاصة، مع التوقّعات السلبية التي ستكون في الأغلب لدى الأقران، إنّه دائماً قرار يصعب على الآباء والتربويون اتخاذه، ففي معظم المناطق التعليمية، يُعطى الأطفال جميعهم الحق في إلحاقهم بالصفوف الاعتيادية، وعندما يكون الإلحاق ممكناً، فيكون هو الخيار الأفضل للأطفال؛ لأن التصنيفات السلبية تقودهم إلى فقدان ثقتهم، وإلى الاستبعاد من جماعات الأقران.

لهذا، يكون للتربية الخاصة تأثير غير مرغوب فيه في تعزيز أنماط تدني التحصيل. على سبيل المثال، يوضع متدني التحصيل الاستقلاليون بصورة غير صحيحة ومنتكرة في صفوف العاجزين عن التعلم، أو المتخلفين عقلياً، الذين يملكون قابلية التعلم؛ لأن سلوكهم يمثل سلوك الأطفال بطيئي التعلم أو العاجزين عن التعلم. غالباً ما توفر صفوف صعوبات التعلم المجموعة الصغيرة والمساعدة المباشرة (واحد إلى واحد)، التي تعزز من إدراك هؤلاء الأطفال ومعلميهم بأنهم يستطيعون التعلم على أساس واحد - إلى واحد فقط، وغالباً ما يوضع متدني التحصيل الاعتماديون في صفوف المضطربين عاطفياً أو سلوكياً، ويقود إصرار الطلاب على التحكم في الغرفة الصفية، إلى افتراض أن لديهم مشكلات سلوكية يصعب حلها في الغرفة الصفية الاعتيادية، دون اللجوء إلى مساعدة نفسية خارجية.

تعزز الوضعيات الخاصة حسّ هؤلاء الأطفال بأنهم مختلفون، ويؤمنونهم الأقران الذين لا يتلقون مساعدة خاصة بـ (غير عاديين) أو حتى أسوأ من ذلك، وفي المرحلة الثانوية، يُتوقع أن يجد طلاب التربية الخاصة أصدقاءهم عادة ضمن صفوف أخرى مشابهة فقط. وعليه، يكون للجهود التربوية الكثيرة التي أراد منها الآباء والتربويون تحقيق فائدة، آثار جانبية شديدة السلبية وسهلة القياس، حيث تؤثر توقّعات الأقران السلبية بصورة سيئة في الثقة الذاتية لسنوات عدّة ويمكن أن تعيق عكس أنماط تدني التحصيل.

إنّ إطلاق اسم الأطفال المعوقين على الذين يعانون إعاقات مُشخّصة بذلك التشخيص أمر جدلي، ولكن إساءة تشخيص الأطفال ذوي التحصيل المتدني بأنهم عاجزون عن التعلم أو معوقون ذهنياً، أو مضطربون عاطفياً، مشكلة أكثر خطورة؛ لأن تلك التصنيفات تحدّ من توقّعات الآباء

والمعلمين والأقران، ويوقف هذا التصنيف غير الملائم بصورة حرفية العكس الفاعل لمتلازمة تدني التحصيل، لقد أصبحت المدارس شديدة الوعي بهذه المشكلة؛ ولكن، ما يزال التشخيص صعباً على أيّ حال. يبين الشكل (15.11) في الفصل الحادي عشر الفروقات بين الأطفال العاجزين عن التعلم وذوي التحصيل المتدني الاعتماديين، وقد استخدمت بعض المدارس النموذج ثلاثي البؤر بصورة فاعلة، مع الأطفال الذين بدأ أنهم يعانون بعض الاحتياجات التعليمية الخاصة، وحالت دون وضع ذوي التحصيل المتدني الاعتماديين في غرف التربية الخاصة.<sup>6</sup>

### مماثلة نماذج القدوة

يتعلم الأطفال السلوكات المناسبة بسهولة أكبر، إن وجدوا نموذجاً فاعلاً لتقليده - قانون رم (2 #). وكما تتذكر من الفصل الثالث، تسمى العملية التي يختار الأطفال فيها النماذج العائلية ويستسخونها دون وعي بالمماثلة. فعندما يعكس متدني التحصيل أنماط تدني التحصيل بصورة عفوية، فعادة ما يستشهدون بأشخاص كانوا محورين في تغيير اتجاههم، وكان هؤلاء الراشدون النماذج التي تماثل الأطفال معها، وتبنوا منها أنماط التعديل، وعادات العمل، والممارسات الدراسية، والفلسفات العامة في الحياة، والأهداف المهنية. ومن الممكن أن يخدم أشخاصاً عدّة بوصفهم نماذج لشخص واحد. وعلى أي حال، يتمتع الأشخاص في بيئة الفرد المباشرة بأهميّة خاصة، وعادة ما يشير الأطفال والمراهقون إلى بعض الراشدين من حولهم بوصفهم أشخاصاً يحبون أن يصبحوا مثلهم عندما يكبرون.

ولما كانت محاكاة النماذج شديدة الأهميّة في عكس تدني التحصيل، فيجب علينا التشديد على مصادر النماذج، إضافة إلى العملية التي نستطيع من خلالها تشجيع المماثلة مع النماذج المناسبة، فمن الممكن أحياناً ألا تكون النماذج المختارة مناسبة لتحفيز التحصيل<sup>7</sup>، حيث إنّ بإمكان الأطفال اختيار مغنيين مشهورين، أو أبطال رياضيين، أو رجال أعمال فاحشي الثراء ممن تحاك عنهم أساطير النجاح السحري الإعجازي، فيحاكون هذه النماذج غير الواقعية في اللباس، وطريقة الكلام، والأنماط الموسيقية، وتبدو نماذج الأشخاص الحقيقيين غير كفؤة في المقارنة؛ لأنهم ليسوا برونق محبوبي المسارح والرياضة.

يميل متدني التحصيل إلى اختيار هؤلاء المشاهير بوصفهم نماذج ليستسخوها، دون أن يلقوا بالأل للعملية التي وصل بها هؤلاء إلى مثل هذه المكانة العالية، ودون إدراك للآلاف الذين أزيحوا إلى جنبات الطريق في خضم المنافسة، إنهم يفضلون الاسترقاق في الأفكار الخيالية بتوقعات منتشبة عن اكتشاف مواهبهم المخفية، إضافة إلى الاستثمار في مزيد من الجهود الواقعية، التي يمكنها بناء مهاراتهم نحو هدف واقعي. ليست خيالات الأبطال ضارة في حد ذاتها، ولكن عندما تصبح بديلاً عن المجهود ومحاكاة نماذج أكثر واقعية، فيمكن أن تحول دون التعلم الضروري للمهارات التي ستقودهم إلى التحصيل، وتصبح الخيالات أعداءً لتجنب المسؤولية.

### مصادر النماذج

يشكل أفراد العائلة لكثير من الأطفال المصدر الأفضل لنماذج المماثلة، فإن كان الأب والأم إيجابيين ويعنيهم التحصيل، فإنهم يشكلون نماذج مثالية، بشرط أن يكون هذا ظاهراً لأطفالهم؛ لأن الأطفال يستطيعون استنساخ ما يرونه فقط. وعليه، فإن كانت إيجابية التفكير بأن تكون (أنا العمل) عند الوالدين محفوظة لمكان العمل، وذواتهم المتدمرة السلبية فقط هي التي تعرض في المنزل، فإن فرصة المحاكاة المفيدة ستكون محدودة.

على الرغم من أن هذا يبدو أمراً واضحاً بصورة كافية عندما تفكر فيه، فإن كثيراً من الآباء ليسوا حساسين إلى الأنا التي يقدمونها لأطفالهم، ويكون الاهتمام بالتحصيل الذي يرغبون في أن يحاكيه أطفالهم غير مرئي. ولما كان معظم الأطفال لا يستطيعون رؤية آباءهم في أماكن العمل فيجب أن يوضح الآباء والأمهات واجباتهم، وأن يصفوها لأطفالهم، ويجب كذلك أن يتضمن هذا الإيضاح حماساً وتحدياً ومجهوداً ورضاً، إن كان الهدف البوح برسالة عمل مناسبة.

إن ذكر المثبطات، والإحباطات، وتجارب الفشل لأطفالك أمر واقعي صادق بالتأكيد، ولكن إن وصفت عملك دائماً بصورة سلبية، فلن يبق لهم سبب للتحفيز نحو المجهود، وسيرون نموذج تحصيل سلبيّاً فقط، وسيستخدمونه لعقلنة رفضهم لآبائهم بوصفهم نماذج، أو لتبني توجهات آباءهم السلبية، ويصبحون أطفالاً مناوئين للعمل، سيقنعون أنفسهم بأنهم لا يرغبون في العمل بجد؛ لأنهم يفضلون نظام قيم أفضل بكثير من نظام أهلهم (أخلاقيات (مرح))، تتجنب الكدح، وتكون مبنية على أسلوب حياة السعيد الذي يكون محظوظاً.

إن اختيار الأبوين بوصفهم نماذج قدوة، هو أكثر طرق تعليم دافعية التحصيل العملية. وللقيام بهذا بنجاح، يجب أن يبيّن الأبوان الأمور الممتعة بصورة معقولة والمحققة للرضا في عملهم.

كثير من الآباء في مجتمعنا غير سعداء في عملهم، ولكنهم لا يجدون فرصاً بديلة لكسب لقمة العيش، من الممكن أن يشعروا بأنهم في وظائف ذات طريق مسدودة، ولكنهم يتقبلون مسؤولية الحصول على لقمة العيش على الرغم من رغبتهم في عمل أكثر إمتاعاً، وبذلك لا يستطيعون مشاركة الأخبار الجيدة عن الرضا الناتج من الإنجازات بصدق. وعلى أي حال، يمكنهم إخبار أطفالهم عن المنتجات أو الخدمات التي يسهمون فيها، أو يمكنهم، في الأقل، مناقشة الفخر الذي يشعرون به لتحملهم المسؤولية.

وإن كانوا ممن يذهبون إلى العمل في الوقت المحدد، إضافة إلى التزامهم بأدائهم الجيد في الوظيفة دون تدمير بصورة مستمرة، فهم أيضاً نماذج جيدة للمسؤولية، وبإمكانهم بحدّيهم مع أطفالهم أن يضيفوا أنهم لو أكملوا تعليمهم، لكان بإمكانهم الحصول على خيارات وظيفية أكثر، وأن يأملوا أن تشجع هذه الرسالة أطفالهم على الدراسة بجد أكثر في المدرسة؛ لكي يوسعوا آفاق فرصهم الشخصية.

التزايد في العائلات المكونة من والدين أو ثلاثة أو أربعة، يجعل مساعدة الأطفال ذوي التحصيل المتدني على النظر إلى عمل آبائهم على نحو محبّب أمراً أكثر تحدياً. وبالتأكيد، يمكن لزوج الأم، أو زوجة الأب أن يشكلوا نماذج مناسبة؛ فإنه يصبح أمراً صعباً، إن انتقد الوالد الحقيقي للطفل زوج الأم واستخف به، إذ إنّ الأطفال ينظرون لكل من الآباء الحقيقيين وأزواج الأمهات بوصفهم نماذج قدوة، إن كان الراشدون في هذه الحلقة يحترمون بعضهم بعضاً.

إنّ الأقارب الآخرين، مثل: الأجداد، والأعمام، والأخوال، والعمّات، والخالات، وأبناء العمومة يستطيعون أن يكونوا نماذج جيدة للمحاكاة، ويجب على هذه النماذج ألا تكون متوافرة على الدوام لأن وصف أنشطتها يمكن أن يحل بصورة جزئية محل الوجود الفعلي لها، ومن الغرابة أيضاً، أنّ الآباء أو الأجداد المتوفين، قد يكونون أيضاً نماذج قدوة جيدة للأطفال، حيث إنّه بالإمكان حياكة قصص إنجازات الأجداد ومثابرتهم وافتحامهم للأخطار، بما يتناسب والاحتياجات الخاصة للأطفال، إنّ الجدّ الحقيقي غير موجود ليظهر أيّ تناقضات، إضافة إلى ذلك، من الممكن أيضاً

أن يكون الأشقاء الأكبر سنّاً نماذج قدوة مهمّة، فعادة ما يقدر الأطفال الصغار أشقاءهم الأكبر منهم، ويتطلب الأمر خطوة صغيرة أكثر من التقدير لبناء ذلك التماثل المهم. وعلى أيّ حال عندما يقوم الآباء بمقارنات مقصودة، سيقول لهم الأطفال سريعاً: لا تقارنوا دائماً بيني وبين أخي أو أختي. إضافة إلى ذلك، قد يجلب التماثل مع الأشقاء الأكبر بعض المتاعب، إن كانوا غير متمكنين بعد من تركيز حياتهم. لذا، للوالدين الحق في القلق حيال اتباع الشقيق الأصغر خطى مراهق متمرد، حيث يظهر الشقيق الأكبر قوياً جداً للإخوة والأخوات الصغار.

يشكل المعلمون نماذج مهمّة، فغالباً ما يبوح الأطفال بتقديرهم الخاص الذي يشعرون به تجاه أحد المعلمين، ومن الممكن أن يختاروا أحدهم بوصفه نموذجاً بصورة عفوية، وقد يحظى بعض المعلمين بعشرات الطلاب الذين يطمحون لأن يكونوا مثلهم. ومع ذلك، يتطلب الأمر معلمين مميزين جداً ليحظوا بتقدير الطلاب، والمعلمون الاستثنائيون فقط هم المستعدون لاستثمار الوقت والجهد لإرشاد الشباب الذين ينظرون إليهم بوصفهم نماذج مماثلة. ومن الممكن أن يحدث المعلمون فروقاً إيجابية لمئات الطلاب ذوي التحصيل المتدني خلال حياتهم المهنية على الرغم من أنّ مسؤولياتهم وأعمالهم اليومية المعتادة، قد تمنعهم من الشعور بمدى التأثير الذي يقومون به.

نادراً ما يشكر الأطفال معلمهم على الاختلافات التي يقومون بها؛ لأنّ الأمر قد يأخذ سنوات ليفهموا أثر المعلمين في حياتهم.

أما الأطفال الذين ليس لديهم نماذج قدوة لهم، فإن المعلمين هم من يملأ لهم هذا الفراغ وفي مجتمع غدت فيه بنية الزواج متضعضة، فمن الممكن أن تصبح نماذج المعلمين الإيجابيين العطوفين أكثر حيوية للأطفال، وفيما يأتي رسالة من طالب عن معلمه:

بعد أن أنهيت الصف السادس، التحقت بالصف السابع في المدرسة المتوسطة، كانت المدرسة المتوسطة مختلفة كثيراً عن المدرسة الابتدائية، فقد حصلت على قدر أكبر مما كنت أحصل عليه من الواجبات المنزلية في المدرسة الابتدائية، ولكنني حصلت أيضاً على مزيد من الامتيازات.

كان الصف الثامن ممتازاً حتى الآن، وعلى الرغم من أنّ درجاتي انخفضت منذ التحقت بالمدرسة المتوسطة، فإنني تعلمت كثيراً منذ أتيت إلى هنا، الأمور التي أتحدث عنها ليست

جسدية بل ذهنية، فلقد تعلمت كثيراً عن نفسي وعن الآخرين عن طريق شخص مهم جداً وصدق أو لا تصدق، هذا الشخص هو معلم اسمه السيد تالبريت، وهو ليس معلماً عادياً، إنه أشبه بالأب أو شيء من هذا القبيل.

كنا أربعة وعشرين طالباً في الصف، وأشعر أنه قد أثر في كل واحد فينا بصورة لا أعتقد أنّ أحداً على هذه البسيطة بإمكانه فعله، أعلم أنه معلمي المفضل على الإطلاق، وأنا متأكد أنّ لديه معجبين آخرين، وأحد الأسباب التي تجعلني أحترمه كثيراً، أنني أعتقد أننا متشابهان في كثير من النواحي. كنّا نتعلم في صفه قيم الحياة والصدقة، لقد علمني أكثر من الدراسات الاجتماعية؛ لقد علمني حقيقة الحياة وكنهها.

في بحثي عن طفولة نساء ناجحات، شكرت النساء بصورة متكررة معلماتهن على إلهامهن للنجاح، فقد شكرت ديورا روييرتس مراسلة برنامج (20/20) الذي يعرض على قناة (ABC) معلمة اللغة الإنجليزية للصف الثامن التي وضعت لها توقعات مرتفعة. أيضاً، أثنت جاين باولي على مدربة المناظرات؛ لإلهامها إياها نحو وظيفتها في الإعلام. في حين عزت رائدة الفضاء كادي كولمان الفضل إلى معلماتها في برنامج الموهوبين؛ لإثارتها نحو العلوم<sup>8</sup>، وتستمر قائمة أولئك اللواتي قدرن إلهام معلماتهن لهن إلى ما لا نهاية؛ ففي العادة يعزو الرجال الناجحون والنساء الناجحات، نجاحاتهم إلى معلمهم الذين شجعوهم.

وبوجه عام، يجب على المجتمع أن يضع قيمة أعظم لدور التربويين؛ حتى ينظر الأطفال إلى معلمهم بأنهم أشخاص جديرون بالمحاكاة، ومن المهم أيضاً أن يقدر المعلمون أدوارهم بوصفهم تربويين.

من الحالات المؤسفة أنّ بعض المعلمين الساخطين استخدموا سلطتهم الصّفية، وتذمروا أمام الأطفال من ممارسات الإدارة أو المجلس التعليمي غير العادلة، ويتحسّر آخرون لطلبتهم على اختيارهم لمهنتهم. وعليه، فإنّهم يشاركون عجزهم على نحو عفوي، ويعطون رسالة منوثة للتعليم. إن مهنة التعليم في الغالب ليست مقدره بصورة كافية. ومع ذلك، الطلاب ليسوا الجمهور المناسب لتذمرات المعلمين. يعدّ المعلمون خائبو الظن نماذج رديئة للأطفال في غرفهم الصّفية ومن الممكن أن يكون لهم أثر سلبي في ذوي التحصيل المتدني الصغار الصداميين.

يستطيع القادة الاجتماعيون أن يكونوا نماذج كذلك، ويمكن للراشدين الذين يستثمرون أوقاتهم في فرق الكشف، أو الجماعات الدينية الشابة، أو التدريب الرياضي، أن يجعلوا ذلك الالتزام بالوقت أكثر قيمة للأطفال، إن فهموا أهمية المماثلة. وعندما يبدي الراشدون اهتماماً كبيراً باليافاعين الصغار، فمن الممكن أن يصبحوا نماذج فاعلة. وعلى الرغم من ندرة المتطوعين الذين يقودون الشباب في المجتمعات، فإن باستطاعة هؤلاء الذين يقبلون المسؤوليات التطوعية تقديم إسهامات بارزة لكثير من المراهقين، ومن المهم لك إن خدمت في الدور الحيوي للقائد الشبابي، أن تتواصل مع الأطفال عن قيمة التحصيل الأكاديمي.

قد ترغب المدارس التي تطبق النموذج ثلاثي البؤر في إضافة مكون مجتمعي يُدعى فيه المتطوعون إلى الصفوف، ليشاركوا معهم قصص إنجازاتهم، إذ إن جلسات المجموعات الصغيرة قد تشجع النقاش والأسئلة، حيث توفر الأعمال الإرشادية التي يعمل فيها الطلاب مع الراشدين في مجتمعهم، فرصاً ممتازة لتبني نماذج القدوة، ومن الممكن أن تشجع المصانع المحلية مديريها ومشرفيها على مشاركة قصصهم الشخصية، ومن الممكن أيضاً أن يتحدث العاملون الناجحون في المستويات كلها عن إنجازاتهم ومآثرهم. إضافة إلى ذلك، قد تقدم جلسات الفيديو المسجلة فرصاً للطلاب المستقبليين ليشاركوا قصصاً ممتعة من نماذج مناسبة، حيث يقدر الأطفال صور أبطالهم وتواقيعهم الشخصية، وعادة ما يكون الراشدون سعداء لذلك.

تؤثر نماذج الأقران بصورة عفوية في الشباب الذين لم يختاروا نماذج من الراشدين وقد تكون محاكاة الأقران مشكلة كبيرة، عندما تكون جماعة الأقران مناوئة للمدرسة وللأهل وبصورة ساخرة، من الممكن أن يوفر أعضاء جماعات الأقران السلبية كالعصابات، نماذج جيدة لبعض الشباب، وفيما يأتي مثال على ذلك:

كان الكاهن فروست الأمريكي من أصل إفريقي قائداً في المجتمع، وكان نموذج قدوة ملائماً للأطفال الذين يحاول مساعدتهم، لقد كان مرجعية عن العصابات؛ حيث إنّه كان عضواً في عصابة في طفولته، وأوضح عندما ناقش نماذج قدوة طفولته، أنّه شاهد أحد أصدقائه، الذين شعر تجاههم بالتناقضية، وهو يترك العصابة بسبب الجامعة، وعندما علم أنه أكمل عامه الأول في الجامعة بنجاح، تشجع على تجربة الجامعة بنفسه. ولهذا، فقد كان هذا القرين السلبي في البداية أول نموذج ألهمه ترك العصابة، واختيار فرصة تعليمية وأسلوب حياة مختلف بصورة كلية. لاحقاً، اعترف بوجود كثير من نماذج القدوة المهمة طوال مسيرته التعليمية.

إنّ جماعات الأقران الإيجابية تؤدي رسالة مناصرة للتعليم، وتشجع بحماس على الدراسة والتعلم. إضافة إلى ذلك، قد يخدم الأقران كذلك، بوصفهم نماذج لسلوك الاجتماعي الملائم على الرغم من صعوبة الإشارة إلى شاب آخر للمحاكاة من قبل مرهق دون توليد تنافس وبغض. وعلى الرغم من ذلك، يمكننا قيادة الأطفال الأصغر بسهولة نحو اختيار نماذج جيدة؛ لتحسين الوعي بالبقاء على المسار الصحيح في المدرسة، ورفع الأيدي بصورة دمثة وحماسية، والتواصل البصري، واللغة الجسدية المقبولة، والأخلاق الحسنة، والمهارات الاجتماعية العامة.

عندما يقترح الآباء والمعلمون أن يقوم الأطفال باستنساخ الآخرين، فمن الضروري تذكيرهم أنّ المحاكاة يجب أن تكون فقط لبعض المهارات التي ستكون مفيدة لهم، حيث إنّ الطلب إلى الطفل تقليد السلوك العام لطفل آخر يعدّ مقارنة ضمنية، ومن المحتمل أن تقلل من ثقتهم الذاتية، ولا يحتمل أن يسبب توجيه الانتباه إلى سلوك أو اثنين لمحاكاتها أيّ أذى، وستجعل عملية التعلم الاجتماعي الإيجابي أكثر سهولة. إنّ الإشادة بالسلوكات الجيدة أكثر فاعلية، إن كان الأطفال الذين تقترحهم بوصفهم نماذج محبوبين في الأصل ومقدرين من قبل الأطفال الذين تعطيلهم التوصيات، وإن لم يحترموا أو يحبوا الطفل الذي تقترح محاكاته، فلن ينجح الأمر.

فالخيال، والتاريخ، والأفلام، والسيرة الذاتية، جميعها غنية بالمواد الوصفية التي تلهم الشباب نحو المثابرة، والتعليم، والاستبسال البطولي، ويمكن أن توفر نماذج فاعلة لكثير من الأطفال، ويمكن لمماثلة مواطن الشبه بين حياتهم الخاصة، ولأبطالهم، والتشديد على كيفية مواجهة هؤلاء الأبطال للفشل وتغلبهم عليه، أن يدفع الأشخاص اليافعين إلى مزاج الكفاح مع النجاح.

أما ذوو التحصيل المتدني، فستساعدهم رؤيتهم للوقت المكثف الذي استثمره أبطالهم في العمل والتمرين، على فهم مقدار الجهد المطلوب لتحقيق الأهداف المهمة، ويجب أن تساعد المماثلة مع مثل هؤلاء الأبطال الأطفال الصغار على تقييم جهودهم ومواهبهم الذاتية بواقعية ومن الممكن أن تقدم نماذج إيجابية للنجاح.

ولسوء الحظ، هناك كثير من الأبطال في المجتمع على المسرح، وفي الرياضة، ممن يقدمون رسائل سلبية في أنماط حياتهم، ومن السهل أن يتبع الأطفال هذه النماذج بسبب جاذبيتهم

وقوتهم وثرائهم. لذا، يجب أن يوفر الآباء في أثناء توجيه الشباب لتبني الأبطال بوصفهم نماذج للتحصيل، معيار الجودة الذي يأملون في أن يتبعه أطفالهم.

### طريقة لتشجيع المماثلة

(عندما كنت في سنك، أذكر أنّ شعوري كان يمثل هذه المشاعر تماماً)، قد يكون بيان الحقيقة الصادقة في هذه العبارة هو ما يربط الطفل مع شخص بالغ في تحديد علاقته براشد في علاقة مماثلة، فالطفل، يجعل هذا من الراشد إنسانياً ويمكن بلوغه، ويشجع الطفل كذلك على رؤية مواطن الشبه بينه وبين ذلك الراشد.

أحد المحاذير الواجب اتباعها عند تعيين أوجه شبهك مع طفل ما، هو أنك لا ترغب في أن تصبح نموذجاً لتدني التحصيل. على سبيل المثال، إن قلت: لقد كنت متدني تحصيل، ولكنني تخلصت من المشكلة، عندها يمكن أن يفترض طفلك أنه هو كذلك سيتخلص بصورة تلقائية من مشكلته. قد تتذكر أنّ اثنين من المتغيرات الثلاثة، التي تقود إلى الاستساخ غير الواعي لنموذج شخص راشد هي: التشبّه، وأوجه الشبه بين الاثنين، وفي عبارة تربط الاهتمام الشخصي وأوجه الشبه. يمكن أن يخطو الراشد خطوة كبيرة في التأثير في الطفل لإيجاد اتجاهه الخاص أما المتغير الثالث اللازم لتعزيز المماثلة فهو السلطة، ولكن يجب أن تكون المتغيرات جميعها متوافرة؛ حتى يحدث التعلم بالمحاكاة. وفي الاختيار المقصود للنماذج من أجل المماثلة، تكون أوجه الشبه بين الراشد والطفل مفيدة، ولكن من الحكمة البحث عن أوجه الشبه الإيجابية.

ولسوء الحظ، عندما يتدني تحصيل الطلاب، وتكون مفاهيمهم الذاتية ضعيفة، أو يكونون صداميين، فمن المحتمل أن ينجذبوا إلى نماذج غير ملائمة ممن يشتركون معهم بالمواهب والخبرات وتوجهات تدني التحصيل نفسها. وعليه، يمكن أن يشكل الراشدون الذين لم يؤسسوا هوياتهم الذاتية بعد، أو المشوشون بخصوص اتجاههم الشخصي، نماذج سلبية جاهزة متاحة للمراهقين ذوي التحصيل المتدني؛ لأنهم أكبر سنّاً، وبيدون أقوياء، وممتعين، وأكثر خبرة، وبعده الشباب الذين يرون بأسهم الشخصي بأنه شبيه لذلك الخاص بالراشدين اليافعين - فريسة سهلة. وقد يعتقد الراشدون اليافعون أنهم قادرون على مساعدة هؤلاء الشباب، الذين قد يتماثلون معهم بصورة معاكسة، وتعطيهم عملية المساعدة حسّاً بالأهمية الذاتية الشخصية. ولكن، ونظراً إلى عدم توفر حسّ بالاتجاه الواقعي لكلا الطرفين، فيمكن أن يفشلوا معاً، حيث يُعدُّ الراشدون

الرياضيون الذين يجذبون شباب المدرسة الثانوية إلى مجموعات فرق الروك الموسيقية، أو جماعات التمثيل المتنقلة، أو مجتمعات الفنون، نماذج وإلهاماً لهؤلاء الشباب.

يوفر هؤلاء الراشدون أماناً مؤقتاً، ومأوى، ودعمًا، لمعارضة الشباب لآبائهم، ونادراً ما تكون هذه المزايا دائمة أو إيجابية. ومن الممكن في خضم العملية أن تغلق أبواب الفرص التعليمية وأحياناً يترك هؤلاء المراهقون المدرسة، أو ينسحبون من المنحة الجامعية، وأحياناً أخرى ينفرون عائلاتهم بصورة لا يمكن إصلاحها.

كيف يمكنك تجنب هذه المماثلات السلبية؟ احم أطفالك من الفراغ الذي قد ينشأ عندما لا ترى النماذج الملائمة المحتملة أي شيء إيجابي في أبنائك المراهقين، فعندما ينتقد الآباء والمعلمون الأطفال باستمرار، فلا يمكنهم اختيار هؤلاء النقاد بوصفهم نماذج. تجنب هذه الحلقة السلبية، التي غالباً ما تتولد من المراهقين المتمردين. ابحث عن الأمور الإيجابية في الأطفال وعندها سيصبحون أكثر احتمالية، لأن يتبعوا إرشاداتك في اختيار البيئات التي سيكونون محاطين فيها بنماذج قدوة مناسبة.

يمكن أن تكون الموسيقى، والفنون، واللغة، والعلوم، والحاسوب، والتمثيل، والمخيمات الصيفية، وسفر الشباب، ومجموعات التخييم، والمدارس الإضافية، فاعلة في تغيير خيار المراهقين للنماذج. ومن الممكن أن تتيح زيارة أحد أفراد العائلة المقيمين خارج المدينة، أو العمل بوظيفة ذات اهتمام بالحياة المهنية للأطفال، تعرّف نماذج إيجابية؛ حيث يمكن لتغيير المكان الفعلي أن يمنع الأطفال من اتباع الطريق الأقل ممانعة، وأن يلهمهم عبر تعرّف أشخاص جدد منخرطين بصورة إيجابية في تجارب النمو والتطور، ومن الممكن أن تكون البيئة، التي يكون فيها المراهقون محاطين بأشخاص آخرين متحمسين، يتشاركون معهم اهتماماتهم وبمعلمين متفانين يهتمونهم، حاسمة وحيوية في إعطاء هدف لحياة الأطفال ذوي التحصيل المتدني. إضافة إلى ذلك، من الممكن زيادة عدد مثل تلك الفرص بفضل المخيمات، والجامعات والمدارس الخاصة. خلال أشهر الصيف، فقد يُحدث فصل صيف مُلهم فرقاً، ولاسيّما إن حافظ المشاركون على التواصل فيما بينهم خلال السنة المدرسية.

تعدّ مغامرة الوالد-الطفل المباشرة (واحد - إلى - واحد) طريقة ممتازة لتشجيع التماثل مع نموذج أبوي، وقد تتغير علاقة سلبية لأب مع ابنه، أو حالة زوج الأم، إلى زوجين متقاربين

لبعضهما بعد أن يتشارك الاثنان في تجربة تخييم مدتها أسبوع، أو رحلة تجديف مائية، وقد توفر مغامرة سفر (واحد - إلى - واحد) التي لا يتشتت فيها فرد من أفراد العائلة بصراع الآباء، أو الأشقاء، أو ضغوطات العمل، أو المدرسة، الرابطة التي تدفع المتخصصين في السابق إلى أن يحترم كل منهم الآخر ويقدره. ومن الممكن أن يرى الأطفال لأول مرة، أسباباً لتقدير آبائهم ولاستنساخ صفاتهم. أيضاً، قد يوفر أسبوع رائع واحد أساساً قوية للمماثلة والمحاكاة الإيجابية ما يذيب الصدام، ويقدم للآباء قواعد صلبة للتأثير في أطفالهم وإرشادهم، وعلى الرغم من شعور الآباء الذين يتركون في المنزل بالإهمال، فإنه يمكن لأب أو أم عطوفين محبين، أن يتدخلوا بواسطة الرابطة المباشرة (واحد - إلى - واحد) التي افتقدت في السابق.

رحلات الأب-الابن والأم - البنت والأم - الابن والأب - البنت تكون شديدة الفاعلية في علاج الجراح وبناء علاقات متقاربة.

### تصحيح العيوب

إن الخطوة الآتية في عكس تدني التحصيل هي الأقل صعوبة، ولكن لا يمكن تجاهلها، وإلا فشلت الخطة برمتها، فقد لا يكون متدنو التحصيل الذين يصيبون قدرأ ضئيلاً من النجاح في المدرسة، تعلموا المهارات التعليمية الأساسية، التي ستكون أساسية لنجاحاتهم المستقبلية فبالنسبة إلى الأطفال الموهوبين، قد تكون فجوات المهارات في حدّها الأدنى، أمّا معظم الطلاب فيمكن أن تكون هناك فجوات كبيرة في مهاراتهم، اعتماداً على المدة الزمنية لمشكلتهم وعلى قدراتهم، وتقع موضوعات هذه الفجوات في أربع فئات، هي: القراءة، والكتابة، والرياضيات واللغة.

إن اتباع نظام تدريس خصوصي هو أكثر الأمور ملاءمة للحدّ من فجوات المهارات، فإن هناك أخطاراً كبيرة في التدريس المباشر (واحد-إلى-واحد)، وعليه، يتضمّن الشكل (3.10) بعض اقتراحات يتعيّن على المدرسين الخصوصيين اتّباعها لتجنب تعزيز متلازمة تدني التحصيل.

- تجنب الرعاية الاعتمادية. وضّح المفاهيم، ثم دع الأطفال يظهرهم فهمهم. أكد الاستقلالية في حلّ المشكلات وفي متابعة الواجبات. بالتأكيد يجب ألا يجلس أيّ أحد إلى جانب الأطفال في أثناء قيامهم بواجباتهم. شجعهم على دفع الحدود المخصصة بهم.
- وفر للطلاب إطار عمل جوهره الأهداف، ومتضمناً الجداول الزمنية وجدولة الإنجازات. يجب أن يكون التدريس الخصوصي هادفاً. هل سيكون بإمكانهم الانتقال إلى مجموعات قراءة، أو رياضيات أعلى؟ هل سيمكنهم تعلم الكتابة للصحيفة المدرسية؟ وعندما يحققون هدفهم، هل سيكونون قادرين على اختيار وقف التدريس الخصوصي؟
- انقل الأطفال عبر المواد بالسرعة التي يستطيعون بها التعامل مع المهارات. هؤلاء هم أطفال لامعون يتلقون تدريساً مفرداً، وسيشجعهم الحسّ بالتقدم السريع على تعزيز ثقتهم بإنجازاتهم، وسيعمّم ليشمل غرفتهم الصّيفية.
- إنّ التدريس الخصوصي الضعيف قد يعزز نمط تدني التحصيل، أمّا التدريس الجيد فيوفر منصة انطلاق إلى تحصيل أفضل في المدرسة. بإمكان الأطفال ذوي التحصيل المتدني إيقاع المدرسين الخصوصيين في مصائد تلاعباتهم بسهولة. وعليه، يتعيّن على المدرسين الخصوصيين فهم أنماط الأطفال؛ لتفادي الوقوع في شبكهم، ولمساعدتهم على تصحيح العيوب بالسرعة الممكنة.

المصدر: رم، س. ب. (2005). كيف تُربي طفلاً محصلاً سعيداً، (3)15. ووترتون، ولاية وايومنغ: خدمات التقييم التعليمي.

### الشكل (3.10): نصائح للمدرسين الخصوصيين

#### مخاوف المهارات الخاصة وعيوبها

على الرغم من أنّ بعض التوصيات سترد في الفصول اللاحقة، فإنّ الأشكال (4.10) و (5.10) و (6.10) تحتوي على نصائح تتعلق بمخاوف القراءة، والكتابة، والرياضيات، والاستماع.

تتمتع القراءة بأولوية قصوى للتعليم المريح في الغرفة الصّفيّة، حيث تكون العملية التعليمية أكثر صعوبة للأطفال الذين لا يهتمون بالقراءة، أو يعانون تعلمها. ستساعد التوصيات المخصصة للأطفال الذين يعانون مشكلات في القراءة، الآباء والمعلمين على إرشاد الأطفال نحو الثقة الذاتية والاستقلالية، بصرف النظر عن مشكلات القراءة خاصتهم.

- يجب ألاّ يجبر الأطفال على القراءة لآبائهم جهراً في المنزل؛ لأن مخاوف الآباء في قراءة أطفالهم قد تنتقل إلى الأطفال، حيث يشعر معظم الآباء بالتوتر عندما يقرأ لهم الأطفال الضعاف بصوت مرتفع فإن باستطاعة الأطفال القراءة بصوت مرتفع إن اختاروا ذلك، كذلك فهم قلّما سيجدون أهميّة للقراءة الشفهية بوصفهم قرّاء راشدين.
- يتعيّن أن يقرأ الآباء جهراً لأطفالهم مادام أنّ الأطفال يستمتعون بذلك (طالب الصف الثامن ليس كبيراً).
- يجب السماح للأطفال بالبقاء مستيقظين نصف ساعة زيادة في المساء، إن كانوا يقرؤون في أسرهم (في العادة لا يحب الأطفال أن يناموا، إنهم الراشدون الذين يحبون ذلك).
- شجع الأطفال على قراءة أيّ شيء يرغبون به في أثناء نصف الساعة المخصصة للقراءة قبل النوم، ولا تصرّ على أن يقرؤوا كتب المواد الدراسية؛ فالكتب الهزلية، وقصص الرسوم الكرتونية، والمجلات الرياضية، والمواد السهلة، والكتب التي تعاد قراءتها مرات عدة، جميعها مفيدة لمتعة القراءة، وإن كانوا يحبون القراءة، فسيوسعون اهتماماتهم بتطور قراءتهم.
- شجع الأطفال على قراءة القصص في أثناء السماع لتسجيلاتها الصوتية، لا تحم حولهم للتأكد من أنهم يقرؤون فعلاً، سيفعلون ذلك في النهاية.
- نمذج القراءة بإبقاء كتاب في الجوار دائماً، ويراك أطفالك تستمتع به، الجرائد والمجلات تقيد كذلك
- شجع الأطفال على القراءة لأشقائهم الأصغر سنّاً، شريطة ألا يكون هؤلاء الأشقاء قراءً أفضل منهم يجب ألا يقوموا بذلك في حضور الوالدين، بل وحدهم مع إخوتهم وأخواتهم.
- زُر المكتبات ومتاجر الكتب في رحلاتك وأسفارك وتجوّل فيها.

المصدر: رم، س. ب. (2001). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن تربية الأطفال، 12(2). ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (4.10): نصائح للحد من مخاوف القراءة

إن كان أطفالك بطيئاً الكتابة وكارهين لها، فيمكنهم التغلب على ذلك. يختلف كثير من الأطفال في مدى تطورهم بالمقارنة بأعمارهم المدرسية؛ حيث يبدو أنّ التنسيق العضلي الصغير المطلوب لطباعة الأحرف والكتابة يتطور بصورة بطيئة أكثر من قدرات التفكير والتعلم. وتبدو هذه المشكلة أكثر حدوثاً لدى الأولاد مقارنة مع البنات (وللمفاجأة، لا يشكل هذا أيّ عائق لاستخدام المفكات، أو مكعبات الليجو، أو ألعاب الفيديو)، إضافة إلى ذلك، بإمكان بعض الأطفال ممن يعانون مشكلات في سرعة الكتابة أن يعالجوا المشكلة ببطء أكبر من الآخرين، وربما سيحتاج الآباء والمعلمون إلى الحصول على اختبار رسمي لسرعة المعالجة الذهنية لهؤلاء الأطفال؛ من أجل تحديد ما إذا كانت عاملاً في مشكلة الكتابة.

غالباً، يطور هؤلاء الأطفال مخاوف متعلقة بالعمل المكتوب، بصرف النظر أكانت الواجبات الموكلة إليهم مؤقتة أم لا؟ فقد يتخلفون في إكمال الواجبات عن رفاقهم في الصف؛ لأنهم يقارنون السرعة (بالذكاء)، ويبحثون عن طرق تجنبهم الشعور (بالغباء)، وقد لا يكملون عملهم، أو يتمونه بسرعة وباستهتار ويصطنعون أعذاراً بأنّ العمل الكتابي ممل. ستصعب هذه الممارسات بسهولة عادات سيئة، وقد تدفع الأطفال إلى تعلم كره الكتابة، وتطوير مخاوف من الواجبات المكتوبة.

فيما يأتي بعض التوصيات العامة التي يمكن أن تساعد الأطفال الذين يعانون (مخاوف القلم):

- غالباً ما يكون العلاج الوظيفي فاعلاً، ولاسيّما للأطفال الصغار.
- شجع الأطفال على استخدام الحاسوب؛ لعمل المسودات جميعها عند كتابة القصص أو التقارير.
- اطلب إلى أطفالك تسجيل قصّتهم بوساطة جهاز تسجيل صوتي، قبل أن يباشروا في كتابتها.
- اسمح للأطفال باستخدام أقلام التحديد الرفيعة أو أقلام الرصاص (رقم 2) - الذي يرونه الأفضل لهم - في عمل الواجبات.
- اجعل أطفالك يمارسون تمرين (السرعة) الآتي، إنه نموذج منافسة ذاتية، حيث سيحتاجون إلى ساعة إيقاف، وأوراق عدة من المادة المكتوبة نفسها لينسخوها، ففي البداية، سينسخ الأطفال المادة، ويحدّد الوقت اللازم لذلك ليكون نقطة البداية، حيث يسجل هذا الوقت صفحة التقويم السنوي. في اليوم اللاحق، يكتبون المادة نفسها، ويحدّدون الوقت اللازم لذلك، إذ إنّ الهدف أن يتغلبوا على وقتهم الشخصي، قد تصبح كتابة المادة نفسها في كل يوم أمراً مملاً، ولكنهم سيجدون قريباً، أنّ بإمكانهم الكتابة بسرعة أكبر بكثير، وسيعتادون الاختبارات الموقّعة، إن أصبح التوقيت عادة يومية، وإن رأوا تحسنهم، من الممكن أن تكون المقتطفات التي يختارونها للكتابة قصيرة أو طويلة، اعتماداً على أعمارهم، حيث يمكن تغييرها كل أسبوع أو اثنين، ويمكن استخدام الأسلوب نفسه أيضاً في تسريع معرفة حقائق الرياضيات.

- قد لا يحقق الأطفال الذين يكتبون ببطء نتائج متوافقة مع قدراتهم في الاختبارات الموقته، عندها يمكن تمديد المهلة الزمنية.
- غير التوقعات من خلال إعطاء تعليقات محددة، تشدد على أن الذكاء والسرعة ليسا أمراً واحداً. فيما يأتي بعض الأمثلة على أشياء يمكنك قولها:
- على الرغم من أن بعض الأطفال الأذكاء يسهون عملهم بسرعة، فإن بعضاً من أكثر الأطفال ذكاءً يعملون ببطء.
- النوعية أكثر أهمية من الكمية.
- يكتب المؤلفون دائماً كثيراً من المسودات قبل أن يشعروا بالرضا.
- على الرغم من أن بعض المهمات تتطلب الكتابة بسرعة، فإنه يفضل أن ينجز بعضها الآخر ببطء.

المصدر: رم، س.ب. (2008). نشرة سيلفيا رم عن تربية الأطفال، 18(3)، ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (5.10): نصائح للحد من (مخاوف القلم) (سرعة التحليل)

عادة ما يصف المعلمون مشاعرهم تجاه التدريس الخصوصي للطلاب الذين يعانون صعوبات مفرطة في تعلم الرياضيات على النحو الآتي:

عندما أشرح مفاهيم الرياضيات للطلاب، يبدوون متتبعين ومدركين للشرح، ولكنهم بعد ساعتين، لا يعودون فاهمين لها، تماماً كما لو أنني لم أشرحها لهم.

لا يستطيع أحد التكهن فيما إذا استمر هؤلاء الأطفال في معاناة مشكلات في الرياضيات، أو إن كانت المشكلة مرتبطة فقط بالذاكرة، ويكمن القلق المتعلق في عدم القدرة على تعلم حقائق الرياضيات الأساسية، في فقدان الأطفال تقّتهم في قدرتهم على تعلم الرياضيات بصورة كاملة، وهذه هي حسنة تحديد السبب الحقيقي للمشكلة، فإن كانت الذاكرة هي السبب، فيمكن للتشديد على تقنيات العدّ الملموسة، مثل: استخدام القطع المعدنية، أو الآلات الحاسبة، أو الحواسيب، أن يسمح لهم بالأداء بصورة جيدة في صفوف الرياضيات، أمّا إذا كانت مفاهيم الرياضيات هي ما يصعب على الأطفال فهمه، فستساعدهم مواقف التسوق أو العمل الحياتية على تجسيد المفاهيم المجردة.

أحياناً، تكون مشكلات الرياضيات المبكرة لدى الأطفال متعلقة بالإعاقات المكانية، فصعوبة حل الأحاجي وإخبار الوقت، وعدّ النقود، وفهم الخرائط، والجغرافيا، والاتجاهات، وحلّ مسائل قصص الرياضيات واستيعاب الهندسة المستوية، واستخدام الحواسيب، جميعها أعراض للمشكلات المكانية، ويستطيع المعالج النفسي في المدرسة اختبار الطلاب للكشف عن الإعاقات المكانية.

وبصرف النظر عن سبب مشكلات الرياضيات، يعدّ كثير من الألعاب وسائل ممتازة لتطوير مفاهيم الأعداد ومهارات المكان التي تسهم في تحسين الكفاية في الرياضيات، ولاسيّما ألعاب الألواح التي تتضمّن النقود. ومن الألعاب التي يمكنها المساعدة على بناء هذه المهارات الأساسية المونوبولي، ولعبة الداما الصينية والدومينوز، وألعاب الأوراق، مثل: لعبة حارب واذهب للصيد، ولعبة الداما، والشطرنج، والأحاجي، وألعاب الفيديو والتانجرام، والتركيز، ومكعبات الليجو.

قد يحتاج أطفالك إلى التدريس الخصوصي لسنوات عدّة إن استمرت معاناتهم في الرياضيات، وقد تؤدي هذه الإعاقة إلى خسارتهم بعض الثقة بالنفس، ولما كانت المشكلة تبدو جينية ولو بصورة جزئية، فلا يمكنك توقع تغييرها بصورة كاملة، ولكن فقط تحسينها بصورة جزئية، من خلال الممارسة أو القيام بتعديلات إبداعية عندما يتطلب الأمر ذلك. وعلى الرغم من أنّ عوز مهارات الرياضيات سيقبل من فرص العمل، فسيبقى هناك كثير من الفرص المتاحة لليافعين اللغظيين.

المصدر: رم، س.ب. (2001). نشرة سيلفيا رم عن تربية الأطفال، 12 (2)، ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (6.10): نصائح لمساعدة الأطفال الذين يعانون إعاقات الرياضيات أو الإعاقات المكانية (Spatial)

لقد وفرت وسائل الإعلام التي توجه المجتمع للأطفال فرص الوصول إلى المعلومات عن طريق التلفاز والأفلام، وشاشات الحاسوب، منذ الولادة تقريباً، وربما يمتلك كثير من الأطفال مهارات معالجة سمعية فقيرة؛ بسبب وجود الحافز البصري في كل مكان؛ فقد وجدت خبرتنا السريرية أنّ الممارسة المتضمنة استخدام محفزات سمعية فقط، يمكن أن تحسن مهارات الاستماع. فيما يأتي بعض اقتراحات الاستماع التي يمكن أن تساعد أطفالك على معالجة المحفزات اللفظية السمعية بصورة أفضل:

- الكتب المسجلة على الشرائط السمعية
- القصص على المذياع
- بثّ المباريات على المذياع
- سرد القصص الشخصية
- قراءة الشعر
- المشاركة في المحادثات ثنائية الاتجاه
- المحافظة على الاتصال البصري عند إعطاء التوجيهات

#### الشكل (7.10): نصائح لتحسين مهارات الاستماع

### حساسية الرؤية في الظلام

يعاني بعض الأطفال إعاقة قرائية تسمى حساسية الرؤية في الظلام، التي يمكن تصحيحها باستخدام عدسات ملونة، إذ يمكن تحسين القراءة لدى بعض هؤلاء الأطفال من خلال استخدام طبقات لدائنية (بلاستيكية) ملونة مختلفة. وفي العادة، يرث الأطفال الذين يعانون مشكلة حساسية الرؤية في الظلام المشكلة من أحد أفراد العائلة، الذي عانى بدوره مشكلات في القراءة أيضاً.

تطبق توصيات القضاء على مخاوف القراءة في الشكل (4.10) على هؤلاء الأطفال، ويمكن أن تظهر تحسناً لافتاً في الاستيعاب القرائي<sup>9</sup>.

## الخطوة الأخيرة

إن الخطوة الأخيرة في خطة معالجة متلازمة تدني التحصيل؛ التصحيح، مقسمة إلى ثلاثة أجزاء نوقشت في الفصول الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، وأوصيك أن تقرأ هذه الفصول جميعها، بصرف النظر عن تشخيص طفلك، ثم اختر بعد ذلك التعديلات الأكثر ملاءمة لأطفالك أو طلبتك، التي ستجرى في المنزل والمدرسة.





## الفصل الحادي عشر

### ما الذي يمكنك فعله للأطفال الاعتماديين؟

إنّ التغييرات البيئية الموصى بها للأطفال الاعتماديين، هي ذاتها لكل من المطيعين (المنصاعين) وغير المطيعين، وربما تفترض أنّ المجموعة الأولى ستنمو وتتخطى مشكلاتها الثانوية مع الزمن، ولكن ذلك ليس محتملاً، إلا إذا تغيّرت الاستجابات في المنزل وفي المدرسة حيث سيغير الآباء والمعلمون المستعدون لتفسير المشكلات والتفاعل مع هؤلاء الأطفال بطرق جديدة، وعلى عكس ما يمكن توقعه، سيغيرون العادات التي أدامت متلازمة تدني التحصيل لديهم. ستعطى الاقتراحات الموجهة للآباء أولاً، وستتبع بأفكار للمعلمين، وسيكون من المفيد للمعلمين والآباء قراءة كلتا المجموعتين من الاقتراحات؛ لأنهما تتداخلان أحياناً. وعلى الرغم من أنه يتعيّن توقع أنّ هؤلاء الأطفال سيبدلون مزيداً من الجهد، فإنه يمكنك أيضاً استمرار التواصل معهم بطريقة عطوفة، وحساسة في أثناء اكتسابهم للشجاعة والثقة تدريجياً.

### ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم آباء؟

إنّ المكوّن المهم الأول للتغيير فهم مسببات أنماط تدني تحصيل أطفالكم وسماته، ولأنّكم آباء كرام وعطوفون، فقد تجدون صعوبة في استبدال كثير من التعزيزات التي زوّدتكم أطفالكم بها بالمصادفة وبصورة غريزية، وقد تخافون في أثناء تعديل الاستجابات من أنّكم لستم متعاطفين أو داعمين بصورة كافية، وقد تشعرون بالذنب حيال الأساليب التي تقدمون بها رعايتكم الأبوية وحتى إنّكم قد تظنون أنّكم غير عطوفين أو غير مؤهلين، وقد ينتابكم القلق حيال هذه الاختلافات

لأنّها ستدفع أطفالكم للإخفاق أو للمعاناة بصورة أكبر، ومن الممكن أن تحسوا بضغط داخلي كبير؛ بسبب خوفكم من فشلهم إلى درجة الإحساس بالجزع، كما لو أنّ هذه المخاوف كانت نتيجة إخفاقاتكم الشخصية، ولما كان من الممكن حدوث هذا كله، أو جزء منه، لذا يُنصح بقراءة كلمات التشجيع الآتية مرات عدة، قبل أن تبدؤوا بالتعديلات:

- إن لم تسمحوا لأطفالكم بالعمل بصورة مستقلة الآن، فمن المؤكد أنهم سيفشلون لاحقاً وسيلقون اللوم عليكم بسبب فشلهم.
- إن بالغتم في حماية أطفالكم وفعلتم كثيراً لهم، سيمقتوكم لسرقتكم استقلاليتهم.
- لا يستطيع أطفالكم التعلم باستقلالية، إن لم تؤمنوا بأنهم قادرين على الاستقلال.
- تدفعكم اعتمادية أطفالكم على إضعاف ثقتهم بأنفسهم دون قصد.
- إن استخدم أطفالكم الدموع، أو التذمّر، أو الشكوى، أو الاعتلالات الصحيّة الجسدية، أو عدم الأكل بوصفها تلاعبات، فستكونوا غير عطوفين إن استجبتهم لهم كما لو كانوا حقاً صادقين. يتعيّن أن تساعدك هذه التحذيرات خلال الأيام الصعبة المقبلة، وإن تحلّيت بالشجاعة لإجراء هذه التعديلات، فتأكد أنّك ستشعر بثقة أكبر بوصفك والداً، وبعد أن يكمل أطفالك صراعاتهم المبدئية ستستمتع ببغطة نموهم السريع في الكفاية والثقة.

### التصويت على الثقة

لا تفعل لأطفالك تلك الأشياء التي هم قادرين على فعلها، ويتعيّن عليهم فعلها لأنفسهم، إذ إنّ أيّ كتاب أطفال نمطي يحتوي على معلومات عمّا يتعيّن على الأطفال فعله وهو في عمر أطفالك، حيث تتطلب أعمال مثل ارتداء الملابس، والاستحمام، والقيام بالأعمال المنزلية، وبصورة أهم القيام بالواجبات المنزلية – إن استلزم الأمر من الأساس – قدراً قليلاً فقط من مساعدتك. وإن كان أطفالك معتادين التذكير، والمُناكدة والتعاطف، والمساعدة، فإنهم تعلموا أن يجعلوك توجه انتباهك على صوب اعتماديتهم.

إنك في حاجة إلى تعلم إعادة تركيز ذلك الانتباه القيم على الأنشطة والمهمّات المنجزة، أبعد نفسك جسدياً عن مشهد الاعتمادية المستلزمة للانتباه، وكن موجوداً ومجالماً بهدوء عند إنجاز المهمة ولإعطاء مثال عن كيفية القيام بذلك، قارن بين المثالين في الشكل (1.11) للأعمال المعتادة الصباحية الاعتمادية وغير الاعتمادية، فإن كان أطفالك اعتماديين، فهم في الأغلب يتناسبون مع المثال الأول. جرّب الإرشادات في المثال الثاني لتقوية استقلاليتهم الصباحية دون الحاجة إلى المُناكدة، وأضف ساعة وقت لتحويل هذا الموضوع إلى لعبة.

### العمل الصباحي المعتاد #1 (الاعتماد)

الأم: مايكل، هل أنت مستيقظ؟

مايكل: (لا جواب)

الأم: مايكل، لقد حان وقت الاستيقاظ!

مايكل: ممممم... إنني مرهق جداً... بضع دقائق زيادة.

الأم: مايكل، من الأفضل لك أن تستيقظ، ستتخلف عن حافلة المدرسة! (تعاد بصوت يزداد ارتفاعاً ثلاث - عشر مرات)

هذه هي البداية فقط. فالعتاب لغسل الوجه، وتطهير الأسنان، وتناول وجبة الإفطار، والاستعجال، وارتداء ملابس مختلفة، وتذكر نقود الغداء، والكتب المدرسية، والملاحظات، وأخيراً تضيف إلى الجلبة تحذيرات عن اقتراب وصول حافلة المدرسة أو السيارة المشتركة، جميعها من منغصات الصباح، وتعدّ الجدالات بين الأشقاء في استخدام الحمام، وتبادل الملابس بداية متعبة لذلك اليوم، وإذا كان كلا الوالدين مستيقظين فسيغرز السجال الكلامي بين الوالدين عن درجة المناكدة، البداية المشحونة لكل صباح.

### العمل الصباحي المعتاد #2 (الاستقلالي)

الخطوة الأولى: أعلم أطفالك بصورة منفصلة بالخطوط الإرشادية للبداية الجديدة، فابتداءً من هذا اليوم وصاعداً، سيكونون مسؤولين عن إعداد أنفسهم للمدرسة، وستكون وظيفتك انتظارهم على مائدة الإفطار لحديث صباحي لطيف.

الخطوة الثانية: تتضمن تحضيرات الليلة السابقة ترتيب ملابسهم، وتجهيز كتبهم في حقائب المدرسة وستجعلهم قائمة الفحص المسائية مستعدين دون الحاجة إلى مساعدتك، ويجب أن يضبطوا المنبه مبكراً بصورة كافية لإتاحة كثير من الوقت الصباحي، سيشعرون بالتعب عند الساعة السابعة صباحاً بالمقدار نفسه، الذي يشعرون به عند الساعة السادسة ونصف صباحاً، ولكن ستحول البداية المبكرة دون عجلتهم المعتادة.

الخطوة الثالثة: سيستيقظ الأطفال بأنفسهم (تماماً دون أي مناداة من الآخرين)، وسيغسلون، ويرتدون ملابسهم، ويرتبون غرفهم، وستساعدهم قائمة فحص صباحية على تذكر مهماتهم، ويحق لهم تناول وجبة الإفطار فقط عندما يكونون مستعدين للمدرسة؛ قطعياً، لن تكون هنالك أي مناكدة.

**الخطوة الرابعة:** ينتظر الوالد (أو الوالدان) على مائدة الإفطار، ولن يكون في أيّ مكان بالقرب من أطفاله قبل وجبتهم المشتركة. عندها، يستمتعون بوجبة إفطار عائلية سريعة ممتعة، وبحوار عن اليوم الجديد الذي ينتظرهم.

**الخطوة الخامسة:** (اختيارية) إن كان الأطفال مستيقظين مبكراً، ويحبون مشاهدة برنامج تلفاز صباحي، فيمكنهم ذلك إلى أن يحين موعد المغادرة.

### العمل الصباحي المعتاد #2 (الاستقلالي) س & ج

**سؤال:** ماذا سيحدث إن لم يرتد الأطفال ملابسهم في الوقت المناسب لتناول الإفطار؟

**جواب:** لا إفطار. (هذا سيحدث فقط مرتين أو ثلاثاً)

**سؤال:** ماذا سيحدث لو لم يكن الأطفال يحبون تناول الإفطار؟

**جواب:** إن مشاهدة التلفاز مدة خمس عشرة دقيقة بعد الإفطار، عندما يكونون مستعدين للمدرسة، سيكون في الأغلب فاعلاً.

**سؤال:** ماذا سيحدث إن لم يستيقظوا؟

**جواب:** يتخلفون عن المدرسة، ويبقون في غرفهم طوال اليوم (لن يحدث هذا أكثر من مرة واحدة)، أو توصلهم أنت إلى المدرسة، ويدفعون لك أجرة سيارة من مصروفهم، أو يذهبون سيراً على الأقدام أو على الدراجة الهوائية، عليهم التعامل مع عواقب التأخر عن المدرسة، لا تكتب للمدرسة أيّ ملاحظات لتقديم أعذار لهم.

سؤال: ماذا سيحدث إن لم يتوافر لديهم الوقت الكافي؟

جواب: سيذهبون إلى الفراش قبل موعد نومهم المعتاد بثلاثين دقيقة، ويضبطون المنبه قبل ثلاثين دقيقة من موعد الاستيقاظ، إلى أن يجدوا المدة الزمنية اللازمة لاستقلال الصباح؟

سؤال: هل حقاً يجدي هذا المنوال نفعاً؟

جواب: بالتأكيد، بالنسبة إلى الأطفال في الصفوف الابتدائية؛ فهم يكرهون التخلف عن المدرسة، وأحياناً بالنسبة إلى طلاب المدرسة الثانوية.

المصدر: رم، س. ب. (1996). تعليم القيادات بطاقات الاستعلام: مؤشرات الآباء. ووترتون، ولاية وايومنغ: آبل.

### الشكل (1.11): الروتينيات الصباحية

تتضمن مكونات تصويت الآباء على الثقة: (1) تشجيع استقلالية الأطفال والإصرار عليها (2) سحب انتباهك المزعج من الاعتمادية، (3) إعادة مَوْضَعَة الانتباه الإيجابي والتعزيز نحو إنجاز المهمّات المستقلة. أكد وجود عواقب سلبية إن لم يكمل أطفالك المهمة. على سبيل المثال يمكن أن ينتج من عدم استيقاظ الطفل وخروجه من سريره عند سماع صوت المنبه حصوله على وقت قصير للطور، من المهم الاقتصاد في استخدام العواقب السلبية، ولكن يجب تعزيزها بالتأكيد إن كانت ضرورية. إضافة إلى ذلك، يجب التشديد على العواقب الإيجابية. لذا، حاول بثّ الثقة في أطفالك، حتى لو لم تشعر بها في البداية.

يمكن تطبيق الخطوات أدناه في عكس الأنماط الاعتمادية، فهي تتناسب مع روتين وقت النوم، والأعمال المنزلية، وتجربة خبرات جديدة، وأوقات الوجبات، والواجبات المنزلية، التي ستعطي اهتماماً خاصاً في وقت لاحق.

- اشرح المهمة لأطفالك بصورة مختصرة، وأشركهم في خطة كيفية إكمالهم لها باستقلالية.
- حوّل انتباهك من المهمة غير المنجزة إلى المهمة المنجزة.
- كافئ المهمّات المنجزة بمكافآت جذّابة.
- شدّد على الإنجازات الإيجابية، وليس على العواقب السلبية المحتملة.

## مكان المأوى

الحماية ضرورية للأطفال الذين يتعرضون لإساءة جسدية أو جنسية من أحد الوالدين، وأحياناً تكون الحماية من الإساءة اللفظية ضرورية كذلك. وعلى أي حال، إن حمى الآباء أطفالهم من أي صوت مطالب بالمسؤولية، أو أي مطالب معقولة لها، فهم لا يقدمون بذلك أي مساعدة.

تميل الأمهات بصورة خاصة إلى الانتقاص من توبيخ الزوج العرضي للأطفال، ويخض من أن يسبب ذلك أذى دائماً لهم، وحتى أنه قد يعدن ذلك إساءة لفظية، وعادة، قد تقوم هؤلاء الأمهات نفسهن بتوبيخ أطفالهن وفقدان رباطة جأشهن، دون قلق بأن يكون لذلك التوبيخ أي وقع سلبي على الأطفال. من الواضح أن هؤلاء الأمهات يسمعن أصواتهن بصورة أكثر هدوءاً ولطفاً من أصوات أزواجهن.

يتمتع الأطفال بالمرونة الكافية للتعامل مع الصوت الغاضب لأحد الوالدين، ولا يحتاجون إلى أي حماية من الوالد الآخر لامتصاص الصدمة. ولكن، إن فقد الوالدان رباطة جأشهما بصورة متكررة، فهذا يشير إلى افتقارهما القدرة على التحكم في أطفالهما، أو أن أطفالهما لا يستمعون لهم، أو يحترمونهم ويطيعونهم، فالوالد الذي يوفر المأوى أو الحماية للطفل الموبخ، فكأنه يشجع الطفل على التمادي بعدم الطاعة، ويعطيه الإذن بأن يكون قليل الاحترام، وإن طلب الوالد الموبخ انضباطاً وجهداً معقولاً، عندها يعزز الوالد الذي يوفر الحماية تقليل الجهد وتجنب المسؤولية. ومع ذلك، يفعل الآباء والأمهات ذلك لبعضهم بعضاً. ويضعضعتهم لمطالب بعضهم بعضاً، فهم يسرقون ثقة الأطفال بأنفسهم.

يعزز الوالد الذي يقوم بحماية الطفل إلى عدم تجنب تلاعباته، بدلاً من مساعدة الأطفال على تطوير التنافسية والثقة، ويتعلم الأطفال المحميون أنه عندما تكون المهّمات صعبة أو غير مريحة، أو عندما تتضمن أخطاراً عالية، فمن المناسب عندها الهرب والبحث عن الحماية، بدلاً من التعايش مع التحدي الضاغط. زد إلى ذلك، يتعلم هؤلاء الأطفال كذلك تحدي سلطة والد مُحب، في الوقت الذي يجب أن يبحثوا فيه عن القيادة عنده.

إن كان لديك أنت وشريكك وجهات نظر مختلفة عن تربية الأطفال وضبطهم، فقدما بعض التنازلات، فلا يوجد هناك أسلوب متفرد بالصحة لضبط الأطفال، سوى ما يتفق كلا الوالدين عليه، ومن الأفضل أن تكونوا مفرطين في الشدة أو اللين، على أن تعلموا الأطفال التلاعب

بوالديهم تجنباً للمسؤولية، فقد يشعر الوالد المساند أنه والد جيد، وأنه محبوب أكثر عند قيامه بالإيواء، ولكن من المحتمل أن يسمي الأطفال ذلك الوالد بالضعيف عندما يكبرون، ويصبحون أكثر إدراكاً، وسيواجه الوالد الذي يرى الإيواء بأنه عطف، صعوبة في تفسير قلة احترام الأطفال له لاحقاً، وسيشعر أنه لا يستحق ذلك العقاب والرفض.

إضافة إلى ذلك، قد يشمئز كلا الوالدين من أطفالهم عندما يرون أنهم بيرعون في التجنب، واصطناع الأعذار والاستسلام والتذمر.

هناك مكان للمأوى، فإذا كان أحد الوالدين مسيئاً، فيجب على الوالد الآخر أن يتخذ موقفاً حازماً لحماية الطفل، والإبلاغ عن الإساءة، والحصول على المأوى لنفسه وللأطفال، ولكن هذا الأمر مختلف عن الحماية وغير متعلق بموضوعات الاعتمادية.

### تعزيز التماثل مع الجنس نفسه للأولاد

نوقشت أهمية النمذجة سابقاً، ولكن يجب إعادة تأكيدها، ولا سيما للأولاد، فمن المهم لثقة الأولاد الذاتية ولتحصيلهم أن يكون لديهم نموذج ذكوري للمماثلة، فغالباً ما يعاني الأولاد الاعتماديون على أمهاتهم أو التماثلون معهن مشكلات تدني التحصيل، وهنالك سببان لذلك الأول، يهتم الأطفال بالتحصيل فقط عندما يتلقون كمّاً من الاهتمام والمساعدة أكثر من الكم النمطي؛ لأنهم اعتادوا كثيراً من الاهتمام في العلاقة شديدة القرب أو المباشرة مع الأم (واحد - إلى واحد). والآخر، ميلهم لمعاناة مشكلات اجتماعية مبنية على عدائية المجتمع المستمرة نحو الأولاد، الذين لا ينضوون تحت الصور النمطية للجنس الذكوري.

أما الأم التي لها علاقة واحد - إلى واحد مع ولدها الطليق اللسان والمبهج، - الذي تحبه الذي استثمرت نفسها فيه بصورة هائلة -، سيبدو طلب نموذج قدوة ذكوري أمراً مستحيلاً وغير عادل. إضافة إلى ذلك، ولما كان من غير الضروري أن يُطلب هذا الشيء ذاته من الآباء، فقد تنظر الجماعات النسائية المنادية بالمساواة إلى هذا الأمر بأنه دعوة لحمل السلاح والطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها تبرئة نفسي، هي بتذكيركم أنه على الرغم من أنّ علاقة واحد - إلى واحد مع الأم أمدت الطفل بلا شك بقدرته اللغوية المتسعة وذكائه المحسن، فإن هذا الطفل في حاجة إلى النمو خارجاً عن الاعتمادية إلى الاستقلالية، وللولد في مجتمعنا - على الأقل في هذا الوقت - يبدو ذلك النمو أكثر صعوبة دون التماثل مع نموذج قدوة ذكوري.

هذه ليست توصية للأمهات بأن يقطعوا علاقاتهن مع أولادهن، فعلاقة الأم-الولد أساس مهم لعلاقة الولد المستقبلية مع النساء الأخريات، وفي النهاية مع زوجته، إن اختار الزواج من إحداهن. وفي الأحوال كلها، يجب على الأم أن ترخي الروابط لتسمح بالنمو والحرية.

إن أسهل الطرق لتشجيع التماثل الذكوري مع أب، أو زوج أم، هو بالسماح للأب، أو لزوج الأم، والابن بقضاء بعض الوقت مع بعضهم، وفي ذلك العمل معاً، والقيام بأنشطة اللعب التي يستمتع بها الاثنان معاً، وتبني أنشطة التنزه، والصيد، والطبخ، وزيارة معرض فني، أو حدث رياضي، العلاقة دون جهد.

أيها الآباء، لا تسمحوا لأولادكم بإحضار أصدقائهم معهم؛ فالأصدقاء يتعارضون مع رابطة الأب-الولد.

من الممكن أن تكوّن المحددات الزمنية معضلة كبيرة، فقد لا يحظى الأب بعطل طويلة ومن المحتمل أن يكون عليه الاختيار بين البقاء في الشركة مع الرجال الآخرين، أو قضاء الوقت مع العائلة، وقد لا ترغب الزوجات في البقاء وحدهن مع باقي العائلة، أو التخلي عن الوقت النوعي مع أزواجهن. لذا، قد يحتاج وقت الأب-الابن واحد-إلى-واحد إلى بعض التضحية، إضافة إلى أنه قد يكون قصيراً، ومع ذلك، تعادل احتمالية بناء علاقة نوعية جيدة مع الابن تلك التضحية المعقولة، وقد توفر أسس المماثلة القريبة التي تستخدم بوصفها إلهاماً للاستقلالية لدى الرجال اليافعين.

يجب ألا تشارك الأمهات في توجيه خبرات الروابط الذكورية هذه، ويجب أن تؤسس العلاقة بناءً على شروط تواصل ذكوري مريحة، فكثير من الأولاد يعرفون آباءهم من خلال تفسيرات أمهاتهم، ولا توفر تلك المعرفة لهم فرصة بناء علاقات معهم بتاتا، وهذا يوجد فراغاً عظيماً لدى كثير من الرجال اليافعين.

فإن كنت امرأة محظوظة تحب زوجها وتحترمه، وتظهرين ذلك بوضوح لولدك، فستكونين قادرة على التنحي جانباً لإفساح المجال لهما، وإعطائهما مساحة للتقرب من بعضهما، وسيأتي التماثل الضروري بصورة عفوية، وستستمتعين بثقة ولدك التي تأتي مع التغيير.

وفي منازل لا يوجد فيها آباء، أو في الأوضاع التي لا يكون فيها الآباء نماذج مناسبة، تتوافر هنالك أنشطة بديلة؛ فرحلات البراري، وتجارب العمل، والإخوة مع الكبار، وفرق الكشافة، وأوضاع

أخرى يكون فيها الأولاد مع بعضهم في تحالفات عمل/ معيشة مكثفة، جميعها تحفز الأولاد على التعامل مع تحديات الاستقلالية، واكتشاف نماذج ذكورية وسلوكيات ملائمة.

على الرغم من وجود كثير من الرجال الناجحين والسعداء الذين رُبوا دون آباء، هناك مخاطرة أكبر لتدني التحصيل ضمن الأولاد الذين يُربون في منازل أحادية الوالد تشرف عليه الإناث. ففي العادة، يتمكن الأولاد الناجحون والرجال اليافعون من تحديد نموذج ذكوري واحد، أو نماذج ذكورية عدة أثرت فيهم، ويكون المدربون، ومديرو الفرق الموسيقية، والرؤساء، والمديرون وأساتذة الجامعة، وأطباء العائلة، غالباً ضمن نماذجهم.

### التعبير عن المشاعر

سيوافق الجميع على أنه من الجيد أن يكون الأطفال على تواصل مع مشاعرهم، وأن يفهموا حزنهم وغضبهم ويأسهم، ويتواصلوا بها، ومن المؤكد أنّ يعدّ كتمانهم الأفكار وعدم التعبير عنها أمراً سيئاً؛ لأن المشاعر تصبح عندها مبالغاً فيها. وإذا تراكت المشاعر، فمن الممكن أن يصبح الشخص غاضباً بغير عقلانية، ولا يستطيع تحديد سبب الغضب بعد ذلك. لذا، من الأفضل تعليم الأطفال البوح بالأشياء بصورة بناءة.

من الممكن أن يجد الأطفال - دون وعي - على شاكلة بولي المسكينة، وبييرل التي تشد الكمال، وتيريس المُستَهْزَأُ به، ودونا المكتئبة، أنّ الحديث عن المشاعر الحزينة قد يكون أسلوباً سلبياً اعتمادياً للتحكم في الراشدين، ومن الممكن أن تصبح الحساسية المفرطة، والشعور بالأسى تجاه الذات، والتحدث عنها، من أساليب تجنب تقنيات أكثر إنتاجية في حل المشكلات يضاف إلى ذلك أنّه من الممكن أن يخدم اهتمام الأبوين العطوفين دون قصد، تعليم الأطفال المبالغة في ردة فعلهم تجاه النقد، أو مضايقة الأقران، وأن يشعروا بالأسف تجاه أنفسهم. ومن الممكن استخدام تعبيرات الشفقة على الذات كذلك في مناورة أحد الوالدين ضد الآخر كما في طقوس الغول، التي يخبر الأطفال فيها أحد الوالدين مدى الفظاعة التي يجعلهم الوالد الآخر يشعرون بها.

كيف يمكن أن يحدد الوالدان المهتمّان أكانت الأحاديث مع الأطفال منتجة أم أنها في الأساس تلاعب بالعواطف؟ إن الخط الرفيع الذي يفصل التعزيز المناسب عن طقس (اشعُرْ بالأسى تجاهي) ليس دائماً واضحاً، وفي العادة يكون تغيير نمط التلاعب أمراً مؤلماً بصورة

مؤقتة للآباء وللأطفال؛ لأنه يولد الشعور بالذنب عند الوالدين واليأس عند الأطفال. لذا، كونوا على استعداد للثنتين. الشكل (2.11) بعض الخطوط الإرشادية المفيدة.

- تكرار جلسات التعاطف مؤشّر مهم على التلاعب، فالأطفال الذين يحتاجون باستمرار إلى التعبير عن حزنهم، يبالغون في ردة فعلهم، أو يبالغون في التعبير عن مشاعرهم. اجعل زمن الجلوس معهم قصيراً، وجههم نحو أنشطة أكثر إنتاجية، وإن بدت الجلسات أنها طريقة طفلك لجلب الانتباه، فتأكد من توجيه انتباهك نحو الأنشطة الأكثر إيجابية واستقلالية.
- تفحص الحقائق، إن استخدم الأطفال جلسات التعاطف بوصفها طريقة لتحويل عدم تقبل أقرانهم لهم بصورة تمثيلية، فتأكد من المعلومات من المعلمين، أو المدرسين، أو حتى قادة الكشافة، فقد يكون هؤلاء الأطفال متقبلين بصورة جيدة، ولكنهم يفضلون شعبية أكبر وسلطة أعظم، أو ربما أنهم اكتشفوا حساسيتك المفرطة فقط.
- شجع تقنيات أفضل لحل المشكلات، فربما يجب أن يرضى الأطفال بنصيحتك، بالأ يقيموا أنفسهم بناءً على حب الناس لهم من عدمه، ومن الممكن أن يساعدهم تشجيعك على الاستقلالية خلال المراهقة الوقت الذي توفر فيه الشعبية بصورة كبيرة.
- من المنطقي الاهتمام بتعبيرات الأطفال عن مشاعرهم، ولكن الإسهاب في الاهتمام بحزنهم، يشجع ذلك الحزن بأسلوب غير منتج فقط، أبقِ على جلسات التعاطف قصيرة ومفيدة لأطفالك.
- كن حذراً من (الشرر)، إذا كان محور تدمير أطفالك المستمر زوجتك/ زوجك أو شقيقاً، أو معلماً فهذا يعني أنهم يتعلمون نمطاً من التقرب منك، بناءً على وجود عدو مشترك، ويعدّ هذا الموقف مشكلة بصورة خاصة في الزواج الصدامي، أو في حال ما قبل الطلاق، فكثيراً ما يجبر الأطفال أحد الوالدين على تعاطف غير مرغوب فيه، عندما يطلب إليهم الوالد الآخر أموراً معقولة لسلوكات معقولة، إن ذلك النوع من التعاطف الذي يحمي طفلك، وينفر زوجتك/ زوجك سيئاً للزواج، ولكنه أكثر سوءاً على الطفل، إنه يعلم الأطفال نمطاً من التحكم في الناس الذين يحبونهم عبر إجاباتهم المنافسة على ذلك الحب، ومن الأمثلة على صراع الأشقاء المبطن: (أليس من السوء أن يكون أخي الأصغر ليس لطيفاً مع أصدقائي؟) بقوله ذلك، يجعل الطفل من أخيه يظهر بمظهر لا يحسد عليه. وإن استخدم الأطفال الاعتماديون جلسات تعاطف تلاعبية، فستوجه كل جلسة دائماً نحو لوم الآخرين على مشكلاتهم الخاصة، وستظهر حقيقة الأمر أنّ الجلسات دائماً مركزة على الأشخاص، في حين يكسب أطفالك تعاطفك بناءً على تحالف معك ضد شخص آخر.

الشكل (2.11): ما مقدار التعاطف المبالغ فيه؟

يجب أن يكون الاهتمام الضمني لآباء الأطفال الاعتماديين، توفير فرصة للحديث مع الأطفال عن مخاوفهم، يجب أن تؤدي هذه الحوارات إلى أفعال بناءة، بدلاً من تعزيز تجنب التحدي، ويجب كذلك تعزيز نجاح الأطفال بجلسات حديث مُحبّبة؛ كي يتعلموا أنّ النمو - وليس الفشل فقط - يعزز الحميمة.

## المهارات التنظيمية

يفتقر متدرو التحصيل الاعتماديون إلى المهارات التنظيمية في العادة، ولإمالة اللثام عن المهارات التنظيمية المحددة التي يعوزونها، فإن من الأفضل تفحص عناصر التنظيم، وتحديد تلك التي تنطبق على طفلك، ثم محاولة مساعدته على تصحيحها. فيما يأتي وصف لبعض هذه العناصر واقتراحات لتصحيحها.<sup>1</sup> (أدرجت هذه العناصر في الشكل (1.6) في الفصل السادس)

### وضع الأشياء المتشابهة بعضها مع بعض

هذا المفهوم أساسي للتنظيم، فسواء تعلم الأطفال جمع أزواج الجوارب المتشابهة، أو وضع كتبهم في مكان خاص على رف، أو تنظيم الواجبات المنزلية غير المنجزة بعيداً عن تلك المنجزة، أو ترتيب أقرصهم المدمجة المفضلة، فهم يتعلمون المبادئ الأساسية الأولية الحيوية للتنظيم، التي ستساعدهم على إيجاد الأشياء الضرورية، هذه المهارة أولية جداً إلى درجة أنه بإمكان الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة تعلم وضع الأشياء المتشابهة بعضها مع بعض.

### تنبؤ الوقت

اجعل الأطفال ذوي حساسية للزمن الذي يحتاجون إليه للاستحمام، أو ارتداء ملابسهم أو تنظيف أسنانهم، أو السير إلى موقف الحافلات، سيساعدكم ذلك على أن تكونوا مستعدين للمدرسة أو للأنشطة.

وستساعدكم ملاحظة الوقت الذي يحتاجون إليه للاستعداد لاختبار رياضيات، أو إنجاز وظيفة رياضيات، على التخطيط، وسيسمح وعيهم للوقت بتخصيص وقت تحضير كافٍ، وسيحول دون حدوث نوبة الجنون اليومية التي يختبرها بعض الآباء والأطفال، عندما يكونون متأخرين دائماً، فساتع الإيقاف، والموقفات أدوات قياس أساسية، إضافة إلى إمكان رسم الزمن على

خريطة، وعندما يصبح الأطفال أكثر واقعية تجاه الوقت الذي يحتاجون إليه للتخصير، فسيتعلمون مقدار الوقت اللازم لتخصيصه، وسيصبحون أكثر احتمالية لأن يكونوا مستعدين لأي أمر.

## الجدولة

بعد أن يحسب الأطفال الوقت الذي هم في حاجة إليه للقيام بالأنشطة اليومية والدراسة سيتمكنون من تحضير جدول أسبوعي ليدرکوا بصورة بصرية أنشطتهم خلال الأسبوع، ويتواصلوا بها، قد يحتفظ الأطفال بجدولهم الخاصة، وإضافة أنشطتهم الشخصية لجدول العائلة الذي يمكن وضعه على الثلاجة، أو لوحة إعلانات، وبهذه الطريقة، سيتمكن الآباء والأطفال من إدارة الرحلات المشتركة، والتنقلات، وتكرار الأنشطة بصورة أفضل، وربما سيحتاج الأمر إلى قدر لا بأس به من التغيير من قبل الوالدين؛ للتعايش مع دروس الرياضة، وكرة القدم، والموسيقا لأطفال عدة؛ فالجدول الواقعي مفيد.

## التذكر

تعدّ كراريس المهمّات للأطفال والمنظّمات الإلكترونية للمراهقين مفيدة جداً في تذكر المهمّات، ما دام أن الأطفال لا ينسون استخدامها، ويجب عليهم الاعتقاد بأنهم قادرين على تذكر واجباتهم المنزلية، وأنشطتهم، دون كتابتها مسبقاً، ولكنهم عادة ما يتخذون هذا عذراً لنسيان فعل شيء ما أو الذهاب إلى مكان ما، لديهم إمكانات مذهلة في تذكر الأمور المهمّة بالنسبة إليهم، ولكنهم يتعلمون إن لم تتمتع مسؤولياتهم بأولوية قصوى، فالآباء الذين يعدون قوائم تذكر مخصوصة بهم، هم نماذج قدوة جيّدين، ولكنهم في حاجة إلى إثبات فعاليتها، إن أرادوا الاستمرار في استخدامها.

## إعطاء الأولويات

عندما تصبح حياة الأطفال أكثر انشغالاً، يصبح من المهم مشاركتهم في تحديد الأولويات لأكثر مسؤولياتهم أهميّة، حيث تساعد مناقشة الأولويات الأطفال على تعلم تقييم أنشطتهم وتحديد أيها يجب فعله فوراً، وأيها يمكنهم إنجازه فقط إن سمح لهم الوقت بذلك، فإعطاء الأولويات يساعد العائلات على موازنة العمل واللعب، يمكن ألا يكون خيار القيام بالواجبات

المنزلية قبل مشاهدة التلفاز أو التحدث مع الأصدقاء محبباً عند الأطفال، ولكنهم سيجدونه أكثر فاعلية.

## الإقصاء

في عملية إعطاء الأولويات، من الممكن أن يقرر الآباء والأطفال معاً وبكل بساطة، أن يحذفوا رياضة أو نشاطاً ما، عند مناقشة ما يجب حذفه والتخلص منه، إضافة إلى أن الأطفال يوضحون القيم المخصصة بهم، وفي الوقت نفسه يتفهمون وجهات نظر آبائهم بخصوص الأنشطة. يتعيّن عليك أحياناً الإصرار على حذف الأطفال لنشاط ما، ولكن من الأفضل اتخاذ قرار جماعي، وطلب آرائهم بخصوص أيّ الأنشطة يرغبون في شطبها، ومن المحتمل أن تمر أوقات تخالفهم فيها الرأي. عندئذٍ، استمع إلى وجهات نظرهم، ولا تتردد في الجهر بالكلام، إن كنت تعتقد أن خياراتهم ضارة.

## المراجعة

تساعد عملية المراجعة الأطفال على إدراك أن قراراتهم ليست دائمة، ويمكن مراجعتها في وقت لاحق، فقد يستلزم إعطاء الأولويات والإقصاء المراجعة مرة كلّ شهر عدة، إن أصبح الجدول مزدحماً مرة أخرى، إذ من الممكن أن يضيف الأطفال أنشطة حذفوها، أو يحذفوا أنشطة أضافوها في أثناء تعلمهم تقييم حياتهم اليومية واهتماماتهم بصورة منتظمة، وكذلك يمكن أن تساعد مراجعة الاختبارات، أو الواجبات المنزلية بعد إنجازها على تنظيم الأطفال وتقويمهم وإعانتهم، على أن يصبحوا أكثر حرصاً ونباهة.

## تأسيس العادات الجيدة

تصبح الدراسة والأعمال المنزلية المعتادة، أكثر تلقائية وأقلّ إحباطاً، إن طوّر الأطفال عادات جيدة، فالقيام بالواجبات المدرسية والأعمال المعتادة عادة جيدة تمنع التسويف. إضافة إلى أن إعادة فحص الواجبات، ممارسة جيدة للحدّ من الإهمال، ومن المهم أيضاً تجنب العادات السيئة؛ لأنها قد تصبح تلقائية أيضاً، حيث تسبّب العادات السيئة، مثل: عدم تناول طعام الإفطار والجدال بصورة يومية، والتأخر في النوم، وتجاهل الواجبات المنزلية، مشكلاتٍ عظيمة للأطفال.

## المحافظة على المرونة

الاقتراب الذي أحب مشاركته: (العادات أفضل الخدم وأساء السادة)، صحيح أن العادات الجيدة بإمكانها تعزيز الفاعلية، فإن ذلك صحيح أيضاً أن الأطفال الذين تسيطر عليهم عادات غير مرنة، يفقدون فرص الإبداع، والعفوية، والمرح. وقد يساعد عمل بعض الاستثناءات في الجداول بصورة مقصودة الأطفال على التكيف مع التغيير، ومن الممكن أن يحسن حياتهم دون تدمير تنظيمهم وفعاليتهم.

## تعليم المنافسة

يتجنب الأطفال الاعتماديون المنافسة، فهم لا يحبون الرياضة؛ لأنهم لا يريدون أن يخسروا ليس بالضرورة أن يفضبوا أو يرموا المضرب؛ ولكنهم بدلاً من ذلك يتجنبون العملية برمتها سيقولون: إنهم لا يحبون النشاط، أو لا يشعرون برغبة في المشاركة، ويجذب تعبيرهم بعدم رغبتهم في المشاركة انتباه الأبوين ومحاولة إقناعهما.

لعب الألعاب العائلية تمرين جيد لتعليم التنافس، وتساعد الفكاهة الأطفال على التعامل مع الخسارة، فلا تعطوا كثيراً من الاهتمام للخاسرين، وعنونوها بـ (روح رياضية ضعيفة)، تجاهلوا الخاسر، واستمروا بالمرح في اللعبة، دعوا الأطفال يسمعون ضحكاتكم في أثناء اللعب، وإن بدا لهم الأمر بأنهم يفوتون على أنفسهم المرح بانسحابهم، فسيعودون وينضمون إليكم قريباً اسمحوا لهم بفعل هذا دون إعطائه كثيراً من الانتباه أو التوضيح، وسرعان ما سينسون حزنهم وبالتأكيد، لا تضخموا موضوع إقناعهم؛ لأن ذلك يزيد على الأطفال صعوبة إعادة الانضمام إلى اللعبة دون خسارة ماء وجههم.

يجب أن يصمم اللعب دائماً بوصفه منافسة عادلة، وهذا يعني أنه يتعين عليك إعطاء الأطفال فرصة التغلب عليك أحياناً، ولكن لا تدعهم يفوزون في كل لعبة ببساطة، فذلك يفقدهم حسهم بالتحكم، ويعلمهم الاعتماد على الفوز للمرح، إن تعلم الموازنة بين الربح والخسارة هو العامل الأساس، وفي كل مرة يحدد فيها الرابح قبل البدء باللعب، فإن ذلك يبطل من غاية تعلم المنافسة.

إن جعل الأطفال الاعتماديين ينافسون بعضهم ضد بعض، يشجعهم على تعلم الاستمتاع بالعملية، إضافة إلى أن الحفاظ على سجلات نتائجهم الشخصية لعدد رميات كرة القاعدة

سيزيد من سرعة تعلمهم لحقائق الرياضيات ودقة تعلمها، والاحتفاظ بعدد الكتب التي قرؤوها سيثير الفرح في متعة المنافسة الذاتية، ويمكن استخدام كتاب جينيس للأرقام القياسية لتحفيز هذه المبادئ والهامها في المنزل أو في المدرسة.<sup>2</sup>

تمثل المنافسات الجماعية مثل حلّ المشكلات المستقبلية،<sup>3</sup> وأوديسة الذهن، والسجلات، ومقابلات الموسيقى، أو التمثيل الجماعي، جميعها أساليب لتشجيع المشاركة في المنافسة بوجود الدعم. وعندما يصبح الأطفال مستعدين للمنافسات الفردية، تكون المسابقات الوطنية (H-4) والسجلات، وحفلات الموسيقى الفردية، إضافة إلى فرق المدرسة الرياضية، مثل: السباحة، والجري، جميعها طرقاً لتعليم المفهوم الضمني القائل: إن كلا من الربح والخسارة طبيعيتان وصحيتان.

يسبب كثير من المنافسة مشكلات للأطفال في المنزل، ولاسيما عندما تكون أدوار الربح والخاسر ثابتة ضمن العائلة، ويقاسي الأصدقاء ضغطاً إن شعر الربح بأنه مجبر على الحفاظ على المركز الأول، وشعر الخاسر بأنه لا يمتلك فرصة لتغيير النتيجة.

تساعد هيكله الألعاب - بحيث لا تكون النتيجة مضمونة - الأطفال على التعبير عن تنافس الأصدقاء بأساليب مقبولة ومرحة، وتفيد في تبديد مشاعرهم السلبية تجاه المنافسة، ويريح الصخب والفكاهة، المرافقتان للعبة، من التوتر، ويشجع الجميع على بذل أقصى ما يستطيعون من أجل الفوز. إضافة إلى ذلك فإنه يعطي الأطفال الاعتماديين فرصة المخاطرة واللعب. وعلى أي حال، إن أصبحت اللعبة جدية أكثر من الحدّ اللازم، فتشجّع عندها فقط الضغط التنافسي الموجود، حيث ستشجع الطفل الذي يكون متأكداً من الخسارة بالمحاولة.

لأن الأطفال الاعتماديين تعلموا تجنب المنافسة؛ بسبب خوفهم من الفشل، فيمكنك تشجيع إقدامهم على المخاطرة، ومساعدتهم على بناء ثقتهم بأنفسهم، من خلال تهيئة بيئة آمنة يتمكنون فيها من التنافس مع أفراد العائلة عبر المنافسة الذاتية، وتشجيع منافسة الفرق وبصورة تدريجية، بإضافة أشكال سرية من المنافسة الفردية. يتضمّن الشكل (3.11) السلوكات الواجب تجنبها بصورة تامة مع الأطفال الاعتماديين.

- لا تدعهم يفوزون ببساطة.
- لا تشعر بالأسى تجاههم، أو تبالغ في ردة الفعل عندما يخسرون.
- لا توجه انتباهاً كبيراً لخوفهم من المحاولة.
- لا تدع تجنبهم للمنافسة يحول دون مرح بقية العائلة.

### الشكل (3.11): ما يجب تجنبه مع الأطفال الاعتماديين الذين يتجنبون المنافسة

#### تعليم المهارات الاجتماعية

إنّ تعليم مهارات اجتماعية فاعلة أمر مفيد للتحصيل، فقلّمًا تعاني الفتيات الاعتماديات الصغيرات مشكلات في المهارات الاجتماعية، فهناك كثير من الفتيات الصغيرات الأخريات اللواتي سيسعدن بالهيمنة عليهن. وعلى الرغم من شعورهن بالمضايقة أحياناً، فإن هؤلاء الفتيات الصغيرات عادة ما يتفاخرن بوجود كثير من الأصدقاء، إن لم يعترضن على تحكم الآخرين، وبينما يقتربن من سن ما قبل المراهقة ثم المراهقة، فمن الممكن أن يشعرن بارتياح أقل لدورهن الاعتمادي، ومن المحتمل أن يبحن بتذمراتهن للأمهات أو المعلمات. لذلك فإنّ تعليمهن الحزم المعقول، سيحميهن من الشعور بأنهن رهينات لصديقاتهن المهيمنات ومن الأفضل لهن أن يتعلمن إخبار صديقاتهن بأنهن يفضلن عدم الذهاب إلى مكان ما، عوضاً عن تعلمهن اصطناع الأعذار<sup>4</sup>، وعادة ما يكون الخيار الأول هو الأصعب في البداية، فإن الأعذار تدرهن على الكذب والتجنب فقط.

فإن كان أولادك أو بناتك الاعتماديون يجدون صعوبة في قول: (أفضل البقاء في المنزل وعدم الذهاب إلى الحفلة)، أو (أفضل الذهاب مع عائلتي)، فأعطهم بعض تجارب تأدية الأدوار قبل أن يجربوا حزمهم مع أصدقائهم.

حوارات الرياضة مهمّة جدّاً للمهارات الاجتماعية بين الأولاد. فإن استرقت السمع لهم فستلاحظ أنّ معظم حوارات الذكور الراشدين تبدأ بنتيجة المباراة الأخيرة، حيث إنّ الأولاد الذين لا يستمعون إلى الأخبار الرياضية في المذيع، أو يشاهدونها على التلفاز، يختبرون بعض الفجوات الحقيقية في تفاعلاتهم الاجتماعية. بإمكانك الاستمرار في تشجيع ولدك على تجاهل ما تعتقد أنه أمراً غير مهم، فكل ما يحتاج إليه الأمر تعديل طفيف على جدولك، بحيث تقضي

أنت وابنك بضع دقائق في مشاهدة أخبار الرياضة في التلفاز، أو في تصفح قسم الرياضة في الصحيفة أو الإنترنت. من الممكن لهذا التعديل البسيط أن يؤدي إلى اختلافات رئيسة في قدرة ابنك على المشاركة في محادثات عفوية مع الآخرين، حيث يتطلب الأمر بضع ملحوظات مفتاحية لتوفير المصطلحات الرياضية، التي ستسد الفجوات الاجتماعية عند الأَوْلاد، فلا يحتاجون إلى الانغماس في أخبار الرياضة، ولا حتى للعب، حيث إنّ معرفة بعض من اللغة الرياضية يزيد فقط من ثقة الذكر الاجتماعية.

إن كان لأطفالك عدد محدود من الأصدقاء، فمن الأفضل عدم الابتئاس لوحدتهم؛ إذ إنّ من شأن تشجيع اهتماماتهم توفير شيء ما للحديث عنه مع الأطفال الذين يشاركونهم في الاهتمامات نفسها؛ فالحواشيب، والشطرنج، والقراءة، والحيوانات الأليفة، وركوب الخيل والموسيقا، وتجميع نماذج السيارات، وجمع العملات، ووجع الطوابع، جميعها حقول اهتمامات تسهم في المشاركة الاجتماعية، دون أن تُشعر الأطفال بالضغط تجاه أصدقائهم.

### تشجيع الأنشطة باهتمام ذاتي

تساعد نمذجة أنشطة ذاتية الإمتاع على تعزيز دافعية الأطفال الاعتماديين؛ لقد تعلم هؤلاء الأطفال الهروب إلى الأنشطة غير التفاعلية وغير التنافسية، مثل: القراءة، ومشاهدة التلفاز وتصفح الإنترنت، ولعب ألعاب الحاسوب؛ بسبب خوفهم من المنافسة في الغالب. وعلى الرغم من أنّ الأطفال قد يتعلمون كثيراً من هذه الأنشطة، فإنها لا تشجع الاستثمار الشخصي في الذات. وعوضاً عن ذلك، شارك أو طوّر اهتمامات، أو هوايات مُرضية، ومفعمة بالحيوية، سواء كانت التنزه، أو ركوب الدراجات الهوائية، أو الفنون أو التعمير؛ فهذه الأنشطة تبني الثقة. ومع عدم وجود غاية تنافسية، فإن نمذجة ممارسات مفعمة بالحيوية، قد تحقق الخطوات الأولى في تحسين مفاهيم الأطفال الذاتية واستقلاليتهم.

من الواضح أنّ الاهتمامات الذاتية، التي توفر الرضا الشخصي مع المنافسة، مهمة خلال الحياة، ولكنها تؤدي دوراً اجتماعياً عند الأطفال الاعتماديين، حيث إنّ هناك مجازفة صغيرة فيها، غير أنّها تتضمن المكاسب المحتملة مثل زيادة النشاط، والتخطيط، وتوجيه الأهداف إضافة إلى فرص مشاركة الاهتمامات مع الأقران والراشدين.

وتوفر هذه الأنشطة أسساً لتطوير الصداقات للطفل الذي يفضل البقاء وحيداً؛ ف (سام) المريض، هنالك احتمال توجيه انتباهه نحو أنشطة منتجة بدلاً من مرضه، وستحظى لؤلؤة متوخية الكمال بفرصة العمل دون ضغط الامتياز، وسيجد (باول) السلبي، (ودونا) المكتئبة، أنّ مثل هذه الأنشطة تحفز الثقة بالنفس والتحكم الذاتي؛ إذ إنّ النباتات، والحيوانات، والعلوم والطوابع، والدمى، وجمع العملات، أمثلة قليلة من قائمة طويلة لأنشطة غير تنافسية، ولكنها ستوسع من اهتمامات الأطفال.

يمكنك تحفيز اهتمام أطفالك بهدية صغيرة، ويمكن للانغماس في نشاط واحد أن يجذب الأطفال إلى اثنين أو ثلاثة أخرى، وقد يتمكن الأطفال بتنامي الثقة من توسيع فضولهم بسرعة والانخراط في أكثر مما توقعات. وإن عانيت مشكلات كيف يبدأ الأطفال، فأشركهم في أنشطتك الشخصية، ونمذج الحماس والدافعية التي من الممكن أن تنمو من المشاركة غير التنافسية.

جعل الأطفال يهتمون بأمر ما، لا يعني أنه يجب عليهم أن يصبحوا شغوفين به. لذا، فإنّ مخاوف الوالدين حيال جعل أطفالهم شغوفين بالأنشطة، غالباً ما تدفعهم إلى الانسحاب من الأنشطة، إلا إذا كان أداءهم ممتازاً، وضح أنّ الانخراط في النشاط بهدف الشغف به، يتطلب وقتاً، وينبثق في العادة عندما يصبح الأطفال ماهرين ومتمكنين من النشاط، ولا يحدث أحياناً إلا عندما يصبحون راشدين ومنغمسين في عملهم، ويتعيّن في البداية أن يكون الإبداع والمتعة كافيين لتشجيع المشاركة.

### تهدئة توخي الكمال

من الممكن أن يعبر السعي وراء الكمال في مجال الخبرة عن تطور أو تميّز صحيين للموهبة أمّا عندما يصبح توخي الكمال متغلباً وقهرياً، فعندها يكون الأمر قد تعدى التميز؛ إذ إنّ لا يدع مجالاً للخطأ، إضافة إلى أنّه لا يحقق إلا قليلاً من الرضا، وكثيراً من انتقاد الذات؛ لأنّ النتائج لا تبدو أبداً جيدة بما فيه الكفاية للتفاعل. وعليه، فإنّ توخي الكمال غير ممكن للأطفال الذين يطبقون مقاييس غير ممكنة التحقيق على كثير من الأنشطة بصورة متكررة.<sup>5</sup>

لا يشعر الأطفال متوخو الكمال برضا كافٍ عن أنفسهم، إلا إذا كانوا (الأفضل). إضافة إلى أنّهم يتجنبون المخاطرة، عندما يخافون من ألا تكون النتيجة كاملة، فقد يسوّفون أو يشعرون بالقلق والخوف، عندما يؤمنون بأنهم لا يستطيعون تحقيق تطلعاتهم العالية، وقد يصابون بأوجاع

في المعدة، أو صداع، أو اكتئاب، عندما يقلقون من ارتكاب الأخطاء، أو أن تكون نتائجهم أكثر سوءاً من توقعاتهم الكاملة.

أحياناً، يتجنبون تحقيق أكثر الأعمال بدائية، ويصطنعون الأعذار، ويلومون الآخرين على مشكلاتهم، وقد يصبحون جريئين ومتمردين؛ ليخفوا مخاوفهم من الفشل.

قد يكون بعضهم الأطفال متوخيي الكمال على وجه التحديد، أو بصورة جزئية، على سبيل المثال: بعضهم يتوخي الكمال في درجاته وقدراته الفكرية، وآخرون ينشدون الكمال في لباسهم ومظهرهم، وآخرون في قدراتهم الرياضية، أو مواهبهم الموسيقية أو الفنية، وآخرون في تنظيم غرفهم ونظافتها، ويتوخي بعض الأطفال الكمال في مجالين أو ثلاثة، على الرغم من أن بعض المجالات لا تسبب لهم الضغط أو المضايقة بتاتاً، ويكون الأطفال الذين يوجهون توخي الكمال في الدرجات والعمل المدرسي، في خطر أن يصبحوا متدنيي تحصيل.

من الممكن أن يتولد الضغط الذي يشعر به الأطفال ليكونوا كاملين، من المديح المتطرف الذي يسمعونه من الراشدين في بيئتهم، وقد يأتي الضغط كذلك من مشاهدة آبائهم يمدحون سمات متوخية للكمال، أو ينبع ببساطة من خبراتهم الشخصية الناجحة باستمرار، التي يشعرون بأنهم ملزمون بالعيش وفقاً لها، ويلقي الأطفال الموهوبون باللائمة على المنهاج البسيط؛ لعدم توفيره فرصة للخطأ أو الجهد؛ ما يترتب عليه إدامة توخي الكمال.

في دراسة (شاهد جاين تريج): لدراسة طفولة أكثر من (ألف) فتاة أصبحن سيدات ناجحات<sup>7</sup>، وجد الباحثون أن (30%) من النساء نظرن إلى أنفسهن على أنهن كن متوخيات للكمال في المدرسة الثانوية، وعدّ الجزء الأكبر منهن أن توخيهن للكمال أمر إيجابي، لكن الأمر لم يخلُ من بعض الاستثناءات. على سبيل المثال: انسحبت مقدمة البرامج التلفزيونية دونا درايفس من كثير من أنشطة الطفولة قبيل البدء بها، وكانت تخبر والديها بأن النشاط ممل، الأمر الذي قد يبدو مألوفاً للتربويين. اعترفت دونا أنها كانت تتسحب من النشاط إن لم تكن هي الأفضل فيه إضافة إلى أنها لم تحاول المشاركة في أنشطة، مثل الرياضة والرياضيات على الإطلاق؛ لأنها كانت تعدّ أختها الأفضل في هذين المجالين. ولحسن الحظ، كانت مميّزة في الخطابة، وحملت هذا التميّز معها إلى وظيفتها.

لقد أثر توخي دونا للكمال في عاداتها الغذائية؛ فعلى الرغم من أن مقاسها كان ثلاثة، فإنها كانت تقارن نفسها دائماً بفتاتين كُنَّ أكثر نحافة منها في الصف، وشعرت بأنها لن تكون جذابة إلا إذا كانت الأنحف. دونا ناجحة اليوم، ولكن مزالق لتوخي الكمال أوشكت على تغيير نجاحها بسهولة، ومنعها من الحصول على الدرجة التي حلمت بها دائماً.

قد يكون اكتشاف توخي الكمال صعباً؛ لأن الأطفال ممن لديهم ميول صحيّة لتوخي الكمال معرضون لخطر النكوص نحو توخي الكمال غير الصحي، عندما يصبح المنهاج أكثر تحدياً، أو عند مواجهة منافسة أعظم. اقرأ قصة ريببكا:

أظهر تاريخ ريببكا المدرسي أنها كانت طالبة (أ) ممتازة طوال مدة دراستها في المدرسة الابتدائية. حصلت في المدرسة المتوسطة على بضع درجات (ب)، ولكنها أكملت عامها الأول في المدرسة الثانوية بمعدل (3.7). وفي عامها الثاني، تراجع تحصيلها على الرغم من تقديمها بعض المهام أحياناً؛ فانخفض معدلها كثيراً. وبحلول الفصل الثاني من عامها الدراسي الأخير، تراجع مؤشر معدلها التراكمي النقطي إلى (0.3)، وقد تغيرت مجموعة أقران ريببكا من طلاب كان جميعهم يخططون للالتحاق بالجامعة، إلى أخرى طلابها لن يفعلوا ذلك أبداً.

سبب توخي ريببكا للكمال في المنزل المشكلات على مدار أعوام عدّة، فقد كانت في البداية تُعدّ ملكة العائلة بصفتها الطفل الأول، والحفيد الأول، وابنة الأخ الأولى، فإنها لم تكن سعيدة بمجيء إخوتها الثلاثة، الذين فرضت سطوتها عليهم دون رحمة، فكانت نوبات الغضب متكررة عندما لا تسير الخطط بالصورة التي أرادت لها، وقد مكنتها هذه الهيجانات من التحكم في المنزل بفاعلية، تتلاعب بوالدها ضد أمها فتناقست معها، وألقى أبوها باللوم على أمها؛ لأنّها مسيطرة بصورة زائدة عن اللازم، في الوقت الذي شعرت فيه أمها بالعجز التام.

وفي أثناء زيارتها لعيادة الإنجاز العائلي، كانت ريببكا شديدة الغضب وصدامية، اعترفت بإهمالها العمل المدرسي. عندما لم تتمكن من الحصول على درجات (أ) في عامها الثاني من المدرسة الثانوية، أخبرتها المعالج أنّ هدفها الوحيد كان أن تصبح شخصاً جيداً، كانت غاضبة على والديها، وإخوتها، ومعلميها كذلك، وعندما سئلت عما كانت ستتمناه لو أنّ معالجها

جنيّة ساحرة، وأعطتها ثلاث أمنيات، فأجابت أنّ أمنيتها الأولى: (أن تتمكن من التحكم في الناس كافة)، والثانية: (مليون دولار)، والثالثة: (حياة مهنية مضمونة النجاح).

في الوقت الذي كان فيه توخي ربييكا للكمال جلياً في أثناء المقابلة، حُفّزت على رفع درجاتها من أجل القبول في الجامعة، وقد أفادت عودتها إلى جماعة الأقران الأكثر إيجابية السابقة وكذلك ساعد توحيد والديها على إحداث فرق، لم يكن بإمكان أيّ معلم أن يتوقع مشكلة توخي ربييكا للكمال عندما كانت في المدرسة الابتدائية، وهي الآن في الجامعة، والوقت وحده هو القادر على إخبارنا أكانت قادرة على التعايش مع توخيها للكمال أم لا؟

فيما يأتي بعض الاقتراحات لأساليب يمكن للآباء والمعلمين أن يساعدوا متوخيي الكمال من خلالها:

- ساعد الأطفال على فهم أنّ بإمكانهم الشعور بالرضا، عندما يؤديون أفضل ما لديهم (ليس بالضرورة الأفضل على الإطلاق)، وتبوح عبارات المديح المعتدلة بقيم من الممكن أن يحصلها الأطفال، على سبيل المثال: (ممتاز) أفضل من (كامل)، و (أنت مفكر جيد) أفضل من (أنت عبقرى)، وكذلك تجنب عبارات المقارنة؛ (أنت الأفضل) تجعل الأطفال يظنون أنه يجب عليهم أن يكونوا الأفضل.
- اشرح للأطفال أنّه من الممكن ألا يتعلموا، إن كان عملهم المدرسي كله كاملاً، وساعدهم على فهم أنّ الأخطاء جزء من التحدي.
- علّم التقويم الذاتي الملائم، وشجّع الأطفال على تقبل النقد من الراشدين والطلاب الآخرين؛ لكي يتمكنوا من التعلم منهم.
- اقرأ مع أطفالك السير الذاتية التي توضح كيف تجاوز الأشخاص الناجحون الإخفاقات وتعلموا منها، شدّد على خبرات الرفض والفشل التي مروا بها إضافة إلى نجاحاتهم وساعد الأطفال على التماثل مع مشاعر هؤلاء الأشخاص المرموقين، التي شعروا بها عندما اختبروا الرفض. من المفيد مناقشة قصص من كتاب كيف ربحت جاين<sup>8</sup>.
- شارك الدروس التي تعلمتها من أخطائك.
- الفكاهة والممازحة الرقيقة تفيد متوخيي الكمال، لا تبالغ في حمايتهم، وساعد الأطفال على الضحك على أخطائهم الذاتية.

- علم الأطفال التعاطف، وكيف أنّ التبجح يؤثر فيهم، ساعدهم على وضع أنفسهم في أماكن الآخرين، قل: افترض بأنك أخفقت في حفلة البيانو، وأنّ الرابحة أُخبرت بأنها قامت بأفضل أداء لها على الإطلاق. كيف ستشعر؟.
- بيّن للأطفال كيف يهتئون الآخريين على نجاحاتهم، فهم سيشعرون بأنهم يتعاشون بصورة أفضل عندما يباركون للآخرين.
- علم الأطفال العادات اليومية والتنظيم، ولكن ساعدهم على فهم أنّ عاداتهم يجب ألا تكون متصلبة كثيراً، إلى الدرجة التي لا يستطيعون معها تغييرها، واكسر الاعتياد عن قصد؛ حتى لا يكون أطفالك عبداً له. على سبيل المثال: إن كانوا يرتّبون أسرّتهم بصورة يومية، فاسمح لهم بتخطي هذا العمل في يوم تكونون فيه على عجلة من أمركم، وإن كنت تقرأ لهم في المساء، وكان الوقت متأخراً، فالزمهم بالخلود إلى النوم دون قراءة.
- اشرح لأطفالك أنّ هناك أكثر من طريقة واحدة صحيحة لعمل أيّ شيء تقريباً.
- إن كان أطفالك متدنيي التحصيل، ويتجنبون بذل الجهد؛ لأنهم يخافون من عدم تحصيل الكمال، فساعدهم على زيادة جهودهم بصورة تدريجية؛ وأرهم كيف يرتبط هذا بتقدمهم، وشدّد على أهميّة الجهد.
- إن كان أطفالك من ذوي التحصيل المرتفع، ولكنهم يباليون في الدراسة؛ خوفاً من عدم الحصول على درجة أ+، فساعدهم على الدراسة بصورة أقل بقليل تدريجياً؛ لكي تظهر لهم أنّ ذلك له أثر ضئيل في درجاتهم، وساعدهم على الشعور بالرضا من درجاتهم الممتازة المصحوبة بقدر معقول من الدراسة؛ حتى يتمكنوا من موازنة العمل مع المتعة.
- كن نموذج قدوة للتمييز الصحي، وافتخر بنوعية عملك، ولكن لا تُخفِ أخطاءك، أو تنتقد نفسك بصورة دائمة، هتئ نفسك على قيامك بعمل جيد، ودع أطفالك يعلمون أنّ إنجازاتك الشخصية تمنحك الرضا الذاتي، لا تبالغ في العمل، فأنت أيضاً في حاجة إلى الاستمتاع ببعض المرح والاسترخاء.
- إن كان توخي أطفالك للكمال يمنع الإنجاز، أو إن كان أطفالك يظهرون أعراض توتر وقلق مرتبطة بتوخي الكمال مثل: أوجاع المعدة، والرأس، أو اضطرابات في الأكل، فالجأ إلى مساعدة نفسية متخصصة لأطفالك ولعائلتك.

تكمن معضلة الآباء والمعلمين في موازنة مساعدة الأطفال على أن يكونوا ناجحين وجيدين دون التسبب في إنهاكهم بالأعراض الجانبية السلبية للضغط الزائد ليكونوا الأفضل، حيث إننا نريد أن يكبر الأطفال؛ ليعملوا بجد، ويفخروا بعملهم، ولكنهم كذلك في حاجة إلى الشعور بالرضا الذي استحقوقه بجدارتهم.

## تعليم الحكم المؤجل

غالباً ما يكون الأطفال الاعتماديون خائفين من المساهمة بأفكار إبداعية، وهم شديدي الانتقاد لذواتهم، ويخافون؛ لأنه يجب عليهم إنتاج أفكار صحيحة أو كاملة، وقيمون بصورة متكررة جداً إلى درجة أنهم لا يستطيعون التفكير بتاتاً في أي شيء تقريباً. لذا، من الصعب تشجيع بعض الأطفال الاعتماديين على التطوع بأي إجابات سوى إجابات سهلة ومقتضبة، في حين تندر مساهمة آخرين، على الرغم من أن مساهمتهم إبداعية إلى أبعد الحدود، حيث يُشوش تقييمهم الذاتي السلبي المستمر إنتاجهم للأفكار. ولهذا، سيعمل تعليم الأطفال تأجيل الحكم على أفكارهم، على تحسين حلهم الإبداعي للمشكلات، وقيامهم بالمخاطرة، وثقتهم بأنفسهم.

هناك كثير من الإستراتيجيات المحددة لتطوير التفكير الإبداعي<sup>9</sup>، حيث يكمن وراء تلك الإستراتيجيات كلها المفهوم الأساسي لتأجيل تقييم الأفكار، إلى أن يحظى الفرد أو المجموعة بفرصة توسيع خيالهم، وتجميع قائمة ممتدة من الأفكار، فعادة ما يكون الأشخاص مرتفعو الإبداع طليقي اللسان، ويعبرون عن كثير من الأفكار، على الرغم من أن جزءاً صغيراً من أفكارهم يكون أصيلاً أو عملياً. وسيُمكن تخفيف الضغط النوعية المتقدمة من الأطفال من إنتاج عدد أكبر من الأفكار، فإن منحهم الوقت الكافي لإنتاج الأفكار، وجعلهم على علم أن التفكير الإبداعي قد يكون سريعاً أو بطيئاً، من شأنه التخفيف من التوتر، إضافة إلى أنه يجب توفير بيئة آمنة لهم، تُقبل فيها الأفكار (السيئة) أو (الغبية).

يعني مفهوم الحكم المؤجل أنه خلال المدة الزمنية المخصصة لإنتاج الأفكار، لا يسمح لأي أحد، ولا حتى للأطفال أنفسهم، أن ينتقدوا الأفكار المنتجة سواء بالسلب أو الإيجاب.

يمكن تنفيذ إستراتيجية إنتاج الأفكار على أسس فردية أو جماعية، و(العصف الذهني) هو المصطلح الذي يطلق على الإنتاج الجماعي للأفكار الإبداعية. يتضمّن الشكل (4.11) أربع قواعد بسيطة تحكم هذه العملية.

1. يمنع الانتقاد، وهذا هو الحكم المؤجل، الذي يسهم في إيجاد بيئة إبداعية جوهرية للخياالات الطلاقة.
2. الانطلاق بحرية مرحب به، فكلما ازدادت الفكرة غرابة تكون أفضل، إذ يبدو أنّ الأفكار المنافسة للعقل، تقود أحياناً لحلول واسعة الخيال وفاعلة في الوقت نفسه.
3. الكمية مرغوب فيها، يعكس هذا المبدأ هدف الجلسة: إستمطار قائمة طويلة من الأفكار. وعليه، زيادة احتمالية إيجاد حلول جيدة للمشكلات.
4. المزج والتحسين مطلوبان، وهذا يزيد من طول قائمة الأفكار. وفي الواقع سيتمكن الطلاب خلال الجلسة وبصورة عفوية، من (السفر متطفلين) على أفكار بعضهم بعضاً، حيث تلهم فكرة ما الفكرة التي تليها.

المصدر: مقتبس من أوزبورن، أ. ف. (1993). الخيال التطبيقي. بوفالو، نيويورك: (سي إي إف) للطباعة والنشر.

#### الشكل (4.11): قواعد أساسية للعصف الذهني

العصف الذهني طريقة فاعلة جداً في تحفيز مجموعات من الأطفال؛ لتوليد أفكار لا يُحتمل التفكير فيها تحت وطأة ضغط التقويم، ومن الممكن تعليم الأطفال كيف يجدون أفكاراً للمشكلات بصورة فردية باستخدام نموذج شبيه. على سبيل المثال، افترض أنّ طفلك يحتاج إلى الخروج بفكرة مشروع لمعرض علمي، غالباً ما يأتي الأطفال الاعتماديون إلى آبائهم من أجل منحهم بعض الاقتراحات؛ لأن لديهم ثقة قليلة بقدراتهم على إنتاج مشروعات جيدة، حيث يستجيب الآباء في البداية بصورة نمطية باقتراح أن يفكر الطفل بوحدة من بنات أفكاره. ولكن، بعد دقائق عدّة (أو أيام أو أسابيع) من تلاعب الاعتماديين، سيجلس الآباء الذين لا يميّزون فخّ الاعتمادية مع أطفالهم، وسيقدمون اقتراحات لمشروعات محتملة، وقد يُراجعون مع بعضهم كتباً لأفكار فازت في السابق، إلى أن يوصي الآباء في النهاية بفكرة تُعجب الطفل، ومن الممكن أن يقاوم الطفل فعل أي شيء. وعليه، يدفع الوالدين إلى قضاء مزيد من الوقت لطمأنته بنية تقديمهم المساعدة.

على الرغم من شعور الطفل والوالد أنّ التعاون بينهما أمر جيد، فإن المشروع برمته عزّز اعتمادية الطفل، وأمدّه بـ (صوت عدم الثقة) من قبل والد يحافظ على خوف الطفل من ركوب المخاطر وعوّزه لإنتاج الأفكار، يجب أن تُستخدم طريقة الحكم المؤجل بوصفها بديلاً، فهي ستشجع الاستقلالية وإنتاج الأفكار. يتضمّن الشكل (5.11) نصّ تشجيع إنتاج الأفكار، ستحتاج

إلى التمرن على ممارسة الجزء المخصوص بك بوصفك والداً لبضع مرات فقط؛ حتى تشعر بالثقة وتشجع استقلالية طفلك.

الأم: إميليو، لقد أرسل معلمك لنا ملاحظة بوجوب تقديم الأفكار لمعرض العلوم بحلول يوم الجمعة القادم، ولم يتبقَّ إلا بضعة أيام فقط. هل خطت لمشروعك؟

إميليو: لا يا أمي، لا أظن أنني سأشارك هذا العام؛ لأنني لا أستطيع التفكير في أي فكرة جيدة، إلا... أمي، هل لديك أي اقتراحات؟

الأم: إميليو، لقد تعلمت طريقة جيدة للخروج بأفكار جيدة، وبعد أن أريك إياها، أنا متأكدة بأنك ستكون قادراً على تطوير خطتك الخاصة للمشروع.

إميليو: لا أعتقد ذلك، لست جيداً في الأفكار العلمية.

الأم: لا تحتاج إلى أن تكون جيداً في هذه الخطوة؛ فأني شخص قادر على فعلها. (تجلس مع إميليو، ويكتبان معاً خطوات الخطوة.)

1. اجمع كتب العلوم المدرسية وتلك الموجودة في المنزل، وخذها إلى غرفتك، ثم ضعها على مكتبك.
2. أحضر ورقة وقلماً.
3. تصفح الكتب، واستغرق قليلاً في أحلام يقظة في الأفكار التي تراها.
4. دوّن أي أفكار محتملة للمشروعات، من الممكن أن تكون سخيفة، أو صعبة، أو مستحيلة، أو تبدو وكأنها غيبية.
5. لا تنتقد أيّاً من أفكارك، استمر فقط في الكتابة.
6. يمكنك دمج بعض الأفكار بعضها مع بعض.
7. يمكنك استعارة بعض الأفكار من الكتب، أو الصور، أو الأطفال الآخرين.
8. تذكر، لا تنتقد أي فكرة.

9. إن نفذت منك أفكار الكتب، فانظر حولك في الغرفة؛ حيث يمكنك أن ترى المزيد، انظر من النافذة لتجد أفكاراً إضافية، من الممكن أن يكون أي شيء على قائمتك.
10. حاول كتابة (ثلاثين) فكرة في الأقل قبل أن تتوقف.
11. الآن، عد وانظر إلى القائمة.
12. احذف الأفكار التي لا تناسبك، وتبدو مستحيلة فعلاً.
13. اترك أربع أو خمس أفكار تبدو حسنة على قائمتك.
14. فكّر في خطط للحصول على هذه الأفكار الأربع أو الخمس.
15. اعرض خططك على والدك، ثم أحضرها لي، إذ يمكننا أن نعقد اجتماعاً مصغراً لنا جميعاً، ويمكننا سماع خططك ومساعدتك إن احتجت إلى بعض المساعدة، أنا واثقة من أنك ستكون قادراً على إيجاد الأفكار بهذه الطريقة؛ لأنني جربتها ونجحت معي حقاً.

### الشكل (5.11): نصّ لإيجاد أفكار لمشروع علمي

يبدأ الأطفال الذين تعلموا تقنيات إنتاج الأفكار بمزج هذه الطرق مع تفكيرهم العام ويطورون الثقة التي تبعد السلبية وتوخي الكمال، شجّع هذه التقنيات من خلال تعليمها ونمذجتها شخصياً، بدمجها في طرق حلّ المشكلات المخصصة بك.

### الواجبات المنزلية المستقلة

يؤسس الأطفال الاعتماديون بصورة نمطية طرقاً لتجنب القيام بالواجبات المنزلية بمفردهم، وأحياناً يتلاعبون بالآباء؛ ليجلسوا معهم على طاولة المطبخ أو غرفة الطعام، ويكتفى أحياناً بوجود أحد الوالدين في الغرفة نفسها ومناكدتهم؛ كي يجيبوا عن الأسئلة، وقد يطلب بعض الأطفال المساعدة بصورة متقطعة، في حين يتوقع آخرون من الوالدين أن يتناوبوا معهم على إجابة الأسئلة (أنت قم بهذا، وأنا سأقوم بالذي يليه)، ويتمكن بعض الأطفال شديدي الاعتمادية من إقناع آبائهم بعمل معظم واجباتهم (إن لم تساعدني في عملها الليلة، فأخاف أن أرسب). يُعلق الآباء بصورة متكررة، بأن أطفالهم لن يقوموا بالمطلوب منهم إلا إذا جلس الوالدان إلى جانبهم.

عادة، يبدأ نمط (ساعدوني) هذا بتوصية من المعلم؛ لأن الطفل يبدو في حاجة إلى قدر أكبر من مجرد المساعدة النمطية في المدرسة، هذه التهديدات ومخاوف الفشل تؤدي إلى استمرار الأطفال في هذه العادة، ما يمنعهم من بناء الثقة بالنفس، التي تأتي من العمل بصورة مستقلة. ولما كان هؤلاء الأطفال مدمنين جلب انتباه الآخرين؛ فيكون تحويل انتباهك من اعتمادية الطفل في أثناء قيامه بوظيفته المنزلية إلى الإنجاز الناجح لتلك الوظيفة ما يعدّ أمراً حيوياً.

يتعيّن على الآباء الذين يرغبون في تغيير هذا النمط (ويجب عليك ذلك، إن أردت تحويل طفلك إلى محصل)، التخطيط للتخضير لصراع مبدئي، حيث سيؤدي الأطفال الذين اعتادوا المساعدة في إكمال واجباتهم المنزلية، بصورة مبدعة عشرات الأسباب التي تمنعهم من العمل من غير مساعدتك، أو سيعانون بصوت مرتفع؛ حتى تسمع تدمراتهم وتهذاتهم، وأحياناً أخرى، يستغرقون في أحلام اليقظة ولا ينتجون أي شيء؛ ليثبتوا وجهة نظرهم، ويبيّنوا أنّ قيامهم بمهامّاتهم وحدهم هو ماثرة مستحيلة.

يهيئ مكتب جديد، أو تنظيف سطح المكتب المغطى بالأوساخ، المسرح للاستقلالية الجديدة، إذ يجب أن يكون في غرفة منفصلة بعيداً عن حركة العائلة. إضافة إلى أنّه يجب ألا يقاطع انسياب الواجبات المنزلية أي والد أو شقيق، لا جرم أن أجهزة المذياع، والتلفاز، ومكبرات الصوت، محرمة في المرحلة الأولى لتأسيس الاستقلالية، أمّا المراهقون الذين يصرّون على أنهم لا يستطيعون العمل دون موسيقا، فيمكنك الإشارة إلى أنهم برهنوا أنهم ليسوا فاعلين كثيراً مع وجودها. ومن الممكن أيضاً تذكيرهم بأنّ المعلمين لن يوفّروا لهم الموسيقا خلال الحصص الصّفيّة لتحسين أدائهم، ولن يفعل أساتذة الجامعة ذلك خلال وقت الاختبار أبداً. بإمكانك طمأننتهم أنّهم يستطيعون وضع موسيقا هادئة لمدة تجريبية، بمجرد تحسّن دراستهم وواجباتهم المنزلية. كن حازماً وإيجابياً في الوقت نفسه. في البداية، هم أكثر احتمالاً وقدرة على التركيز بصورة أفضل دون موسيقا، على الرغم من أنّ لدى الأطفال الذين يُعدّون دارسين جيدين الحق في بعض الاختيار فيما يتعلق ببيئاتهم الدراسية؛ لأنّهم استحقوا بجدارتهم، ولكن الأطفال الاعتماديين لم يُثبتوا أنفسهم بعد.

ومن الأمور الضرورية في البداية: يتعيّن عليك أن تكون حازماً تماماً؛ من أجل تشجيع الاستقلالية، وتكون العملية ممتعة، وتحوّل الانتباه من المساعدة إلى إكمال المهمة بصورة منفردة. في العادة، تكون أفضل مكافأة للأطفال الاعتماديين كلهم الانتباه الشخصي المباشر

واحد-إلى-واحد، جرّب بعد ذلك لعب الشطرنج، أو الداما، أو قضاء بعض الوقت معهم في صنع نماذج الطائرات، وكذلك فإنّ مشاركة وجبة خفيفة-قطع الموز أو البوظة أو الفشار-ممتازة أيضاً. (العائلات القلقة من زيادة السرعات الحرارية، فتُعدّل إلى مأكولات أقلّ سرعات حرارية).

يجب في البداية وضع إطار زمني محدد للدراسة، على الرغم من إمكان عمل بعض الاستثناءات لاجتماعات الكشفية، أو الرياضة، أو دروس الموسيقى في بعض الأيام، حيث يعدّ توفير أوقات دراسة منتظمة وأماكنها أسس العادات الدراسية الجيدة، وينقل المسؤولية من الوالدين إلى الأطفال.

فيما يأتي خطوط إرشادية عامة لوقت دراسة يومية:

الصفان؛ الأول والثاني ..... خمس عشرة دقيقة

الصفان؛ الثالث والرابع ..... ثلاثون دقيقة

الصفان؛ الخامس والسادس ..... خمس وأربعون دقيقة

الصفان؛ السابع والثامن ..... ساعة إلى ساعة ونصف

الصفوف؛ من التاسع إلى الثاني عشر ..... ساعة ونصف إلى ثلاث ساعات

هذه هي الحدود الدنيا للأوقات، وبإمكانك تعديلها لأطفالك، إضافة إلى أنّها ستتفاوت بصورة أو بأخرى، مع متطلبات المدرسة وقدرة الطفل، ويتعيّن زيادة الوقت إن لم تُكمل المهمّات ويمكن تقليصها إن كان تحصيل الطفل جيداً جداً، وعندما تُعكس متلازمة تدني التحصيل، فيمكن أن يضع الأطفال الأوقات المناسبة لهم. اشرح لهم أنك تتطلع بشوق لإعطائهم تلك الاستقلالية.

إنّ جدولة وقت الواجبات المنزلية قبل الوجبات المسائية يتناسب بصورة جيدة مع كثير من العائلات؛ لأنّ من شأن ذلك تخصيص وقت المساء لمرح العائلة، أو مشاهدة التلفاز، فإن هذا الوقت لا يتناسب مع كثير من العائلات الأخرى، حيث لا يمكن مراقبة هذا الوقت؛ لأنّ الوالدين يكونان في العمل. في هذه الحالة، تكون جدولة وقت الواجبات المنزلية مباشرة بعد وجبة العشاء أمراً معقولاً.

تجنب جدولة الدراسة قبل وقت النوم بقليل إن أمكن الأمر، فالأطفال لا يحبون الخلود إلى النوم. لذا، سيقضون مدداً طويلة من الوقت في القيام بواجباتهم المنزلية شاردية الذهن بوصفها وسيلة لإطالة الوقت قبل النوم. ولهذا، فإن إعطاءهم شيئاً يرغبون في الحصول عليه بعد الواجبات المنزلية مفيد جداً. ولإبعاد الأطفال عن الاعتمادية أو المناكدة، جرب مكافأتهم بأشياء إضافية لبدء الدراسة، وجرب كذلك ضبط المؤقت لإعطاء إشارة بدء الدراسة، حقاً سيكون على الوالدين استخدام انضباط ذاتي عالٍ؛ للابتعاد عن عادات تذكير أطفالهما، ويمكنك تأسيس المبادرة من جانب الطفل في البداية من خلال إبرام عقد مشترك. سأشرح العقود في وقت لاحق في هذا الجزء.

ما الذي ستفعله إن كنت قلقاً من نوعية عمل طفلك؟ ربما ستحتاج إلى استعراض الواجبات المنزلية لكل موضوع في البداية، وعليك بعد أن تنتهي من استعراضها في كل مساء، أن توضح بكلمات مختصرة، أقام الطفل بجهد معقول أم لا؟ وإذا كان إنجاز المهمة ليس كما ينبغي فأعد الطفل إلى مكتبه من جديد للقيام بالمهمة بعناية. لا تُصحح كل مثال فيها، ولا تفقد رباطة جأشك وتوبخهم، فيجب أن تكون بضع عبارات مباشرة، وإصرار على النوعية، كافية لإعلام أطفالك بأنك تتوقع نوعية جيدة، ومن العبارات النموذجية في هذا المجال الآتي: (هذا العمل ليس بالجودة التي يمكنك القيام به، وعائلتنا تفخر بعملها، عد إلى غرفتك وقم به من جديد، وعندما تنتهي منه سأكون في انتظارك للعمل على النموذج معك).

ماذا يحدث إذا قال أطفالك: إنهم لا يفهمون العمل، ولم تكن متأكداً أكان هذا قصوراً صادقاً في الفهم أم تحايلاً؟ اطلب إلى أطفالك محاولة فهم العمل بمفردهم، في الأقل ثلاث مرات قبل طلب المساعدة، وإن لم يتمكنوا من القيام به، فيمكنهم بعد ذلك طلب المساعدة منك. وضح المفهوم ببطء، واسمح لهم القيام بمثال أو اثنين أمامك، ثم أصر على عودتهم إلى المكان المخصص لدراساتهم لإكمال ما تبقى. ستساعد كلمة مديح لأطفالك تقولها لزوجتك/ زوجك على مسمع منهم (الحديث المرجعي) على إحساسهم بالفخر لاستقلاليتهم.

من الشخص الذي يجب أن يكون المراقب الرئيس للوظائف المنزلية؟ بالنسبة إلى البنات قد تكون الأمهات أو الآباء، أمّا الأولاد، فيجب أن يكون الآباء إذا كان ذلك ممكناً، فعادة ما تكون الأمهات والمعلمات هن المتواصلات الرئيسات للمهام التعليمية، وقد يبدو التعلم (عمل النساء) من وجهة نظر الأولاد، حيث تتردد الأمهات الوجدانيات في العادة في تسليم أزواجهن مسؤولية إعطاء أطفالهن رسائل مهمة عن التعلم، وبالأخص إن لم يبد الأب أو زوج الأم أي اهتمام، ولكنني

أكرر مرة أخرى: يكون الآباء المهتمون والمتابرون والإيجابيون، شديدي الفاعلية في إيصال رسائل العمل المدرسي الجادة للأولاد الاعتماديين، وعلى الرغم من أن الآباء، في الغالب أسهل إرضاءً فيما يتعلق بالعمل المدرسي، فإن الأولاد يتقبلون مسؤولية التعامل مع الواجبات المنزلية وتحديه باستقلالية، وذلك إن جاءت رسائل الواجبات المنزلية من ذكر، أمّا في المنازل التي لا يتوافر فيها الآباء في كل ليلة، فيجب على الأمهات القيام بعملية الإشراف، فإن ذلك يواجه عائقاً واحداً، يكمن في أنهم لسن نموذجاً من الجنس نفسه، ولكنهن يستطعن أن يكن فاعلات إن اتبعن الخطوط الإرشادية في هذا الفصل.

تعدّ الخطة الدراسية أكثر الأمور أهميّة في تغيير عادات أطفالك الدراسية. يتضمّن الشكل (6.11) حواراً، بإمكانك القيام به مع أطفالك لبدء خطة دراسية.

الأب: فينسينت، لقد تحدثت إلى معلمك، وأكد لي أنك تتمتع بقدرات جيدة. والآن، وبعد أن علمت ذلك، أريدك أن تتعاد القيام بأعمالك المدرسية بمفردك.

فينسينت: أبي، إنني أحتاج إلى مساعدة والدتي، ألا يمكنها مساعدتي قليلاً؟ (بضع قطرات من الدموع) فلا أستطيع القيام بها من دونها.

الأب: لا، لن يساعدك أيّ منا؛ لأننا نريدك أن تثبت لنفسك أنك قادر على فعلها حقاً، ولكننا نملك بعض الأفكار التي ستجعل من هذا أمراً ممتعاً.

فينسينت: (حزيناً، مستمتعاً)

الأب: سنبدأ بنقل مكتب جدك القديم إلى غرفتك؛ حتى تكون لك مساحة مناسبة تدرس بها.

فينسينت: (ابتسامة اهتمام باهتة)

الأب: بعدها سنخصص وقتاً للدراسة، اقترح معلمك أن ساعة واحدة في اليوم ستكون كافية لطالب في الصف السادس، لذلك سنبدأ بساعة واحدة، وسيكون هذا فقط لخمسة أيام؛ وسيخصص لك يومان دون وظائف منزلية (أمّا الجمعة والسبت أو السبت والأحد)، وإن بدا عملك جيداً جداً، ولم تكن في حاجة إلى القدر من الوقت، حيث يمكنك اختصاره. ولكن، إن لم تنه واجباتك في ساعة واحدة، فسيتمّ عليك العمل مدة أطول؛ ستدرس في غرفتك قبل مشاهدة التلفاز، أو لعب ألعاب الفيديو، ودون مسجل صوت ولا مذياع.

فينسينت: أبي، حقاً لن ينجح هذا، فيجب أن أشاهد أفلام الكرتون عندما أعود إلى البيت؛ حتى أسترخي وأرتاح بعد المدرسة.

الأب: يا بني، يمكن إرجاء مشاهدة التلفاز، أنا أحب مشاهدة التلفاز لأسترخي كذلك، ولكنني عندما أجلس أمامه، فيصبح من الصعب علي العودة إلى العمل. لذا، أنتظر حتى انتهائي من عملي كي أشاهد التلفاز، ويجب عليك عمل الشيء نفسه، ولا أمانع إن تناولت وجبة خفيفة أو جلست قليلاً، ولكن بحلول الساعة الرابعة والربع أتوقع منك أن تكون في غرفتك، ولن تشاهد التلفاز بتاتاً، إلا بعد أن أتفحص عملك\*، وبهذه الصورة ستنتهي من دراستك اليومية قبل وجبة العشاء، وسنلعب قليلاً من كرة السلة بعد العشاء، ونشاهد التلفاز في المساء.

فينسينت: أنا أعلم أنّ هذا لن ينجح، وأعتقد أنه يجب أن أشاهد التلفاز مدة نصف ساعة قبل حلّ الواجبات المنزلية.

الأب: فينسننت، جزء من هذه الخطة الجديدة للوظائف المنزلية، أنك ستحصل على بعض الأشياء الممتعة لقيامك بواجباتك المنزلية بمفردك، وهذا لا يعني أنني أنا وأمك سندفع لك كي تقوم بها، ولكننا فكرنا في مساعدتك على تحويل الأمر إلى لعبة. لذا، عليك الآن التفكير في شيء ترغب في التوفير من أجله.

فينسينت: (ابتسامة عريضة) أبي، يبدو هذا رائعاً، ما الأشياء التي يمكنني التوفير من أجلها؟ وكيف أحصل على الثمن؟

\* لمعلومات عن أقفال مقابس الكهرباء (plug locks) ولشراؤها عن طريق الإنترنت زوروا:  
www.familysafemedia.com/powerstop\_\_power\_\_plug\_\_lock.html.

### الشكل (6.11): خطة دراسية لتشجيع الواجبات المنزلية الاستقلالية

وعندما يقرر الآباء والأطفال معاً خطة الدراسة وجدول التقوية، فمن الأفضل أن يكتبوا اتفاقاً أو عقداً يوافق عليه الجميع. ويتعين على الأطفال والآباء وحتى المعلمين، توقيع العقد، وأن يوضع العقد في مكان ظاهر؛ ليذكر الأطفال والآباء بالتزاماتهم. احتفظ بنسخة ثانية

في مكان منفصل في حال اختفت الأولى. مثال على مثل هذه العقود موجود في الشكل (7.11).

يوافق فينسينت، وأمه، وأبوه، والسيدة نوربيرت، على أن يقضي فينسينت في الأقل ساعة واحدة يومياً، مدة خمسة أيام في الأسبوع، في الدراسة والقيام بالواجبات المنزلية بمفرده على مكتبه في غرفته، وسيقوم بذلك قبل مشاهدة التلفاز، ولن يكون هناك جهاز مذياع، أو مسجل صوت، أو تلفاز، خلال وقت الدراسة. وبعد أن يكتمل عمله، سيقوم والده بمراجعة الأعمال، والمهمّات، والمواد المنجزة. وفي نهاية الأسبوع، وبعد إنجاز العمل كله المطلوب في الصف، وتسليم الواجبات المنزلية جميعها في وقتها، سيحصل فينسينت على عشر نقاط، حيث إنّ كل نقطة تساوي دولاراً واحداً، يمكن توفيرها من أجل شراء دراجة هوائية جبلية، ومن الممكن أن يحصل فينسينت على نقاط إضافية أيضاً عند قيامه بمشروعات خاصة. لن يذكره أمه وأبوه بالدراسة، وسيقوم هو بالمبادرة بصورة مستقلة، أما إذا لم يُنجز فينسينت عمله، فسيحضر كتبه جميعها إلى المنزل يوم الجمعة، ولن يُسمح له بأي أنشطة في عطلة نهاية الأسبوع، إلا بعد أن يكمل العمل المتراكم عليه.

فينسينت

الأب

الأم

السيدة نوربيرت

### الشكل (7.11): نموذج عقد خطة دراسية

ما المكافآت التي يتعيّن تقديمها مقابل الواجبات المنزلية المنجزة؟ يقوم الأطفال الصغار بعمل جيد مقابل الأنشطة اليومية، أو الأسبوعية، أو الجوائز الصغيرة بوصفها معززات، ويفضل المراهقون النقود أو الهدايا الأكبر بصورة خاصة. يتضمّن الشكل (8.11) نموذجاً لمخطط أنشطة يمكن نسخه وتعديله لاستخدامه في نظام المكافآت المخصوص بك؛ حيث إنّ السبب في منح هؤلاء الأطفال مكافآت، أنّهم لا يمتلكون الثقة، أو العادات الجيدة، للحصول على درجات متسقة بصورة مستمرة، وإن فعلوا، فستكون الدرجات هي مكافآتهم.

أسبوعي	اليوم							النشاط
	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	
المجموع								
16	4	2	4	4	2			وظائف الرياضيات
10	2	4						وظائف العلوم
11	5							الدراسات الاجتماعية (القراءة)
4					2			التهجئة (دراسة)
25		10			10	5		القراءة (نقاط إضافية)
8					8			كتابة إبداعية إضافية
7	1	1	1	1	1	1	1	إطعام الكلب
7	1	1	1	1	1	1	1	ترتيب السرير
88	المجموع							

الشكل (8.11): نموذج مخطط أنشطة

عدد النقاط	الواجبات المنزلية المُنجزة
1	قراءة قصة
1	قراءة صفحة من كتاب الأنشطة
1	ممارسة البطاقات التعليمية (flashcards)
1	عمل صفحة رياضيات أو كتابة واحدة
3	إكمال العمل المدرسي كله في المدرسة
<p>خصص الحد الأدنى من ثلاث نقاط للبطاقة اللاصقة اليومية أو كرت كرة قاعدة، بطاقة لاصقة إضافية أو كرت لكل ثلاث نقاط، يمكن إضافة النقاط الإضافية إلى مجموع اليوم الآتي</p>	

الشكل (9.11): نظام النقاط للأطفال الأصغر سناً خمس عشرة - ثلاثين دقيقة من الدراسة للأطفال في الصفوف من الأول إلى الرابع)

عدد النقاط	الواجبات المنزلية المُنجزة
1	كل صفحة قراءة
2	كل صفحة كتابة (بما يتضمّن كتب الأنشطة، والنسخ، والدراسات الاجتماعية، وأسئلة العلوم)
5	كل صفحة رياضيات
5	كل صفحة كتابة إبداعية
5	كل صفحة مدروسة (قُرئت وعلّمت)
25	نقاط إضافية أسبوعية لتنفيذ الواجبات المنزلية جميعها في وقتها

الشكل (10.11): نظام النقاط لجدول وظائف منزلية نمطي (ساعة دراسة واحدة للأطفال في الصفوف من الخامس إلى الثاني عشر)

**الحد الأدنى من النقاط اليومية**

يمكن احتساب الأيام التي استحق فيها الطفل عشرين نقطة فأكثر، ويمكن أن يكسب الأطفال الذين حصلوا على (ثلاثين - خمسين) يوماً، من إكمال المتطلبات الدنيا فيها بنجاح رحلة عائلية، أو لعبة كرة قاعدة مسائية مع الوالد، أو رحلة صيد، أو حفلة بيتزا، ومن الممكن أيضاً أن تكون هدية لعبة، أو دمية خاصة فاعلة كذلك. أما الأطفال الأصغر سناً، فقد يبدو هذا بعيد المدى بصورة كبيرة، ويتعيّن وضع أهداف أسبوعية، على سبيل المثال: خمسة أيام في الأسبوع مع عشرين نقطة لكل يوم، يمكن أن تكافأ بلعبة بولينج مع الأم، أو وجبة شهية خارج المنزل، أو قضاء ليلة مع أحد الأصدقاء في المنزل. تتناسب الجداول اليومية ذات الحد الأدنى بصورة جيدة مع الأطفال بطيئي العمل.

**النقاط التراكمية**

يمكن جمع النقاط من أجل أهداف قصيرة المدى أو طويلة؛ ففي البداية، لا تكون الأهداف بعيدة المدى فاعلة، ولكن في أثناء تجميع الأطفال للنقاط، عادة ما يكتسبون زخماً متصاعداً، ويعمل نظام النقاط التراكمية بصورة أفضل مع الأطفال في مرحلة ما بعد الصف الرابع، حيث يمكن أن توفر من أجل شراء الألعاب، وآلات التصوير، واستئجار أفلام الفيديو، والدراجات الهوائية، وألعاب الحاسوب. وعندما تُساوى النقاط بالنقود فقد تكون (عشر - عشرين) سنتاً للنقطة فاعلة، يُوضع سجل للمكاسب، وتجب المحافظة على جدول نقاط المكافآت حتى يُجمع ما يكفي لشراء مقابلها. بعض المراهقين يستمتعون بنظام النقاط لكسب النقود وصرفها، وإذا لم يمانع الوالدان في (الدفع) للأطفال مقابل الواجبات المنزلية، فإن الأمر يكون فاعلاً، ولا سيّما إن لم يكن لدى الأطفال أي مصدر آخر لكسب النقود، حيث يعمل النظام التراكمي بصورة جيدة على تحفيز الأطفال على القيام بأعمال إضافية.

**الشكل (11.11): مكافآت مقترحة لنظام النقاط**

عند اختيار قائمة للمكافآت يتعيّن عليك مراعاة ميزانيتك الخاصة، وكمية الممتلكات المادية، والامتيازات التي اعتادها طفلك، لا تحط الكثير، وإلا لن يبقى لك سوى القليل لتحفز طفلك به. أمّا الطفل الذي لديه كثير من الخبرات والممتلكات المادية، فسيكون إيجاد المُعزز المناسب أمراً صعباً أحياناً، حيث تتحصّ القاعدة الإرشادية على استخدام أقل ما يمكن من المكافآت؛ ما يكفي فقط لتكون فاعلة، إذ يجب أن يرى الأطفال المكافآت قيّمة، وتستحق العمل من أجلها، ويجب عليك أن تتظر إليها بأنها التزامات معقولة متناسقة مع ميزانيتك ونظام قيمك.

لا تعرض أو تقترح أي شيء لا تريد أن يحصل عليه أطفالك. الأشكال (9.11 و 10.11 و 11.11) تشرح نماذج لأنظمة مكافآت.

### الواجبات غير المكتملة في المدرسة أو المنزل

تتمثل الدرجات الأولى لتدني التحصيل عادة في العمل غير المكتمل في المدرسة، أو عدم تسليم الواجبات المطلوبة في وقتها، فغالباً لا يكمل الأطفال الاعتماديون عملهم في المدرسة لأن إحضار واجباتهم إلى المنزل يبدو أكثر بساطة بالنسبة إليهم، حيث يعلمون أنهم سيتلقون المساعدة والانتباه من والديهم، سيساعد التقرير الملائم الموجه من المعلمين إلى الآباء (انظر الشكل (4.9) الفصل التاسع) على تشجيع الأطفال في المرحلة الابتدائية على إكمال عملهم في المدرسة، وبخاصة إن عُرِّز هذا الأمر في المنزل من خلال نشاط مكافأة يومي. ربما سترغب في توفير اهتمام خاص، أو مفاجآت في الأيام التي ينجز فيها العمل.

لا تعدّ التقارير اليومية ملائمة لمعظم الأطفال بعد الصفين؛ الخامس أو السادس. وبحلول هذه المرحلة العمرية، يتحول العمل غير المنجز من العمل المدرسي إلى العمل المنزلي، حيث تكون المشكلة في عدم تسليم الطلاب لواجباتهم. وتعدّ النماذج الأسبوعية (انظر الشكلين (5.9) و (6.9) في الفصل التاسع) ملائمة للتواصل عند وجود كثير من الموضوعات والمعلمين، ولا يتعيّن الطلب إلى الأطفال تمرير هذا النموذج، ويمكن إرسال النموذج للمرشد التربوي أو للمسؤول عن الطفل؛ للتواصل مع الوالدين، حيث إنّ المراهقين يكرهون في العادة حمل النماذج، ويختبرون ضغطاً كبيراً من الأقران ومن ذواتهم لعدم جمع تلك النماذج، فإذا كان المعلمون متعاونين وداعمين، فسيسجّع هذا الطلاب على أن يكونوا عقلانيين فيما يتعلق بواجباتهم المنزلية.

توثق النماذج الأسبوعية العمل غير المنجز، وتساعد الطلاب على اللحاق بالركب، قبل أن يتخلفوا كثيراً عنهم إلى الدرجة التي تدفعهم إلى الاستسلام بالعجز، وتكون الرسائل الإلكترونية إلى الآباء أكثر فعالية بكثير من النماذج، ولما كان العمل غير المنجز والدراسة غير الكفؤة هما المسببين الرئيسيين للدرجات المتدنية لذوي التحصيل المتدني، فإن التواصل المنتظم حينئذٍ بين المدرسة والمنزل يصبح مفتاحاً عظيم الأهمية لعكس تدني التحصيل، إنه يتطلب المثابرة والجهد من قبل المعلمين للتعاون في المشروع، ويتعيّن على الآباء الذين يطلبون إلى المعلمين المساعدة، أن يعلموهم بمدى تقديرهم للجهد الإضافي الذي يبذلونه.

يمكن أن يستفيد طلاب المدرسة المتوسطة والثانوية، من خلال تدوينهم على جدول التحصيل (الشكل 12.11) المدة الزمنية والوقت من اليوم الذي أكملوا فيه واجباتهم المنزلية، وأحياناً، يُنشئ هؤلاء الأطفال جداولهم التحصيلية على أجهزة الحاسوب، ومن الممكن أن يساعد الآباء الأطفال على مقارنة تقارير المعلمين الأسبوعية بوقتهم المستثمر في الدراسة، والقيام بالواجبات المنزلية. وعليه، ستكون العلاقة بين الجهد والنتيجة شديدة الوضوح.

الأحد	السبت	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	
							9-8
							10-9
		ر: 30 دقيقة		ر: 20 دقيقة إ: 20 دقيقة		ر: 25 دقيقة إ: 10 دقائق	11-10
							12-11
							1-12
							1 - 2
							3-2
							4-3
							5-4
			ر: 40 دقيقة	ر: 10 دقائق د: 15 دقيقة	ر: 30 دقيقة إ: 20 دقيقة	د: 45 دقيقة	6-5
ر: 10 دقائق د: 30 دقيقة				ع: 50 دقيقة			7-6
							8-7
							9-8
							10-9
ر- رياضيات، د- دراسات اجتماعية، ع- علوم، إ- إنجليزي، إس- إسباني							

الشكل (12.11): جدول تحصيل

يجب أن يستمر التواصل بين المدرسة والمنزل إلى أن يعمل الأطفال بصورة مُتسقة، وقد تعلموا من خلال التجربة أنّ فشلاً واحداً لن يكون قاتلاً، ويمكنهم التعافي والاستمرار في بذل

الجهود للحفاظ على الدرجات الجيدة. وقبل أن يتوقف التواصل اليومي أو الأسبوعي، تأكد أنّ الطلاب قادرين على تقييم تقدمهم الشخصي بصورة واقعية صادقة، وعندما تشعر بالثقة من أنّ التقارير الذاتية لأطفالك تطابق ما يخبرك به المعلم، فيمكنك الانتقال من الاعتماد على التواصل المكتوب إلى تقارير الطلاب الشخصية. افعل هذا بحذر؛ لأنه من المعروف بين الأطفال الاعتماديين العودة إلى نمط من الكذب الدفاعي، والنكوص إلى العادات القديمة، إن لم يؤسسوا بثقة عادات جديدة بعد، وإن عادوا إلى أنماطهم القديمة، فيمكنك العودة إلى نماذج التقارير بسرعة، فأحياناً يتعب الطلاب من هذا، ولكن بإمكان دافعيهم الشخصية فقط أن تشير إلى وقف تلك التقارير. ومن ناحية أخرى، يخاف بعض الطلاب الاعتماديين من وقف تقاريرهم. لذا، من المهم لهؤلاء الأطفال وقف استخدام النماذج بصورة تدريجية.

توجد بعض المزالق التي يتعيّن على الآباء الحذر منها: أولاً، لن يوافق بعض المعلمين بكل بساطة على التقارير اليومية أو الأسبوعية. ولحسن الحظ، فإنهم قلة، وإن صادف أن كان أطفالكم في صفوفهم، يعملون على تخريب جهودكم خلال مدّة قصيرة. فاسألهم عن وسيلة الاتصال المفضلة لديهم، فقد تكون لديهم اقتراحات بديلة تستحق التجريب، إذ عادة ما يكون البريد الإلكتروني الأكثر فاعلية؛ لأنّه لا يتطلب جهداً كبيراً.

ثانياً، من المرجح أن يتجنب الأطفال في الصفوف الابتدائية حمل الملحوظات إلى المنزل فمن الممكن أن يبدووا، ولكنهم في العادة لن يتابعوا الأمر، وربما ستحتاج إلى ربط مكافأة باصطحاب التقرير إلى المنزل، وعقاب بعدم فعل ذلك، فإنه يجب ألا تكون العواقب وخيمة ويجب أن تتفاوت بتفاوت نظام قيم الأطفال وتعاونهم، حيث إنّ المكافأة الأفضل للسلوك الجيد بما يتضمّن توصيل النموذج وإكمال العمل، هي خمس عشرة دقيقة من الوقت المخصص للوالد والطفل لوحدهما كل ليلة، ويجب استخدام العواقب السلبية إن لم يحضر الأطفال التقرير إلى المنزل، إذ من الممكن لخسارة امتيازات مشاهدة التلفاز أو وقت اللعب في الخارج ليوم واحد، أن تحافظ على قدوم التواصل.

بعد اتساق الوالد والمعلم من أكثر الأمور حيوية لنظام التواصل، وهذا يعني أنه يجب على الآباء، مراجعة تقارير المعلم بإخلاص بعد المدرسة مهما كانوا مشغولين، ويجب عليهم أن يشجعوا التقدم بصورة إيجابية، فإن حضر الطلاب تقاريرهم إلى المنزل يوم الجمعة، فيمكن تأخير أنشطتهم الاجتماعية في عطلة نهاية الأسبوع، إلى أن يكملوا واجباتهم المنزلية، ويجدر

التنويه إلى عدم استعمال أيّ عقوبات أخرى مع الأطفال الاعتماديين؛ لأن العقاب يمكن أن يولد في نفوسهم نحو الاكتئاب، كن شديد الحزم والأمل والثبات، إن توقّعت أن يتحمل أطفالك المسؤولية بجدية.

يصف الشكل (13.11) نظام مكافآت للدرجات من الممكن استخدامه مع التقارير الأسبوعية. أمّا معظم الطلاب، فمن الأفضل البدء بنظام المكافآت المشروح سابقاً، الذي يكافئ فيه العمل المدرسي الفعلي عوضاً عن الدرجات. حيث سيشرح التحول إلى نظام المكافآت الأسبوعي هذا بعض الأطفال الأكبر سنّاً، أو الطلاب الذين يظهرون تقدماً مبدئياً جيداً مع النظام الأول، حسناً بالتغيير والنمو، ومن المهم مكافأة المجهود بالطريقة نفسها التي تُكافئ بها الدرجات الفعلية، وربما ترغب في مكافأة المجهود أكثر من الدرجات لبعض الأطفال؛ لأنّ الهدف أن يتعلم الأطفال أنهم إن بذلوا الجهد وتمتعوا بإمكانات معقولة، فستأتي إذن النتائج المقبولة مع الوقت، تذكر: سيستمر الأطفال بالتحصيل إن استطاعوا رؤية العلاقة بين العملية التعليمية ونتائجها - قانون رم الثاني عشر.

المكافآت التي تعطى لتقرير الدرجات ليست فاعلة في تحفيز الطلاب الاعتماديين؛ لأنها أهداف بعيدة المدى بصورة كبيرة، فعادة ما يبدأ الأطفال الربع الأول من العام الدراسي بحماس، ولكنهم يستسلمون عند أول درجة منخفضة. لذا، فقد تكون أنظمة المكافأة المالية المخصصة لتوفير النقود لشيء مميز، شديدة الفاعلية إن كانت مبنية على التقارير الأسبوعية للدرجات، حيث يجب أن يُعتمد على الجهد والدرجات الأسبوعية لا على الدرجات التراكمية. فيما يأتي مثال على هذا النظام، ولكن يجب أن يتغير بناءً على أهداف الدرجة المعقولة لطفلك وعلى عدد الدرجات الأسبوعية:

أ = دولاراً واحداً لكل أسبوع

ب = خمسين سنتاً لكل أسبوع

ج = خمسة وعشرون سنتاً لكل أسبوع

د = سالب خمسين سنتاً

هـ = سالب دولار

وعند اقتراب نهاية الفصل، فمن الممكن تقديم حوافز للتقدم، والاختبارات، وبطاقات الدرجات، ولكنها تكون فاعلة فقط إن بدت النتائج بوضوح في متناول اليد.

راقب نظام المكافآت بانتظام، وادفع للأطفال أو سجل المقادير المتفق عليها. لا تأخذ المستحقات أو تغيّر الترتيبات المتفق عليها أبداً، بوصفها عقاباً لأنشطة منفصلة.

### الشكل (13.11): نظام مكافآت مقترح للدرجات

تجنب المبالغة في ردود الفعل بمجرد وضع العواقب السلبية والإيجابية (قانون رم الرابع)، بمعنى لا تخبر أطفالك بأنهم يقومون بأداء مميّز، إن كانت جهودهم تحسنت بصورة طفيفة فقط، ومن المهم ألا تستسلم، أو تغضب، أو تفقد السيطرة، عند حدوث إخفاقات بعد النجاحات المبدئية؛ لأنك تساعد أطفالك على التعايش مع الإخفاقات بصورة بناءة، ويجب أن ينظروا إلى الإخفاقات بأنها خبرات تعلم لتحديد مدى الجهد المطلوب لتحقيق أهدافهم، وإن بالغت في ردود فعلك، فستؤكد شكوكهم بأنهم لا يستطيعون حقاً أن يكونوا ناجحين كما تشير اختباراتهم، من الممكن أن يكون شعورك بالتوتر شديداً، إلى درجة شعورك بأنك ستفجر في كل مرة يخفق فيها أطفالك الاعتماديون، ولاسيما إن كانوا في المدرسة الثانوية، وبقيت سنوات قليلة فقط يمكن فيها الحؤول دون اليأس من إمكان التحاقهم بالجامعة. ذكّر

نفسك بهدوء بأنك إن تابرت مع كل من العواقب السلبية والإيجابية، فستبرهن حينئذٍ على أكثر السمات أهميّة، التي يجب على أطفالك تعلمها (الصبر والمثابرة عند القيام بمهمة صعبة).

## تعليم التركيز

يُشخص الأطفال الاعتماديون أحياناً، على أنهم يعانون نوعاً شرودياً من اضطرابات نقص الانتباه لأنهم لا يظهرون اندفاعية، أو فرطاً في النشاط، ولكن يستغرقون في أحلام اليقظة، ويظهرون كأنهم يعانون صعوبة في الانتباه عند تحدث المعلم، أو قيامهم بالواجبات في الصف.

لمثل هؤلاء الأطفال، راجع اقتراحات تقليل الاعتمادية الواردة في هذا الكتاب، قبل أن تلجأ إلى المعالجة الدوائية، فمن الممكن أن تكون هذه الاقتراحات مفيدة أيضاً، إن تلقى الأطفال علاجاً دوائياً للتو.

يوضّح الشكل (14.11) كيفية تشجيع تواصل الأطفال البصري مع المعلم.

- وضّح لأطفالك أنّ المعلمين يستمتعون بتدريس الطلاب الذين يحبّون التعلم، وإن كان بإمكانهم النظر إلى عيني المعلم في أثناء حديثه (التواصل البصري)، فسيفترض عندها أنّهم يحبّون التعلم، سيعتقد المعلم أنّ الأطفال يركزون معه سواء كانوا يفعلون ذلك أم لا، (في الحقيقة سيركز الأطفال بصورة أفضل، إن نظروا إلى المعلم).
- أشر لأطفالك إلى أنك ستسألهم بصورة يومية عن كيفية تطور تواصلهم البصري.
- قد يكون إعطاء الآباء هذه الاقتراحات لأولادهم أكثر فاعلة من إعطاء الأمهات لها.
- سيعدّ الأطفال هذا خدعة ممتعة للتحايل على المعلم؛ الكل سيربح.

### الشكل (14.11): تشجيع تواصل الأطفال البصري في الغرفة الصّفيّة

إن لم يكن أطفالك الاعتماديون يشاركون في الصف، فوضّح لهم أنك تريد منهم التحدّث جهراً أو التطوّع مرة واحدة في الأقل يومياً. اسألهم كل ليلة قبل أن يخلدوا إلى النوم عن الأشياء التي أسهموا بها في المدرسة في ذلك اليوم. وببساطة، فإنّ استهداف سلوك واحد في كل مرة يبني الشجاعة، وبمجرد أن يبدؤوا، فسيشعرون عما قريب براحة أكبر في التحدّث العلني، أمّا الأطفال الصغار، فقد ترغب في وضع نجمة على التقويم على الأيام التي أسهموا فيها لفظياً.

من الممكن أن يواجه الأطفال الاعتماديون مشكلات في التركيز في أثناء القيام بالواجبات المنزلية، ويؤكد وجود الآباء حولهم عدم قدرتهم على تركيز انتباههم. لذا، اقترح أن ينهض أطفالك، ويعرضون عليك أو على شريكك / شريكك عملهم بعد الانتهاء من كل موضوع، وسيكونون في النهاية قادرين على الانتظار لنهاية الوقت المخصص للوظائف المنزلية؛ لتراجع عملهم.

من الممكن أيضاً أن تساعد ساعة الوقف الأطفال على جلب انتباههم، حيث يمكنهم بعد فترة عشر - خمس عشرة دقيقة أن يسجلوا صوتياً ما تعلموه على جهاز تسجيل، ويمكن أن تُضبط ساعة الوقف على مدد أطول، عندما يزداد اهتمامهم في المهمة، حيث تخدم الكتابة أو التسجيل بوصفهما مراجعة، وتساعدهم ساعات الوقف على البقاء في المهمة، وتجعل نشاط الواجبات المنزلية لعبة.

### عمل النقاط الإضافية

يتعيّن إضافة أنشطة قراءة، أو كتابة، أو رياضيات إضافية لوقت الدراسة، بناءً على مقدار النقص في مهارات أطفالك، ما من شأنه تشجيع الأطفال؛ لأنّهم يفخرون بكمية القراءة التي أنجزوها، أو عدد صفحات الرياضيات التي تدرّبوا عليها. ومن الممكن إبقاء العمل الإضافي متوجهاً نحو الهدف، أو تحديد الطرق التي يمكن أن يكسب الأطفال من خلالها نقاطاً إضافية في المدرسة، الأمر الذي يساعدهم على اكتساب حسّ بالنجاح وثقة في أدائهم الأكاديمي. إضافة إلى ذلك، يمكنك تشجيع القراءة الإضافية خلال وقت الدراسة فقط، إن لم يكن طفلك قارئاً جيداً؛ لأنّ الأطفال الذين يحبّون القراءة من الممكن أن يستخدموها بوصفها مهراً من الواجبات المنزلية.

كثير من الأطفال بطيئو الكتابة، ومن المستحيل تحديد علاقة الدجاجة-البيضة في هذه الحالات: هل تشجع الكتابة البطيئة اهتمام الآباء بالاعتمادية، أم أنّ الأطفال الاعتماديين يكتبون ببطء؛ لأنّهم يفتقرون إلى الثقة في أنفسهم، وعلى الرغم من ذلك، تُعدّ زيادة سرعة الكتابة هدفاً جديراً بالسعي. شجع الأطفال على التمرن الموقّعت الموصوف في الشكل (5.10) في الفصل العاشر.

بينما يكتسب أطفالك عادة القيام بأكثر ممّا هو مطلوب منهم، وأنت تفخر بالعمل الإضافي الذي تعلموا القيام به، ستتغير عاداتهم في القيام بما هو مطلوب فقط، إلى أخرى يحصلون فيها أكثر مما هو متوقع بقليل بصورة دائمة، إذ إنّ القيام بأعمال إضافية سمة للأشخاص المحصلين. وتقديرك للجهود الإضافية التي يقوم بها أطفالك، سيساعدهم على تغيير صورهم الذاتية

السلبية، وسيكون من المفيد أن يعزز المعلمون كذلك صور طلابهم الجديدة، المتمثلة بعمل أكثر بدلاً من أقل من المتوقع. وإذا لم يفضل المعلمون إعطاء نقاط على العمل الإضافي، عندها يمكن أن يطور الآباء نظام مكافآت للقصص المبدعة، والقراءة الإضافية، وتقارير الكتب، وتجارب العلوم، ومشروعات الدراسات الاجتماعية، وممارسة اللغة الأجنبية، اعتماداً على احتياجات أطفالك الخاصة، إذ إنهم سيستمعون بالمكافآت، وستبني إنجازاتهم ثقتهم في أنفسهم.

### التدريس الخصوصي الموجّه نحو الأهداف

يتراجع الأطفال الاعتماديون أحياناً في دراستهم، ولا يوضعون في مجموعات أكاديمية ملائمة لقدراتهم. هؤلاء، سيشجعهم التدريس الخصوصي المؤقت والهادف على نقلهم إلى المستوى الأعلى المطلوب، وسيساعدهم على التحصيل الذي يحتاجون إليه لرفع مستواهم، حيث يستطيع المدرسون الخصوصيون والطلاب وضع خطط تحصيل للوصول إلى أهدافهم. إضافة إلى أن الحفاظ على سجلات مرئية للتقدم يساعد على منح الطلاب مشاعر الفاعلية الذاتية، ويشجع على التقدم. ويحتاج المدرسون الخصوصيون إلى تأكيد رعاية استقلالية الطلاب في أثناء تحقيقهم لأهدافهم.

### إبقاء الأطفال في المسار العادي

عادة ما تخلص اجتماعات معلمي المدارس عن الأطفال الاعتماديين، بأن هؤلاء الأطفال يعملون بصورة أفضل عند العمل معهم على أساس واحد-إلى-واحد، وليس ضمن الصف الأكبر يجب ألا يُستخدم هذا الافتراض في أيّ حال بوصفه سبباً لوصف الطفل بأنه يعاني صعوبة تعلم فعادة ما يظهر متدنو التحصيل الاعتماديون سمات عدة من سمات العاجز عن التعلم، ولكن الاعتمادية ليست سبباً كافياً لفصل هؤلاء الأطفال عن الصف المخصص.

في العادة يعتقد الآباء أن أطفالهم سيتلقون شيئاً إضافياً عند وضعهم في صف من يعانون صعوبات تعلم، وما لم يعان أطفالك صعوبات تعلم حقيقية، فمن الأفضل عدم إعطائهم هم ومعلميهم مخرجاً من التعامل مع المهمّات الفعلية التي في متناول اليد، ووصفهم بمن يعانون صعوبة التعلم، حيث يسيء الأطفال استخدام صفة صعوبات التعلم بوصفها عذراً مريحاً لعدم تحمل مسؤولية المهمّات، والحصول على قدر من المساعدة أكبر مما هو ضروري حقاً من المعلمين والراشدين.

يعدّ وضع الأطفال في صفوف صعوبات التعلم، أو أيّ من صفوف التربية الخاصة الأخرى، أسلوباً مؤسسياً في إقناع الأطفال والمعلمين والآباء، أنّ الأطفال تنقصهم المقدرة، في حين قد يكون ضعف مهاراتهم ناجم عن نمط تحصيل اعتمادي. لذا، يجب أن يُحفظ الدعم المخصص للأطفال الذين يعانون صعوبات التعلم، لهؤلاء الذين لديهم احتياجات حقيقية. سيساعدك الشكل (15.11) على تبيين الفروقات بين العجز والاعتمادية لدى أطفالك.

الاعتمادية	العجز
1. يطلب الطفل توضيحات بصورة منتظمة، بصرف النظر عن التفاوت بين الموضوعات.	يطلب الطفل توضيحات في موضوعات محددة تكون صعبة.
2. يطلب الطفل توضيح التعليمات بصرف النظر عن الأسلوب المستخدم، سواء بصرياً كان أم سمعياً.	يطلب الطفل توضيح التعليمات فقط عندما تُعطى بأسلوب تدريس واحد؛ بصري أو سمعي، لا الاثنين معاً.
3. لا تقتصر أسئلة الطفل على المادة، ولكنها تظهر في العادة للحصول على انتباه الراشدين.	تقتصر أسئلة الطفل على مادة محددة، حيث يعمل الطفل بفاعلية بعد توضيح العملية.
4. الطفل غير منظم، أو بطيء في أداء الواجبات، ولكنه يصبح أكثر فاعلية عندما تقدم له مكافأة ذات معنى بصفتها محفزاً.	يستمر بطء الطفل وعدم تنظيمه بصرف النظر عن مكافآت التحفيز.
5. يعمل الطفل فقط بالقرب من راشد في المنزل أو/و في المدرسة.	يعمل الطفل بصورة مستقلة بمجرد توضيح العملية.
6. تشير مقاييس القدرة المعطاة بصورة فردية إلى أنّ الطفل قادر على تعلم المادة، وتتحسن نتائج الاختبارات الفردية بدعم المُختَبِر، ومن الممكن ألا تشير المقاييس الجماعية إلى قدرات أو مهارات جيدة.	تشير كل من الاختبارات الفردية والجماعية إلى نقص في بعض القدرات أو المهارات المحددة، ولا يوجد لتشجيع المُختَبِر أي أثر ملموس في النتائج.

الاعتمادية	العجز
7. يظهر الطفل لفة (كم أنا مسكين) الجسدية (دموع، عجز، تجهم، تقليد) بصورة منتظمة عندما يُعطى عملاً جديداً، ويخفف اهتمام المعلم أو الراشدين من الأعراض.	يظهر الطفل لفة (كم أنا مسكين) الجسدية في موضوعات ووظائف في مجالات صعوبة وعجز محددة، ويقبل التحدي في مجالات القوة.
8. يبلغ الآباء عن نحيب وتذمر وجذب انتباه وتقلبات مزاجية وروح رياضية سيئة في المنزل. متقطعة بصورة أكثر من المعتاد، وبالأخص النحيب والتذمر.	على الرغم من أن الآباء قد يجدون أعراضاً مشابهة في المنزل، فإنها تميل إلى أن تكون متقطعة بصورة أكثر من المعتاد، وبالأخص النحيب والتذمر.
9. تظهر سلوكيات (كم أنا مسكين) عند الطفل مع أحد الوالدين فقط دون الآخر، ومع بعض المعلمين فقط دون الآخرين، ويؤدي الطفل مع بعض المعلمين ومع الوالد الآخر جيداً باستقلالية.	على الرغم من أن سلوكيات (كم أنا مسكين) قد تظهر فقط مع والد واحد أو مع المعلمين الجَرَعِين، فإن الأداء ليس كفوفاً حتى عندما يكون السلوك مقبولاً.
10. يتعلم الطفل فقط عندما يعطى تعليمات واحد - إلى واحد، ولكنه لن يتعلم في مجموعات حتى عند تفاوت الأسلوب التدريسي.	على الرغم من أن الطفل سيتعلم بسرعة أكبر في وضعية واحد - إلى واحد، ولكنه أيضاً يتعلم بفاعلية في وضعية المجموعة، شريطة أن تؤخذ صعوبة تعلم الطفل في الحسبان عند إعطاء التعليمات.
يصبح بعض الأطفال العاجزين حقاً اعتماديين أيضاً؛ إذ إن المفتاح للتمييز بين العجز والاعتمادية، هو استجابات الأطفال لدعم الراشدين، فإن لم يؤدِّ الأطفال إلا بوجود دعم الراشدين عند إعطاء مواد جديدة فإنهم سيصبحون شديدي الاعتمادية، بصرف النظر أليدهم عجز أم لا؟	
المصدر: رم، س. ب. (2001). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن تربية الأطفال، 12(3). ووترتون، ولاية وايومنغ: خدمة التقييم التعليمية.	

الشكل (15.11): طرق التمييز بين الاعتمادية والعجز

## الاستبقاء

يعدّ تأخير الأطفال لعام واحد قبل دخول رياض الأطفال، أو التفكير في إبقائهم في صف ما، من الأساليب المعروفة للتعايش مع الأطفال الاعتماديين؛ لأنهم يتطلبون كثيراً من المساعدة. وعلى أي حال، أشارت البحوث إلى أنّ كلا الأسلوبين - إلى حدّ كبير - ليسا فاعلين<sup>10</sup>، حيث يبدو أنّ الوقع السلبي للاستبقاء على مفاهيم الأطفال الذاتية يلغي ميزة اكتساب مهارات أفضل. ومع ذلك يمكن للاستبقاء أن يؤخذ في الحسبان تحت بعض الظروف الخاصة.

فبعض الأطفال ذوي التحصيل المتدني ممن تراجع مهاراتهم إلى الوراء بصورة كبيرة لن يكون التدريس الخصوصي كافياً للحاق بالصف، حتى إن بُذل مجهود حقيقي.

فإن كان الطفل صغيراً في العمر، وضئيل البنية الجسدية في الصف، فيكون التكيف مع الاستبقاء أسهل، حيث يوصى بالاستبقاء في الصف الأول؛ لأنّ إتقان هذه المهارات الأساسية المبدئية حيوية للتقدم المستقبلي، ولا يوصى بالاستبقاء في رياض الأطفال، إلا إذا نُقل الطفل في السنة الأولى من رياض الأطفال المعتاد (نصف يوم) إلى برنامج أكاديمي عالٍ على مدار اليوم.

يصبح للاستبقاء خطر نفسي أكبر عندما يكبر الأطفال، وتقل فائدته في معالجة المهارات الأساسية، فالانتقال إلى مدينة أو مدرسة جديدة، يسهل على الأطفال الأكبر سنّاً التعامل مع الاستبقاء؛ لأن أقرانهم لن يكونوا مدرّكين للصف المُعاد.

الاستبقاء ليس علاجاً كافياً لذوي التحصيل المتدني، وإذا لم تتوافر استشارة متخصصة، فلن يعالج الاستبقاء المشكلة وحده؛ إذ من شأن سنة سيئة ثانية بعد الاستبقاء زيادة خطر فشل الطفل، فلا تستبق طفلاً دون خطة لتحديد مسببات المشكلة، ومساعدة الطالب على تغيير نمط تدني تحصيله.

## ماذا يمكنك فعله بوصفك معلماً؟

إن كنت معلماً، فمعظم التغييرات التي يمكنك فعلها لذوي التحصيل المتدني في المدرسة شبيهة بتلك التي يتعيّن على الآباء القيام بها في المنزل؛ لأن الأطفال قد يتفاعلون مع الراشدين

بطرق متشابهة في كلتا البيئتين. لذا، احرص على قراءة نصائح الآباء في هذا الكتاب؛ لمعرفة تطبيقات العمليات ذاتها. وعلى الرغم أنّ الوالدين قد لا يرغبان في المشاركة، فبإمكانك مع ذلك عكس تدني التحصيل في المدرسة، مع أنّ هذا الأمر سيكون أكثر صعوبة. ولتطبيق بعض الإستراتيجيات المنزلية في البيئة المدرسية، الجأ إلى مساعدة مستشار تربوي أو اختصاصي المدرسة النفسي، أو معلم تربية خاصة أو أحد معلمي الطفل. وعليه، سيصبح تحالف الوالد مع المعلم تحالف معلم مع مستشار، مع تقديم المستشار الرعاية واحد - إلى واحد بصورة مقتضبة وتعزيز الطفل، ودعم إنجازاته المستقلة في الغرفة الصّفية.

### التصويت على الثقة

يحب معظم الآباء والأطفال على حدّ سواء المعلم العطوف المُحبّ الحساس، الذي يهتم بالأطفال بصدق. ومع ذلك، يجب على المعلم الفاعل أن يكون قادراً على تجنب التعاطف غير الملائم، فمن الممكن أن يخبرك الأطفال الذين تظهر عليهم أعراض التوتر، مثل: قضم الأظافر والبكاء المتكرر، ولغة الجسد الحزينة، والخجل - أنّ آباءهم يتوقعون منهم الشيء الكثير، وقد تكون الغاية من ذلك إعلامك بالمبالغة في حمايتهم فقط، وليسوا معتادين العمل الشاق، وأنّ الآباء لا ينتظرون شيئاً كثيراً منهم.

إن أشارت اختبارات ذكاء الأطفال أو أي اختبارات تشخيصية أخرى إلى أنّ قدراتهم أعلى من المتوسط أو متفوقة، وأنت بوصفك معلماً تتوقع أن يكون أداءهم في مستوى عمرهم الصفي فقط، فذلك يعني أنّ إشارات الضغط دليل على أنّ الآباء لا يتوقعون الشيء الكثير من هؤلاء الأطفال، فعادة ما يخاف المعلمون من أنّهم يضعون كثيراً من الضغط على طلبتهم. وإن أوصلت إلى الآباء مخاوفك من الضغط المبالغ، فسيزيدون الطين بلة، عند هذه النقطة، يتعيّن عليك أن تكون قوياً وعطوفاً وحازماً، ويتعيّن كذلك أن تكون رسالتك للأطفال المتوترين أنهم عاملون مثابرون. وعليه، فإنّ بإمكانهم إكمال المهمّات المطلوبة، أكّد لهم أنّ العاملين المثابرين لا يستسلمون بمجرد أن يصبحوا متمرسين في العمل الصعب، حيث يصبح العمل أسهل فأسهل وإن تظاهرت بعدم رؤية تلك الدموع الصغيرة، وعلقت برفق على مثابرة الأطفال ومهاراتهم في حل المشكلات، حينها، ستستبدل الثقة بتلك الدموع.

الحساسية صفة جيدة لتميتها عند الأطفال، لكن الحساسية المفرطة قد تدمر الثقة في النفس، فيجب عدم تشجيعها، إضافة إلى أن تجاهلها يعدّ أفضل الطرق لإخماد شعلة أعراض العجز، التي قد ترافق أيّ مجهود يبذله هؤلاء الأطفال، وإن كان تجاهل دموع الأطفال يدفع إلى الشعور بالذنب، فأخبر نفسك في كل مرة أنك في الواقع تعطف عليهم بملاحظتك لدرجات عجزهم، وأنتك تتيح لهم المجال ليطوروا مفاهيم ذاتية أفضل، وعلى الرغم من أن هذه التوصيات قد تسبب لك التوتر الشديد، فإنك ستري عمّا قريب النتائج المرغوبة لدى هؤلاء الاطفال. وعلى هذا، سيهدأ جزعك الشخصي. قد ترغب في مراجعة قانون رم السادس، الذي ينصّ على أنّ الأطفال يطورون مرونتهم وثقتهم في أنفسهم من خلال الجهد والكفاح؛ وإن سلبت من الطفل كفاحه فستسرق ثقته في نفسه، حيث تساعد تجارب القلق الصغيرة في بيئات آمنة الأطفال على التعايش مع ضغوط أعظم في المستقبل.

### أساليب متعددة للتدريس

يظهر الأطفال تفاوتاً في القدرات وأنماط التعلم، ما يجعل من الأفضل أن تقدّم تعليمات المهمّات الواجبات المنزلية بصور عدّة، إذ يجب أن تعطى مهمّات الواجبات المنزلية لفظياً، ثمّ تكتب على السبورة، أو توزّع ورقياً، حيث إنّه بالإمكان إعطاء تعليمات المهمّات لفظياً للصف كله، مسجلة على جهاز تسجيل صوتي بصورة متزامنة، حينها سيتمكن الأطفال الاعتماديون، أو الأطفال الذين لا يتذكرون التعليمات، من الاستماع إلى التعليمات المسجلة، ثم تمريرها إلى الأطفال الآخرين ممن يتطلبون إعادتها.

إضافة إلى ذلك، تستطيع المدارس وضع مهمّات الواجبات المنزلية على مواقع الإنترنت؛ كي يتأكد الطلاب من حصولهم على المهمّات الصحيحة، وهذا سيساعدهم على أن يصبحوا أقلّ اعتماداً عليك شخصياً، وسيتمكن الآباء من التأكد من وظائف أطفالهم المنزلية التي استحق موعد تسليمها.

لا يمتلك الطلاب القدرة أحياناً على استيعاب المفاهيم من خلال التدريس، وقد يحتاجون فعلاً إلى مساعدتك. في هذه الحالة، ينبغي لك توفير الوقت الإضافي للشرح والمساعدة، ويجب ألاّ تفترض أنّ الأطفال اعتماديون فحسب. سيساعدك الشكل (16.11) على التدريس وفقاً لحواسّ الطلاب جميعها.

نعلم أنّ الطلاب يظهرون تفاوتاً في الأساليب التي يتعلمون من خلالها بأفضل صورة، حيث يتعلم بعض الطلاب بفاعلية أكبر بصرياً، ويُعدّ آخرون سمعيين، ويفضلون التعلم الصوتي، في حين يتعلم آخرون بطريقة ملموسة عبر الأنشطة اليدوية، وتحسّن القصص التي تتضمن المشاعر أو الأحاسيس تعلم معظم الطلاب. بإمكان استخدام الأساليب الأربعة جميعها الوصول إلى كثير من الأطفال، وتشجيعهم على توظيف مواطن قوتهم في العملية التعليمية، فإن كان الأطفال متعلمين بصريين، فستعزز الكتابة، أو الرسم، أو جمع الصور، ذاكرتهم للمعلومات. وإذا كانوا متعلمين صوتيين، فسيساعدهم الاستماع إلى التسجيلات، والتحدث خلال أجهزة التسجيل الصوتي، والتكرار اللفظي، على تحسين ذاكرتهم. وإن كانوا متعلمين حركيين، فإنهم سيتعلمون بصورة أفضل عبر اللعب بالعدّادات، وأقلام التحديد، وبطاقات الذاكرة. وسيساعدهم تأليف القصص والقوافي، أو الأجهزة المساعدة للذاكرة على إشراك مشاعرهم أو أحاسيسهم في تطوير ذاكرتهم. إنّ استخدام أكبر عدد ممكن من الأساليب الحسّية عند تدريس أيّ مفهوم - مثل الكتابة على السبورة وتمرير الصور، أو النماذج، وإخبار القصص والنكات - سيساعد على إيصال ذلك المفهوم إلى غالبية الطلاب في الصف، إن استُخدمت هذه الأساليب جميعها.

المصدر: رم، س. ب. (2002). نشرة سيلفيا رم عن تربية الأطفال، 13(1). ووترتاون، ولاية وايومنغ: خدمة التقييم التعليمي.

### الشكل (16.11): التدريس وفقاً لحواسهم جميعها

## إكمال الواجبات الصّفية والمنزلية

كما ذكرنا في توصيات الآباء، فإنّ معظم الأطفال الاعتماديين لا يكملون الواجبات الصّفية في المدرسة، أو لا يكملون واجباتهم المنزلية بتاتاً، ومن المحبط أن تجد أنّ بعضاً منهم يكملون الواجبات المنزلية، فإنهم لا يسلمونها لك، حيث يعد التواصل والتعزيز المنزلي الموصوف سابقاً في هذا الفصل، من هذه العادات السيئة بصورة مثالية. وإن كان بإمكانك بصفتك المعلم، تشجيع تعاون الوالدين الفاعل، فسيكون من المحتمل أن تنجح في تغيير أنماط الطلاب؛ حيث ستتغير المدة الزمنية المتوقعة للتغيير مع قوة الأنماط، وعمر الطفل، والمتابعة المستمرة، من قبل ثنائي الوالد - المعلم. وإن كان بإمكانك إقناع الوالد ذي الجنس المماثل لجنس الطفل بالتعاون معك، فإنّ ذلك سيحسن من فرص نجاحك.

تعدّ نماذج التواصل الواردة في الفصل التاسع فاعلة، فإنك قد ترغب في تصميم نماذجك الذاتية، لتوجيه الوالدين نحو المشكلات الخصوصية التي يعانيها الطفل، ومن المهم عدم تضمين كثير من السلوكيات في النموذج، فمن الممكن في كل مرة الحرص على مجال أو اثنين، ثم إضافة مجالات أخرى بعد أن تتحسن الأولى، ومن الجدير ذكره، أنّ الرسائل الإلكترونية المختصرة تُعدّ فاعلة أيضاً.

هناك كثير من آباء الأطفال ذوي التحصيل المتدني غير مستعدين للتعاون بصورة فاعلة ولكن ذلك يجب ألا يمنعك بوصفك معلم صف من عكس النمط. وعلى أي حال، سيحتاج الأمر إلى وقت أطول بقليل، وسيضمّن مزيداً من وقتك والتزامك الشخصيين، ويمكنك تقديم التغذية الراجعة الأسبوعية أو اليومية مباشرة إلى الطالب؛ لأنّ الاهتمام يعدّ أكثر معززات السلوكيات الجيدة قوة، ومن الممكن أن يُحدِث وقتك الشخصي الذي تقضيه مع الطفل اختلافاً هائلاً فالوقت سلعة نادرة، ومن الممكن أن يساعدك أشخاص آخرون في المدرسة، فمستشارو التوجيه والمتخصّصون النفسيون في المدرسة، ومتخصّصو معالجة النطق، ومعلمو الموضوعات، ومعلمو صعوبات التعلم، ومعلمو صفوف الموهوبين، سيكونون سعداء لمساعدتك. لقد كوّن معلم صف ومعلم صعوبات تعلم فريقاً ناجحاً جداً في إحدى المدارس الابتدائية؛ لتشجيع إكمال العمل والاستقلالية، والسلوك الإيجابي لدى طالب صف ثالث شديد الاعتمادية، وأظهرها بفاعلية نمط تدني التحصيل في المدرسة حتى قبل إحداث التغييرات في المنزل.

ومن المعززات الأخرى التي يمكنك استخدامها: قضاء وقت مع صديق، ووقت الحاسوب ولعبة مع راشد، وبعض دقائق الاستراحة الإضافية، وامتيازات إضافية في المكتبة، وكذلك تعمل الملصقات، والنجوم، والأوجه المبتسمة مع الأطفال الصغار بصورة جيدة.

أما الأطفال الذين لا يستطيع آباؤهم متابعتهم، فإن نوادي ما بعد وقت المدرسة فاعلة حيث تختلف هذه النوادي عن الاحتجاز العقابي بأنّها اختيارية، ويمكن تشجيع الأطفال على البقاء في نوادي الدراسة؛ لأنها تتضمن فسحة اجتماعية، ووجبة خفيفة إضافة إلى الدراسة، والمساعدة على الواجبات المنزلية، وأحياناً قد تكون المنظمات الاجتماعية، أو الصناعات، على استعداد لتوفير الدعم المالي للوجبات الخفيفة في نوادي الدراسة. إضافة إلى ذلك، إذا أكمل الأطفال واجباتهم المنزلية في نادي الدراسة، فلن يكونوا في حاجة إلى حمل أيّ من الكتب إلى المنزل.

إنَّ المبدأ الضمني المعاكس للتوقُّعات البديهية، الذي سيساعدك على تصميم أسلوبك الذاتي لتغيير أنماط تدني تحصيل هؤلاء الأطفال، هو أنه يجب عليك إعادة توجيه انتباهك من الاعتمادية وعدم الكفاية إلى الجهد والإنجاز، وسيعزز اهتمامك الشخصي في الطفل وتواصل الثقة، إضافة إلى نظام تغذية راجعة يشدد على المجهود والصبر، من التغيير الحيوي.

### تعليم عقلية النمو<sup>11</sup>

وضَّحت للأطفال في أثناء عملي في العيادة أنَّ عقولهم تنمو بسرعة، وإن قاموا بجهود كبيرة، فسيتمكنون في الأغلب من تغيير الروابط الفيزيائية في أدمغتهم، وهذا العمل فاعل بصورة خاصة مع أولاد المدرسة المتوسطة والثانوية، مادام أنه يتناسب مع تشجيعي لهم بالتمرُّن لبناء إمكاناتهم العضلية، وعادة ما يكون هذا الأمر منطقياً للمراهقين وللأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة؛ لأنهم يفهمون معنى البلوغ الجسماني، الذي يمكنهم من تخيُّل البلوغ العقلي. لذا فإنَّه يمكنهم من إنشاء علاقة سببية مع التمرُّن جسدياً وعقلياً. وألخص التوضيح بـ: «كلما عملت بجد أكبر ازداد ذكاؤك، وكلما ازداد ذكاؤك ستعمل بجد أكبر». هدفي من ذلك هو جعلهم يؤمنون بأنَّ الذكاء ليس بالضرورة سريعاً وسهلاً، ولكنه يتطلب التمرن وتذليل الصعاب. إضافة إلى أنَّ عقلية النمو تشجع الأطفال الاعتماديين على المثابرة.

### بناء المرونة من خلال السير الذاتية

ستساعد دراسة السير الذاتية للأشخاص الناجحين الطلاب على إدراك كيف تعايش هؤلاء الأشخاص مع الإخفاقات والإحباطات المتكررة قبل أن يصبحوا ناجحين<sup>12</sup>، إضافة إلى أنَّ ذلك سيساعدهم بصورة أفضل على فهم أنَّ إخفاقاتهم الشخصية ليست أعراضاً على عدم الأهلية ولكنها فقط مؤشرات إلى أنهم قبلوا فرصاً للتحدي. ففي دراستنا عن طفولة نساء ناجحات، وجدنا أنَّ كثيراً منهن قد ألَّهمن للنجاح من خلال قراءة السير الذاتية للأشخاص الناجحين<sup>13</sup>. ووجدنا في دراسة أخرى، أنَّ قراءة السير الذاتية عن المثابرة، شجعت مثابرة الطلاب<sup>14</sup>.

### جلب الانتباه

يستغرق الأطفال الاعتماديون في أحلام اليقظة. وعليه، فإنَّهم يشخَّصون في العادة بأنماط الشرود ضمن اضطرابات نقص الانتباه، وتقودهم عدم قدرتهم على جلب الانتباه إلى استيعاب

المعلومات بصورة سيئة في الغرفة الصفية، وإلى امتلاكهم مهارات دراسية ضعيفة، فتحديدهم من خلال النافذة، والنظر إلى الأعلى، وتحريك الأيدي والأقدام دون كلل، يزج الآباء والمعلمين. ولكنهم إن انغمسوا بصورة كاملة في نشاط ما، فسيظهرون اهتماماً كاملاً. وعلى الرغم من قلة تكرار حدوث هذا الأمر، فإنه يوفر دليلاً قاطعاً على أنهم قادرين على الانتباه.

فعندما تتحسن دافعيته وتوجه أهدافهم، ستزداد مدد انتباههم، وإضافة إلى ذلك، يحسن انخراطهم في أنشطة مكافأة جوهرياً من انتباههم.

وعلى أي حال، يمكن أن يصمم الآباء والمعلمون بعض إشارات خاصة لمساعدة الأطفال على التحكم في انتباههم.

وكما أفتتح سابقاً من هذا الفصل، فقد وضعنا أهمية التواصل البصري في التواصل بوصفه واحداً من الوسائل الفاعلة في تشجيع اهتمام الأطفال بالعروض التقديمية الشفهية والتعليمات (انظر الشكل 14.11)، وقد تحتاج أيضاً إلى ترتيب إشارة سرية لمساعدة الأطفال على النظر مباشرة إليك في أثناء حديثك، على سبيل المثال: قد تلمس إحدى عينيك أو النظارات الطبية، أو تنقر على المقعد بالمسطرة بوصفها إشارة استعداد للطفل الذي يحاول تحسين الانتباه، وهذه الطريقة لا تكون فاعلة إلا إذا كانت إشارة سرية بين المعلم والطفل، وإلا فستشعر الأطفال كما لو أنّ المعلم يراقبهم باستمرار.

يجب على المراهقين الذين يحاولون تعليم أنفسهم التركيز في المدرسة والمنزل، مراقبة تركيز اهتمام من خلال ساعة توقيت مدة خمس عشرة دقيقة؛ لتقدير النسبة المئوية للمدة الزمنية التي ضبطت من خلالها نشاطهم على المهمات. ومن خلال وضعهم خرائط التفكير في الأعمال والأنشطة على مربعات من ورق الرسم، يمكنهم تعلم تحسين هذه النسب تدريجياً ويمكنهم اكتساب شعور من السيطرة على دراستهم الإنتاجية. يجب عليك مناقشة تقدمهم المحرز، وإعطاؤهم التغذية الراجعة وتعليقات التشجيع. يتطلب هذا التمرين استعداد المتعلمين وأن يسبق الدافع الأولي رصد عملية ممارسة الاهتمام هذه.

ومن الوسائل الأخرى التي تساعد الأطفال على التركيز في المنزل القراءة بصورة جهورية أو كتابة المادة، وتلخيص المواد المتعلمة شفويًا أو كتابيًا، واستخدام تقنيات مخصوصة بالتذكر

وقد يبدي المراهقون اختراعات ذاتية تساعدهم على الانتباه لعروض المعلمين التقديمية، ويجب عليك تشجيعهم على القيام بذلك.

عندما يبدي الأطفال الاهتمام في المدرسة، فإنه من المفيد معرفة ما يفكرون فيه، فقد قال معظم الأطفال الذين تحدثت إليهم: إنَّ ما يُشغل عقولهم أمور دنيوية، مثل: لعبة البيسبول التي لعبوها في أمس، أو ما قاله طالب لآخر، وقد يكون هناك عدد قليل منهم منهمكين بصورة إبداعية، وربما بعضهم مضطرب من مخاوف المدرسة أو المنزل. سيكون من المناسب تخصيص بعض الوقت لهذه المجموعة الأخيرة؛ لمناقشة مخاوفهم. أمَّا الطلاب أصحاب الخيال الواسع فيعدّ توفير بعض الوسائل المناسبة التي تساعدهم على التعبير عن تفكيرهم الإبداعي مفيداً جداً. فقد يرغب هؤلاء المفكرون المبدعون في تدوين الأفكار على دفاتر الملاحظات، ومع ذلك فإنَّ عدم الاهتمام، وعدم الفهم، أو عادة الحلم اليومي، هي السبب وراء هدر الوقت الذي يمنح معظم الأطفال من التعلم في صفك.

### تعليم وضع الأهداف

نادراً ما يضع الأطفال المعتمدون أهدافاً واقعية لأنفسهم، ففي عالمهم المدرسي اليومي فإنَّهم في العادة لا يحدِّدون أيَّ أهداف بتاتاً، أما أهدافهم المستقبلية، فهي غير موجودة، أو حالمة (رومانسية)، أو غير منطقية؛ حيث إنَّ العيش باستقلال ذاتي في جبال كولورادو، أو أن يصبح مذيع لعبة البيسبول أو لاعباً مشهوراً، هي من الخطط المستقبلية النموذجية المستقبلية لهؤلاء الأطفال. ولكن، في أغلب الأحيان، سيجيب هؤلاء الأطفال بقولهم (لا أعرف)، عندما يُسألون عن خططهم لمستقبلهم؛ لأنَّهم في حاجة إلى مساعدة المعلم على تحديد أهداف واقعية قصيرة الأجل؛ كي يتمكنوا من تجربة بعض الشعور بالتركيز الداخلي، والرقابة الذاتية، وبعض الثقة؛ ليتمكنوا من تحقيق شيء ما.

وفي كثير من الأحيان، وعند اقتراح الأهداف، لا يبدي هؤلاء الأطفال أيَّ اهتمام في البداية والسبب في ذلك، غالباً، أنَّ تجارب النجاح التي مرّوا فيها قليلة، بحيث يخشون فشلاً آخر، أو أنهم لا يرون الأهداف نبيلة لمكافأتهم بالتعزيز التي يودون الحصول عليها. لذا، عليك إقناعهم بأنَّهم قادرين على تحقيق هذه الأهداف، وذلك عند بلوغها، وسيشعرون بالرضا عن هذا النجاح. سيحتاجون إلى وصف يصف خطوة بخطوة هذه العملية التي يحتاجون إلى اتباعها لتحقيق الهدف

والإستراتيجية التي يجب عليهم استخدامها، والمقاييس التي سيستخدمونها لقياس نجاحهم وهنا يجب أن تكون أيّ محادثة معهم عن تحديد الأهداف شخصية وسرية، ومن الممكن أن تشمل الآباء والأمهات بعد الاجتماع الأولي مع الطفل.

من الأهداف الملائمة لذوي التحصيل المتدني اللامعين: وضعهم في مجموعات قراءة أو رياضيات أعلى، وإشراكهم في برامج إثرائية، أو برامج للموهوبين، ووضعهم في صفوف خاصة أو في مجموعات المسرح، والمشاركة في خبرات إثرائية معينة، والمشاركة في البرامج الرياضية وإخراجهم من صفوف التربية الخاصة. ومن الممكن لبعض ذوي التحصيل المتدني شديدي الموهبة، تخطي صف أو موضوع كامل، حيث تُعدّ الترقية إلى مجموعة قراءة أو مجموعة رياضيات أعلى، هدفاً ملائماً لكثير من أطفال المرحلة الابتدائية، إضافة إلى أنّ المشاركة في صف إثرائي خاص في جامعة قريبة، أو مدرسة تقنية، تعدّ فرصة جذابة لطلاب المرحلتين؛ المتوسطة أو الثانوية.

فالأطفال الاعتماديون يفتقرون بشدة إلى الثقة، إلى الدرجة التي يحتمل أن يخافوا معها أن يكونوا ناجحين في المجموعات الأعلى، وستفيدهم الإيضاحات التي تطمئنهم بأنهم سيتلقون مساعدة خلال عملية الانتقال. يقدّم الشكلان (17.11) و(18.11) محادثتين عن وضع الأهداف بين معلم وطالب، تهدفان إلى إرشاد المعلمين في عملية الإقناع.

السيد ريد: أنت تعلم يا ماركوس، أنه منذ أن فحصك المتخصّص النفسي في المدرسة ولأنك تكمل صفحات من كتاب أنشطة القراءة المخصوص بك أكثر ممّا هو مطلوب، فقد أدركت أنك تمتلك القدرة على الانتقال إلى مجموعة قراءة أعلى أنت قارئ ممتاز حقاً، وأود أن أراك على قدر التحدي.

ماركوس: (مبتسماً) سيد ريد، أعتقد أنني قادر على القراءة مع (العصافير الزرق)، ولكن يتعيّن عليهم القيام بكثير من المهمّات، ولا أعتقد أنني أستطيع إكمالها جميعها.

السيد ريد: حسناً، تخبرني نتائج الاختبارات أنك تستطيع ذلك مع بعض التدريب والمثابرة. أتعلم؟ أنت أذكى قليلاً مما تعتقد، وباستطاعتك القيام بالعمل الصعب بصورة جيدة، وقد ساعدتك القراءة في المنزل كثيراً.

ماركوس: (ما زال مبتسماً) هل تعني أن باستطاعتي القراءة مع المجموعة الأخرى فوراً؟

السيد ريد: لا، ليس تماماً، ولكن دعني أريك ما أنت قادر على فعله. (يوضح له باستخدام كتاب المنهاج وكتاب الأنشطة). هنا مجموعتك، هناك عشرون قصة أريد منك قراءتها، وهنالك أربعون صفحة من كتاب الأنشطة تقع بينك وبين المجموعة الآتية، وقد اخترت لك عشرين منها أكثر أهمية. لقد كتبت لك أسماء القصص جميعها وأرقام الصفحات التي يجب أن تقوم بها على هذا المخطط، إن أتيت لرؤيتي لبضع دقائق بعد كل يوم مدرسي، أستطيع أن أعلمك بعض الكلمات الجديدة، وأن أتأكد من فهمك لتعليمات صفحة كتاب الأنشطة. وكل ما عليك فعله بعد ذلك، هو قراءة قصة واحدة، وعمل صفحة واحدة من كتاب الأنشطة في المنزل كل يوم. باستطاعتك إخبار أمك وأبيك عن القصة، وإحضار الوظيفة المنزلية إلي، وأن تُعلم ما أنجزته على المخطط. فإن قرأت قصة في كل يوم وقمت بعمل صفحة واحدة من كتاب الأنشطة، فستكون جاهزاً لأخذ اختبار القراءة، أشعر بثقة شبه أكيدة من قدرتك على النجاح فيه، وأعلم أنك ستكون مستعداً لتحدي المجموعة الأعلى بعد ذلك.

ماركوس: (بتردد) هل تعتقد فعلاً أن بإمكانني القيام بذلك؟

السيد ريد: هذا مؤكد، لن يكون الأمر صعباً؛ لأنك ستقوم بفعل القليل في كل مرة.

ماركوس: أظن أنني سأحاول، أرغب حقاً في أن أكون هناك مع صديقي الآن.

السيد ريد: حسناً، أنت تنتمي إلى تلك المجموعة. لذا، دعنا نكتب اتفاقية، أراهن على أن أمك وأباك سيكونان فخورين بك أيضاً.

المصدر: رم، س. ب. (2006). نشرة سيلفيا رم عن تربية الأطفال، 17(2). ووترتون، ولاية وايومنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (17.11): مساعدة طالب في المرحلة الابتدائية على الانتقال إلى مجموعة قراءة أعلى

السيدة لوبيز: سكوت، هل لديك فكرة عن الوظيفة التي ستختارها مستقبلاً؟ أعني، لأنك الآن قد أخذت بزمام المبادرة، فباستطاعتك رؤية امتلاكك لبعض المواهب الحقيقية.

سكوت: السيدة لوبيز، لطالما أخبرني المعلمون مذ كنت صغيراً بأنني ذكي، ولا أعمل بما يتناسب مع قدراتي، أظن أنهم مخطئون، فالاختبارات التي يعطيها الاختصاصيون النفسيون سهلة جداً، ولكن العمل المدرسي صعب جداً في نظري، وحتى الآن وأنا أقوم بعمل وظائف المنزلية، أحصل على درجات (ب) و (ج) فقط. لذا، ما الأمر الذكي في ذلك؟ لا يبدو أنه يستحق المحاولة حتى.

السيدة لوبيز: سكوت، الاختبارات ليست غير صحيحة، وهي تبدو شديدة السهولة؛ لأنّ لديك القدرة الكبيرة، وفي الواقع، تقع نتائجك ضمن (1%) من الطلاب في سنك، وهذا يعني أنك مقتدر، أعلم أنك الآن تقوم بواجباتك المنزلية ولكنك قد بدأت للتو بفعل ذلك، سيأخذ الأمر قليلاً من الوقت؛ لرفع درجاتك إلى (أ) و (ب)، حيث تنتمي فعلاً.

سكوت: من الصعب عليّ البقاء متحفزاً؛ حيث يبدو العمل متكرراً ومملاً، وحتى في العلوم، حيث يبدو موضوعي المفضل غير محفز.

السيدة لوبيز: سكوت، ماذا لو قمنا بتجربة؟ أتعلم، أنت حقاً لديك القدرة على أن تكون في صف العلوم المتقدم، وستجده في الأغلب أكثر إثارة، لقد تبقى لديك ربع سنة واحد من العام المدرسي، هذا لا يكفي لرفع معدلك السنوي كاملاً ولكنه كافٍ لإظهار أنك قادر على قبول التحدي في العلوم، إن كان بإمكانك القيام بثلاثة أشياء فقط، فأعتقد بأنك ستبرهن لنفسك وللمعلم الرياضيات قدرتك على تحمل البرنامج التسريعي.

سكوت: ولكنني لست متأكداً من رغبتني في أن أكون مع أولئك الأطفال الأذكاء كلهم كل ما يقومون به هو الدراسة.

السيدة لوبيز: حسناً، ما رأيك في أن تحاول تجربتي الصغيرة، وإن لم ترغب في الانتقال إلى الأعلى، فلن يكون عليك فعل ذلك، إنها فقط طريقة لمعرفة ما أنت قادر حقاً على تحقيقه ببذل مجهود إضافي صغير، أعتقد بأنك ستحب ذلك الشعور.

ماركوس: ربما، ما الذي ترغبين مني فعله؟

السيدة لوبيز: في البداية، أريدك أن تضيف خمس عشرة دقيقة يومياً لدراسة العلوم، بعد أن تكمل واجباتك المنزلية، سألتقي معك مرات عدة؛ لأريك كيفية استغلال هذا الوقت الإضافي. ثانياً، أريدك أن تقرأ السير الذاتية لاثنتين أو ثلاثة من العلماء المشهورين؛ لتتمكن من فهم الحماسة والتحمدي الذي شعروا به. وأخيراً، أريدك أن تعمل على مشروع علمي مستقل من اختيارك من الآن وحتى نهاية العام، وستسعدني مساعدتك على التخطيط له، فإن قمت بذلك كله - وفقط إن رغبت بالأمر - فأنا متأكدة من أنك ستكون مستعداً للانضمام إلى صف العلوم المتقدم. سكوت، أعلم فعلاً أنك تمتلك القدرة، وبلدنا يحتاج إلى علماء جيديين، حيث يتطلب الحصول على وظيفة في العلوم إلى مجهود كبير ولكنها ستكون مُرضية كثيراً. يجب عليك في الأقل اكتشاف ما أنت قادر على إنجازه.

سكوت: لا أعتقد أنّ ذلك سينجح، ولكنني أحب العلوم حقاً، أظن أنني سأحاول الأمر. كيف أبدأ؟

السيدة لوبيز: حسناً، دعنا نكتب اتفاقنا في البداية، ثم سنحدّد اجتماعاً أسبوعياً خلال وجودك في قاعة الدراسة؛ لأتمكن من مناقشتك في التفاصيل، أعلم أنّ هذا قرار كبير بالنسبة إليك، ولكنني واثقة كثيراً بك، وأعلم أنك لن تخيب أمني.

المصدر: رم، س. ب. (1990). تعليم بطاقات-Q: نصائح للمعلمين. واترتاون، وايمنغ: آبل.

الشكل (18.11): مساعدة طالب في المرحلة الثانوية على تأسيس الأهلية لصف علوم حياتية متقدم.

عند اختيارك هدفاً للأطفال ذوي التحصيل المتدني، يتضمّن الترقية إلى أعلى، تأكد أن يكون الهدف قابلاً للتحقيق، وأن تسمح لهم سياسة المدرسة بالانتقال إلى أعلى، إن أظهروا تقدماً ملائماً، من المهم أن يهتمّ واضعو السياسات المدرسية في وضع خطوط إرشادية مرنة بصورة معقولة، لتحرك الأطفال العمودي إلى مجموعات مهارات أعلى. أخيراً، من المهم أن يقدم الأطفال التزاماً شخصياً للبقاء في الوضعية الأعلى، وهو الأمر الصعب على الأطفال الاعتماديين لأنهم يفتقرون إلى الثقة بصورة كبيرة.

عندما يوفق الأطفال في الوصول إلى أهدافهم الأولية، يضيف ذلك مزيداً إلى ثقتهم في أنفسهم، ويحدث تغييراً محسوساً في دافعتهم، حيث يشعرون بمتعة التحكم والإنجاز. الأمر الذي قد يمتد إلى عملهم المدرسي الخاص. على أي حال، يمكنهم عند وضعهم المجموعة الثانية من الأهداف، أن يلتزموا نمطاً من وضع أهداف عالية جداً. وعليه، يزيدون من خطر فشلهم، وستحتاج إلى تذكيرهم بأن يتحلوا بالصبر، فقد تكون درجات (أ) بالتأكيد ضمن قدراتهم، فإن درجات (ب) أو (ج) ربما تكون معقولة بصورة أكبر بالنسبة إليهم في البداية. فإن كانوا قد انتقلوا إلى مجموعة متقدمة للتو، فستساعد الأهداف الأكثر سهولة على بناء الثقة التي ستقودهم في النهاية إلى التحصيل الممتاز. على أي حال، غالباً ما يخيب ظنهم في أنفسهم عندما لا يحظون بنجاح فوري، ويمكن أن يستسلموا بسهولة إن لم تعطهم إذناً خاصاً بالتوقعات الواقعية.

ساعد هؤلاء الأطفال على الرضا بأن يصبحوا من الطلاب الأذكياء بدلاً من (أذكي الطلاب)، ويجب تذكيرهم في أثناء تحقيقهم مزيداً ومزيداً من أهدافهم التحصيلية، أنهم يفتحون بذلك الأبواب لفرص النمو والتقدم الشخصي، التي كانوا يغلّفونها خلال مدّة تدني تحصيلهم، ويحدون من مستقبلهم باستمرار، وذكرهم بالألا يتوقعوا النجاح دائماً في كل شيء؛ فلا أحد قادر على ذلك.

ساعد هؤلاء الأطفال على تحديد إنجازاتهم الإيجابية عندما تتغير موازنتهم للنجاحات والإخفاقات، وخطط لمقابلات أسبوعية مدتها ربع ساعة لمراجعة نجاحاتهم، وتشجيعهم على وضعهم للأهداف بأنفسهم، من الممكن تقليل هذه المدة إلى خمس دقائق، عندما ينجحون ولكن، لا تفقد الفرصة الأسبوعية لتعزيز تقدّمهم، لقد كنت - في وقت سابق لتعزيزاتهم - تقضي وقتاً أكبر في الاهتمام بمواطن عدم أهليتهم واعتماديتهم. والآن، وقد تعلموا جذب انتباهك بصورة إيجابية أكثر، فإن أداءهم وثقتهم قد لا يكونان في مأمن مدّة طويلة. لذا، يمكن أن يظل استثمارك في الاهتمام الإيجابي أمراً حيويّاً بالنسبة إليهم مدّة لا بأس بها.

بوصفك معلماً، سترغب في مكافأة نفسك بصورة متكررة، فتذكر أنك، فعلاً، مهم لهؤلاء الأطفال ذوي التحصيل المتدني، وسيتذكرونك خلال حياتهم الراشدة، إن أصبحت الشخص القدوة في حياتهم، ذلك الشخص الذي يغيّر اتجاه تحصيلهم، الشخص الذي أحدث الفرق. وقد يتطلب تغيير ذوي التحصيل المتدني مثابرة ومجهوداً رئيساً، ونفساً طويلاً من المثابرة والمتابعة. لذلك، لا تتردد في إغداق الثناء على نفسك، الذي تستحقه على نوعية تعليمك؛ إنك تستحقه فعلاً.

### تعليم الإستراتيجيات التنظيمية

يكون الطلاب الاعتماديون أحياناً منظمين إلى حدّ كبير، مثل بيرل الباحثة عن الكمال، ويكونون أحياناً أخرى غير منظمين بصورة كاملة، مثل بول السلبي، إنهم يميلون إلى اختيار أحد طرفي النقيض أو الآخر، ومن الممكن أن تتعلق إخفاقاتهم التنظيمية بالوقت، أو المواد أو/و المعلومات، إن تثبيط التنظيم الصارم أكثر سهولة من التعامل مع سوء التنظيم، ويجب على الأطفال الذين يعتمدون على التنظيم الصارم الاستجابة لتمارين حل المشكلات الإبداعي؛ ليتعلموا زيادة تفكيرهم المتباعد.

يمكن تيسير تعليم إستراتيجيات التنظيم بأفضل صورة، من خلال نمذجة التنظيم الجيد، والسماح للأطفال بوقت لتجميع المواد، وترتيب الأوراق، وتنظيف المقاعد، والخزائن، وكتابة الواجبات في دفتر الملحوظات المخصوص بهم (انظر الشكل 19.11) في أثناء اليوم المدرسي. إضافة إلى ذلك، فإنّ توضيح أساليب التنظيم الشخصي، وتشجيع الطلاب على مشاركة إستراتيجيات تنظيمية إبداعية مع رفاقهم في الصف، سيساعدهم على تقدير النظام في حياتهم. يتضمّن الشكل (20.11) مثلاً طلابياً.

في العادة، يفقد الأطفال متدني التحصيل دفاتر الملحوظات الاعتيادية المخصصة للوظائف، وأحياناً يفعل الأطفال المحصلون ذلك أيضاً. فيما يأتي بعض الأبدال الفاعلة للتذكير بالواجبات، وإن أمكن، دع الأطفال يختارون وسيلتهم المفضلة.

- من الممكن أن تكون دفاتر الملحوظات المخصصة للوظائف دفاتر حلزونية بالحجم الكبير، حيث تكتب وظيفة في كل يوم على صفحة جديدة، وتُمزق الصفحة من الدفتر عند إكمال الواجبات جميع المكتوبة عليها. الإيجابيات: (1) يكون ضياع الدفاتر أقل احتمالاً؛ لأنها كبيرة الحجم، (2) يحقق الأطفال الرضا من تمزيق الصفحات المنجزة، وعرضها على الآباء أو المعلمين، (3) تكون الواجبات الجديدة على الصفحة الأولى دائماً، فإن هناك سيئة واحدة، هي أنّ هذه الطريقة تهدر الورق بصورة ما، على الرغم من أنه بإمكانك تشجيع الأطفال على إعادة التدوير.

- يحظى الأطفال بدفاتر ملحوظات مخصصة للوظائف لكل موضوع، ويجب جلب دفاتر الموضوعات جميعها إلى البيت في كل يوم.

- يمكن أن يجهز المعلمون نموذج وظائف خاص للأطفال في دفتر ملاحظات منزوع الأوراق، إضافة إلى أنه يمكن تخصيص وقت في نهاية اليوم؛ كي يتمكن الأطفال من نسخ الواجبات في الدفاتر الملائمة ومن تجميع الكتب الضرورية.

- من الممكن أن يوزع المعلمون على الأطفال أوراق وظائف أسبوعية لوضعها في ملف، ومن الممكن أن يشطب الأطفال المهمّات فور إنجازهم لها.

- تستطيع المدارس توفير مهمّات الواجبات المنزلية على الموقع الإلكتروني للأطفال والآباء.

- يمكن أن يسمح للأطفال إبداع إستراتيجيات تذكير خاصة بالواجبات المنزلية، حيث سيظلون ملتزمين بمجرد استثمارهم بوسيلتهم الخاصة.

المصدر: رم، س. ب. (2002). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن تربية الأطفال، 13(1). ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (19.11): دفاتر الملحوظات المخصصة للوظائف

لأتذكر وظائفني، أضع كتيبي في الصباح بالترتيب فوق الرفّ العلوي لخزانتي المدرسية، وبمضي اليوم أضع الكتب التي لا وظائف منزلية لها على الرفّ السفلي، وتلك التي لدي وظائف منزلية بها على الرفّ العلوي، وفي نهاية اليوم، أترك الكتب الموجودة على الرفّ السفلي، وأخذ إلى البيت تلك الموجودة على الرف العلوي. بتلك الطريقة سأذكر كتب الواجبات المنزلية.

المصدر: رم، س. ب. (1990). كيفية وقف تدني التحصيل، 1(2). ووترتون، ولاية وايومنغ: خدمة التقييم التعليمي.

### الشكل (20.11): تقنية أحد الطلاب في تذكر الواجبات

هنالك مغالطة واضحة عند مساواة الإبداع بالفوضى، وعلى الرغم من صحّة أنّ كثيراً من الأشخاص المبدعين يعيشون في بيئات غير منظمة، فإن هذا الأمر ما هو إلا وهم؛ فالأفراد المبدعون لا يعتمدون على التزمّت، ويتحملون الغموض بصورة جيدة، ولكنهم يمتلكون مهارة حقيقية في تنظيم الفوضى، وهم في العادة حريصون على معرفة التفاصيل. من الممكن أن يظهر مكان عملهم فوضوياً، ولكنهم سيجدون بصورة نمطية تماماً، ما يحتاجون إليه في الوقت الذين يرغبونه فيه، قد تحتاج إلى شرح هذا المفهوم لطلابك، إذ لا يتحمل متدني التحصيل الاعتماديون مسؤولية ترتيب أوقاتهم وموادهم، وستفيدهم نمذجة الإستراتيجيات التنظيمية، والسماح بوقت محدد للمهمّات التنظيمية.

إنّ تنظيم المعلومات للدراسة مهارة حيوية جداً، ويتعيّن على المحصلين وذوي التحصيل المتدني، على حدّ سواء التدرّب عليها، حيث يصل كثير من اليافعين إلى التعليم ما بعد الثانوي دون فهم لعملية الدراسة، إذ يجب تدريس المهارات الدراسية الملائمة لمجالات المحتوى والتمرّن عليها في كل غرفة صفية. لا يدرس كثير من المعلمين الأطفال كيفية الدراسة لموضوعهم بالتحديد، لكنّ كثيراً منهم سيفضّل ترك تعلم المهارات الدراسية إلى مادّة خاصة، ويعترف كثير من الأطفال بتدريدهم أنهم لا يعرفون كيفية الدراسة، إلى درجة أنّ عدداً مساوياً من المعلمين يجب أن يفترضوا قيام شخص غيرهم بالتأكيد بتعليم الأطفال.

في حالة أنّ ذوي التحصيل المتدني لديك لم يتعلموا تقنيات الدراسة الفاعلة، فعلمهم أنت ذلك، واسمح لهم بالتدرّب على هذه المهارات الدراسية الملائمة للمحتوى في الموضوعات المحددة التي تُدرّسها، فمن الممكن لتكرار تعلم مهارات الدراسة التي هدفها المحتوى أن يفيد

الأطفال جميعهم، ومن الممكن أيضاً أن تكون قادراً على مشاركة بعض أفكار الدراسة المبدعة التي لم تسبق لهم تجربتها من قبل، وباستطاعة الأطفال مشاركة اقتراحاتهم الذاتية مع الأطفال الآخرين.

### الواجبات طويلة الأمد

حتى عندما يكمل متدنيو التحصيل الاعتماديون واجباتهم اليومية بصورة كاملة، فغالباً ما يشعرون بالعبء من الواجبات طويلة الأجل؛ لأنهم يؤجلون، ويسوّفون، ويبدوون بالعمل في الوقت الذي يكون معظم الطلاب فيه قد شارفوا على إكمال عملهم، ويمكن أن يعملوا طوال الليل قبيل موعد تسليم الوظيفة. وعليه، فإنهم يبتدعون الأعذر لمهامهم غير المنجزة.

يمكنك مساعدة هؤلاء الأطفال من خلال مقابلتهم في اليوم الأول بعد إعلانك عن الوظيفة طويلة الأجل؛ لتهيئ لهم تقنيات تخطيط لإكمال الوظيفة في الوقت المحدد لها، أو يمكنك مراجعة خطة لتنظيم الواجبات طويلة الأمد مع الصف برمته، كما هو موضح في الشكل (21.11).

- حدّد عدد الأيام الدراسية المتبقية بين اليوم وموعد تسليم الوظيفة، على سبيل المثال: خمسة عشر يوماً.
  - قسّم الوظيفة إلى أجزاء مساوية لعدد الأيام المتاحة - في هذه الحالة خمسة عشر جزءاً، ربما سيحتاج الطلاب إلى مساعدة في تقسيم الوظيفة، فيما يأتي مثال على كيفية تخصيص خمسة عشر يوماً لكتابة ورقة بحثية.
  - خمسة أيام: بحث في المكتبة وعمل بطاقات ملاحظات.
  - يوم واحد: تنظيم بطاقات الملاحظات.
  - يومان: تشكيل خط عريض، ثلاثة أقسام للخط العريض.
  - ثلاثة أيام: كتابة قسم واحد في كل يوم.
  - يومان: مراجعة وتعديلات.
  - يوم واحد: تحضير المسودة النهائية.
  - يوم واحد: يوم إضافي إن لزم الأمر.
  - يجب على الأطفال بعد ذلك، وصف كل جزء من الوظيفة في دفتر الملاحظات المخصص للوظائف لكل يوم، يجب أن تُتجز فيه الوظيفة.
  - يجب ترك يوم أو يومين، إن احتاج أيّ جزء من الوظيفة إلى أكثر من الوقت المتوقع.
- المصدر: رم، س. ب. (2004). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن تربية الأطفال، 1(15). ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمة التقييم التعليمي.

الشكل (21.11): كيفية تخطيط وظيفة طويلة الأمد ومحاربة التسويف

### قلق الاختبار

يطور الأطفال الاعتماديون، الذين عادة ما تكون نتائج اختباراتهم باستمرار أكثر سوءاً مما يتوقعون، قلق الاختبار. وقد يتعارض هذا القلق لاحقاً مع أدائهم. وعليه، يسبب دورة مستديمة محققة لذاتها، ويزداد شعور هؤلاء الأطفال بأن الدراسة يائسة. لذا، يقللون من الوقت الذي يمضونه في الدراسة.

وقد يتعارض القلق في الواقع مع الذاكرة، وسيشعر الأطفال بأنهم يعرفون المادة بصورة جيدة إلى أن يصبح الاختبار أمامهم. وبعد انتهائه، ومغادرة الغرفة، سيتذكرون من جديد المعلومات التي تعلموها للاختبار ولكنهم قد نسوها خلاله.

ويمكن كذلك أن تطور الطلاب مرتفعو الإبداع، الذين يميلون إلى تفسير الأسئلة بطرق غير اعتيادية، القلق من الاختبار، وسيقودهم سوء تفسيرهم المستمر إلى فقد الثقة بمهارات الاختبار لديهم، وغالباً بذكائهم أيضاً.

ستجد أن هؤلاء الطلاب يصبحون في الواقع أقلّ خوفاً، إن تمكنا من تعويض الاختبار وعمل اختباراتهم التجريبية، سواء لأنفسهم أو للطلاب الآخرين، حيث يبدد التمرن على كتابة الاختبارات والإجابة عن الأسئلة بطرق متنوعة القلق، ويزيل الغموض.

### المكافآت الاجتماعية

إن تقبل الأقران الاجتماعي مهم للأطفال في أيّ عمر، فعند بعضهم يكون التقبل مترابطاً منطقياً بصورة أكبر من الآخرين، ويمكن أن تكون له الضرورة القصوى خلال المدرسة المتوسطة<sup>15</sup>. يكون الأطفال الاعتماديون في العادة محبوبين بصورة جيدة من قبل الراشدين وبعضهم مقبولين من الأقران كذلك، ولكن، إن تلقت الاعتمادية قدراً وافراً من الاهتمام السلبي من المعلمين، فمن الممكن أن يصبحوا معروفين لأقرانهم بـ (الأغبياء) أو (البهلاء) أو واحدة من السمات المؤذية الكثيرة التي تستبعدهم عن زملائهم في الصف، وأحياناً يُغاضب الأَوْلاد الاعتماديون بوصفهم بالشذوذ الجنسي، ومن الممكن أن يكون هذا الأمر شديد الإرباك للأَوْلاد في مرحلة ما قبل المراهقة.

في أثناء تغيير صور الأطفال الاعتماديين الذاتية، والكيفية التي يراهم بها الأقران يجب زيادة وعيهم للكيفية التي جعلتهم بها السلوكيات الاعتمادية منبوذين من قبل مجموعات أصدقائهم، لا تعطِ هؤلاء الأطفال الانطباع بأنّ الشعبية أولى الأولويات، ولكن دعمهم يعرفون بأنّ اكتساب احترام بعض الأقران هدف قيمّ. إن مساعدة الأطفال في المدارس التي تتغاضى فيها مجموعات الأقران عن عدم التحصيل على اكتساب الاحترام ليست تقنية فاعلة للتقليل من تدني تحصيلهم، ولكن الأطفال الذين يجذبون الاهتمام إلى عجزهم وعدم مسؤوليتهم، لا يقبلون في العادة من قبل أيّ مجموعة أقران، وسيكون من المفيد أن يشير المعلمون إلى أنّ الأداء الصفي

المعقول، سيساعدهم في الواقع على التقبل من الطلاب الملائمين الآخرين، لن يقتنع متدنو التحصيل بسهولة، ولكن، إن كان بإمكانك الإشارة إلى بعض الأمثلة الطلابية، فسيجدي الأمر نفعاً. ولا تقترح احترام الأقران بوصفه هدفاً رئيساً، ولكن عندما يتحسن الأداء المدرسي يميل متدنو التحصيل إلى اكتساب الاحترام ضمن زملائهم في الصف، وتقل احتمالية أن يكونوا ضحايا للمضايقات والنكات. وبينما يطورون ثقتهم، فإنهم يصبحون أقل حساسية، ومن المهم أن يخبر المعلمون الطفل على انفراد بأن التغييرات ملحوظة؛ لأنها قد تتطور بصورة تدريجية دون وعي الطفل لها.

يمكنك، بوصفك معلماً، تيسير التقبل الاجتماعي للطلاب الاعتماديين، على سبيل المثال يمكنك تحديد شراكات للمشروعات، إضافة إلى أن دمج الأطفال الاعتماديين مع طلاب آخرين مقبولين من قبل الصف، سينمّي دعم الأقران، شريطة ألا يكون الشريك مهيمناً إلى حد كبير، ويضع الطفل الاعتمادي تحت وطأة عبء ثقيل. ولما كان بإمكان الشريك الاعتمادي رفض قبول المسؤوليات بسهولة، فيجب أن يُطلب إلى أعضاء الفريق كتابة قائمة بالمهام الفردية بصفتها جزءاً من المشروع كله، حيث إن مجموعات المهام المكونة من ثلاثة ليست بالفاعلية نفسها للمجموعات المكونة من اثنين، والتي تؤكد تضمين الأطفال الاعتماديين، وستفيد المجموعات الأكبر المكونة من أربعة إلى ثمانية أطفال، فقط إن كان بالإمكان تصميم قسمة المسؤوليات ومراقبتها بصورة واضحة، أما إن أمكن جعل كل طفل يشعر بأنه جزء مكمل للمشروع، فغندا ستكون المجموعات فاعلة في تشجيع تعاون الأطفال الاعتماديين وثقتهم وتقبلهم في المجموعات.

يشجع عمل منافسة بين المجموعة برمتها وصف آخر أو مجموعة مدرسية أخرى، تمازج الأطفال الاعتماديين وتضمينهم، ومن الممكن أن يستفيد متدنو التحصيل الاعتماديون من بعض التوجيهات عن كيفية أن يكونوا أعضاء فاعلين في المجموعة، وستمو ثقتهم في أنفسهم عندما يظهر أعضاء مجموعة الأقران دعمهم في الوقت الذي يتعلمون فيه أيضاً تشجيع جهود أقرانهم حيث إنّ الكيفية التي يكون الفرد فيها عضواً جيداً في الفريق تستحق المناقشة في الصف، كذلك منح الثناء لبعض الأطفال ذوي العمل الجماعي الاستثنائي، ولا سيّما إن كان بالإمكان تضمين متدنيي تحصيل اعتماديين مع ذوي التحصيل المرتفع المقبولين اجتماعياً، إستراتيجية فاعلة لتغيير صورة الأقران، وبإمكان المعلمين المحبوبين جيداً من الطلاب أن يكونوا فاعلين بصورة رائعة في التأثير في تقبل الأقران.

## تعليم الأطفال الآخرين

يطلب كثير من المعلمين من الأطفال أن يساعدوا الآخرين من خلال تدريسهم، وقلمًا يتم اختيار ذوي التحصيل المتدني الاعتماديين من أجل هذه المهمة؛ لأنهم يظهرون قيادة ضعيفة ولكن ضعف قيادتهم، بالضبط، هو ما يجعلهم محتاجين أكثر إلى تجارب تعليم الآخرين التي تبني الثقة في النفس، من الممكن أن يدرسوا الأطفال الآخرين في صفهم، ولكنهم يكتسبون الثقة بصورة أفضل، عندما يُعطون فرصاً للتدريس الخصوصي للأطفال الصغار، أو القراءة لهم، أو نصحهم بصورة ما. إضافة إلى أن تعليم الأطفال الآخرين هذا قد يكون في مجالات قوتهم أو ضعفهم، على الرغم من أنهم سيحتاجون إلى بعض الإرشاد في مجال ضعفهم.

يدرك المعلمون جميعهم مقدار المعرفة والثقة التي يمكن أن يكتسبها الأطفال، عندما يطلب إليهم التعليم في مجال جديد ومتحد، حيث تصبح مواد المنهاج الصعبة واضحة تماماً، عندما يشرحونها لطفل أصغر سنًا. عندئذٍ، سيرتقي الأطفال الاعتماديون إلى الثقة بإرشادهم الآخرين.

## العقاب

يتعيّن على المعلمين إعادة النظر في بعض وسائل العقاب المنتشرة قبل استخدامها مع الأطفال الاعتماديين، حيث إنّ حرمان الأطفال من الاستراحة لإكمال الواجبات المدرسية، عادة ما يكون غير فاعل للأطفال؛ لأنهم يفضلون الوقت الذي يقضونه بمفردهم مع المعلم على رفقة مجموعات أقرانهم - التي قد يجدونها في الحقيقة غير مريحة - في الاستراحة. وعليه، من الممكن ألا تخدم الاستراحة المفقودة هدفاً ملائماً، أو يمكن أن تعزز فشلهم في إنجاز الواجبات.

إضافة إلى ذلك، فإنّ كتابة أسماء الذين لم يكملوا عملهم على السبورة غير ملائم أيضاً لأنها تلقي الضوء على نقاط ضعف الأطفال الاعتماديين أمام الصف، وتخدم فقط في تأكيد تكهنات الأطفال بأنهم لا يرقون إلى مستوى أداء الطلاب النمطيين، أما معظم الأطفال الذين قد تظهر أسماؤهم بصورة متقطعة، فقد لا تضر، بل من الممكن أن تفيد في إبقاء تركيزهم على المهمة، في حين أن متدنيي التحصيل الاعتماديين، سيرون أسماءهم على السبورة يومياً. فكيف يمكنهم التطلع إلى الهرب من معضلتهم؟

من الممكن أن تُسلب الامتيازات بناءً على العمل غير المكتمل باعتدال، فإن سلبها بصورة متكررة سيمنع الأطفال الاعتماديين من المشاركة في الأنشطة المهمة والمكافأة، حيث يستسلم

هؤلاء الأطفال بسهولة كبيرة، إلى درجة أنك ستجدهم قريباً يخسرون معظم امتيازاتهم، التي تأمل استخدامها في لتحفيزهم، على سبيل المثال: حرمان ذوي التحصيل المتدني الاعتماديين من نشاط رياضي، أمر غير مثمر معهم.

بصفتك معلم صف، ستجد نفسك في معضلات شبيهة لتجارب آباء هؤلاء الأطفال الاعتماديين، فالعقاب ليس فاعلاً كثيراً في تحفيزهم؛ حيث يفقد الأطفال ثقتهم، ويكتئبون، وقريباً جداً لن يبقى هناك إلا القليل ليؤخذ منهم. وفي العادة، لا يوجد لاستخدامك للعقاب أي تأثير في تحسين أدائهم، وستستنتج قريباً، إضافة إلى الوالد، بأن العقاب ليس محفزاً فاعلاً للأطفال الاعتماديين.

لم يستخدم كثير من المعلمين العقاب مع الأطفال الاعتماديين، مع أنه لا يكون فاعلاً في العادة؟ يحتاج المعلمون أيضاً إلى الشعور بضرورة تحكم داخلية، ومن المهم لك (المعلم) أن تشعر بأنك تنجز شيئاً مع الطلاب، وعندما لا تتكلم أساليب التدريس النمطية بالنجاح، يبدو من المنطقي أن سلب بعض الامتيازات قد يكون طريقة بديلة. وعلى الرغم من أن ذلك يبدو عقلاً منطقياً ومنطقياً، فإنه يكون فاعلاً فقط إن شعر الأطفال شخصياً بقدرتهم على فعل شيء لتغيير العواقب. ولسوء الحظ، يبدأ الأطفال الاعتماديون بالشعور بأنّ الفشل محتم عليهم، وبالإحباط والعجز بسهولة. نتمنى أن تستطيع هزهم للخروج من خمودهم، ولكنك مهما وبّخت، وحاضرت ومنطقت، ووضحت، وهددت، أو عاقبت، فلن يظهروا أيّ إشارات على التطبيق المفعم بالنشاط، لما تعلم أنهم قادرون على فعله.

وقر على نفسك عناء الغضب، فالاهتمام الشخصي، والإلهام، والإقناع، والإبداع، والتعزيز قصير الأمد للأنشطة فقط ستكون فاعلة، ستحتاجون إلى صبر عظيم أيها المعلمون، وسيعتمد هؤلاء الأطفال على دعمكم وتشجيعكم، ولكنهم سيتخلصون من الاعتمادية فقط بصورة تدريجية في أثناء تعلمهم عندما يكون حافزهم من الداخل، ويكون التحصيل والدرجات الجيدة والاهتمام الإيجابي غايتهم.

### الحلّ الإبداعي للمشكلات

نوقش الحكم المؤجل والعصف الذهني في قسم الآباء من هذا الفصل، إذ يجب أن توضع أساليب الحلّ الإبداعي للمشكلات في مناهج الغرف الصفية كلها للأطفال جميعهم؛ لأنّها

أساسية للتعليم تماماً مثل (three R's) ، وعلى الرغم من أنّها جوهرية للأطفال جميعهم ، فهناك بعض الطرق المحددة، التي يمكن أن يلبي التفكير الإبداعي خلالها الاحتياجات الخاصة للأطفال الاعتماديين. يكتشف هؤلاء الأطفال السلبيون أنّ بإمكانهم الاعتماد على بعض الإستراتيجيات المحددة، للقيام بمساهمات صفيّة إبداعية.

أما الذين ينشدون الكمال، الذين يفضلون بنية إجابات الصواب والخطأ، فمن الممكن أن تبدو العمليات الإبداعية غير مريحة، ولن تكون نمطهم المفضل للتعلم، ولكنهم سيصبحون أكثر استعداداً مع الممارسة والتشجيع، للمخاطرة بتجربة التشويش المتأصل في الأفكار الإبداعية، وسيوسعون من أخذهم للأخطار التعليمية، حيث ستتغير عدم راحتهم المبدئية إلى الاستمتاع بإنتاج الأفكار، في حين يتسع رضاهم عن أنفسهم، لأنّهم على صواب إلى الاكتفاء الذاتي الذي يأتي مع العملية الإبداعية، ومن الممكن أن تفيد هؤلاء الأطفال بعض الواجبات غير المصححة التي ليس عليها درجات.

يجب أن يحظى تعلم إستراتيجيات التفكير الإبداعي بأولوية مرتفعة لبول السلبي، وبييرل الباحثة عن الكمال، ستساعد هذه الإستراتيجيات هؤلاء الأطفال على تحديد المشروعات أو القصص أو التقارير، إضافة إلى مساعدتهم على التعامل مع علاقات الأقران والمعضلات الشخصية الأخرى. يبين الشكل (21.11) بعض الإستراتيجيات التي يمكن تكييفها بسهولة مع الغرفة الصفيّة، ويمكن الحصول على إستراتيجيات أخرى في كتاب **تعليم الموهوبين**<sup>16</sup>.

يدرج الطلاب السمات أو الصفات الأساسية لمشكلة ما ، ثم يكتبون طرقاً مختلفة يمكن بها تغيير كل واحدة أو تعديلها. مثال على استخدام إدراج الصفات لتصميم مشروع علمي، سيتضمّن الصفات الأساسية الآتية:

نصّ المشكلة

المواد والمعدات

منهجية العمل

الاستنتاجات

التطبيقات

إنّ تعديل كل خطوة من التجربة يجبر الطلاب على تفحص وقعها على الخطوة الآتية بصورة مبدعة ويمكنك أيضاً استخدام إدراج الصفات في الكتابة الإبداعية للأطفال الذين يعانون صعوبة في إيجاد أفكار لقصصهم، ومن الممكن أن يبدأ الأطفال بقصة أخرى، ولكن يعدلون بعض الصفات المدرجة أو كلها:

العنوان

الشخص

تحديد البداية

نهاية الحكمة

لن يتعلم الأطفال كثيراً عن بنية القصة فحسب، بل سيجدون أنّ تعديلاتهم تمخّضت عنها قصة جديدة ومبدعة، التي ظنوا أنفسهم في السابق غير قادرين على كتابتها.

المصدر: دايفيس، ج. أ.، & رم، س. ب. (2004). تعليم الموهوبين (الطبعة الخامسة). بوسطن: بيرسون للتعليم؛ كروفورد، ر. ب. (1978). تقنيات التفكير الإبداعي. في ج. أ. دايفيس & ج. أ. سكوت (EDs)، تدريب التفكير الإبداعي (الصفحات 52-57). هنتينغتون، نيويورك: كريغ.

### الشكل (22.11): تمرين الإبداع: إدراج الصفات

خطت إحدى معلمات الصف الخامس لوقت تفكير إبداعي يومي لمدة خمس إلى عشر دقائق فقط في كل صباح، مخصصة لنشاط ممتع يشجع الأطفال على توسيع تفكيرهم وتأجيل حكمهم، حيث احتضنت بيئة إبداعية حقاً امتدت للتعليم المدرسي كله، كان النشاط ملائماً للمحصلين، ولذوي التحصيل المتدني، والموهوبين والمتوسطين، وللأطفال ما دون المتوسط فالتفكير الإبداعي مهارة أساسية، إضافة إلى أنّ تعليم الأطفال تأجيل أحكامهم، يحررهم لبناء ثقتهم بقدرتهم الذاتية على إنتاج الأفكار، وستحسن نوعية الأفكار كلما ازدادت كميتها، إضافة إلى أنّ تشجيع الكمية يقلل من الضغط الواقع على الأطفال الذين يعتقدون بأنه يجب عليهم إنتاج أفكار إبداعية دائماً، فالبيئة الفكاهية المرحّة تستدرج التفكير الإبداعي.





## الفصل الثاني عشر

### ما الذي يمكنك فعله للأطفال المهيمنين المنصاعين ذوي التحصيل المتدني؟

من الصعب تحديد الأطفال المهيمنين المنصاعين ذوي التحصيل المتدني؛ لأن مدى تدني تحصيلهم يميل إلى أن يكون أقلّ تطرفاً، وهم قليلاً ما يرسبون في المواد، ويقومون فقط بما يكفي ليتدبروا أمورهم. وفي العادة، لا تستطيع عائلاتهم اكتشاف أنماط تدني تحصيلهم بتاتاً ومن الممكن ألا ينظر إليهم بأنهم يعانون مشكلات مدرسية خلال السنوات التي يقضونها في المدرسة. وفي الواقع، غالباً ما يقوم هؤلاء الأطفال تماماً بما هو مفضل لآبائهم، ويتصرفون بوصفهم محصلين بصورة أكبر منهم أطفال متدنيي التحصيل، وقد لا يصبح تدني تحصيلهم واضحاً إلا بعد المرحلة الثانوية.

سينتقل الأطفال المهيمنون المنصاعون إلى أنماط عدم الانصياع، سواء مهيمنة كانت أم اعتمادية، إذا احتدت المنافسة في مجالات خبراتهم، ولم يعودوا مهيمنين في حقولهم ومن المحتمل أن يحدث هذا في المدرسة الثانوية. وبحدوثه، قد يصبح هؤلاء الأطفال متلاعبين ومتمردين، ومكتئبين، أو يعانون القهم العصابي (فقدان الشهية) (anorexic). ويحتمل بصورة أكبر أن يظهر ذلك في الكلية أو خلال الوظيفة، عندما يُواجهون بوفرة من المواهب، ويجب عليهم التكيف مع مستويات نجاح أقلّ نسبياً.

في العادة، يكون الأطفال المهيمنون المنصاعون متعددي المواهب، وتمدّهم بصورة جيدة قدراتهم الفكرية الجيدة، إضافة إلى ميزات أخرى، مثل: القيادة الاجتماعية، والمواهب التمثيلية أو الموسيقية، والجسم الفاتن، والمظهر الجذاب – بالمواد الخام للنجاح، حيث ترعى بيئاتهم

المنزلية النجاح بأساليب إيجابية مُحفزة، ويتلقى هؤلاء الأطفال كثيراً من الاهتمام لمهاراتهم المتفوقة في مجالات خبراتهم، إذ إنهم يبرزون منذ البداية، وهم قادرون على الحفاظ على تميزهم، على الرغم من المنافسة في الرياضة، أو الموسيقى، أو التمثيل، أو العمل المدرسي، أو الحياة الاجتماعية، حيث إنهم منافسون جيدون؛ لأنهم يعملون بجد، ويظهرون مثابرة حثيثة في مجالاتهم المختارة للمهينة. وعلى أي حال، إنهم يتدبرون تجنب تعلم التعايش مع الفشل، من خلال عدم الانخراط، أو تدبر أمورهم بالكاد في المجالات التي لا يحظون فيها بالمراكز الأولى أو لا يكونون متفوقين فيها.

قد يلاحظ الآباء هذا على أبنائهم، ولكن، ولأن الأطفال يبذلون سعياً وناجحين، فيقررون أنه من الأفضل عدم المبالغة في ردود الفعل على درجات (ب) التي يجب أن تكون (أ)، أو درجات (ج) التي يجب أن تكون (ب)، أو على فقدان المفاجئ للاهتمام بكرة السلة لمصلحة فريق السباحة. وعندما يعلن الابن الذي كان في السابق رئيساً للصف عدم اهتمامه بالحكومة المدرسية، أو عندما تقرر الابنة الانسحاب من مسرحية المدرسة؛ لأنها أُعطيت دوراً ثانوياً فقط يفترض الآباء أن هذه الأعراض جزء طبيعي من النمو أو المراهقة. قد يكون هؤلاء الآباء على حق في التأكيد من حق المراهقين تغيير اهتماماتهم، أو اتخاذ القرار بأنفسهم للمكان الذي يرغبون استثمار أوقاتهم وطاقاتهم فيه. وعلى أي حال، فإن النمط الذي يختار الأطفال فيه الأنشطة التي يُعترف بتميزهم فيها فقط، ينذر لاحقاً بمشكلة أكثر خطورة.

يتحایل هؤلاء الأطفال بالبيئات المدرسية والمنزلية لتجنب المنافسة، وقد يؤدي ذلك في النهاية إلى تدني تحصيل سيئ، وغالباً ما يسبب بعض المشكلات العاطفية المرتبطة. من الممكن أن يمنع الآباء والمعلمون المشكلات إن كانوا متنبهين لها. ولكن، عادة ما يكون الآباء قد تماثلوا بقوة بصورة عكسية مع نجاحات أطفالهم، إلى الدرجة التي تعميهم عن المشكلات المحتملة بالتغييرات المطلوبة في المنزل والمدرسة ليست معقدة، ولكن من الصعب إقناع الآباء والمعلمين القيام بها. سيتوضح هذا عندما توصف التغييرات الضرورية.

يأتي نشوء الأنماط المهينة المنصاعة لدى الأطفال من تلقي كثير من الانتباه للنجاح. وعلى الرغم من أن الانتباه حسن من مواهبهم، فإن الأطفال استبطنوا ضغطاً ناتجاً من الانتباه المستمر حيث يدمنون هذا الانتباه، وهم مستعدون للمحافظة على الأداء المرتفع فقط في المجالات التي تستثير الانتباه، ولكنهم لن يؤديوا بصورة جيدة، إن لم يتأكدوا من وجود الجمهور والنجاح.

## ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم آباء؟

قد يبدو تغيير أساليب رعايتك الأبوية عند عدم وجود مشكلة؛ لأنك أُخبرت فقط باحتمال وجود واحدة يوماً ما، أمراً غير عقلاني. لماذا يتعين عليك فعل أي شيء بصورة مختلفة إن بدا أطفالك راضين وناجحين؟ من المؤكد، لا يتحتم عليك القيام بأي تغييرات، إلا إن رأيت بعضاً من أعراض متلازمة تدني التحصيل، ولكن، إن ظهرت هذه الدرجات، في أي حال، فتكون بمثابة قمة الجبل الجليدي، ومن المنطقي التعامل مع المشكلات التي تتوارى تحت السطح، حيث ستبدو التغييرات منطقية وليست تعسفية على الإطلاق، بمجرد أن تصبح مرتاحاً معها، فالقيام بتغييرات طفيفة قد يشكل عطفاً صادقاً طويل الأمد على أطفالك.

### مراقبة المماثلة العكسية

في العادة، يتشارك أحد والدي متدنيي التحصيل الموهوبين أو كلاهما مواهب أو اهتمامات متشابهة معهم، حيث تؤيد البحوث حالياً الدور الحيوي لاهتمامات الآباء وحماستهم، والقدرات التي يشتركون فيها مع الأبناء في تحسين إنجازات المحصلين<sup>1</sup>، فإن الاهتمام المكثف نفسه من الممكن أن يسبب مشكلات، فإن كنت راشداً تنافسياً تهتم كثيراً بالتحصيل، فقد تشعر بحماس شديد عند نجاح أطفالك، وبخيبة أمل مكثفة عند فشلهم، يبدو الأمر وكأن تجارب أطفالك هي نجاحاتك وإخفاقاتك الشخصية، ويبدو أطفالك كأنهم امتداد لك. وكلما ازداد الشبه بين تجاربهم أو خبراتهم وتلك التي مررت بها في طفولتك، ازدادت كثافة شعورك بانتصاراتهم وهزائمهم.

من الصعب أن تفصل نفسك عن أطفالك، الذين استثمرت فيهم من نفسك كثيراً، فإن كنت فناناً، فقد تمثل مواهب أطفالك الفنية إشباعاً لأحلامك الذاتية، وتكون متأكداً أن التحصيل الفني الذي حفّزك وكافأك في الماضي، يجب أن يوفر تحفيزاً مشابهاً لهم، وتشارك شخصياً معهم متعة المديح الذي يتلقونه من معلمهم. ومن الناحية الاجتماعية، إن كنت محبوباً ومشهوراً -أو على العكس لو شعرت بعدم التقبل- فيمكنك التماثل مع هلع ابنتك في موعدها الغرامي الأول، أو مكالمات ابنك الهاتفية الأولى مع فتاة. وإن كنت رياضياً، وتلقيت أمجاد جوائز المدرسة

الثانوية وتملق الأقران، أو إن لم تتأهل للجوائز من الأساس، فيمكنك تخيّل الكيفية التي سيشعر بها ابنك في أثناء هتاف الحشود وتغنيهم بنجاحهم الكروي. فيما يأتي مثال دراسة حالة أكاديمية:

رسب جوان الطالب في سنته الجامعية الأولى، أو انسحب من مواد الفصل الثاني الدراسية جميعها، وفي محاولة لمساعدة جوان على تحديد أهداف معقولة، راجع مستشار نتائج اختبار الكفاية المخصوص به، وأوضح له أنّ الجامعة ستكون أكثر صعوبة من المدرسة الثانوية. وعلى الرغم من أنّ موهبته كانت ممتازة، فإن الأمر سيتطلب عملاً دؤوباً منه لتحقيق معدل تراكمي من مستوى (ب). بعد ذلك، تحدّث والدته، التي كانت جزءاً من الاجتماع، مع المستشار على انفراد، وسألته سؤال المُحبط: لماذا لم يطمئن جوان بذكائه المرتفع، ولم يخبره بأن الجامعة يجب أن تكون سهلة بالنسبة إليه، قالت: يجب ألا تكون صعبة بالنسبة إليه؛ لأنّ الجامعة لم تكن صعبة بالنسبة إليها، لقد تماثلت بصورة عكسية مع جوان بشدة، إلى الدرجة التي لم تستطع معها تخيل إمكان تمتعه بقدرات ومهارات ودافعية أقل منها.

ما سبب أهميّة فصل نفسك عن أطفالك، وحماسك دون أن تكون عاطفياً زيادة عن اللازم أو أن يخيب ظنك دون أن تصاب بالإحباط؟

سبب ذلك، أنّ حدّة مشاعرك تكشف لأطفالك عن رسائل عاطفية قوية، تُطوّر لديهم حسّاً بالإلحاح لانتصاراتهم، وبالحزن والكدر لهزائمهم، يذهب إلى ما هو أبعد من الحدث في حدّ ذاته. نعم، يجب أن يتمتع أطفالك ببهجة الفوز، وأن يتعلموا التعامل مع خيبات الأمل الناجمة عن الخسارة، ولكن، عندما يببالغ الآباء في ردود أفعالهم، يصبح الفوز مهمّاً إلى درجة أنّ الأطفال لا يجرؤون على المشاركة في الأنشطة التي تنضوي على مخاطرة الخسارة.

من غير العقلاني أن تتوقع من أطفالك أن يكونوا منتصرين على الدوام، وأنت فعلاً لا تتوقع ذلك، ولكن حدّتك العاطفية تكشف لهم عن هذه الرسالة المستحيلة. يتعيّن عليك أن تسأل نفسك، ما إذا كان من المهم حقّاً لأطفالك أن يكونوا الأكثر شعبية، أو أفضل الرياضيين، أو نجوم المسرحية المدرسية، أو الذين يلقون كلمة الوداع في حفل التخرج، أو ما إن كانت هذه في الواقع ضغوطاتك العاطفية، التي تعزوها إليهم دون قصد. من المؤكّد أنك ترغب من أطفالك المنافسة، وبذل أفضل جهودهم، ولكن الضغط الذي تشعر به يبعث برسالة مختلفة، احتفل بأداء

أطفالك الممتاز، وتعاطف مع كفاحهم، ولكن اسمح لهم باستشعار تجاربهم الذاتية، دون أن تثقلهم بضغطاتك الشخصية.

ناقش الدكتور روبرت سابولسكي، أستاذ الأحياء وعلم الأعصاب في جامعة ستانفورد، ومؤلف كتاب (لماذا لا تصاب الحُمُر الوحشية بالقرحة)<sup>2</sup>، كيف تفيد التجارب الصعبة في إعطاء الناس المناعة ضد الشعور بوصفهم فاشلين، وفي الوقت نفسه تزيد من مرونتهم. وعليه ستقوم الضغوطات الصغيرة، التي يتعلم الأطفال التعايش معها، بتلقيحهم للتعايش بصورة أفضل مع الضغوطات الأكبر، التي من المحتمل أن تجلبها لهم الحياة. وإن بالغ الآباء في التماثل مع أطفالهم بصورة عكسية، ما يؤدي إلى الإفراط في حمايتهم من اختبار الفشل، فمن الممكن أن يمنعوا عنهم اللقاح الذي يقود هؤلاء الأطفال إلى المرونة التي سيحتاجون إليها في سن الرشد.

## المنافسة

ستجد أن موضوع المنافسة نوقش في هذه الفصول جميعها بصورة تصف تعديلات للأطفال متدنيي التحصيل؛ لأنها أساسية لمشكلة تدني التحصيل، بصرف النظر عن نمط تدني التحصيل. لن أكرر توصيات تعليم المنافسة في المنزل الواردة في الفصل الحادي عشر، ويمكنك العودة إليها إن لم تقرأ ذلك الفصل، ولكن هناك على أي حال بعض الأمور الإضافية للمنافسة لدى الأطفال المهيمنين، التي يجب التطرق إليها.

يعيش الأطفال المهيمنون في العادة في عائلات عالية التنافسية، وقد وجد الفتیان والفتيات المهيمنون المنصاعون مجالات بإمكانهم أن يكونوا فيها فائزين، ويحتاجون فقط إلى إدراك كُنه الفوز بصورة أكثر دقة ووضوحاً.

يمكنهم أن يقدروا التميز مادام أنهم لا يشعرون بالتقدير فقط لتمييزهم، وإن كنت بعثت لهم ضمناً رسالة تتضمن أنك تحب الأطفال الرابحين، الذين هم الأذكي، والذين يتميزون، عندها غيّر تلك الرسالة إلى: (نريد من الأطفال أن يحاولوا، وأن يتحملوا المسؤولية، وأن يبذلوا جهوداً إيجابية صادقة). وإن شعر الأطفال بأنّ عليهم أن يكونوا الأفضل ليكسبوا حب آبائهم وانتباههم، فسيختارون المشاركة فقط في المجالات التي يمكنهم التميز فيها.

بوصفكم أولياء أمور يتعيّن أن تتخطوا في بعض الأنشطة التي لا تربحون فيها دائماً، إضافة إلى التعبير علانية عن الاحترام لمواهب منافسيكم ومهاراتهم؛ حتى يتسنى لأطفالكم سماع ذلك التقدير. وعلى أيّ حال، يجب ألاّ يعني ذلك التقدير أنكم تأملون، أو تتوقعون أن يُحصّل أطفالكم هذه المكانة العظيمة. فعلى سبيل المثال: إن كنت أنت وابنك تمارسان لعبة التنس، وتشاهدان بطولات ويمبلدون العالمية للتنس، فاشرح له كيف يراقب اللاعبون، ويتعلم من مهاراتهم، ولكن رجاءً لا تقترح - كما يفعل كثير من الآباء - أنه إن تمرن بانتظام، ربما سيلعب التنس في ويمبلدون يوماً ما، سيكون هناك لمثل تلك الأهداف الرفيعة وقتاً في المستقبل، إن أظهر موهبة غير اعتيادية، ولكن في هذا الوقت المبكر، تكون المنافسة مع أصدقائه مقياساً معقولاً، يوضع للمتعة والمجد على حدّ سواء.

في العادة، يخبر الآباء أطفالهم بأنهم قادرين على فعل أي شيء، إن كانت لديهم النية للعمل بجد كافٍ، وعلى الرغم من صحّة القول: إن التمرين يحسن المهارات، فقد لا يستطيع أطفالك الوصول إلى الألعاب الأولمبية، أو مسرح الأوبرا القومي، أو كلية الطب في جامعة هارفارد، أو منصة برودواي الفنية، أو فرقة الباليه الوطنية، أو فريق (كليفلاند إنديانز) لكرة القاعدة، أو فريق (جرين باي بايكرز) لكرة القدم الأمريكية، على الرغم من جهودهم المبذولة كلها.

ومع أنّ هذه التوقّعات غالباً ما تنقل إلى الأطفال على صورة مزاح هزلي، فإن الأطفال يأخذونها على محمل الجد عادة، فقد يبدأ الأطفال المهيمنون المنصاعون جهودهم مباشرة ومن الممكن أن يفترضوا بأنهم إن كانوا نجوم فريق الصف السادس المدرسي لكرة السلة فسيكونون بذلك على طريق كرة السلة الاحترافية، يتمرنون على كرة السلة بجد كبير، ولكنهم لا يرغبون في القيام بالتزامات مشابهة للعمل المدرسي؛ حيث إنّ تعلم العمل في المجالات التي لا يكونون فيها نجوماً، عنصر أساسي لتعلم الأداء بفاعلية في مجتمع تنافسي.

## الدافع الداخلي

إضافة إلى تعلم الأداء في البيئات التنافسية، يتعيّن أن يطور الأطفال التنافسيون اهتمامات تكوّن مصدر متعة داخلياً جوهرياً بالنسبة إليهم، وأن يشاركوا في أنشطة لا تكون تنافسية ولا مكافأة من الآخرين، حيث إنهم لا يفعلون ذلك بصورة متكررة؛ لأنهم يستثمرون أوقاتهم بصورة

مكتنفة جداً في مجالات خبراتهم، فالحاح الفوز لديهم قوي جداً، إلى درجة أنهم لا يقدرّون على تخيل قضاء وقت في القيام بأنشطة غير تنافسية.

كثيراً ما أخبرني مراهقون موهوبون بأنهم يدركون فجأة أنهم طوروا اهتمامات قليلة جداً عدا عن تلك التي تقع في مجالات اختصاصهم، لا يبدو أيّ سبب للمشاركة، إن لم تكن هناك منافسة، ولم يكن هناك اعتراف بنجاحاتهم، وهذا يضيق من خبرات الأشخاص اليافعين الذين يتعيّن أن يستكشفوا العالم من حولهم.

إنّ إشراك الأطفال في أنشطة مكافأة جوهرياً - كما ذكر مسبقاً - أسلوب مهم لتوسعة اهتماماتهم؛ بمعنى أنّ المشاركة في أنشطة غير تنافسية مع أطفالك، ستوسع حماسهم، وتشجعهم على المشاركة، إضافة إلى أنّ العضوية في مجموعات الأقران ذات الاهتمامات المشتركة، أو المشاركة في تجارب مخيمات صيفية متخصصة، ستشجّع الأطفال على توسيع انخراطهم. على سبيل المثال، هناك مخيمات للعلوم، واللغات، والحاسوب، والتمثيل، والموسيقا، وكرة السلة والفنون، وهذا غيض من فيض. أمّا إذا كانت موهبة الأطفال الذاتية هي التمثيل، وكانوا للتو نجوماً فيها، فسيزيد مخيم التمثيل من تجاربهم في المنافسة فقط، في حين سيعرفهم مخيم اللغات مجالات اهتمامات جديدة. أمّا إذا كانت الرياضة هي مجالهم، فمن الممكن أن يغريهم مخيم التمثيل بمتعة وحماسة المسرح، حيث تقدّم البرامج المتخصصة قيماً متفاوتة للأطفال، ومن الممكن أن تُستخدم في تعليم المنافسة والتحدي وتشجيعهما، فإن بإمكانها أيضاً فتح تجارب جديدة خارج إطار مجالات الموهبة النمطية للأطفال.

تعلم أنّ الاستمتاع بالاهتمامات غير التنافسية أمر مهم للأطفال جميعهم، ولكنه يبدو مهماً بدرجة كبيرة للمهيمنين المنصاعين، الذين يحرصون على الفوز فقط.

## رسائل الوالدين

إنّ تواصل الوالدين على صورة عبارات لفظية وأفعال فاعلٌ جداً في إرشاد الأطفال المهيمنين المنصاعين، فالرسائل للأطفال في المرحلة الابتدائية أكثر أهمية من تلك المُعطاة في سنوات المراهقة، عندما يكون هؤلاء الأطفال مرتفعو التنافسية، قد اكتشفوا نقاط قوتهم، واستبطنوا ضغوطهم التنافسية.

الرسالة الأكثر أهمية عن التحصيل المدرسي، أن التعليم الأكاديمي أمر محوري أكثر من الأنشطة المدرسية الأخرى جميعها التي تعدّ أقل أهمية، فالأنشطة مهمة مثل الفرق الموسيقية والجوقة الغنائية، والرياضات، والتمثيل؛ لأنها توفر حياة ثرية وغنية للأطفال وللراشدين على حدّ سواء. إنّ تطوير الاهتمامات والمشاركة في الأنشطة التنافسية في هذه المجالات، أمر ملائم ليشجّع على الدوام، ولكن العمل المدرسي والدراسة يجب أن يأخذ الأولوية الأولى، فإن صرّحت بهذه الرسالة بصورة واضحة عندما يكون الأطفال أصغر سنّاً، فسيعلمون بحلول المدرسة الثانوية أن وظيفة علم الهندسة المنزلية يجب أن تنجز، حتى وإن استمرت التدريبات المسرحية إلى الساعة التاسعة والنصف مساءً، وأنّ جدول كرة السلة الحافل ليس عذراً للتغيب عن حصّة ما لمجرد أنهم لم يكملوا الوظيفة المنزلية. ولكن هناك كثير من الآباء الذين يعطون الرسالة المغايرة دون قصد. على سبيل المثال: أخبرت إحدى الأمهات ابنتها التي كانت لامعة جداً أنّ الجزء الأكثر أهمية في المدرسة، هو الأنشطة اللامنهجية، لقد أعطت هذه الأم لابنتها رسالة واضحة، بأنّ أهمية التعلم المدرسي تأتي في المقام الثاني.

إن أخذت أطفالك في رحلات تسوق وأنشطة رياضية خارج المدرسة، فإنّك تبعث برسالة مفادها أنّ العمل المدرسي ليس مهماً، وعندما يتغيب الأطفال عن المدرسة، فيجب أن يكون هنالك سبب تعليمي أو طبي محدد لذلك العذر. ومن الواضح أنّ الرحلات العائلية التي توفر خبرات تعلم متميزة، تُعدّ عذراً مقبولاً في هذا المجال. وإذا كانت الأنشطة العائلية الأخرى تقتضي غياب الأطفال عن المدرسة، فيجب عليك أن تطلب إليهم جمع الواجبات المدرسية وإكمالها خارج المدرسة، حيث سيوفر ذلك للعائلة مرونة معقولة، في الوقت الذي يكون واضحاً فيه أنك تقدر المسؤولية الأكاديمية.

تتمتع هذه الرسالة المركزية في مقابل الرسالة الأقل أهمية، بأهمية خاصة للأطفال المهمين المنصاعين؛ لأن مجالات خبراتهم أو استعراضهم، أكثر إغراءً لهم من أنشطة الغرفة الصّفية العادية المملة، أمّا إذا أظهر الأطفال جدارة غير اعتيادية في مجال موهبة ما، فيجب أن يضع الآباء والمدارس مخصصات مالية لتدريبهم ولاحتياجات الممارسة المخصصة بهم، وقد يحتاج هؤلاء الأطفال الموهوبون إلى عدد قليل من المتطلبات الأكاديمية، ولكن يجب أن يُحذّروا بأن يحافظوا على الحدّ الأدنى للسماح لهم بالحصول على خيارات وظيفية بديلة، في حالة عدم تأهلهم في مجالات موهبتهم عالية التنافسية. إضافة إلى ذلك، يجب أن يُتوقع منهم الارتقاء إلى

معايير نوعية في الموضوعات التي قد تكون مهمة لتلك الواجبات البديلة. على سبيل المثال، يمكن لممثلة الدراما الطموحة أن تحتاج في النهاية إلى الوصول إلى حل وسط، وتدريب التمثيل واللغة الإنجليزية، وعلى الرغم من أنها تبدو نتيجة غير محتملة لنجمة المسرح المدرسي، أو مسرحية عازف الكمان على السطح في أثناء المدرسة الثانوية، فإنه يتعين عليها تعلم الرياضيات والعلوم للحصول على تلك الدرجة الجامعية.

يعلن كثير من اليافعين منذ الصف الأول ولغاية الجامعة لآبائهم ولأقرانهم، تبريراتهم المنطقية لعدم الدراسة أو القيام بالواجبات المنزلية، في الموضوعات التي يكونون واثقين من أنها غير مرتبطة بمستقبلهم. أحياناً، أشعر بالافتناع أن الآباء يخبرون هؤلاء الأطفال إن التربويين لا يعلمون شيئاً عن التعليم، فإنه توجد بالتأكيد مجموعة أساسية من المهارات التي يتعين على المواطنين المتعلمين التمكن منها عند بلوغهم سن الرشد. وينبغي لك التواصل مع أطفالك بأنه يُتوقع منهم تعلم القراءة، والكتابة، والرياضيات، حتى لو كانوا يكرهون هذه الموضوعات جميعها.

لا أعني أنه بالتشديد على الجوانب الأكاديمية يجب ألا تدعم الموسيقى، أو الفنون، أو التمثيل أو الرياضة، وعلى العكس من ذلك، فهذه الأشكال من الإثراء الإبداعي جميعها مهمة جداً. ولكن يتعين لمعظم الأطفال النظر إليها بأنها مكملة لجوهر التعلم والتفكير الأكاديمي الجيد، سيأتي الوقت والخبرة للموهوبين غير الاعتياديين القيام بقرارات أكثر دقة وتحديداً لاحقاً.

## الحساسية

في العادة يكون الأطفال المهيمنون المنصاعون باستثناء النمط الأكاديمي، على وجه الخصوص، محبوبين من قبل أقرانهم، وتكون سنواتهم في المرحلتين الابتدائية والثانوية مثمرة وفاعلة، إذ إنهم يعدّون أنفسهم رابحين، استناداً إلى حقيقة أنهم اختاروا فقط الأنشطة التي يكونون فيها ناجحين.

ولأنهم، عادة، صغار ذوو اهتمام بالأقران، فنادرًا ما يتوافر لهم الوقت، أو الرغبة لتطوير الحساسية تجاه مشاعر الآخرين الذين قد يكونون أقلّ نجاحاً. يلخص سطر من أغنية (دادي ووربكس) من العرض الغنائي (آني) - «يجب عليك ألا تعامل الناس الذين تقابلهم في طريقك في أثناء صعودك إلى الأعلى بلطف، إن لم تكن تنوي العودة معهم إلى الأسفل مرة أخرى» - بإيجاز بيئة النجاح المناسبة التي تحيط بنجوم المدرسة في الرياضة، والتمثيل، والموسيقا. وفي

العادة، يعد هؤلاء الصغار لمواجهة الحقيقة التي غالباً ما تتبع قمة سنوات مراهقتهم بصورة غير صحيحة، فربما سيحتاجون إلى النزول إلى الأسفل مرة أخرى، وسيسبب تأثير رؤية أقران أقل نجاحاً يتفوقون عليهم في أثناء نزولهم، الاكتئاب لدى هؤلاء اليافعين المعتادين بشدة التفكير في أنفسهم بأنهم متفوقون، وأنهم مركز المسرح.

من المحتمل أن يواجه هؤلاء الأطفال، الذين كانوا واثقين من أنفسهم في السابق، هزائمهم وإخفاقاتهم المبدئية في الجامعة، أو في عالم العمل، وأحياناً بعيداً عن أفراد العائلة الداعمين. فكيف يمكنكم، بوصفكم آباء، أن تعدوا أطفالكم للعالم الحقيقي بخيبات الأمل المحتملة كلها على أفضل نحو؟ لذا، يتعين أن يُوعى الأطفال الذين يتبحرون بحماسة عن إنجازاتهم، ويتفاخرون بخيلاء بانتصاراتهم، لمشاعر أغلبية الناس الذين يواجهون الفشل على نحو متكرر. فإن علمتهم التعاطف مع الآخرين ودعمهم، فقد فسيتعلموا بصورة غير مباشرة إستراتيجيات التعايش التي ستساعدهم على التكيف مع التوازن بين الفشل والنجاح، الأمر الذي يعدّ جزءاً من حياة الراشدين جميعهم.

بإمكانك تشجيع التعاطف من خلال طرح أسئلة، وإعطاء تعليقات توجه انتباههم لمشاعر الآخرين. ولكن، لأن أطفالك سيتمادون على هتافك واستحسانك لأدائهم، فيجب أن يُصاغ اقتراحك الحساسية تجاه الخاسرين بطريقة لا تأخذ من أطفالك فخرهم بنجاحاتهم الشخصية. وإن شعروا بأنك تعطي مزيداً من الانتباه للخاسرين أكثر من الذين يحققون انتصارات عدّة، فقد يتدمرون بصورة مبررة حيال قلة دعمك. يقدم الشكل (1.12) بعض نماذج العبارات والأسئلة التي من الممكن أن تفيدك.

- جوش، كانت هذه مباراة ممتازة حقاً! لقد كنت فعلاً نجماً رياضياً، وقد أعجبت أنا وأبوك بها بشدة، ولكنني أعتقد أنّ صديقك تروي لم يوفق كثيراً في المباراة، لم أره يلعب بهذا السوء من قبل. هل تعتقد أنه سيستفيد من بعض عبارات التشجيع منك؟
- ترايفون، أخوك في مزاج سيئ حقاً، وقد كانت مقابلته فظيعة جداً، ولطالما كنت قادراً على التعامل مع الخسائر بصورة جيدة، فهل لديك أي أفكار عن كيفية تحسين شعوره؛ كي يحاول مرة أخرى في المستقبل؟
- خلال حفلة ما، تنادي الأم مادلين إلى المطبخ، وتجري بينهما هذه المحادثة بخصوصية: ما انفكت صديقتك لاكيشا في القдом والتحدث إلي، لا أمانع قدومها إلى هنا، ولكنني أعتقد بأنها تشعر بالإهمال، إنك اجتماعية جداً، فهل لديك أي أفكار لجعلها تشعر باهتمام الآخرين وعدم الإقصاء؟
- تحية بالوقوف والتصفيق العارلا لا أعتقد أنني رأيت جمهوراً حماسياً كهذا. أنت حقاً نجم، ألا تعتقد أنه سيكون أمراً جميلاً لو وجد طاقم الممثلين في الليلة الماضية، طريقة لجعل الممثلين الذين يعملون وراء (الكواليس) يخرجون للانحناء على المسرح؛ كي يتمكنوا من المشاركة في الهتاف؟

### الشكل (1.12): نماذج عبارات تشجيع التعاطف

لاحظ أنه في كل عبارة يعلق الآباء على نجاحات الأطفال في أدائهم، قبل اقتراح كيفية استفادة الآخرين من دعمهم، وإن لم يفعل الآباء ذلك، يصبح الأمر إلى حد كبير كرسالة (المهضوم حقه)، حيث يشعر الأطفال الفائزون بالتضائل أمام عدم تقدير الأبوين لجهودهم الشخصية، لن ينفذ الأطفال مثل هذه الاقتراحات على الدوام، ولكن توجيه انتباههم نحو هذه الاقتراحات، حتى لو كان ذلك في وقت الانتصار، سيساعدهم على تكوين عادة التعاطف وعندما يشاركون مع أصدقائهم في تجارب الخسارة هذه، التي لا بد من أن تظال الجميع يوماً ما فسيتمكنون من تعلم إستراتيجيات التعايش مع الهزائم بصورة غير مباشرة.

كما ذكرنا سابقاً، يعدّ تعليم التقدير والاحترام وسيلة أخرى لتطوير الحساسية، التي قد تساعد نجم المدرسة الثانوية في العالم الحقيقي بعد المدرسة، وحتى عندما يربح أطفالك فبإمكانهم تعلم ملاحظة المؤدين الآخرين، وتقديرهم، وإيصال هذا التقدير لهم. ولأنهم اعتادوا المنافسة، فسيميلون للشعور بعدم الكفاية في كل مرة يقدم فيها الآخرون أداءً أفضل. وعندما تتوافر منافسة حقيقية، حتى لو كانت من الفريق المقابل، فيجب أن يطور الرياضي اللطيف مهارة في إظهار الاحترام للآخرين، بدلاً من استنكار موهبة الخصم. وعلى الرغم من أنّ تطوير

هذه المهارة صعب على الأطفال الذين يتمتعون بروح تنافس عالية، فإنها تعلمهم أسلوباً صحياً للتعامل مع الحلول في المركز الثاني، الأمر الذي يميلون إلى عدم أخذه في الحسبان من الأساس. أما الأطفال المهيمنون المنصاعون المعتادون الفوز، فتعدّ تهنئة اللاعبين الماهرين فعلاً من الشجاعة، ما سيساعدهم على إعداد أنفسهم لتقييم مهاراتهم بصورة واقعية لاحقاً في منافسات الراشدين.

إنّ تعليم الفائزين أن يكونوا حسّاسين لمشاعر الآخرين دون التخفيف من حماسهم الشخصية أمر أكثر صعوبة مما يبدو عليه؛ لأنهم يشعرون براحة في تذوق انتصارهم أكبر من تقدير مهارات المنافسين أو جهودهم. لذا، حاولوا جعل هؤلاء الأطفال يعلمون الآخرين ويدربونهم في مجالات خبراتهم الشخصية؛ لأنّ من شأن ذلك تمكينهم من رؤية الكيفية التي يتعايش بها الآخرون مع كلّ من النصر والهزيمة، ربما سيجدون نصح الأطفال الأصغر منهم سنّاً أكثر سهولة من نصح أقرانهم، وربما سيكونون أول من يعلم الأطفال الصغار كيفية الفوز بكرامة.

إضافة إلى ذلك، يجب أن يطور الأطفال الموهوبون أكاديمياً مهارات التعايش مع عالم ما بعد المدرسة الثانوية؛ حيث إنهم سيواجهون منافسة فكرية أعظم. ويجب تذكيرهم أيضاً بتفادي التفاخر، فربما لم يدركوا أن من شأن التعالي المتحمس في النجاح، أن يكون له تأثير مثبط في الآخرين الذين يُعدّون خاسرين بالمقارنة، إذ إنّ تعلم الحساسية تجاه الآخرين، واحترام الدارسين الآخرين، وإدراك أنّ المستقبل سيساعدهم على أن يكونوا منافسين أفضل، سيساعدهم لبيئات فكرية أكثر تحدياً سيواجهونها في الجامعة، وفي حياتهم المهنية من بعد.

## تقبل النقد

يفضل الأطفال المهيمنون فعل الأشياء بطريقتهم الخاصة، إضافة إلى أنّهم يشعرون بالرضا عن أنفسهم عندما تكون لديهم سيطرة كاملة على أنشطتهم. ويتسبب نقد أدائهم في فقدهم السيطرة على أنفسهم، ويُعدّ رد فعلهم الدفاعي تجاه النقد دلالة على مشكلتهم. ومن الواضح أنه من غير المعقول بالنسبة إليهم، أن يعتقدوا وصولهم إلى الكمال في مهارة ما. وفي الوقت نفسه تراهم يقضون قدراً كبيراً من الجهد، في تجنب الأنشطة التي لن يُثني عليهم أحد من خلالها. على سبيل المثال، بإمكان الأطفال الموهوبين موسيقياً التلاعب بك؛ كي تقنعهم بالأداء بحجة أنهم خجولون. وعليه، فهم يتجنّبون أيّ احتمال للنقد؛ لأنهم يعلمون أنّ استجابتك لأدائهم

الخجول ستكون فقط بالهتاف والاستحسان، إضافة إلى أنك ستمسك عن أيّ تعليقات سلبية؛ لأنك تفترض بأنها قد تجرح ثقة الطفل المهترزة في نفسه، فلا تتكبد عناء إقناعهم، وتجاهل تحايلهم لأنهم يحبون الأداء، وسيطوعون بذلك قريباً، إن لم تُحوّل الأمر إلى صراع قوى.

مثال آخر، قد يُعِدُّ أطفالك تقريراً صفيّاً، أو قصة يشعرون بثقة أنّها ممتازة، وهم متأكدون أنّ معلمهم سيعجب بها، ولكنهم لا يرغبون في إطلاعك عليها إلا بعد تصحيحها؛ لأنك ربما تقترح عليهم القيام ببعض التعديلات الطفيفة، التي ستحسن من دون شك القصة وقواعد اللغة، وسيكون أيّ نقد كهذا غير محتمل؛ لأنّ القصة عندها لن تكون من بنات أفكارهم وحدهم تماماً، ولا يرغبون في تغيير أيّ جملة - لأنّ ذلك سيبدد سلطتهم بعيداً، سيكون سعادة لعرضها عليك، بعد أن يحصلوا على درجة (أ)، ولكن أيّ انتقاد سيقابل بـ: (حسناً، لقد حصلت على درجة (أ))، لذا أعتقد أنني على ما يرام)، أما إذا كانت الدرجة أيّ تقدير أقل من (أ)، فلن تصل إليك لمراجعتها إلا إن طلبت أنت ذلك.

فإن أردت من الأطفال أن يطوروا مواهبهم الكامنة فعلاً، وألا يصبحوا متدنيي تحصيل فيجب عليهم تعلم التعايش مع النقد، لا تسمح لهم بالتحايل عليك لإجبارك على عدم القيام بذلك، وعلمهم أن يكونوا محللين وبخاصة في مجالات مواهبهم، فإن اعتادوا النقد البناء؛ السلبي منه والإيجابي، فسيتقبلونه دون تردد، ولكن الأطفال الذين لا يتلقون إلا المدح، لن يتسامحوا مع النقد السلبي بصورة جيدة.

قيّم بصورة مختصرة عن طريق الكتابة؛ فهي تساعد الأطفال على تقبل النقد دون أن يكونوا دفاعيين، وقد تبدو ملحوظاتك لهم قاسية بعض الشيء في البداية، ولكن عندما ينظرون إليها مرة ثانية، فسيشعرون باستعداد أكبر للتفكير في اقتراحاتك. اجعله تحليلاً مبسطاً لمواطن القوة والضعف، واسمح لهم أن يقرروا إن أرادوا المضي قدماً بناءً على اقتراحاتك أم لا، وبهذه الطريقة سيعدون التقييم، ولن يشعروا بأنهم في صراع قوى، يجب عليهم ربحه أو خسارته. وفي النهاية من الممكن أن يشكروك على اقتراحاتك، على الرغم من أنّ هذا الأمر غير محتمل الحدوث مباشرة.

أمّا إذا كان أطفالك دفاعيين وحساسين تجاه النقد في الوقت الحاضر، فابدأ عملية التقييم في مجال تعلم جديد أولاً، فلن يحتاجوا إلى أن يكونوا وقائيين لسمعتهم في مجال لا يرون أنفسهم

خبراء فيه. إضافة إلى ذلك، يجب تجاهل بضع دموع في مراحل التقدير الأولية؛ لأنها تشير إلى فرط حساسية، ولا تقضي إلى تقبل التحدي. ستحتاج إلى السير بحذر في البداية، ولكن ثابر. وكذلك، فإنّ تحليلكم معاً لأداء أناس آخرين، سيساعد الأطفال المهمين المنصاعين على رؤيته بوصفه نشاطاً بناءً لا يقدر بثمن، إنّ تعليم التعامل مع النقد لأطفالك بصورة بناءة، سيفيدهم طوال حياتهم.

هناك أوقات تحتاج من خلالها إلى تأجيل التقييم أو تجنبه بصورة كاملة، فالأوقات العاطفية التي ترافق النصر أو الهزيمة، ليست أوقاتاً جيدة للتقييم، وليس من الممكن أن يكون الأطفال موضوعيين في مثل هذه اللحظات، وقد يببالغون في ردود أفعالهم، ولاسيما في حالة الهزيمة.

كذلك، فإنّ المواقف ذات الوقت الضيق ليست مناسبة للنقد؛ فلن يرحّب الأطفال بالتقييم وقت إكمال طباعة موضوع من تأليفهم، في الصباح قبيل موعد قدوم حافلة المدرسة. من الممكن أنهم رتبوا لهذا الموقف ضيق الوقت بصورة متعمدة؛ لتجنب الانتقاد، ولكن على أيّ حال، فإنّ عدم قول أيّ شيء أفضل من تعجيل أزمة لن تحقق غايتك المنشودة بالتأكيد.

أيضاً، فإنّ أوقات إنتاج الأفكار الأولية ليست جيدة للتقييم، حيث يشجع تأجيل الحكم بعد أن يمضي الأطفال وقتاً كافياً في اللعب مع الأفكار على الإبداع. وينبغي لك وضع قواعد تأجيل الحكم بصورة واعية، كتذكر عدم القيام بالتقييم أبداً في مرحلة مبكرة. أخيراً، لا تطوّر عادة التقييم أو الانتقاد لكل شيء، حيث يتعيّن امتلاك الأطفال مجالات حرية، يمكنهم فيها الاعتماد على حدّ أدنى من التقييم أو الاستغناء عنه تماماً، فإن انتقد الآباء حرفياً كل شيء، فستكون لدى الأطفال شكاو وتذمّرات مبررة.

### ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم معلمين؟

ستُطبق التعديلات في المدرسة التغييرات المطلوبة من الوالدين في المنزل، لكن بعض المعلمين في مواقع سلطة كبيرة للتأثير في الأطفال المهمين المنصاعين، حيث يُنظر إلى المدرسين، ومعلمي الموسيقى، ومستشاري التمثيل، والاختصاصيين في مجالات موهبة الشباب بأنهم نماذج يقتدى بها، وقد يكون هؤلاء أكثر تأثيراً من الآباء، وعلى وجه الخصوص في مرحلة

المراهقة. بإمكانك تعليم هؤلاء الأطفال كيفية رؤية مجالات الموهبة التي تعنيهم بصورة واقعية لغايات التخطيط المستقبلي، أخبرهم بأن عليهم المشاركة في مجالات تميّزهم، ولكن يجب عليهم أيضاً السعي وراء التعليم الملائم لتجنب إغلاق الأبواب أمام الواجبات وأنماط الحياة التي قد تكون أكثر واقعية في النهاية.

### المحافظة على مركزية الأمور الأكاديمية

من الممكن أن يكون مدربو كرة السلة، أو معلمو التمثيل (الدراما)، أو الموسيقي متحمسين جداً تجاه الأطفال الأكثر موهبة الذين يعملون معهم، وقد يتماثلون بصورة عكسية مع هؤلاء الأطفال بالدرجة نفسها التي يتماثل بها الآباء، إذ من الممكن أن يروا فيهم المواهب والطموحات، والأمني، وخيبات الأمل، التي شعروا بها عندما كانوا مراهقين، ويتأثير من أمانيتهم غير المشبعة، فقد يوجّهون هؤلاء الأطفال نحو مجالات اختصاصاتهم الشخصية، وقد يدفعهم حماسهم لحقولهم والتزامهم تجاهها، والممزوج مع اعتقادهم بأنهم اكتشفوا موهبة غير عادية إلى التشديد على مجال الموهبة على حساب مناحي التعلم الأخرى. ولما كانت علاقة هؤلاء اليافعين ممتازة مع مدربيهم ومرشديهم، فمن الممكن أن يتقبلوا كل تواصل منهم على أنه حقيقة دامغة.

يتمتع المدربون بمكانة متفوقة لتبنيه الأطفال الموهوبين حيال المنافسة في الحياة الواقعية، والأهمية المركزية للاستعداد الأكاديمي الواسع، فمن المحتمل ألا يكون معلمو الاختصاص متحمسين تجاه التمثيل بدرجة حماسهم نفسها تجاه الرياضيات، ولا جيدين في لعب التنس بمثل كتابتهم للموضوعات الإنشائية. وفي الأحوال كلها، يتعيّن عليهم أن يألفوا الطفل الذي يعلمونه لتجنب دفع هؤلاء اليافعين إلى استثمار كثير من الوقت والطاقة في مجال اختصاصهم، إلى درجة إهمالهم المبادرات الأقل جاذبية. ويتعيّن على أعضاء هيئة التدريس الآخرين، الذين يلاحظون ضعف اهتمام هؤلاء الأطفال، أو ضعف تحصيلهم، الطلب إلى معلمي الاختصاص أو مدربيهم، أن يتقبلوا حلولاً وسطاً ملائمة، تتيح للأطفال المشاركة في مواهبهم الخاصة وتطويرها وتسمح لهم بالمحافظة على التحصيل في موادهم الدراسية جميعها. لاجرم، كلا الأمرين ممكن حيث يتمتع مدربو التمثيل، أو كرة القدم، بمكانة ممتازة، تتيح لهم إعطاء رسائل للأطفال عن الأنشطة الأساسية والثانوية، إذ إنّ الاستعداد الأكاديمي القوي مركزي لدى هؤلاء الأطفال. ولكن من الواضح أنه لا يكفي، فالإبقاء على الأنشطة اللامنهجية الإضافية، سيسمح لهم بالاستمتاع

بالتحدي الخاص بمواهبهم، وفي الوقت نفسه الاستمرار في المشاركة في المجالات التي لا يتفوقون فيها، التي تمثل أعمال المواد الدراسية الأخرى.

## التسريع أو تخطي الصف

لن يختبر بعض الأطفال الموهوبون جداً التحدي مع أترابهم، حتى عند تعديل مناهجهم لأن قدراتهم الفكرية ومهاراتهم متقدمة جداً. هناك كمّ لا بأس به من البحوث عن صور التسريع الأكاديمي جميعها، وفي ذلك الإدخال المبكر لرياض الأطفال، وضغط المنهاج، وتجاوز الصفوف، ومواد المستوى المتقدمة، والإدخال المبكر للجامعة.<sup>3</sup> لذا، من الملائم أخذ التسريع الأكاديمي للمادة الدراسية أو للصف، في الحسبان، إن كانت نتائج اختبارات الذكاء والتحصيل للطلاب تشير إلى أنهم لا يُتحدّون.

في الأغلب، سيبين النضج العاطفي وعلاقات الأقران الجيدة، بتكيف صحّي مع مستوى الصف الأعلى، ولكنها ليست العوامل الأساسية التي يجب أن تؤخذ في الحسبان. وفي الواقع هناك عوامل عدّة تسهم في المخرجات الإيجابية والسلبية لقفز الطفل عن أحد الصفوف، حيث يعدّ مقياس أيوا للتسريع (**Iowa Acceleration Scale**)<sup>4</sup> مصدراً ممتازاً يستخدم في تحديد مدى ملاءمة القفز عن صف كامل، ويتيح للمعلمين والإداريين والآباء استخدام معايير موضوعية في تقييم طفل معين، فيما إن كان ينصح له تجاوز صف أم لا.

بوجه عام، يبدو أنّ القفز عن صف واحد في كل مرة، يبسر لتكييف أفضل، فإنه يتعيّن عمل استثناءات للطلاب ذوي المواهب أو المهارات الفائقة؛ فقد أظهرت الدراسات في آلية التسريع الهائل نجاحاً ممتازاً من المنظورين؛ الأكاديمي والاجتماعي.<sup>5</sup>

إن المراقبة المستمرة مهمّة للتأكد من مدى ضرورة إجراء تعديلات أخرى على المنهاج ويتعيّن كذلك أخذ موقف المعلم المُستقبل في الحسبان عند اتخاذ قرار التسريع؛ لأن الأطفال الذين يُسرّعون إلى صف ما، قد يشعرون بضغط كبير، إن لم يؤمن معلومهم بملاءمة التسريع. وعلى الرغم من البحوث القطعية التي تشير إلى نجاح التسريع، فإن كثيراً من المعلمين والإداريين يميلون إلى معارضته، حيث تأتي معارضة التسريع في الأغلب من مصدرين رئيسيين، هما:

- يميل الأطفال ذوو الموهب الفريدة إلى أن يعانون مشكلات اجتماعية خلال المراهقة أكثر من الأطفال العاديين أو الموهوبين الآخرين، سواء أُسْرِعُوا إلى صف دراسي أم لا.
- يميل المراهقون إلى أن يعانون بعض المشكلات الاجتماعية، سواء أُسْرِعُوا إلى صف دراسي أم لا.

وعندما يتخطى الطلاب صفّاً دراسياً ما، فيُلقى باللوم عن المشكلات النمطية للمراهقة ولشديدي الموهبة على التسريع أمّا عندما لا يُسْرِعُونَ، فتُعزى المشكلة إلى مراهقتهم أو إلى موهبتهم.

فإن كان الطفل متوخياً للكمال، وكانت درجاته كلها (أ)، فسيكون أحد أنواع التسريع الأكاديمي ملائماً في الأغلب، فإنه يتعيّن عليك الوقوف موقفاً فاعلاً تجاه التسريع؛ فلا تنتظر إلى أن يُظهر الطفل مشكلات سلوكية، أو تدني تحصيل، أو تدمراً ناجماً عن الملل من اتخاذ قرار التسريع في موضوع ما، أو القفز عن صف دراسي، وبمجرد حدوث التسريع الأكاديمي، تأكد أن لدى الطفل إرشاداً كافياً للقيام بهذه الحركة بنجاح أكاديمياً وعاطفياً. إضافة إلى ذلك، يُنظر في معظم الأحيان إلى القفز الملائم عن صف دراسي، بأنه ناجح من جهات نظر كل من الطلاب، والآباء، والمعلمين.

### تقبل النقد

يتقبل الأطفال متدني التحصيل النقد من المدرسين والمعلمين المفضلين في مجالات اختصاصهم، أكثر من معلمي الصف الآخرين أو الآباء، فإن انتقد معلم الرياضيات أو اللغة الإنجليزية نجوم كرة السلة، أو مغني الروك، فسيكون ردهم النمطي: (كل ما في الأمر أن المعلم لا يحبني) أو (لا أقدر على حلّ الرياضيات). تذكر أنّ الأطفال المهيمنين (استعراضيون)، ويرون قلة المديح نقداً، ومن الصعب على الراشدين إعطاؤهم تأكيدات كافية، وفيما يأتي بعض الاقتراحات.

لا تنتقد الأطفال أمام أقرانهم؛ لأنهم يفقدون ماء وجوههم بسهولة، وقد تصبح عدواً دائماً إن أخرجتهم، فعادة ما يُنظر إلى السخرية والفكاهة بأنها مجحفة وغير عقلانية ومُهينة، يُضاف إلى ذلك أنّهم لا يضحكون بسهولة على أنفسهم. لذا، وقرّ فكاهتك وسخريتك الخفيفة إلى ما بعد أن يقبلوك بوصفك صديقاً. عندها، سيكون التعامل مع السخرية الفكاهية تمريناً جيداً لهم.

في البداية، ستحتاج إلى بدء كل انتقاد بإطراء، على سبيل المثال: (أعتقد، فعلاً، أنك فهمت الفكرة، ولكن الفقرة التي كتبتها تحتوي على بضعة موضوعات كثيرة). قد تبدو هذه الطريقة غير مباشرة وغريبة نوعاً ما، ولكن يجب على المعلمين مزاجية النقد مع ملاحظات صادقة عن المجهود، في الأقل بعضاً من الوقت، حيث يكمن مفتاح هذه الطريقة في جعل هؤلاء الأطفال ينظرون إليك بوصفك حليفاً؛ لأنهم يميلون إلى تقسيم الناس إلى حلفاء أو أعداء. إضافة إلى ذلك، يتطلب الأمر جهداً خاصاً من المعلمين للتقييم بأسلوب داعم، عندها ستجد أن بإمكانك أن تكون مباشراً في النقد. ولكن، لا تتلاعب وتتخلى عن عملية التقييم بصورة كليّة، وعندها يصبح الطلاب أقل دفاعية تجاه النقد، وأكثر ارتياحاً معه عندما يعتادون إدراك الدور البناء الذي يؤثر في تعليمهم.

غالباً ما يتنافس الأطفال المهيمنون مع المعلمين في صراعات القوى، وقد يختارون أوقاتاً صفية غير متوقعة؛ للتأسيس لقوتهم المتفوقة، وعادة ما يكون المهيمنون الفكريون الاجتماعيون هم بالتحديد الأكثر حنكة في محاولة إظهار مدى قوتهم وذكائهم لأقرانهم، من خلال إثبات خطأ معلمهم. إضافة إلى ذلك، سيجد المهيمنون المنصاعون الذين لا يميلون إلى أن يكونوا طلاباً مفتعلين للمشكلات حلفاء بصورة متكررة من الأقران والآباء، وقد تكتشف أن ما اعتقد أنه نقد بسيط مُستحق لعمل طفل ما أو سلوكه، قد أصبح معركة اجتماعية كبيرة مع خصوم عتيدين، إذ إن هؤلاء الأطفال محاربون متمرسون، ومن المحتمل أن يربحوا، فإن جارتهم في المنافسات فلا تتوقع منهم أن يكونوا منصفين، ومن المحتمل أن تسمع عن نفسك أشياء، لا يمكنك حتى تخيل أنهم أخبروها للطلاب والمعلمين والآباء الآخرين، سيتلاعبون؛ لكي يربحوا، ولأنهم يتمتعون بسمعة قوية بناءً على تميزهم، فسيصدقهم جمهورهم.

تذكر قانون رقم (10 #): يجب على الراشدين تجنب المواجهات مع الأطفال، إلا إذا كانوا متأكدين بصورة معقولة من قدرتهم على التحكم في النتائج. فإن بقيت حليف هؤلاء الأطفال فيمكنك مساعدتهم وحتى انتقادهم، أمّا إذا عدوك عدواً لهم، فستشعر بالإحباط واليأس، ولن تكون قادراً على مساعدتهم على التغيير، وربما ستجد نفسك أحياناً في مواجهات مع هؤلاء الأطفال، على الرغم من أنك لا تستطيع تذكر سبب المشكلة. وعندما تشعر بأن هذا قد حدث فستكون أفضل فرصة لك للنجاح عقد اجتماع خاص معهم، حيث يتعيّن في أثناء مناقشة الوضع معهم، أن يكون موقفك نابعاً من قوة وإنصاف، وغير متزمت أو ضعيفاً. ويجب أن يشدّد الاجتماع

على المشكلة، دون وجود رابع أو خاسر. وإذا كنت تتصد العقاب، فستستمر المواجهة أما إذا كنت غير فاعل، فقد يعتذر هؤلاء الأطفال، ولكنهم سيستمرون في الحديث عنك بصورة سيئة، ومحاولة الهيمنة عليك أمام أقرانهم. يتعيّن عليك الحفاظ على الاحترام من خلال سلطتك. ومن خلال إدراك مواطن قوة الأطفال، فقد يكون الأطفال المهيمنون غير دمثين مع أولئك الذين يعدّونهم ضعفاء، أو ينظرون إليهم بوصفهم خصوصاً.

### الدافع الداخلي

يبدو الانخراط في الأنشطة التي لا يوجد فيها جمهور مملأً للأطفال المهيمنين؛ لأنّهم يتوقعون مديحاً مستمراً، وتقديراً، وتغذية راجعة غير منقطعة، إضافة إلى أنّهم لا يميلون إلى الاندماج في الأنشطة المُحفزة داخلياً؛ لأنّهم لا يهتمون بالعملية وأنّما بالمرجات والنتائج.

قد يستخدم المعلمون هذه الاعتمادية على التغذية الراجعة بصفتها جسراً لتعريف هؤلاء الأطفال مجالات اهتمامات جديدة غير إنتاجية ولا مكافآت خارجية لها، إذ يتعيّن على الطلاب تطوير اهتمامات في الأنشطة التي يكون فيها النمو والرضا الذاتيين هما المحفزين. يظهر الشكل (2.12) بعض الأمثلة على وظائف الغرفة الصّفيّة، التي تحفز الأطفال للعمل من أجل الرضا الداخلي، ومن الممكن توزيع هذه الأمثلة خلال الدروس الصّفيّة النمطية؛ للتغيير، ولتعليم الأطفال القيام بالعمل دون مكافآت خارجية.

- المشروعات المُصَحَّحة بناجح/ راسب.
  - الواجبات المُصَحَّحة ذاتياً.
  - المشروعات المختارة بصورة فردية.
  - نصائح ومتحدثون عن الاهتمامات الذاتية.
  - جلسات نقاش عن الاهتمامات والهوايات الشخصية.
  - مشروعات المجموعات الصغيرة.
  - مشروعات تعاونية للصف كله، على سبيل المثال: المسرحيات أو الجداريات (murals) (تحتوي على جمهور، ولكنها مشروعات تعاونية لا تحتوي على نجوم في الصف).
  - مقابلات مع أعضاء المجتمع المحلي.
  - الدراسات المسحية وتحليل الاستبانات.
  - التجارب العلمية.
  - مشروعات إضافية.
- المصدر: ريم، س. ب. (1990م). تعلم قيادات بطاقات الاستعلام (Q-cards): نصائح للمعلمين. ووترتاون، ولاية وايمنونج: آيل.

### الشكل (2.12): وظائف صافية لتشجيع الاهتمامات الداخلية

قد يبدو العنصر الأخير في هذه القائمة مشروعات إضافية، وقد تبدو مهمّات خارجية الدوافع للتحفيز. بالتأكيد، إنّ المكافأة الخارجية هي التي تحفز الأطفال على البدء بالجهد الاستقلالي، فإنه عند انخراطهم في نشاط ما، يكونون واثقين فيه من المكافأة بصورة أو بأخرى، فسيطورون الحس الداخلي بالإنجاز الذي نسميه التعزيز الداخلي؛ حيث إنّ المشروعات الإضافية طريقة ممتازة لإغراء الأطفال المهيمين على الدخول إلى عالم استكشاف الاهتمامات الموجه نحو الذات.

يسحب كثير من المعلمين فرصة اكتساب مكافآت إضافية من أولئك الذين يكون أداءهم سيئاً في الواجبات الاعتيادية، ويطلبون إليهم استثمار أوقاتهم عوضاً عن ذلك في الدراسة سيكون الأطفال المهيمنون الذين هم في الأساس لا يتوقعون الحصول على درجات جيدة، إن انصاعوا لقواعد المعلمين، والذين يفضلون التحكم في دراستهم الخاصة أكثر استعداداً للقيام بأعمال إنتاجية، إن شجعتهم على الاندماج في بعض تجارب التعلم التي يختارونها، التي لها مكافآت

إضافية، يتعيّن عليك توجيههم نحو أنشطة مليئة بالتحدي ومثمرة حقاً؛ للتأكد أنهم يتعلمون في مشروعاتهم الفردية مواد ذات علاقة.

### دراسة السير الذاتية

قد تكون قراءة السير الذاتية مُلهمة للطلاب جميعهم، لكن الأطفال المهيمنين اختبروا مسبقاً قدراً كبيراً من النجاح، وطوّروا ثقة في أنفسهم مرتبطة بصورة مباشرة بالنجاح المستمر فهم غالباً ما يعدّون أنفسهم شديدي الموهبة في مجالات خبراتهم، وسيحتاجون إلى التحضير للمنافسة فيما بعد المدرسة الثانوية، سواء في الجامعة أو في الحياة المهنية. من الممكن أن تعلم السير الذاتية المفهوم الذي يقتضي بأن الناس يفشلون مرات عدة، فإما المثابرة نحو النجاح، أو يغيّرون اتجاهاتهم بصورة مبدعة؛ ليجدوا مخارج أخرى لمواهبهم.

شجّع طلاب المرحلة الابتدائية في إحدى الدراسات على بذل جهود أكبر، عندما عُرضت عليهم سير ذاتية تبين كيف يطوّر الأشخاص الناجحون مهاراتهم. من ناحية أخرى، أسهمت سير ذاتية تشدد بصورة أساسية على الموهبة الطبيعية للأشخاص المتفوقين، في تثبيط تعلم الأطفال.<sup>6</sup>

شكلت قراءة السير الذاتية نشاطاً متكرراً في مرحلة الطفولة للأشخاص الناجحين، وقد وصف كثير منهم الأثر العاطفي لقراءتها. على سبيل المثال: تتذكر أليكسا كانادي؛ جراحة الأعصاب الجنوب إفريقية، قراءة عشر إلى اثنتي عشرة سيرة ذاتية صغيرة في الأسبوع وتذكرت السيناتور كاي بيلي هتشيون أنّها قرأت السير الذاتية جميعها الموجودة في مكتبة مدرستها.<sup>7</sup>

تعدّ السير الذاتية مناسبة للقراءة لطلاب الصف على أن يتبعها نقاش صفي إضافية إلى أنّها مناسبة أيضاً للقراءة الفردية؛ من أجل تقارير الكتب. أمّا من أجل التشديد على الجهد، فمن المتحمل أن تحسّن الأسئلة متابرة الطلاب ومرونتهم؛ حيث إنّها توجّه انتباههم نحو المثابرة والتعايش مع تجارب الفشل.

### الاستعداد للجامعة

الأطفال المهيمنون المنصاعون هم في الأغلب الأكثر حاجة إلى الاستعداد للجامعة، حيث يتخرج الجزء الأكبر منهم في المدرسة الثانوية بترتيب مرتفع في صفوفهم؛ لأنّهم واثقون في

أنفسهم وماهرون، ومستعدون للاستحواذ على العالم، وقد عملوا بجهد في مجالات خبراتهم وتعايشوا مع المنافسة بصورة جيدة في هذه المجالات. لم تقبلهم الجامعات فحسب، بل رحبت بهم، وأعطتهم المنح الأكاديمية، ومنح الرياضة، والموسيقا، والتمثيل، وقد قبل آباؤهم ومعلموهم أداءهم الأكاديمي الضعيف، الذي تدبروا به أنفسهم؛ لأنهم افترضوا أنّ الجامعة ستحفز نضجهم فلم يكن أحد قلقاً عليهم.

من الممكن أن يصطدم هؤلاء الأطفال في الجامعة بحائط مرتفع، فقد منعت إصابة ماجومن لعب كرة القدم، وتنال خاناً درجة (ج) في اختبارها الرئيس الأول، وتوقع قسم التمثيل من إيما العمل وراء الكواليس، ولم يتأهل أليكس إلى أعلى فرقة أو جوقة موسيقية، حيث يشعر هؤلاء الأطفال في داخلهم بالأهلية والقدرة، ولكنهم لم يتمكنوا من إثارة إعجاب الآخرين بتلك الإمكانيات، وقد خضعوا لاختبار الذكاء مرة أخرى، وتبين أنّ الهندسة أو الموسيقا تخصص غير مناسب لهم. لذا، عقدوا العزم على الابتعاد بقدر الإمكان عن خشبة المسرح.

ينضج كثير من هؤلاء الأطفال، ويتكيفون، وينتظمون من جديد؛ فقد يختارون مسارات وظيفية جديدة، وقد يتعلمون الأداء في المنافسة، ومن الممكن أن يتقبلوا أنهم لن يهيمنوا على مجالاتهم، وقد تحاول قلة قليلة منهم الهيمنة على مجالات مواهبهم، ويصبحون رياضيين أولمبيين، ونجوم رياضة متخصصين، وفنانين، أو موسيقيين بارعين، وعلماء بحوث السرطان وأقطاب أعمال متفوقين. لذا، يجب عليهم تعلم التعايش مع انتكاسات المنافسة.

كثير من الآخرين يعدّون ذلك الحائط حاجزاً يستحيل عبوره فيكتئبون ويقلقون، وتتدنّى درجاتهم، وينسحبون، ويتخلون عن أهدافهم الحياتية، ويشعرون بأنهم فاشلون لسنوات. فيما يأتي مثال حالة لعازف كمان موهوب:

كانت لاسي مصممة على أن تصبح عازفة كمان، وقد قادتها موهبتها إلى الفوز في مستويات المنافسة جميعها، وكان أداءها الأكاديمي جيداً أيضاً، التحقت بجامعة ممتازة فيها قسم موسيقا مرموق، ولكنها تخلت عن الموسيقا في العام الثاني، ورسبت في معظم موادها الدراسية فانسحبت من الجامعة مكتئبة، ومضت سنوات وهي لا تستطيع حتى سماع الموسيقا، من دون أن تجتاحها خيبة أمل عظيمة.

برزت لاسي لاحقاً، وانتظمت من جديد، وصمّمت على بناء مهنة جديدة. بالتأكيد ستصبح ناجحة في النهاية، فإن هذه الشابة الذكية الموهوبة لن تتمكن من محو سجلها، وسيستعين عليها توضيح مشكلتها في كل محاولة للالتحاق بجامعة أو مواجهة تحدي، ثقتها الآن عالية جداً، ويجب عليها الآن استثمار مزيد من السنوات قبل أن تصل إلى أهدافها الوظيفية.

فيما يأتي مقتطفات من رسائل تلقيتها بعد التحدث عن الأطفال الموهوبين متدنيي التحصيل في برنامج اليوم:

عزيزتي الدكتورة رم،

عمري الآن سبعة وعشرون عاماً، وقد وُصفت عندما كنت طفلة بأنني (موهوبة)، وأُرسلت إلى مدرسة متخصصة يومين في الأسبوع، وتلقيت على الدوام كثيراً من الاهتمام من المعلمين، وشعرت بضغط هائل للأداء بصورة جيدة في المدرسة، فلم يلتحق أحد من عائلتي بالجامعة من قبل، وفي الواقع، انسحبت والدتي من المدرسة من الصف العاشر، وحصل والدي على تعليم لغاية الصف السادس.

لقد حملت بمغادرة مسقط رأسي والالتحاق بجامعة مرموقة، فقد كانت درجاتي كلها (أ) تقريباً خلال المدرسة الثانوية، وكانت نتائجي جيدة جداً في اختبار (SAT). وبناءً على ذلك، غادرت بلدي للالتحاق بكلية سميث بمنحة دراسية. لم أكن مستعدة للعيش بعيداً عن منزلي، ولا التعرض لضغط العيش في بيئة أكاديمية تنافسية مع أفضل طلاب الدولة، وبحلول عامي الثاني، عانيت نوبات قلق حادة، وكان كل ما أستطيع فعله البقاء والجلوس في الصف لا أغادره. تخرجت في الجامعة في الموعد المحدد، ومع أنّ درجاتي كانت في الحضيض فإنها بالتأكيد لم تعكس قدراتي الأكاديمية الفعلية.

لقد حملت بأن أكون طبيبة مذ كنت فتاة صغيرة، ومع ذلك قهرت نفسي لدرجة كبيرة. وبعد أربع سنوات، قررت أنّ الوقت قد حان للسعي وراء حلمي من جديد. رُفضت من كثير من كليات الطب لعامين على التوالي، وأشعر بأنني سأحتاج إلى وقت طويل؛ كي أعود إلى سابق عهدي إذ لا تهتم كليات الطب بدرجة ذكائي المرتفعة، أو بسجلي المدرسي الحافل، إنها تنظر إلى أدائي الجامعي، ولا إلى أيّ من الأسباب التي جعلتني أخفق في العيش وفقاً لتطلعاتي خلال

تلك الحقبة من حياتي. وكما ترين، إنني مثال جيد على الطفل الموهوب الذي انحرف عن  
الدرب، إمكانات هائلة مع قليل من الإرشاد والتوجيه في الوقت المناسب.

عزيزتي الدكتورة رم،

لقد قادني ضعف النجاح الأكاديمي في الجامعة إلى خيبة أمل صارمة في نفسي، وإلى الإحباط  
والاكتئاب، وآلام الشقيقة الحادة والأرق، كان حلمي على الدوام مذ كنت فتاة صغيرة أن أصبح  
محامية، إنني أرى هذا الحلم يولّي بعيداً عني.

أنا طفلة وحيدة، تخرجت ضمن أعلى (10%) من صفي في المدرسة الثانوية بمعدل تراكمي  
(GPA) قدره (3.5)، التحقت بالصفوف المتقدمة جميعها و صفوف التحضير الجامعي، خلال  
مدّة المدرسة الإعدادية العليا والمدرسة الثانوية.

التحقت بجامعة نورث كارولينا في تشابيل هيل شاعرة بثقة كبيرة في نفسي، حيث تخرجت  
فيها بمعدل (2.2)، لقد كنت دهشة جداً بهذا، إلى درجة أنني أبكي إلى أن أنام في كل ليلة  
مدّة شهرين.

المعدل الذي تخرجت به لا يعكس بأي صورة من الصور قدراتي الفعلية، ولكن كلية الحقوق  
تهتم بأمرين، هما: المعدل التراكمي (GPA)، واختبار الكفاية الدراسية القانونية (LSAT).

- لا تموتوا أيّ حصّة دراسية أبداً مهما اعتقدتم أنها مملة أو غير متصلة بالموضوع، لقد دفعتم مقابل هذا التعليم. لذا، من الأجدر بكم أن تحصلوا على مقابل قيمة النقود التي دفعتموها، وقد تصبح المحاضرة أو الشرح الذي فانكم سؤال الامتحان الذي لا تذكرون أنكم تعلمتموه.
- خططوا للدراسة مدّة ساعتين في الأقل مقابل كل ساعة صفّية، حيث توصي الجامعات بهذا الإرشاد. لذا، خذوا نصيحتهم بصورة حرفية.
- نظّموا وقت دراستكم في جدول أو على تقويم للأسبوعين القادمين في الأقل، حيث ستقلل رؤية الوقت المخصص للدراسة الضغط الذي تشعرون به.
- إن واجهتكم صعوبات في محتوى المادة، فابحثوا عن مساعدة قبل أن ترسبوا، إذ إنّ الجامعات تخر بمختبرات الكتابة، ومجموعات الدراسة، وبالمرشدين، ولن يجركم أحد من أيديكم ليساعدكم؛ سيكون عليكم المبادرة في البحث، ولكن توجد وفرة من أولئك المستعدين لمد يد العون، وحتى الطلاب الذين مستواهم (أ)، فإنهم يحصلون على مساعدة.

### الشكل (3.12): خطوط إرشادية للنجاح لطلاب الجامعة الجدد

يتضمّن الشكل (3.12) بعض الاقتراحات ربما استفاد هؤلاء الطلاب منها، وربما سترغب في مشاركتها مع الطلاب الذين ينوون الالتحاق بالجامعة، إنها شديدة الأهمّية لليافعين الذين لم يلتحق آباؤهم بالجامعات، وللمهيمنين المنصاعين الذين يعتقدون بأنهم سيتمكنون من تسلق أيّ جبل.





## الفصل الثالث عشر

### ما الذي يمكنك فعله للأطفال المهيمنين غير المنصاعين؟

يمثل عكس تدني التحصيل لدى الأطفال المهيمنين غير المنصاعين تحدياً صعباً، فهؤلاء الأطفال هم الأكثر مقاومة للتغيير، وتجعلهم تصرفاتهم غير مُحَبَّبي العشرة، وهم غالباً مولعون بالقتال، ومتمردون، ومغرورون، وحتى إنَّهم عدائيون. خلف هذا الدرع الواقي، يقبع أطفال لامعون، وحساسون يمكن إيذاؤهم بسهولة، حيث يشعرون بالثقة عندما يمسكون بزمام الأمور فقط، وبخلاف الأطفال المهيمنين المنصاعين، يشعرون بأنهم لا يمتلكون مجالات خبرة مقبولة يؤدون فيها بصورة حسنة ويتلقون الانتباه، إنهم فتية مخلوعون عن عروشهم، يتذكرون أوقات طفولتهم المبكرة بأنَّها أكثر الأوقات سعادة، تلك الأوقات التي أُعجب الناس بهم فيها عندما كانوا (كاملين)، أو عندما كانت درجاتهم جميعها (أ)، أو عندما كُنَّ بنات آباءهن المدللات<sup>1</sup>، هؤلاء يافعون فقدوا مكانتهم في منتصف المسرح، وتشكل الآن تصرفاتهم المتلاعب والمتمردة جهوداً تهدف إلى العودة إلى حقبة المجد من حياتهم، التي قَدَّروا فيها بصورة كبيرة. إنهم في العادة سلبيون وغاضبون، وحتى عنيفون. وتصبح المخدرات والكحول بالنسبة إليهم المنقذ الذي يعيد لهم السلطة بصورة مؤقتة. وعندما تزول تأثيرات تلك المواد، تعود مشاعرهم بالعجز ثانية، إلى أن يستخدموا مزيداً من الكحول أو المخدرات؛ ليُعيدوا حِسَّهم بالسلطة من جديد.

يكافح هؤلاء الأطفال ويقاومون الاعتراف بأنَّ مشكلاتهم من صنع أنفسهم، ولعلك سترغب في وضعهم في أماكنهم الصحيحة، وفي أن تهزهم، وتصنفهم، وتقنعهم بطريقة ما بأنك أنت الشخص الراشد، حيث إنَّهم يدفعونك للشعور بالعجز والمحاصرة، فتفقد رباطة جأشك معهم مراراً وتكراراً، وتتساءل: لِمَ أفقد السيطرة؟ وما الذي يُشعل فتيل الفوضى؟ إنهم يضغطون عليك باستمرار. ومع ذلك، لا يُجدي الضغط عليهم بوصفه ردة فعل، وستكون استجاباتك الغريزية في

أغلب الأحيان غير فاعلة. ينطبق قانون رم العاشر في هذه الحالة بصورة كبيرة: إذ يجب على الراشدين تجنّب المواجهات مع الأطفال، إلا إذا كانوا متأكدين بصورة معقولة من قدرتهم على التحكم في النتائج.

أنعم النظر في النمط الذي يتبعه المهيمون غير المنصاعين في العادة، حيث يجادلون عندما لا يشعرون بالتحكم، وتشعر بوصفك أباً أو معلماً بالضغط، ومن دون شك ستقول (لا) لكل طلباتهم تقريباً، ولكن هذا لا يوقفهم، ويجادلون أكثر، فتشعر بأنك مجبر على معارضتهم باستخدام المنطق.

ولكنهم يخططون للفوز، ويواصلون الجدل دون كلل ولا ملل، إلى أن تجد نفسك غير عقلائي تماماً، وأنت فاقده السيطرة، فيستغلون هذا الوضع بوصفه أساساً لرفض طلباتك والحنق عليك. إضافة إلى ذلك، يمكنهم في العادة إيجاد شخص ما يقف إلى جانبهم ضدك؛ لأنك كنت غير عقلائي إلى حد كبير، وتستمر قوتهم، وتسود هذه الدورة إلى أن يجادلوا الناس كلهم تقريباً، ثم يدعون بأنه ليس هناك أحد يستطيع فهمهم، وهم في الواقع على صواب (لا أحد يفعل، وبالأخص هم أنفسهم).

توجد استجابة أكثر فاعلية لهؤلاء الطلاب، على الرغم من أنها ستبدو مضادة للحدس والغريزة، حيث تتمثل الخطوة الأولى في عمل تحالف إيجابي حازم مع هؤلاء الأطفال، بناءً على تفهم التوتر الشديد الذي يشعرون به. على سبيل المثال: قبل الاستجابة لطلباتهم، أعطهم متسعاً كافياً من الوقت للتحدث؛ ليكونوا أذكاء، أو مبدعين، أو فنيين، أو شعبيين؛ لأنهم يشعرون في أثناء تحدثهم بالذكاء، وبأنهم في تحالف معك. ويتعيّن عليك أن تسعى لأن تكون واثقاً وأمراً وجازماً، وأن تريهم حقاً أنك تستمع إليهم، وامنح نفسك وقتاً للتفكير في ردودك بعد أن يكملوا حديثهم؛ كي تتجنّب المبالغة في ردة الفعل، أو أن تكون محاصراً. وعندما تعطي جوابك، فيجب أن يكون قاطعاً تماماً، وغير قابل للعودة عنه، ويجب أن يتضمّن بضعة أسباب؛ لتتمكن من نمذجة عملية التفكير والاستنتاج المنطقي. وإن حاول أطفالك أو طلابك الاستمرار في الضغط، فستكون ببساطة في حاجة إلى التوقف، أو السير بعيداً، أو الخروج أنت أو هم مدة من الزمن إلى الخارج.

لا تعد إلى فتح المفاوضات أبداً، كن إيجابياً، ولكن في الوقت نفسه حازماً بصورة قاطعة فمن المحتمل ألا تُعجبهم استنتاجاتك، وألا يكونوا سعداء، ولكنهم سيحترمونك مع مرور الوقت فالراشدون ضعيفو الشخصية يُسحقون من الأطفال المهيمين غير المنصاعين، وينظر هؤلاء

الأطفال إليهم بأنهم ضعاف وأغبياء، وبأنهم قد ولدوا قبل ألف عام، فإن ما زلت محتفظاً بابتسامتك وبسيطرتك، وإن استمروا بالشعور بأنك في تحالف معهم، واحترموا عدلك، فسيكونون أكثر احتمالاً لأن يحترموا الحدود التي تضعها.

سيحتاج بعض الأطفال المهيمنون غير المنصاعين إلى مساعدة نفسية. وبوصفهم أطفالاً صغاراً فمن المحتمل أنهم شُخّصوا باضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط (فرط الحركة والاندفاع)، ومن الممكن أن يُشخّصوا لاحقاً اعتماداً على سلوكهم الظاهر، بأنهم صداميون، جريئون، أو مكثّبون. وبوصفهم أطفالاً، فإن أهدافهم يستحيل تحقيقها؛ لأنهم يرغبون في القيام بشيء فائق للعادة، أو الوصول إلى النجومية. ولأنهم مراهقون، وراشدون يافعون، فإنهم يشعرون بالفشل عندما يدركون أنّ أقرانهم يتفوقون عليهم بالتحصيل، حيث ينقلبون من أعالي الهيمنة إلى منخفضات الاكتئاب، مع قدر ضئيل من الصبر والمثابرة اللازمين لتوجيه طاقاتهم العالية نحو الإنتاجية.

ستكون مهمتك في تحفيز التغيير لدى هؤلاء الأطفال صعبة، أمّا إن كان أطفالك في سن ما قبل المدرسة، فستكون المهمة سهلة نسبياً، وعندما يكون الأطفال في الصفوف الابتدائية وفي المدرسة الثانوية، فستكون أكثر صعوبة قليلاً. وتعدّ سنوات المدرسة الثانوية الأخيرة هي الأصعب. وعلى أيّ حال، سيتصرّفون بعد المدرسة الثانوية على عاتقهم. لذا، فقد يُحفّزون نحو التغيير، ومن المحتمل أن يكونوا أكثر قدرة على عكس تدني تحصيلهم أكثر من السابق، فكن صبوراً، وتوقع كثيراً من الإخفاقات. وإن تابرت على مهاجمة مشكلات هؤلاء الأطفال، فيمكنك التوقّع أنّهم سيصبحون راشدين ناجحين، إذ إنّ الاهتمام بالتحصيل، والتنافسية، والدافعية جميعها أمور موجودة في داخلهم، على الرغم من أنهم برعوا في إخفائها.

### ما الذي يمكنكم فعله بوصفكم آباء؟

في الأغلب، ليس لديكم شك في ضرورة القيام بتغييرات لدى أطفالكم المهيمنين غير المنصاعين، وفي الأغلب أيضاً أنكم تشعرون بالعجز وفقدان السيطرة، وغير متأكدين من الوقت الذي تتدخلون فيه في حياتهم ومن كيفية التدخل، فإن طلبتم نصيحة أيّ شخصين، فستحصلون على إجابتين مختلفتين، ستشعرون بالحيرة، وخيبة الأمل، والذنب، والملل من الرعاية الأبوية

وبأنكم لا تعرفون إلى من تلجؤون. وبصرف النظر عن حقيقة أنّ أطفالكم هم من يتحكمون فيكم فمن المهم إدراك أنهم لا يشعرون بالأمان بتاتاً، بل على النقيض من ذلك، فما دام أنّ حياتهم صراعات على القوة والسيطرة على الآخرين، فبمقدوركم أن تكونوا متأكدين من أنهم يعانون، ويشعرون بعدم الثقة في توجههم الشخصي.

وفي أثناء تغيير تعزيزات هؤلاء الأطفال المنزلية، من المهم رؤية العالم من منظورهم الشخصي، وليس بالضرورة التصرف تجاههم بأساليب من شأنها تعظيم احتياجاتهم الفورية. وعليكم بوصفكم آباء، تبني النظرة بعيدة المدى؛ لأنّهم بصفتهم أطفالاً لا يستطيعون ذلك، حيث إنّ دوركم هو توجيههم وفقاً لاحتياجاتهم، وليس بالضرورة بناءً على أمانهم. فإن كان أطفالك صعب المراس، وغير سعداء كذلك، فتعلمون بالتأكيد أنه يجب فعل المزيد، حتى لو كنتم مقتنعين بأنكم فعلتم أفضل ما تستطيعون. لقد أثبتت التوصيات الآتية فاعليتها، وأنها ليست سهلة، وهي الممارسة التي نستخدمها مع الأطفال الذين يأتون إلى عيادتنا، فإن شعرتهم بعدم قدرتهم على إحداث فرق، فتذكروا أنّ هؤلاء الأطفال يقعون في المنطقة الأكثر تطرفاً لتدني التحصيل، وقد تحتاجون إلى مساعدة متخصصة، ومن الممكن ألا تكون النتائج الإيجابية فورية.

### عكس هيمنة الطفولة المبكرة

يبدو أنّ بعض الأطفال يبحثون عن الهيمنة منذ الولادة، تماماً كما لو كانت جزءاً من شخصياتهم، ويبدو أنهم يشعرون بصورة غريزية أنّ آباءهم لن يتمكنوا من السيطرة عليهم وعلى الرغم من إطعامهم، والاعتناء بهم وحبهم، فإنهم ليسوا قانعين.

يقول بعض الآباء: ما إن يصبح أطفالهم في عمر الثالثة، يبدأون بالتحكم فيهم، ويجدون أنفسهم يصرخون ويوبخون، ويتصرفون بطرق غير عقلانية لم يتخلوا بتاتاً القيام بها عند العناية بأبنائهم، حيث يقول الآباء أشياء، مثل: (أطلب إليه الجلوس في زاوية الغرفة، ولكنه لا يفعل)، أو (أضعها في غرفتها ولكنها تخرج منها)، أو (أخبره أنّ عليه أكل خضراواته، يأكلها ثم يستفرغها على الطاولة). لا يصدق هؤلاء الآباء أنهم أنجبوا مثل هذه الوحوش سيئة التصرف وقد اكتشف أطفالهم بصورة ما أنهم مسؤولون عن مقدّم الرعاية، وطوروا حالة مبكرة وشديدة الحدة من الهيمنة غير المنصاعة. ومع ذلك، هناك أمل كبير عندما تُكتشف هذه الحالة مبكراً فبإمكانكم إعادة توجيه قواهم والأخذ بزمام الأمور؛ يجب عليكم ذلك.

أمّا أطفال ما قبل المدرسة، فالحل الشبيه بالعصا السحرية لإعادة السيطرة ذو جدوى في معظم الحالات، وهو فاعل كذلك مع كثير من الأطفال حتى سن الثامنة، أمّا بعد هذه السن فإنّه ينجح مع بعضهم لا كلهم، وهو غير مخصص للمراهقين، ويكون الحل (وقت توقف اللعب) المشروح في الشكل (1.13)، حيث يستخدم كثير من الآباء هذا الحل، ولكنهم لا يقومون بذلك بفاعلية كبيرة.

- يجب أن يخبر أحد الراشدين الطفل بصورة مختصرة، أنّ عاقبة السلوكات السيئة ستكون البقاء هادئاً في غرفته مدّة عشر دقائق (تُحدّد بوساطة مؤقت)، وسيكون الباب مغلقاً، ويجب تحديد السلوكات السيئة. لا تذكرها جميعها - فقط الأكثر سوءاً (على سبيل المثال: الضرب، وتقلبات المزاج).
- إن كان من المحتمل أن يفتح الطفل الباب في أثناء الإغلاق، فأغلق الباب من الخارج (يقوم بعض الآباء بعقد أحد طرفي حبل حول مقبض باب غرفة الطفل، وعقد نهايته حول مقبض باب غرفة ملاصقة) أمّا الأطفال الأقوياء، فيطلب الأمر وضع قفل في البداية، يجب أن يبقى الآباء دائماً في الجوار من أجل السلامة.
- وفي كل مرة يسيء الطفل فيها التصرف بالصورة المبينة، يتعيّن مرافقة الطفل إلى غرفته بجملة إيضاح واحدة فقط، من دون أن يفقد الأبوان رباطة جأشهما.
- إن صفع الطفل الباب، أو فقد رباطة جأشه، أو ضرب على الجدران، أو رمى الألعاب، أو صرخ، أو تكلم فيجب ألا يكون هناك أيّ ردة فعل من أيّ أحد بتاتاً. توقعوا أن تكون المرات القليلة الأولى فظيعة، وشغلوا المؤقت فقط عندما يكون الطفل هادئاً.
- بعد عشر دقائق، افتحوا الباب، واسمحوا للطفل بالمغادرة. يجب ألا يقال أيّ توضيح، أو اعتذار، أو تحذير، أو إظهار للحب، تصرفوا كما لو أنه لم يحدث أي شيء غير اعتيادي. لا تحضنوا الطفل! كرروا ذلك كلما احتاج الأمر.
- بعد أسبوع واحد، يتعيّن أن يكون مجرد التحذير بالباب المغلق كافياً لمنع السلوك غير المرغوب فيه. أعط تحذيراً واحداً فقط، وأكمل الأمر دائماً حتى نهايته.

المصدر: رم، س. ب. (1996م). تعليم قيادات كروت Q-: مؤشرات للآباء. ووترتون، ولاية وايومنغ: آبل.

### الشكل (1.13): وصفة لأوقات توقف عن اللعب ناجحة (نفّذها بحذافيرها)

ستنجح هذه الطريقة إن نفّذت بحذافيرها، وسيصبح أطفالك أكثر هدوءاً، وسيطيعون في الواقع طلباتك في معظم الوقت. وبذلك، تكون مسيطراً على أطفالك، وستكون والداً أكثر ثقة

ومادمت محافظاً على تحكمك، من دون استخدام أساليب تتصف بالعجز مثل الصراخ، والتهديد المستحيل، فلن يعود أطفالك إلى تخطي الحدود باستمرار، فعادة ما يكون التغيير لافتاً.

أعلم أنك لن تصدق فاعلية هذه الخطوات وأنت تقرؤها، وكذلك لا يصدقني الآباء الذين يأتون إلى مكتبي، فإنهم يأتون إلى مكتبي في الزيارة الآتية مبتسمين ومقتنعين ومستعدين للخطوط الإرشادية الآتية، فعندما تستخدم (وقت توقف اللعب)، سيحدث الانقلاب الباهر؛ لأنك غيرت دورك من تابع إلى قائد، فقد كان أطفالك قبل (وقت توقف اللعب) هم المسيطرين، ولم يعلموا كيفية التعايش مع تلك السلطة المفترضة. وبذلك، فإنك تعطي أطفالك توجهاً إيجابياً وسيشعرون بأمان أكثر بكثير؛ لأنك الأكبر سنّاً، وفي موضع المسؤولية، وسيكونون سعداء لاتباع قيادتك الآمنة. وعلى الرغم من شعورهم بالغضب في البداية نتيجة فقدانهم سلطتهم، فإنهم صغار جداً ليشعروا بالثقة في طفولتهم الخاصة.

من الممكن أن يشعر بعضكم أنّ خطوات وقت توقف اللعب قاسية، وأنها عقاب غير اعتيادي لن تطبقوه على أطفالكم، وقد تميلون إلى تعديله من خلال إظهاركم لاحقاً مدى حُبكم لأطفالكم فإن فعلتم ذلك، فستلغون تأثير وقت توقف اللعب بإعطائهم رسائل متناقضة، إذ إنّ وقت توقف اللعب فاعل؛ لأنه يسحب الاهتمام بصورة كاملة، وإن زُخرف بكلمات الحب، فسيستمر أطفالكم في التحكم فيكم، وإذا قرأتم هذا الكتاب، فسيعلم أطفالكم مدى حُبكم لهم، ومن المهم بالتأكيد تذكيرهم بمدى ذلك الحب، ولكن ليس في الأوقات التي سيئون فيها التصرف، وبالتأكيد ليس بعد وقت توقف اللعب بصورة مباشرة.

الأطفال المهيمنون (أشخاص يحبون العروض)، ويحبون الأداء بوجود جمهور، حيث يخبرهم ابتعاد جمهورهم عنهم أنّ عرضهم غير فاعل، وأنّ عليهم اختبار طريقة عرض مناسبة أكثر ومادمت تتعامل مع أفعال أطفالك غير المقبولة من خلال تحية جمهورهم بصورة تامة، فسيبحثون عن سلوكيات أكثر جذباً للمدح والثناء. ومع ذلك، فالعادة التي تريد تغييرها قوية. لذا، توقع منهم القيام بكل جهد؛ للتغلب عليك، وإقصائك في المشهد الأخير.

طريقة الباب المغلق بقل ليست مخصصة للأطفال جميعهم، بل لأولئك الأقوياء كثيراً فقط، الذين لن يبقوا في غرفهم في أثناء وقت توقف اللعب إلا بهذه الطريقة، وبعد استخدامها بضع مرات، سيكون الأطفال المهيمنون مستعدين للبقاء في غرفهم دون الحاجة إلى إقفال الباب.

هناك بعض الحالات لا يستجيب بها الأطفال لمعالجة وقت توقف اللعب، حيث يدرج الشكل (2.13) بعض الأخطاء سهلة الحدوث في أثناء التوقيت للأطفال الأقوياء جداً. تذكر أنّ هدفك تجنب تسريع صراع السلطة، وإن أخذت ممتلكات الأطفال من غرفهم، أو وهبت ألعابهم جميعها لأطفال آخرين، أو استخدمت أسلوباً أكثر قسوة، فإنك بذلك تقاوم الصراع؛ سيزيد أطفالك عناداً، وستخسر تحالفك معهم، وسيحاولون تحديك، وإخبارك باستخدام الكلمات أو الأفعال أنّ أوقات توقف اللعب تلك لن تؤتي أكلها معهم. وإن أخبروك بذلك، فاعلم أنهم يكرهونها. لذا، لا تُضف أيّ عقوبات أخرى.

- عندما يتسبب الأطفال لأنفسهم في وقف اللعب، فعادة ما يصفعون الباب، حيث يطلب الآباء إليهم عدم صفع الباب، فيدرك الأطفال عندها أنهم يمتلكون سلطة على آبائهم، ويستمرون في صفع الباب.
  - عندما ينادي الأطفال أحياناً، ويسألون: كم بقي لهم من الوقت؟ سيرتكب الآباء خطأً يتحدث أو الجدال معهم، فتلغي المحادثة عندها مفعول عدم الاهتمام.
  - يتردد بعض الآباء بخصوص إقفال الباب، وسيغلقونه بالإمساك به، أو لا يغلقونه أبداً، فإن أمسك الآباء الباب، فسيعلم الأطفال أنهم يقومون بذلك. وعليه، يستمر صراع السلطة. وإن لم يكن مفضلاً مطلقاً، فسيخرج الأطفال وسيدخلون مراراً؛ ليثبتوا أنّ الآباء ليسوا مسيطرين على الموقف.
  - وأحياناً أخرى، وبعد أن يرمي الأطفال الأشياء في غرفهم، يصرّ الآباء على الأبناء أن يعودوا ليلتقطوا ما رموه، وينشأ بذلك صراع سلطة آخر، حيث سيسيطر الأطفال على الآباء عبر الجدال مرة أخرى.
  - وأحياناً أخرى، يستخدم الآباء وقت توقف اللعب فقط بعد أن يصرخوا، ويوبخوا، ويفقدوا رباطة جأشهم، وهذا متأخر جداً، يجب أن ينفذ بعقلانية وبهدوء، وبصورة تظهر أنّ الآباء هم المسيطرون على الأمر.
- المصدر: رم، س. ب. (1996م). تعليم قيادات كروت - Q: مؤشرات للآباء. ووترتاون، ولاية وايومنغ: أبل.

### الشكل (2.13): أخطاء في استخدام وقت توقف اللعب

وضّح لهؤلاء الأطفال في وقت يكونون فيه هادئين بأنك تساعدهم على التعايش مع غضبهم الشخصي، وأنهم يستطيعون ضرب وسادة، أو اللجوء إلى الصراخ بوصفه أسلوباً للتفيس عن غضبهم. وبإمكانهم أيضاً اللعب، أو التلوين، أو القراءة؛ لتهدئة أنفسهم. وعلى أيّ حال، لن يفتح بابهم إلا عندما يشعرون بالهدوء، ذكرهم بأنك ستشعر أنت وإياهم بالتحسن فيما بعد، ويجب عليك أن تسعى وراء تعاون إيجابي، وليس وراء العقاب حتى مع وقت توقف اللعب.

يجب أن يعطى الأطفال فرصاً للاختيار وللمشاركة في صنع القرارات، حتى في الطفولة المبكرة، يجب عليك دائماً تحديد خياراتهم. لهذا، دعهم يختارون من طيف محدّد مسبقاً من الأنشطة، والسلوكات، والممتلكات المادية.

من الممكن أن توسع الطيف المتاح لهم عندما يكبرون، ولكن يجب عليك وضع تلك الحدود خلال الطفولة والمراهقة، وإن زدت، بصورة تدريجية، من حريتهم عند قيامهم باختيارات معقولة، فسيشعرون بالاستقلالية والثقة، وبسيطرة معقولة على حياتهم.

ومن السخرية إن أعطي الأطفال حرية كبيرة بصورة مبكرة جداً، سيشعرون بفقدان السيطرة، وسيبحثون عن حسّ بالسيطرة، حيث يأخذون الحرية من الراشدين، مقابل حقوقهم من خلال المراقبة المستمرة، وتحديد اختياراتهم، ثم إن التصرف بمرونة يمكن الأطفال والراشدين العيش معاً براحة.

### تمنّ، ارجب، اعمل، انتظر

يتوق الآباء الذين كافحوا خلال طفولاتهم، وأصبحوا الآن ناجحين إلى أن يكافئوا أطفالهم بالممتلكات المادية، وتجارب ممتعة حرّموا هم منها. ومن الممكن كذلك أن يُعجب الآباء الذين حظوا بممتلكات مادية غير محدودة في طفولتهم، بإمطار أنبائهم بالألعاب، والملابس، والأنشطة الثمينة، فيعتاد الأطفال الذين يجدون أنّ طلباتهم جميعها، ولاحقاً أوامرهم، تنفذ على الفور ويتوقعون أن يستمر ذلك، وفي الوقت نفسه، يسلب الآباء الذين يعطون كثيراً بسهولة كبيرة حسّ الثقة، والفاعلية الذاتية من أطفالهم، الذي يأتي بتتبّع (الأمانى والرغبات) (بالعمل والانتظار)، حيث يمنح الشعور بالتنفيذ الفوري من شخص آخر، الأطفال بالقوة والجرأة على الطلب المستمر للممتلكات المادية، والهدايا، والأنشطة.

وعندما يتعلم الأطفال توقع الترضية الفورية، يجدون أنفسهم غير مستعدين للتعليم والمدرسة، فقد تعلموا التمني والرغبة فقط وعدم العمل وعدم الانتظار، يريدون أن يكونوا أذكىء وناجحين بصورة فورية، وأن يكملوا مسؤولياتهم بسهولة، يريدون التلويح بعصى سحرية، وأن يُعلن بأنهم لامعون، وموهوبون، ومبدعون. ويتوقعون أن يوفر الذكاء نتائج فورية، حيث يفترضون أنّ الطلاب الجيدين الآخرين يتعلمون بصورة فورية، ويحصلون على درجات جيدة بدراسة سريعة. لذلك، فإنّهم ينكرون على أنفسهم السعادة التي تأتي من بذل الجهد.

علم أطفالك العمل والانتظار، ومهما كانت الممتلكات المادية والتجارب التي يمتلكونها، فيجب عليهم تعلم عملية الجهد والصبر، التي يمكن تعلمها من خلال التخطيط، والعمل، والادخار معك، لأنشطة وفعاليات ذات معنى؛ حيث تظهر لهم حسابات التوفير، أو الجداول البيانية بصورة بصرية، أن الادخار أمر ناجح. وبإمكانك أيضاً مساعدتهم على تطبيق هذه المفاهيم على التعليم حيث سيكافئهم التخطيط، والجهد، والصبر بالنجاح المُستحق. وبصرف النظر عن مدى رغبتك في هذه الممتلكات والتجارب التي حُرمتها في الماضي، فلا تُعطيها لأطفالك دون جهودهم، لا تسرق عملهم أو انتظارهم.

### اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD)

من الممكن أن ينتج اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة من عوامل بيولوجية، أو بيئية أو من كليهما معاً، فلا يوجد حتى الآن اختبار بيولوجي للكشف عن هذا الاضطراب، على الرغم من عمل العلماء على تطوير مثل هذا الاختبار حالياً. وتعدّ مقاييس التقييم، المبنية على (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات الذهنية (الطبعة الرابعة)<sup>2</sup>)، أسس التشخيصات جميعها. يتضمّن الشكل (3.13) بعضاً من السمات الرئيسية لاضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، إذ يجب أن تتولد ستّ من هذه السمات قبل سن السابعة؛ من أجل تأهيل الأطفال لكل مرحلة تشخيصية، ويجب أيضاً أن تظهر هذه السمات في وضعيتين في الأقل. على سبيل المثال المنزل والمدرسة.

**(314.00) اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، النوع الشارد (Inattentive) بصورة رئيسة\***

- أ. غالباً ما يفشل في إيلاء الاهتمام الوثيق للتفاصيل، أو يرتكب أخطاء الإهمال في العمل المدرسي والعمل، أو غيرها من الأنشطة.
- ب. غالباً، يعاني صعوبة في استدامة الانتباه في المهمّات أو أنشطة اللعب.
- ج. غالباً، لا يبدو أنه يستمع عند التحدث إليه بصورة مباشرة.
- د. في العادة، لا يتابع التعليمات، ويفشل في إكمال العمل المدرسي، أو الأعمال الأساسية، أو الواجبات المطلوبة في مكان العمل (ليس بسبب السلوك العدائي الصدمي أو الفشل في فهم التعليمات).
- هـ. غالباً، يعاني صعوبة في تنظيم المهمّات والأنشطة.
- و. في العادة، يتجنب، أو لا يحب، أو يكون متردداً في الانخراط في المهمّات، التي تتطلب مجهوداً ذهنياً مستديماً (مثل العمل المدرسي أو الواجبات المنزلية).
- ز. غالباً ما يفقد الأشياء الضرورية للأنشطة والمهمّات (على سبيل المثال: الألعاب، أوراق الواجبات المدرسية، أقلام الرصاص، الكتب، الأدوات).
- ح. في العادة، يتشتت بسهولة نتيجة المثيرات الخارجية.
- ط. عادة، يكون كثير النسيان في الأنشطة اليومية.

**(314.01) اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، النوع الاندفاعي مفرط النشاط بصورة رئيسة\*****فرط النشاط**

- أ. عادة ما يتلملل بيديه أو أقدامه، ويتحرك في المقعد.
- ب. في العادة، يترك مقعده في الغرفة الصّقيّة أو المواقف الأخرى التي يُتوقع منه البقاء فيها جالساً في مقعده.
- ج. عادة ما يركض في الأرجاء، أو يتسلق بإفراط في المواقف التي تكون فيها هذه الأفعال غير ملائمة (يمكن أن تقتصر هذه على المراهقين، أو على مشاعر القلق والهستيريا غير الموضوعية).

د. عادة، يكون (متأهباً) أو يتصرف كأنه (مدفوع بوساطة محرك).

هـ. غالباً، يفرض في الحديث.

#### الاندفاع

أ. عادة ما يرمي بالإجابات جزافاً قبل إكمال طرح السؤال.

ب. عادة ما يعاني صعوبة في انتظار دوره.

ج. عادة ما يقاطع الآخرين أو يتطفل عليهم (على سبيل المثال: (يناطح) للدخول إلى المحادثات أو الألعاب).

\* يجب أن تظهر ست سمات في الأقل قبل سن السابعة

المصدر: الاتحاد الأمريكي للأطباء النفسيين. (2000م). الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات الذهنية (الطبعة الرابعة. مراجعة النص). واشنطن العاصمة: المؤلف.

#### الشكل (3.13): سمات اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة

على الرغم من ظهور مشكلات الرعاية الأبوية دائماً مع اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، فإن هذا لا يعني أن اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة ناجم عن الرعاية الأبوية السيئة. وعلى أي حال، فإنه من الصعب تربية الأطفال مرتفعي الطاقة.

تتضمن التدخلات البيولوجية لاضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة عقاقير محفزة مثل: ريتالين (Ritalin) وأديرال (Adderall)، كلا العقارين متوافر على صورة طويلة المفعول حتى لا يتعيّن على الأطفال أخذ الحبوب الدوائية خلال اليوم المدرسي. إضافة إلى ذلك، تتوافر أيضاً أدوية غير محفزة؛ فطبيب العائلة أو طبيب الطفل النفسي يظل أفضل مصدر للمعلومات في هذا الشأن. حالياً، هناك إفراط في تشخيص هذا الاضطراب وإفراط في وصف الأدوية له أيضاً. لذا، لا تسرع نحو طبيبك النفسي طلباً للأدوية، وحاول أن تحدث بعض التغييرات السلوكية في البداية، فللعقاقير آثار جانبية في الغالب، ويجب أن تستخدم بإشراف طبي دقيق.

يظهر الشكل (4.13) بعض الآثار الجانبية للريتالين. وعلى الرغم من أن هذه الآثار تحدث لدى أقل من (50%) من الأطفال الذين يستخدمونه - إضافة إلى أنه لا توجد أي آثار جانبية لدى

بعض الأطفال - فيجب ألا يؤخذ اليرتالين أو أي عقار آخر دون حذر، وعلى أي حال، تكون هذه الأدوية بالنسبة إلى بعض الأطفال شديدة الفعالية في تهدئتهم، ورفع قدرتهم على تركيز الانتباه.

آثار جانبية أكثر انتشاراً	
<ul style="list-style-type: none"> <li>• فقدان الشهية</li> <li>• آلام في البطن</li> <li>• فقدان الوزن خلال العلاج طويل الأمد</li> <li>• عدم القدرة على النوم أو البقاء نائماً</li> <li>• تسارع غير طبيعي في دقات القلب</li> </ul>	
آثار جانبية أقل شيوعاً	
<ul style="list-style-type: none"> <li>• غثيان</li> <li>• خفقان في القلب</li> <li>• تغيرات في النبض</li> <li>• تسارع في ضربات القلب</li> <li>• بقع جلدية حمراء أو أرجوانية</li> <li>• انتفاخ في الجلد</li> <li>• حساسية جلدية</li> <li>• متلازمة توريت (ارتعاش حاد ومتعدد)</li> <li>• حركات تمعج</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>• عدم انتظام في دقات القلب</li> <li>• حركات عضلية غير طبيعية</li> <li>• تغيرات في ضغط الدم</li> <li>• آلام في الصدر</li> <li>• دوام</li> <li>• نعاس</li> <li>• حمى</li> <li>• ألم في الرأس</li> <li>• طفح جلدي</li> <li>• حركات تشنجية مفاجئة</li> <li>• ألم في المفاصل</li> </ul>

#### الشكل (4.13): الآثار الجانبية لليرتالين

تحتاج نسبة صغيرة فقط من الأطفال الذين يعانون اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة إلى أدوية، حيث يمكن مساعدة كثير منهم سلوكياً، إذ إنَّ اختبارات التعمية المسيطر عليها (Blind)

(controlled tests) تُعدّ أفضل الوسائل لتحديد مدى حاجة الأطفال إلى العلاج الدوائي، لا تعني كلمة (عمياء) أنّ الآباء أو المعلمين يجب أن يكونوا فاقدَي البصر، فقط يتعيّن ألا يعرفوا فيما إن كان الأطفال يأخذون الدواء الحقيقي أو الوهمي (حبّة دواء خاملة تبدو بصورة الحبّة الحقيقية نفسها) في أثناء مراجعة سلوك الأطفال. أمّا أولئك الذين يعتقدون أنّ الدواء يوفّر علاجاً شافياً لكل شيء، فلا يوجد هناك أي بحوث طويلة الأمد، تشير إلى أنّ الدواء يحسّن من درجات الأطفال في المدرسة. ومن يعتقد بأنّ الدواء يؤدي إلى مزيد من المشكلات، فلا يوجد هناك أي مؤشّر كذلك على أنّ الدواء يزيد من احتمالية استخدام الأطفال لعقاقير محظورة مستقبلاً. ومن ناحية أخرى، سواء أُعطي الأطفال الذين يعانون اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة دواءً أم لا، فستكون احتمالية تورّطهم في سوء استخدام العقاقير أكثر بمقدار مرتين من الأطفال الذين لا يعانون هذا الاضطراب (17.4% مقابل 7.8%)<sup>3</sup>، ولسوء الحظ، فقد ظهرت مشكلات متعلقة ببيع بعض المراهقين العقاقير الطبية الموصوفة لهم إلى آخرين سيؤوّن استخدامها. وفي الخلاصة، تكون الأدوية مفيدة للأطفال الذين شُخصوا بصورة دقيقة باضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، فإن استخدامها يتطلب حذر الآباء. تتضمّن الأساليب السلوكية التي تساعد هؤلاء الأطفال الاقتراحات جميعها المعطاة في هذا الفصل.

إضافة إلى ذلك، انظروا إلى الاقتراحات الإنصاتيّة والتنظيمية الواردة في الفصل الحادي عشر للأطفال الاعتماديين، فأوقات توقف اللعب، والرعاية الأبوية المتّحدة، والتوافق الحازم، جميعها أمور مهمّة، إضافة إلى أنّ لإعادة توجيه انتباه الأطفال إلى أنشطة بناءة أولوية مرتفعة لكنّ المبالغة في التخطيط من الممكن أن تسبب لهم بعض المشكلات، فهم في حاجة إلى هيكلة وتوقّعات متوافقة، وقد يتسبب الإسراع في الخطأ بالضغط عليهم وعلى آبائهم، وسيقود إلى الاندفاعية والمبالغة في ردة الفعل.

ينتعش الأطفال الذين يعانون اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، من وجود الاهتمام المباشر (واحد - إلى - واحد)، عند القيام ببعض الأنشطة الجسدية أو الأعمال المنزلية المعتادة مع أحد الأبوين، أبقِ مشاهدة التلفاز في حدها الأدنى، وامنعها تماماً قبل ساعة من موعد النوم وأبعدهم عن البرامج التلفازية العنيفة بما يتضمّن العنف في مسلسلات الكرتون، وتجنّب الأنشطة التي تشجع على المصارعة والاحتكاك الجسدي مع الوالدين أو الأشقاء، على الرغم من أنّ هذه الأنشطة لا تسبب أيّ أذى للأطفال الآخرين، حيث يعزز الأطفال الذين يعانون اضطراب نقص

الانتباه وفرط الحركة هذا الإظهار الجسدي التفاعلي للمحبة للأقران، ويوقعون أنفسهم بسهولة في المشكلات وخاصة في المدرسة. وأخيراً، وجه طاقتهم نحو الرياضة أو مشروعات العمل.

يحتاج أولياء أمور الأطفال الذين يعانون اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة إلى الدعم ويستفيدون عادة من الانضمام إلى مجموعات الدعم الأبوية، ومن اللجوء إلى مساعدة استشارية منتظمة، وقد يستمر بعض المراهقين والراشدين في إظهار بعض أعراض اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، في حين يتخلص منها آخرون، حيث تسهم البيئات المنزلية والمدرسية بإحداث فروقات مهمة للأطفال الذين يعانون هذه المشكلة.

تأكدوا أنكم لا تطلقون على أطفالكم لقب (أطفال اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة)، سواء بصورة مباشرة أو بصورة مرجعية؛ لأنّ من شأن ذلك أن يشعرهم بأنهم غير مسؤولين عن السلوك الملائم، وأن سلوكياتهم في الواقع خارجة كلياً عن سيطرتهم، كذلك سيؤثر حديث الأبوين المرجعي، أن التعامل مع هؤلاء الأطفال مستحيل عليهم بصورة سلبية. فالمدح المعتدل المباشر والكلام المرجعي الإيجابي يشجع الأطفال المهيمنين غير المنصاعين جميعهم وبخاصة الذين يعانون اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة.

### تجنب المواجهات

لقد بنى الأطفال المهيمنون غير المنصاعين ثققتهم اعتماداً على الفوز بصراعات السلطة ولأن هذه أسس هشة للثقة في النفس؛ فيجب عليهم باستمرار التلاعب بالأشخاص الموجودين في بيئاتهم؛ لتعزيز الإحساس بالسلطة، الذي يأتي فقط من الفوز، وأن الشخص على حق، ومن أجل أن يشعروا بالرضا عن أنفسهم، يجب أن يشعر آخرون بالسوء؛ لأنهم يتنافسون باستمرار ضد الناس جميعهم تقريباً، وبالأخص والديهم. وعندما لا تكون المقارنة والمنافسة جزءاً من العلاقة، فتراهم يخترعون أساليب لعمل المقارنات. تتمثل إحدى الطرائق بالتبجح والتقليل من قيمة الآخرين، فهم يتحدثون إلى الراشدين كما لو كان هؤلاء الراشدون أطفالاً وهم الراشدون.

ومن العادات الشائعة أيضاً بقدر مساوٍ إثارة نقاش أو مواجهة يتوقعون الفوز فيها، فمن الممكن لعادة الجدل عن كل شيء مع الناس كلهم، أن تجعل الحياة المدرسية والمنزلية بغيضة إلى حد كبير، سيصرّ الأطفال اللامعون على أنهم منطقيون، وأنهم سيعاقبون آباءهم بذكاء؛ لأنهم متسلطون بدلاً من عقلانيين. من الواضح أنهم يستمتعون بعملية السجال؛ وعلى أي حال، إن

راقبت بعناية، فستلاحظ أنهم نادراً ما يرضون بالحلول المنطقية، حيث يستمرون في الجدل إلى أن يفوزوا، أو إلى أن يدفعوا بأبائهم إلى ما هو أبعد من قدرتهم على ضبط النفس. وعندما يفقد الآباء أو المعلمون أعصابهم، يعدّ الأطفال أنفسهم رابحين بصورة فورية؛ لأنهم يعدّون فقدان ضبط النفس عند خصومهم ضعفاً وفشلاً.

يستمتع الأطفال المهيمنون بإحساس النصر على آبائهم أو أقرانهم؛ لأنه يشعرهم بالقوة والنجاح، ويعطيهم الوقود لمزيد من السجلات لشعورهم بعدم كفاية معارضيهم، فيبحثون عن طرق يثبتون من خلالها سلطتهم، من خلال بدء صراعات يكونون متأكدين من الفوز فيها، وتبدأ هذه العادة عندما يشعر الآباء بأنه يتعيّن عليهم توضيح الأسباب لكل ما يطلبونه من أطفالهم بعد ذلك يُقنّع الآباء بوساطة الاستدلال المنطقي المعاكس لأطفالهم؛ ليقبلوا من هذه المتطلبات فتُغزّز طقوسهم الجدلية، بمجرد أن يجد الأطفال أنفسهم منتصرين بصورة متكررة، وفي الواقع هذا الصراع الاعتيادي على السلطة، ليس متعلقاً بالمنطق أو البرهان، ولكنه مبني على المنافسة من أجل التحكم، حيث يستحوذ بعض الأطفال على السلطة من آبائهم بصورة مبكرة جداً، وبحلول المراهقة يشعر الأطفال المعتادون على طقوس صراعات السلطة بالاكْتئاب والغضب، إلا إن كانوا منتصرين؛ لأنهم يعدّون الراشدين متسلطين (دكتاتوريين) وغير عادلين كلياً.

يتعيّن عليكم بوصفكم آباء، إعادة صياغة تفاعلاتكم مع أطفالكم؛ لتجنبوا هذا النمط من تقاطع الطرق، وتأكدوا في أثناء نقاشات أطفالكم وسجلاتهم، أنهم يقيّمون الأفكار بعقلانية ولا يجادلون من أجل الظفر بالسلطة فقط. مرة أخرى، بإمكان قانون رم العاشر قيادة علاقاتكم مع أطفالكم: يجب على الراشدين تجنّب المواجهات مع الأطفال، إلا إذا كانوا متأكدين بصورة معقولة من قدرتهم على التحكم في النتائج. وبكلمات أخرى أكثر ألفة ولطفاً: انتقوا معارككم.

يتمثل دوركم بإرشاد أطفالكم بصورة مستمرة دون أن تصبحوا دكتاتوريين، ويتعيّن بالتأكيد، اكتساب أطفالكم حرية متزايدة، وفرصاً لاتخاذ القرارات بزيادة العمر والنضج، وعلى أيّ حال، أنتم قادتهم ومرشدهم، وإن تنازلتم عن سلطتكم قبل نضجهم بما فيه الكفاية ليجدوا اتجاهاتهم الذاتية، فسيتخبطون دون هدف؛ بحثاً عن قيادة أحد ما، إذ إنّ هنالك فراغاً في الوقت الذي يجب أن تكون فيه توجيهات أبوية، وسيتحرك الأقران المؤثرون وكثير من الراشدين لملء الفراغ، قبل أن يطور الأطفال نظام قيم يستطيعون من خلاله الحكم على الناس بحكمة.

ومن أجل الفوز بالمواعيد مع أطفالكم، يجب أن تمتلكوا السلطة للمتابعة حتى النهاية والتأكد أنهم سيطيعون طلباتكم. لذا، فإن إرسال الأطفال اليافعين إلى غرفهم لأوقات وقف اللعب أمر فاعل؛ حيث إنه يؤكد سلطتكم، ومن الممكن تنفيذها، إضافة إلى أن إرسال الأطفال المتمردين إلى الغرف في العادة غير فاعل؛ سيُسَرِّون لإثبات عجزك من خلال التسلق إلى الخارج عبر النافذة، أو من خلال هندسة أساليب أخرى للفرار بذكاء، لا تحاول ذلك معهم، إنه يؤكد لهم فقط قدرتهم على التغلب عليك بالمناورة.

يعدّ تفوق الآباء والمعلمين في التفكير والأداء على الأطفال غير المنصاعين الأقياء تحدياً عظيماً، فعندما يكبر الأطفال تقلّ وسائل التحكم التي قد يوظفها الآباء للسيطرة عليهم. وبحلول المدرسة الثانوية، يتوافر المال (أحياناً)، ورخصة قيادة أو القدرة على استعمال السيارة، وهاتف نقال، وجهاز حاسوب، وربما بعض الممتلكات المادية الخاصة الأخرى التي يمكن لك ضبطها تكون هذه الأمور مؤثرة أحياناً، إلا أن الأفضل محاولة الحفاظ على تحالف مع أطفالكم، عوضاً عن استخدام طاقاتهم كلها في معاداتكم.

مرة أخرى، إن لم يكن بإمكانك التحكم في المخرجات، فتجنب المواجهة. وظف الإقناع، والأهم، وحضّر، وأثر، ونمذج بالقدوة، ولكن لا تجادل، حيث يعزز كل صراع سلطة تخسره عادات أطفالك للهيمنة، ويضعك في مواقف أضعف وأضعف، وكلما علا صراخك لتحفيز أطفالك، قلّ احترامهم لك، حيث تمثل الزيادة في علو الصوت نقصاً في السيطرة وعندما تفقد السلطة يزداد إيمانهم على امتلاك السيطرة كلها.

ليس الهدف من العائلات تكوين علاقات نزاعية؛ لأنكم ستبنون الاحترام بالسيطرة الهادئة، كونوا صبورين ولا تنقضوا فوراً على طعم أطفالكم، أخبروهم بأنكم في حاجة إلى بعض الوقت للتفكير في الطلبات أو العقاب. ربما سيقلقون، ولكنهم سيتعلمون الصبر؛ إذ إنّ الاستجابة بسرعة كبيرة، هي ما يوقعكم في فخ المعركة، تخيلوا أنفسكم آباء حكماء وصبورين، واختاروا المواجهات بحذر؛ حتى لا تطوروا مناخاً حربياً، فإن قُضي (90%) من وقت العائلة في دحض اختلافات الآراء، أو في الجدل على السيطرة، فلن يتوافر إلا القليل من الوقت لتطوير مناخ من النمو الإيجابي.

وان دعوتهم أطفالكم منذ البداية لمناقشة الموضوعات، وللتعبير عن آرائهم؛ من أجل تشجيع المشاركة الديمقراطية في العائلة، فسترون أنكم تخطيتم حدودكم، فالعائلات غير مخصصة لتكوين ديمقراطيات. ويجب ألا يختبر الأطفال الحصول على قدر مساوٍ من السلطة. لذا، يجب عليكم الآن أن تظهروا السلطة في المجالات التي ما زلتتم تتمتعون فيها بالقدرة على التحكم في المواقف، واستبدلوا القدرة في المواجهة بأساليب صراعات السلطة السابقة جميعها. على سبيل المثال: الإلهام، والإقناع، والافتراح، والتوضيح، والأنشطة الممتعة، جميعها تعطي الأطفال خيارات ضمن حدود يمكنكم ضبطها. ومع ذلك، فإنها تجعل المناخ المنزلي إيجابياً بصورة كافية، إلى درجة أن الأطفال سيسعون إلى إرضائكم بدلاً من الحقد عليكم، اسعوا لأن تكونوا أمرين جازمين لا متسلطين فاشيين.

توخوا الحذر، فالأطفال المهيمنون غير المنصاعين مقاتلون اعتياديون، ويتلاعبون تلقائياً من أجل المواجهة والنصر، وسيبدو التكيف مع مناخ أقل عدوانية أمراً معاكساً للتوقعات البديهية ولكن التحالف يترك مجالاً أكبر ومساحة للنمو المشترك وللثقة.

فيما يأتي إرشادات للتخلص من الجدل قد تسهم في الحفاظ على تحالف مع المهيمنين غير المنصاعين<sup>4</sup>. تلخص سلسلة التحالف التي تتبع في الشكل (5.13) هذه الإرشادات.

1. عندما يأتي المجادلون إليك (يأتون دائماً في أوقات غير مناسبة؛ لأنهم يعلمون بصورة غريزية أنك غير حصين)، ذكر نفسك بعدم قول نعم أولاً بصورة فورية، وبدلاً من ذلك، اطلب إليهم بعد أن يقدموا طلبهم توضيح أسبابهم؛ لأنهم لن يتمكنوا بعد ذلك أبداً من اتهامك بعدم الاستماع إليهم، وستشعر كذلك بصورة أفضل من خلال عدم مقاطعة تعبيرهم عن مشاعرهم، وسيشعرون هم بصورة أفضل؛ لأنهم حظوا بوقت كافٍ للحديث (يجعلهم يتحدث يشعرون بالذكاء).

2. وبعد أن تسمع أسبابهم، قل لهم: (دعوني أفكر في الأمر، سأرد عليكم بعد بضع دقائق) (دقائق للطلبات الصغيرة؛ ومزيد من الوقت للطلبات الأكبر)، حيث إنَّ هناك فائدة عظيمة للخطوة الثانية من عملية الجدل هذه، أولاً: إنها تسمح لك بالاستمرار بالعقلانية (هذا ما صوبت إليه عندما درّبت مجادلتي بالمصادفة)، ثانياً: تعلم أطفالك الصبر، ثالثاً: لما كان المجادلون في العادة أطفالاً متلاعبين ولا معين، ولأنك لم تجب بنعم أو

لا، فسيعلمون أنّ سلوكهم الجيد يزيد من احتمالية قولك نعم. وعليه، وفي أثناء صبرك، من أجل أن تكون عقلاً، وفي أثناء تعلمهم الصبر أيضاً، سيتصرف هؤلاء الأطفال الجميلون المهيمنون بأفضل الطرق. كم هذا جميل!

3. فكر في طلبهم وبأسبابهم، ولا تكن متحيزاً بصورة سلبية بسبب إلحاحهم، وإن كان جوابك نعم، فابتسم، وكن إيجابياً ومتحمساً، فقلّما يرى المجادلون الراشدين مبتسمين.

4. أما إذا كان جوابك لا، حيث تمتلك الحق والالتزام بأن تقول لا أحياناً، فقلها بحزم وأضف بعض الأسباب بوصفها جزءاً من الرفض، لا تغيير قرارك قطعياً، ولا تنخرط في مزيد من النقاشات. ولا تجعلهم يشعرونك بالذنب، إذ يعدّ تعلم الأطفال تقبل الرفض من الأمور الصحيّة في بيئة محبوبين فيها.

5. إن بدؤوا في الجدل مرة أخرى، فأخبرهم بهدوء أنك سمعت طلبهم، وسمعت أسبابهم، وقد أخذت برهة من الوقت للتفكير فيها، وأعطيتهم جوابك وأسبابك، وأنّ النقاش انتهى الآن، لا تقع في فخ نقاش الطلب الأولي.

6. أمّا إذا استمروا في الجدل، وكانوا تحت سن العاشرة، وليسوا كبيرى الحجم، فرافقتهم إلى غرفهم من أجل وقت وقف اللعب، وأمّا إذا كانوا أكبر حجماً، ومن الصعب عليك التوقيت لهم، فاذهب بهدوء وثقة إلى غرفتك، وأغلق الباب على نفسك، فإن طرّقوا فتجاهلهم، واسترخ مع كتاب جيد؛ لأنّهم سيتعلمون في النهاية أنّ الوالدين استحقوا امتياز قول لا، وكذلك سيتعلمون أنّهم بإمكانهم التمتع بفرصة ممارسة طفولتهم، مع أنّهم قد لا يقدرّون الأخيرة في وقتها. على أيّ حال، سيصبح منزلك مكاناً أكثر متعة وإيجابية، وسيجد أطفالك أنّك إيجابي وعادل وعقلاني، ولكنك لست واهناً. عندئذٍ، سيحترمونك.

ابدأ التحالف بعبارة إيجابية تُظهر الاهتمام.

استمع إلى ما يقوله الأطفال.

اعرف ما الذي يفكر الطفل فيه.

استعلم لتحديد أفانتك بعض الأمور؟

أجب بحكمة، و فقط بعد أن تكون قد أخذت بعض الوقت للتفكير في الطلب.

اذكر سببين أو ثلاثة لجوابك.

نفذ العقاب إن بدأ الطفل بالجدال.

توقف. لا تُعد المشاركة في الجدل نهائيًا.

الشكل (5.13): سلسلة التحالف الأبوية المضادة للجدال

## التقلبات العاطفية

يعطي الانتصار في المنافسة، والتحكم في الآخرين، والإحساس بالسلطة، نشوة عاطفية للأطفال المهيمنين غير المنصاعين. وعندما يسيرون نحو النصر، ويشعرون بالثقة في الفوز يصبحون أيضاً متحمسين. على أي حال، يدفعهم غياب الأهداف أو فقدان السلطة، إلى الشعور بالكسل والاكتئاب.

يجب ألا يفاجا الآباء عندما يجدون أطفالهم محبطين أو مكتئبين استجابة لخسارة واضحة لأنهم قادرين على تحديد سبب المشكلة. فعندما يكون أداء الطفل سيئاً في مباراة للتنس، أو قطع علاقته بأحد أصدقائه، فإن هناك أسباباً للحن. وعلى أي حال، يكون كشف الستار عن أسباب الاكتئاب الأخرى في العادة أكثر صعوبة؛ فتأرجح المزاج الحاد منتشر جداً، ويسبب قلق الآباء ولكن من المهم تحديد سبب/ أسباب اكتئابهم؛ حتى تتمكنوا من إرشادهم نحو نمط أكثر فاعلية لحل مشكلاتهم.

يكتئب الأطفال المهيمنون غير المنصاعين عندما يقول الراشدون (لا) لشيء يريدونه بشدة، وإن كنت بوصفك والداً، رفضت السماح لأطفالك بمقابلة أصدقائهم، أو المشاركة في نشاط ما، أو شراء ملابس جديدة اختاروها، عندها سيستخدمون الاكتئاب في التلاعب بك؛ حتى تعدل عن قرارك. فقد يقطع هؤلاء الأطفال التواصل مع العائلة، ويحبسون أنفسهم في غرفهم، ولا يأتون لتناول وجبات الطعام، ويتجاهلون أسئلتك التي تشير إلى قلقك حيال مزاجهم، واعتماداً على مدى إصرارهم - ومدى النجاح الذي حققوه من قبل - سيتمكنون في النهاية من إغرائك بمنحهم طلبهم الأساسي، أو القيام بعمل شيء ما بوصفه بديلاً، الأمر الذي يشعروهم بأنهم ربحوا مسابقة السلطة. عندها، سيتبدد اكتئابهم تماماً، وسينتقلون إلى مزاج مرتفع مرة أخرى؛ وستظل حائراً حيال التغيير الرائع في مزاجهم، فإن استجبت لرغباتهم، على الرغم من حقيقة أنك عازمت على ألا تفعل ذلك، فسيشعرك ذلك بالعجز وفقدان السيطرة، وعدم الثقة في كيفية التعامل مع هذه المرحلة، حيث ستعتمد الكيفية التي ستعامل من خلالها مع المشكلة بصورة كبيرة على مدى تفاهم المشكلة وحدتها.

فإن كان لديك أطفال صغار يظهرون الحزن، والدموع، والاكتئاب، عندما لا تسيّر الأحداث على هواهم، فابدأ مبكراً بتجاهل الحزن، والدموع، أو الاستجابة لهم ببساطة. على سبيل المثال بإمكانك القول لابنتك: أعلم أنك مستاءة من عدم قدرتك على الذهاب إلى حفلة صديقتك،

ولكن يجب عليك الذهاب إلى منزل الجدة من أجل عشاء عيد ميلادها، ولا يوجد أي منطوق في البكاء حيال هذا الأمر. امسح على رأسها أو احضنها لتريحها، ولكن لا تبالغ في الاستجابة للحزن ولكن لا تسمح لها بإقناعك بأن حفلة صديقتها أهم من جدتها، وإن استمرت بالتذمر، فاطلب إلى أفراد العائلة الآخرين تجاهل الوجه الحزين، وخذها جانباً، وصرح لها بخصوصية عن خيبة أملك بسلوكها، ثم عد واندمج في الحفلة. فإذا لم تكن حالتها متطرفة جداً، فستعود لمشاركة مرح العائلة خلال نصف ساعة، أما إذا كانت متلاعبة مزاج خبيثة، فقد تتصرف بصورة القانط طوال عطلة نهاية الأسبوع. لذا، تمسك بعدم الاستجابة لها بما أنك تعلم سبب اكتئابها، ولأنك لا ترغب في السماح لها بممارسة المزيد من التلاعب.

قد لا تشعر بتحقيق أي إنجاز، فإنك عاكف بفاعلية على كسر عادة سلوكية شديدة الصعوبة من الممكن أن تخرج عن السيطرة بصورة كبيرة في السنوات اللاحقة.

المهارة الأكثر أهمية التي يجب أن تعلمها لهؤلاء الأطفال الصغار، عادة تقبل (لا) بسماحة وكرم أخلاق. دعهم يعانون قليلاً، ولا تشعر بالأسف عليهم في هذه الخيبات الصغيرة، إلى درجة أن تقابل كل حزن بإعفاء، مبالغاً في التخفيف من أحزانهم، أو بالقيام بسلوك تعويضي لمصلحتهم، أو بمنحهم بعض الممتلكات المادية. اسمح لهم بشق طريقهم من خلال خيبات الأمل الصغيرة هذه؛ ليستعدوا لتحمل صعوبات أكبر لاحقاً.

إن كان لديك أطفال مراهقون يتلاعبون بك بصورة معتادة، وكنت قد حددت إجابات النفي بـ (لا) التي أعطيتها لهم بوصفها أسباباً لاكتئابهم، فعندها يكونون في موضع قوي ينذر بالخطر إذ إن التغيير الأكثر أهمية الذي يجب عليك القيام به، هو التفكير بردودك على طلباتهم بعناية قبل البوح بها، تجنّب قول (لا) إلا إن كنت واثقاً تمام الثقة من أنك قادر على الدفاع عن موقفك والحفاظ عليه، وأنك عازم على ذلك، وتمثل وضعية (تمنّ، ارضب، اعمل، انتظر) المشروحة في السابق، بديلاً عن قول (لا)، ومن شأنه أن يساعدهم على كسر عادة توقع الحصول على ما يريدون دائماً، حيث تضع هذه الطريقة المسؤولية عليهم، وتصرف انتباههم عن التلاعب بك إلى جهودهم الخاصة. وفيما يأتي مثال على ذلك:

سيريرا ذات الثلاثة عشر ربيعاً، مصرة على استخدام العدسات اللاصقة بدلاً من النظارات الطبية الاعتيادية، التي ترى أنها لم تعد مواكبة للموضة، وأنت تريد قول (لا)؛ لأن عمر

نظاراتها سنة واحدة فقط، والعدسات اللاصقة ليست باهظة الثمن، ولكنك لست متأكداً أنتعامل سيرا معها بمسؤولية؟ فإن قلت (لا)، فاستعد للاكتئاب والتلاعب إلى أن تدفعك لتغيير رأيك. لا تواجه إلا إن كنت متأكداً من الفوز، ولكنك لن تستطيع الفوز هذه المرة؛ لأن اكتساباتها المتلاعب مستفحلة، وبدلاً من ذلك يجب أن تكون المحادثة على النحو الآتي:

سيرا، أستطيع أن أتفهم لم تريد عدسات لاصقة، وأعتقد أنّ حصولك عليها فكرة جيدة مادمت كنت مدركة للمخاطرة الإضافية والمسؤوليات التي تأتي معها، أعتقد أنه من المنصف أن تدفعي أنت ثمنها؛ لأننا اشترينا لك النظارات حديثاً، فإن أدّخرت المال الذي تحصلين عليه من مجالسة الأطفال لثمن العدسات، فسنعدك تجربتها، ونعطيك الفرصة لتظهري لنا أنك على قدر المسؤولية.

يجنبك هذا الرد صراع السلطة، ويجعلك في تحالف مع ابنتك، ويسمح لها كذلك بالانتظار لتحقيق طلبها بدلاً من توقعه بصورة فورية.

إضافة إلى ذلك، فإنه يوفر لها مخرجاً لطيفاً من صراع القوى، وإن قررت أنّ العدسات اللاصقة لا تستحق عناء ادخار المال، فيمكنها عندئذٍ نسيان الموضوع برمتها، أو إخبارك بأنها قررت توجيه أموالها نحو أمر آخر تريده، فهذا أفضل بكثير من إجابة الرفض النمطية (لا، لا يمكننا تحمل ثمنها) أو (لا، لا يمكننا شراء كل ما ترغبين فيه)، التي من المحتمل أن تتبع بأيام أو أسابيع من التلاعب المكتئبة، والقرار النهائي من الوالدين بشراء العدسات.

من الواضح أنه لا يمكن مقابلة الطلبات جميعها بإجابات بديلة سهلة كهذه، وعلى أي حال إن كان أطفالك المهيمنون غير المنصاعين معتادين على التلاعب بك بالاكْتئاب، فيتعيّن عليك القيام بكل جهد ممكن لتغيير العادة بعدم مكافأتها، حيث توجد طريقتان رئيستان لمنع هذا التلاعب، هما:

1. لا تعطِ الأطفال ما يريدون بوصفه استجابة فقط لحزنهم غير العقلاني واكتئابهم.
2. ووجه طلباتهم نحو فرص يتمكنون من خلالها كسب امتيازات. وعليه، اكتساب الثقة التي تأتي مع التحكم الشخصي، بناءً على الجهد بدلاً من التلاعب.

قد تكون التهديدات بالانتحار أكثر التلاعبات قوة، التي من الممكن أن يستخدمها المراهقون المهيمنون غير المنصاعين. لذا، يجب التعامل دائماً مع تهديدات الانتحار بجدية تامة، حتى

لوشعرت أنها تلاعبات، فيجب أن يتلقى اليافعون الذين يهددون بقتل أنفسهم مساعدة متخصصة بصرف النظر عن اعتقادهم بأنهم يحتاجون إليها أم لا، وفي أكثر الاحتمالات تكون تهديدات الانتحار تلاعبات لا تهديدات، وباستطاعة المتخصصين منع محاولات الأطفال الفعلية. ومن الواضح أن فعل الانتحار نهائي، ونتيجة نمطية للشعور بالعجز، فعندما يجد الأطفال المعتادون على قدر كبير من السيطرة، أنفسهم غير قادرين على التحكم في عوامل عدّة في حياتهم، فإنهم يشعرون بالعجز. لا تتبع انتحارات المراهقين جميعها من تاريخ حافل بتعزيز الإحباط الكئيب، إذ من الممكن أن تكون بعض الاكتئاب الحادة كيميائية الحيوية بطبيعتها.

ليس الاكتئاب والاستفراق في التفكير الكئيب دائماً أداة لتلاعب الأطفال المهيمنين، سواءً منصاعين كانوا أم غير منصاعين، فهناك هيئة أقلّ خطورة من المشكلة تظهر بصورة متكررة وتدفع الآباء للقلق بلا داع، إنه الاكتئاب من الملل، حيث يدفع هذا النوع من الاكتئاب الآباء إلى سبر المراهقين بأسئلة يُحتمل أنّهم لا يعرفون كيفية الإجابة عنها، ويتطلب الأمر مراقبة الأبوين لتحديد سبب المشكلة، وعادة إلى الصبر لإتاحة الفرصة للمراهقين لحلها بأنفسهم.

يكون الأطفال المهيمنون في العادة فاعلين اجتماعياً إلى حد كبير، ولأنهم يستمدون ثقتهم من الانخراط مع الأصدقاء، فيكون أي خمول في النشاط -الذي يراه كثير من الراشدين بأنه استرخاء- مملاً لهم، إنه شعور بالافتقار إلى الاتجاه، أو توقعك، أو كما سيقولون: (لا يوجد شيء نفعله)، وعادة ما يكون حاداً بصورة خاصة بعد نشاط مكثف غايته الأهداف، أو شديد النجاح. إضافة إلى ذلك، يبدو التباين مملاً، بالمقارنة بين صيف اجتماعي بامتياز، أو موسم بطولة تنس أو حفلة موسيقية ناجحة من جهة، وأخرى خامدة لا تحتوي على أهداف فورية، أو حياة اجتماعية ويختبر الأطفال المهيمنون فراغاً لا يتمكنون من فهمه بصورة تامة. فإن كان المراهقون من النوع المهيمن المنصاع، فسيتبدد الفتور الذي يتلو موسم كرة قدم حماسياً، بنشاط اجتماعي لانهجي جديد، ولن يحتاج الآباء إلى شيء سوى مراقبة التحول وفهمه. ومع ذلك، وفي حالة الأطفال المهيمنين المنصاعين، فمن المحتمل أن ينبثق الملل والحزن، ويتحولان إلى شاشة للسلطة أو الاكتئاب العميق لا يمكن التنبؤ بعواقبها، ويبدو الأمر كما لو أن الافتقار إلى الأهداف يقودهم إلى افتعال معركة وصراع للقوى. فيما يأتي مثال على ذلك:

أرسل والدا ديل ابنهم إلى مدرسة عسكرية خاصة بوصفه رداً على تدني تحصيله ولامبالاته العامة في المنزل ومع الأقران، الأمر الذي اصطدم برغباته كلها، وقد كان ديل الطفل المهيمن

غير المنصاع، عاقداً العزم على الفوز بصراع القوى الموجّه بصورة أساسية نحو والده، فقد رسب في صفوفه جميعها في المدرسة العسكرية، وازدرى الجهود كلها التي بذلتها المدرسة للسيطرة، واخترع قصصاً عن المدرسة ووالديه، وكتب أخيراً رسائل إلى المنزل، تضمّنت تهديدات غامضة بالانتحار، انخرط والدا ديل بشدة في مواجهة لم يتمكنوا من الفوز بها وقرروا السماح له بالعودة إلى المنزل، وإكمال المدرسة في المجتمع المحلي.

عاد ديل رافعاً راية نصر مجيدة على والديه ليقتضي صيفاً هادئاً في المنزل، قبل أن تبدأ السنة المدرسية، وشعر بالأمان والثقة حيال الصيف، وأقام في منزل ريفي يقع على البحيرة. لم يستطيع ديل ولا أصدقاؤه قيادة السيارة حتى الآن، شعر والداه أنّ الصيف لن يكون معقداً ومن المحتمل أن يكون مكثفاً بالأنشطة التي تهدف إلى إشغال وقت ابنهم، كالصيد والسياحة وأنشطة القوارب المائية.

كان ديل حزيناً ومنطوياً على نفسه في بداية الصيف، وعندما أُعطي الفرصة لدعوة أصدقائه إلى البحيرة، أو لزيارة بعض الأقران المُختارين لم يبدِ أي اهتمام، ولم ترق له الأنشطة العائلية كذلك.

كان ديل يصطاد، أو يشاهد التلفاز، ويشارك في محادثة إيجابية مقتضبة مع العائلة أو الأصدقاء، وكانت هناك جدالات صغيرة تحصل بين فينة وأخرى مع والده، وقد بدا الأمر كما لو أنّه أراد أن تعرف العائلة أنّ والده مازال هو العدو.

بعد ستة أسابيع من عودته، احتسى ديل الخمر، وسكر حتى الثمالة في المنزل وحده، عندما كان والداه خارج المنزل ذات مساء، ثم قاد السيارة إلى المدينة وهو في حالته المخمورة توقف قليلاً للتحدث مع بعض الأصدقاء، ثم ذهب في جولة أخرى قاد خلالها المركبة إلى قنّاة مائية، نجا من الحادث دون أن يُصاب هو أو الآخرون، وقد بلغ بيان حساب (فاتورة) إصلاح السيارة ألف دولار.

عندما سئل عن سبب إسرافه في شرب الكحول وقيادته العبثية غير القانونية، أجاب بأنه كان ضجراً فقط، ولا يعلم لِمَ قام بفعله الاندفاعي الواضح، وادّعى أن لا خطة مسبقة مبيتة لديه. على أي حال، لقد كان يُخفي زجاجة جعة واحدة يومياً من الثلاجة على مدار أيام عدة ليشرب هذه الزجاجات الثمانية خلال ليلة الملل خاصته.

إن لم يكن هناك سبب للإحباط، فقد يشير الاكتئاب الهادئ للمهيمن غير المنصاع إلى إحساس بالافتقار إلى غاية، فهؤلاء شباب يافعون حيويون قلماً يستمتعون بالخمول أو الاسترخاء وتصبح الحياة في نظرهم مملة إن لم تكن مشغولة. لذا، ابحث عن مخرج مبدع لطاقتهم المكبوتة، قبل أن تتحول إلى اكتئاب، وإلا ستؤدي إلى أفعال حمقاء مدمرة، هدفها الوحيد توفير الحماسة والنزاع. فعلى الرغم من أن ديل أعلن بأنه كان ضجراً وحانقاً على والديه لإرساله إلى المدرسة العسكرية، فإن سبب غضبه زال منذ زمن. لقد ربح المعركة، وشعر بنشوة النصر وقوته ولم يجد بعد ذلك شيئاً يوجه طاقته نحوه، فسمح له شرب الخمر والقيادة بتأكيد قوته في نزاع والد - ابن جديد.

من الأفضل منع سلوكات المهيمنين غير المنصاعين من الأساس، بدلاً من معاقبتهم لاحقاً. لذا، ابحث عن الأعراض، وشتت الصدامية بإبداع؛ لتصبح مغامرة تعاونية، كان أسلوب (تمنُّ أرغب، اعمل، انتظر) من الممكن أن يفيد في بعض التسلية لديل. إن إيجاد التوليفة الصحيحة ليس بالأمر السهل دائماً، ولكن على أي حال، وفي غضون أسبوع واحد من عودة ديل إلى المنزل كان بإمكان والديه المبادرة بمشروع عمل منتظم، يستطيع ديل كسب بعض المال منه، وينفقه على شيء يرغبه.

لم تكن وظيفة ما بعد ذاتها لتكفيه؛ لأنه يجب أن يكون هناك اتجاه هادف مهم لعمل الطفل. على سبيل المثال: ادخار المال لشراء جيتار، أو دراجة هوائية خلال العطلة الصيفية، فقد كان من الممكن للتخطيط لرحلة مغامرة مع والده في وقت لاحق من الصيف، أن يساعد على شفاء الجراح، ويوطد لعلاقة إيجابية، ومن الممكن أن تجديد زخرفة غرفته، أو إعادة نمذجة بيت القارب ليصبح مكاناً للاجتماع، أن تُعطي تكاملاً لعودته إلى المنزل ولحياته الاجتماعية، ومن الممكن أيضاً مدّه بالشجاعة اللازمة لبدء علاقات مع الأقران.

تحتاج إلى أن تُلهم الأطفال المهيمنين غير المنصاعين بكياسة نحو هدف إيجابي، أو أن تدعم مشروعاتهم الإبداعية؛ من أجل تجنب تشتيت انتباههم إلى أنشطة سلبية غير منصاعة تعمل على إدامة الصراع العائلي. وعليه، تذكر أن دافعهم الداخلي متوجّه نحو عدم الانصياع. لذا، يجب أن تكون الأنشطة التي سوف تروقههم مختلفة وغير اعتيادية، مثل: القيام برحلة مع أحد الوالدين إلى مكان جديد، وتحويل الإسطبل إلى قاعة اجتماعية، وخطاطة ملابس جديدة لفصل الخريف، وكتابة مسرحية لينتجها الأقران، والتحضير لمعرض فني، أو لمناقشة مميزة

أخرى، إذ إن هؤلاء الأطفال مدفوعون في العادة من ضغط داخلي للتفرد والاختلاف. لهذا، حاول مساعدتهم على جعل اختلافاتهم إيجابية ومنتجة.

من الصعب التجاوب مع اكتئابات هؤلاء الأطفال دون تعزيزها، والتفاعل مع نجاحاتهم أكثر سهولة ومتعة، وأكثر أهميّة مما قد يبدو عليه، وعندما يقوم أطفالك بعمل شيء إيجابي، احتفل معهم، وأثنِ على جهودهم (لا تبالغ في الثناء)، شدد على مآثرتهم وعلى انتصاراتهم، ويجب عليك أن تجعلهم حسّاسين لمشاعر الهزيمة، ولكن ليس إلى حدّ كبير يأخذ من متعة إنجازاتهم التي تستمتعون بها معاً.

ولأن هؤلاء الأطفال يظهرون تقلبات مزاجية، فسيشعر بعض الآباء بأن عليهم محاولة تهدئتهم من خلال الانتصارات. وعليه، لا تقلص من احتفالهم باقتراح أنهم مستمتعون زيادة عن اللازم أو من خلال انتقاد أدائهم؛ لأنّ ذلك سيدفعهم فقط إلى الشعور بأنك تتمنى لو أنهم لم ينجزوا بهذه الجودة، وأنت تحسدهم على نجاحهم، وسيشجع كذلك المشاعر الصدامية التي تكمن بالقرب من السطح؛ لأنّهم يحبون مشاركتك فرحهم بحماسة، وبغفوية، ودون المبالغة في ردة الفعل، ما يؤكد لهم دعمك. وعندما تزول النشوة العاطفية لاحقاً، بإمكانك تقديم بعض التعليقات عن التبجح، أو ضرورة أن يكونوا حسّاسين إن لزم الأمر.

وحتى لو كانت مثل تلك التذكيرات ملائمة، فتأكد من بدء المحادثة بسعادتك بنجاحهم لأنّهم أطفال صداميون، وإن لم تذكرهم بدعمك المتواصل لهم، فسيشعرون كما لو أنك تتقدمهم. ولهذا، امنع ردة الفعل الدفاعية من خلال تقديم الأمان النفسي لتحالفك معهم.

### تشجيع الوقت المنفرد

قد يوّتي إعطاء الأطفال الصغار بعض الوقت بمفردهم أكله في مرحلة المراهقة، حيث يتعلمون من خلاله ابتداء أساليب تبقّهم مشغولين، وإن تعلم الأطفال المبادرة بأنشطتهم الذاتية مبكراً، والحصول على الرضا من المشاركات غير العدائية، فمن غير المحتمل أن يعانون الاكتئاب الناجم عن الملل. وعليه، إن كان أطفالك في سن المدرسة الابتدائية أو ما قبل ذلك، فمن الحكمة أن تردّ على (أنا لا أعرف ماذا أفعل) بإرسالهم للقيام بأنشطتهم الشخصية على عاتقهم، بدلاً من شعورك بضرورة توفير تدقّق مستمر من الأنشطة لهم.

وعلى نحو متناقض، إن طريقة منع اكتئاب الملل لدى الأطفال اليافعين، تكون بالإصرار على أن يستغلوا وقتهم الذاتي؛ لاكتشاف إمكاناتهم في اختراع الأنشطة، حيث يعلم اللعب المنفرد

في الطفولة المبكرة الأطفال دافعية داخلية، ليست مرتبطة بالفوز في المنافسة، وجذب الانتباه الذي يبدو أنّ الأطفال المهيمنين يبحثون عنه. أمّا المراهقون المهيمنون غير المنصاعين، فيكون الأوان قد فات على هذه الطريقة في العادة؛ لأنّهم لم يتعلموا التحكم الداخلي، وتعلموا فقط التلاعب والعدائية. لذا، يتعيّن عليك القيام بالخطوات الأولى لتلهمهم الأنشطة البناءة، التي يمكنهم من خلالها أن يصبحوا متحمسين داخلياً بصورة جوهرية. ولسوء الحظ، يبدو أنه من الصعب إلهام هؤلاء الأطفال دون جذب عدائيتهم.

### الحفاظ على ما هو إيجابي

كيف يمكنك الحفاظ على الإيجابية حينما يكون الأطفال المهيمنون عازمين على دفع الآباء والمعلمين نحو السلبية؟ كيف يمكنك تدبير تجنب المبالغة في ردة الفعل على صورة طرق العقاب الحاد، التي تقرر بعد أن تفكر بها ملياً، أنها شديدة التطرف، ويجب تعديلها؟ لقد طور الأطفال المهيمنون المنصاعون جهاز استشعار مضبوطاً على حالاتك المزاجية جميعها، إنهم يعلمون لحظات ضعفك والأضرار المناسبة للضغط عليها، فهم متمرسون بالتلاعب، ومتمرنون جيدون على السجلات، وهم كذلك مقنعون مثابرون. وكلما زاد ذكاؤهم، زادت خبرتهم في إقناعك بوجهات نظرهم. (إن كانوا أسسوا للسلطة بوصفهم أطفالاً، فلن يسلموها لأحد).

إن تحدثت معهم بوصفهم راشدين وهم في عمر السادسة، فلا تخطط لمعاملتهم بوصفهم أطفالاً وهم في سنّ الثانية عشرة؛ لأنّ مثل هذه المعاملة تبدو كأنها تحطّ من قيمتهم، وتغضبهم لأنهم يرونها غير عقلانية، وإن انتزعت حرية أطفالك بعد أن أعطيتها لهم، فتوقع أن يشعروا بالتسلط، والعقاب، والامتناع. سيصبحون جريئين، وستجد نفسك في صراع مستمر على السلطة معهم، وستشعر أنت وأطفالك بأنكم عاجزون عن تجنبه.

ولإفلات من الدورة السلبية اللامنتهية للعقاب والإحباط، سيتعيّن عليك التفاوض مع أطفالك، إذ إنّ خطوتك الأولى إعداد قائمة بمفردات المفاوضات، بحيث تضمّن أربعة مكونات من مفرداتك من الكلام: نقاط القوة، ونقاط الضعف، وأساليب التحكم، والمكافآت، وتتضمّن الأولى (نقاط القوة): حقول الموهبة، والميزات الإيجابية التي تمكن أطفالك من الاحتفاظ بها في حين تشمل الثانية (نقاط الضعف): الصفات الشخصية جميعها التي يظهرها أطفالك وتكرها أنت، وتتضمن الثالثة (أساليب التحكم)، مجالات سلطة الراشدين التي لم تتخلّ

أنت عنها، وأما الأخيرة (المكافآت)، فتشتمل على تلك الحوافز الملموسة وغير الملموسة التي ستستمر في تحفيز أطفالك. وللإطلاع على نموذج قائمة المفردات لفتاة مراهقة، انظر الشكل (6.13)، خذ قائمتك إلى مكان بعيد عن مرأى أطفالك؛ حتى تتمكن أنت وزوجك / زوجتك من مراجعتها أو الإضافة إليها في كل ليلة، حيث توفر لك القائمة بعض الخيارات للتفاوض.

نقاط القوة	نقاط الضعف	أساليب التحكم	المكافآت
• الإبداع	• عدم احترام الأبوين	• المصروف الشخصي	• نقود إضافية
• الحساسية	• والمعلمين	• مخصصات الملابس	• للملابس، أو الوقود،
• للآخرين	• المقارعة بالحجج	• رخصة القيادة	• أو الفعاليات الخاصة
• اللطف	• الإفراط في الأكل	• فعاليات اجتماعية محددة	• استخدام السيارة
• الذكاء	• تسويق العمل	• نشاط العطلة الأسبوعية	• رحلات خاصة
• الجاذبية	• المدرسي	• الاجتماعي	• دعوة الأصدقاء
• كاتبة مبدعة	• عادات دراسية سيئة	• الحفلات، الرقص	• للمشاركة في
• قدرة على الطبخ		• الايقاعي (الباليه)، أو	• الفعاليات العائلية.
• ذوق جيد في		• الإنتاجات المسرحية	• تذاكر للحفلات،
• الملابس			• الرقص الايقاعي
• موهبة موسيقية			• (الباليه) أو الإنتاجات
			• المسرحية

الشكل (6.13): نموذج قائمة مفردات لمفاوضات فتاة مراهقة

ابذل جهداً لملاحظة إحدى نقاط قوة طفلك وذكرها مرة واحدة على الأقل يومياً، وحاول تجاهل أكبر عدد ممكن من نقاط الضعف من خلال عدم الاستجابة لها. لا شك، ستكون هناك بعض جوانب المشكلات التي يجب عليك أن تتخذ منها موقفاً أكثر حزماً. اختر مشكلة أو اثنتين تعدّان أعلى الأولويات في نظرك، واختر أدوات التفاوض المخصصة بك من أساليب التحكم والمكافآت المحتملة.

اختر أقل أساليب التحكم احتمالية، وأصغر مكافأة تعتقد بأنها ستكون فاعلة في التحكم في أكثر الموضوعات إلحاحاً، وقدم هذا البديل لطفلك بطريقة إيجابية مقنعة. انظر الشكل (7.13) بوصفه مثالاً.

الوالدة: جاين، نود حقاً مساعدتك على التخلص من عادة التسويف المدرسي، فأنت ذكية ومبدعة، ولكن درجاتك لا تعكس أياً من ذلك؛ لأنك تؤجلين الدراسة والقيام بالواجبات المنزلية، سيكون من الجيد لو أن المعلمين استطاعوا تقدير ما يمكنك فعله عندما تبذلين مجهوداً ما.

جاين: العمل المدرسي غير مبدع، ولا ينطوي على قدر كافٍ من التحدي، ولا أرى فائدة من إنجازه، إضافة أن المعلمين يعطونني كثيراً من المهام التي أراها مضيعة للوقت.

الوالدة: أنا متأكدة من صحّة ذلك لبعض المهمّات، ولكنني لا أستطيع تصديق أن العمل كله فارغ، وأعلم أن المهمّات جميعها جزء من خطة تعلمك. ماذا لو وافقت على تجربة القيام بعملك في وقته؟

جاين: (مُقلبة عينيها إلى الراء) نعم، حسناً!

الوالدة: لقد اتفقت مع والدك على أنه يجب عليك فعل ذلك، ولكننا نأمل أنك ستقومين به عن طيب خاطر وبصورة إيجابية، ونحن مستعدون لأن ندفع لك مقابل جهودك بوصفه جزءاً من التجربة.

جاين: دفع؟ نقود؟ يبدو هذا شائقاً الآن، لقد صرفت مخصصاتي المالية كلها، وكنت أمل أن أحصل على ملابس جديدة للمدرسة.

الوالدة: حسناً، سيكون من الرائع الادخار لهذا الأمر، إليك خطتنا: لقد رتبنا مع مستشارتك أن تعطيك تقريراً أسبوعياً لمعلميك في كل يوم جمعة، وهذا هو نموذج التقرير (انظر النموذج في الفصل التاسع)، توجد مساحة للمهمّات غير المنجزة، ولكل أسبوع لا توجد فيه مهمّات غير منجزة ستحصلين على خمسة دولارات، ولكل درجة (ب) أو أكثر، ستحصلين على دولار إضافي، وهذا يعني عشرة دولارات في الأسبوع، مقابل مجرد قيامك بعملك.

جايين:	لا ضير في هذا، لن يطول الأمر لحصولي على بنطال الجينز الذي أريده.
الوالدة:	الآن هذا هو الجزء الذي لن تحببه، إن كانت هناك أي مهمّات غير منجزة بحلول يوم الجمعة، سيتعيّن عليك عندها إحضار كتبك إلى المنزل، وإكمال المهمة قبل أن تخرجي في ليالي الجُمع.
جايين:	ها! إذن لن أقوم بذلك، بكل بساطة لن أحضر التقرير إلى المنزل، وعندها كيف ستعرفين؟
الوالدة:	أعتقد أنّ علينا أن نفترض عدم قيامك بالمهمّات الموكلة إليك، لذا ستفوتين مباريات كرة القدم في ليال الجمع، ولكننا نأمل ألا تقومى بذلك، فنحن حقاً لا نرغب في معاقبتك بتاتاً، وإن كان بإمكانك متابعة واجباتك المنزلية، وعدم الرجوع إلى الورا، فلن نعاقبك وسيكون بإمكانك جني بعض المال الإضافي. جايين، إن المكافأة الحقيقية أنك ستكتشفين بمحض المصادفة قدرتك على أن تكوني طالبة جيدة. هل ستحاولين ذلك؟
جايين:	أعتقد أن لا خيار لي، نعم سأحاول.

### الشكل (7.13): نموذج محادثة تفاوض مع مراهق باستخدام قائمة مفردات التفاوض

حافظ على هذه التقنية طالما أنها فاعلة، أما إذا لم تكن كذلك، فقد ترغب في اختيار عنصر تحكم أقوى، أو عنصر تعزيز أكثر نجاعة، ولكن، تيقن تماماً من عدم استخدام عناصر التحكم أو عناصر المكافآت جميعها قبل أوانها؛ فقائمة السلوكيات السلبية التي يجب تغييرها طويلة، وتذكرك بأنه يجب التثبيت بالسلطة كلها التي تمتلكها.

تأكد من عدم استخدام العقوبات التي ليست في قائمتك؛ لأنك لم تفكر بها بإنعام النظر وقد لا تكون قادراً على تنفيذها، فربما ستمكن من تعديل بعض السلوكيات دون إعطاء المكافآت إن استطعت البقاء في تحالف مع أطفالك. وكن على يقين تام، ألا تكافئ سلوكاً سلبياً عن غير قصد، على الرغم من جهود أطفالك لإكراهك على فعل ذلك. وأخيراً، ابذل كل جهد ممكن لملاحظة نقاط قوة أطفالك، واذكرها لهم بصورة شخصية، وكذلك بصورة مرجعية لزوجتك أو الأقارب، ولا تتردد في مكافأة السلوك الإيجابي أحياناً – ولكن ليس دائماً – بمكافآت بسيطة فالتعزيز المتقطع أكثر جدوى من التعزيز المستمر.

علم نفسك أن تكون مرناً في تحديد قواعدك، ولكن حازماً في تطبيق العواقب. على سبيل المثال: قد يختار الأطفال الوقت من اليوم للعمل على مهمة طويلة الأجل، ومن الممكن اختيار أسلوب عملهم، إضافة إلى إمكانك تمديد المواعيد النهائية قليلاً، إن بذلوا جهوداً مكثفة. ومع ذلك، إذا لم يقوموا بإكمال مهماتهم طويلة المدى، ولم يقتربوا حتى من الانتهاء، عندها، وكما اتفق عليه، لن يكون بإمكانهم الذهاب إلى حفلة عطلة نهاية الأسبوع، بصرف النظر عن محاولة إقناعهم لك.

سيحاولون اقناعك بتأجيل العقوبة إلى الأسبوع القادم؛ لأن هذه حفلة أعز أصدقائهم، يجب أن تكون متشدداً تماماً وغير مترعزع، إذا كنت تتوقعهم يأخذون تهديداتك على محمل الجد.

اترك لهم من خلال المفاوضات الأولية مجالاً للخيارات والسيطرة، ولكن ليس لتغيير النتائج بمجرد الاتفاق بصورة قاطعة. مرة أخرى، وفر إطاراً من المرونة والتحالف في البداية وتأكد من الحزم والهدوء المطلق بعد اتخاذ القرار.

لا تبالغ في ردة فعلك وتضاعف العقوبة، أو توسع مدى العواقب السلبية؛ لأن أطفالك سوف يحاولون ببساطة الانتقام منك، فهم يهتمون، حتى لو قالوا عكس ذلك، فلا تزد من استيائهم بالتهديدات والعقوبات غير العقلانية، التي لا يمكنك التحكم فيها حقاً. ستساعدك قائمة القواعد والعقوبات باستخدامها مرشداً لك على التخطيط بعناية وبحذر، ما سيحول دون تفاقم حادثة واحدة، وتحويلها إلى سلسلة من الأفعال السلبية، وردود الفعل النمطية للأطفال المهيمنين غير المنصاعين. لاحظ عدد الفرص التي استخدمها الأبوان في المحادثة الواردة في الشكل (7.13) لتذكير جاين بنقاط قوتها وتحالفهما معها، وفي الوقت نفسه، كان والداها حازمين دون المبالغة في رد الفعل.

يكون حجب الميزات الاجتماعية فاعلاً، فقط إن كان الوالدان واثقين، وحازمين، ومستمرين في تأكيد ما هو إيجابي.

## الرعاية الأبوية المتحدة

تعدّ الرعاية الأبوية الجماعية للأطفال المهيمنين غير المنصاعين أعظم تحدٍ، ستشعر بشتى أنواع العواطف المفرطة من الأسى، على معارضتهم العنيدة المتكررة إلى الابتهاج والفخر

الذين يأتيان مع نجاحاتهم، إنه من الصعب القيام بالرعاية الأبوية بصورة منسجمة، وبصورة متزامنة مع الوقت الذي ترى فيه أطفالك يكافحون، ويتلاعبون بأحدكم ضد الآخر، أو بكما الاثنيين ضد المدرسة، لقد عقدت العزم مراراً على عدم الانغماس في تلاعباتهم، ثم تجد فجأة أنه أسوأ فهمك، وحرقت أحوالك، وأصبحت في خضم فوضى رابكة من سوء التواصل؛ فالأطفال الذين على صورة هؤلاء، شديداً القوة في التلاعب بالأباء ضد أزواج أمهاتهم كذلك، وستحاول أكثر من مرة تخليص نفسك من شرك الرعاية الأبوية لهؤلاء الأطفال برمتهم، لتجد أنّ حبك لهم وشعورك بالذنب يمنعانك من الهرب، وستحاول بذل الجهد مرة واحدة وأخيرة.

ستجد أنت وزوجتك / زوجك أنّ هؤلاء الأطفال يشكلون المحور الدائم لحواراتكم وانتباهكم، على الرغم من جهودكم كلها للابتعاد عن مشكلاتهم الرابكة، على أي حال، ليست هذه الحوارات جميعها نقاشات فعلية، ولكنها سجلات مستمرة، واختلاف في الرأي، وجدال في أفضل الطرق للتعامل مع هؤلاء الأطفال الذين يصعب إرضائهم. لذا، ليس مفاجئاً أن تكون الرعاية الأبوية الجماعية صعبة. وحتى قد تكون الاختبار الأكثر صعوبة في زواجك، تذكر أنّه بشعورك أنك أفضل من شريكك في التعامل مع المراهقين المعارضين، فأنت في الأغلب تسيء إلى الوالد الآخر ولسوء الحظ، ستعانيان أنتما الاثنتان تبعات هذا الأمر.

يتضمن الشكل (8.13) بعض التدابير الوقائية لمساعدتكم على القيام بالرعاية الأبوية على صورة فريق دون عزل هؤلاء الأطفال، الذين تعتمد مفاهيمهم الذاتية على نجاحهم في المعارضة. يلخص قانون رم (#9) هذه المحاذير: «يصبح الأطفال أكثر معارضة، إن انحاز لفصم شخص راشد ضد ولي أمر أو معلم، جاعلاً منهم أقوى من الشخص الراشد منفرداً.»

- تأكد من عدم قول أي شيء سلبي عن زوجك/زوجتك في حديثكم المباشر مع الطفل، حتى لو كنت تخالفه/تخالفها الرأي، حيث يتلاعب الأطفال المهيمنون غير المنصاعين بالآباء ضد بعضهم بعضاً؛ لأنهم يشعرون بالأمان والنضج في تحالفهم مع أحد الراشدين ضد آخر، ولا يختلف الأمر كثيراً عن تحالف الدول التي لها عدو مشترك، إذ يبحث هؤلاء الأطفال عن مثل تلك العلاقات القوية، وحتى أنهم يتنافسون من أجلها، وسيتلاعبون بك، وسيحرفون كلامك عندما يبدلون مواقفهم، ويحاولون بناء شراكة مع زوجك/زوجتك. فإن اختلفت مع أسلوب شريكك، فيجب عليك عندها التحدث عن هذا الأمر على انفراد، وأن تقدم بعض التنازلات، ربما يكون هذا صعباً، ومستحيلاً نوعاً ما إن كنتم منفصلين ولكنه الأسلوب الوحيد لتجنب التلاعبات.
- إن تحريف طفلك أقوالك عندما نقلها لزوجك/زوجتك أو للآخرين، فاستخدم واحدة من أبدال عدة. اكتباً اتفاقياتكم، ووقعا عليها، وأشركا كلا الوالدين في حواراتكم مع أطفالكم، وتأكد أن الأطفال يوضحون لكم في حضوركم فهمهم لأي اتفاقات.
- تحدث مع أطفالك ملقياً الضوء على الميزات الرائعة لشريكك (حتى لو كنتم منفصلين)، سيحترم الأطفال ذلك الوالد فقط إن أعطيتهم رسالة واضحة من التقدير المرتفع له/لها، ولكن إن علمت الأطفال معارضة أحد الوالدين، فسيتعلمون أيضاً معارضة الراشدين الآخرين، وفيهم أنت؛ لأنه يتعين عليهم بناء مشاعر ثقتهم بناءً على الإنجازات وليس المعارضة.
- طمئن أطفالك المعارضين بدعم الوالدين المشترك لهم باستمرار. ولكن، كن إيجابياً حازماً في عدم السماح لهم بالتلاعب في أي منكما، ولأنهم اعتادوا رؤية العلاقات بين الآخرين بأنها خيانة للالتزام تجاههم، فيتعين عليك طمأنتهم بصورة متكررة، أن بإمكان الزوجين احترام بعضهما بعضاً وفي الوقت نفسه بإمكانهما أن يحبا أطفالهما، حيث يصعب فهم هذا الواقع من قبل هؤلاء اليافعين، ويصعب التعايش معه، وقد يشعرون بالعزلة العاطفية إلا إن طمأنتهم باستمرار.
- سيوضع أحد الوالدين (الوالد الجيد) من قبل هؤلاء الأطفال في دور الوسيط من أجل أن يقنع الآخر إلا إذا رفض الوالد القيام بذلك الدور بصورة قاطعة، وربما يكون هذا الموقف مغريباً لأحد الوالدين لاستخدام دور الوسيط على أمل أن يكون أكثر قدرة على دعم الطفل، فإن هذا الدور لا ينجح على أرض الواقع، إضافة إلى ذلك، إنه جهد من الطفل للحفاظ على تحالف مع أحد الراشدين؛ من أجل أن يشعر بأنه أقوى من الوالد الند، فإن اتخذت هذا الدور مقابل الوالد الآخر، فستشعر بأنك (الوالد الجيد) ولكنك بذلك تضع شريكك في موقع الوالد (السيئ) أو (الغبى)، الأمر الذي لا يترك بديلاً للطفل سوى التمرد و/أو تدني التحصيل، ابقيا معاً، وأكددا للطفل أنكما داعمين له، ولأنكما تسلبان السلطة من طفلكما، فسيحتاج إلى الطمأنة باستمرار بدعمكما المشترك المقرون بحدود حازمة.

إن كان أطفالك مهيمين غير منصاعين، فأنت تعرف مسبقاً صعوبة الرعاية الأبوية، لقد وجدت نفسك مراراً مُحاصراً بتلاعباتهم، وتساءلت عن كيفية حدوث هذا القدر كله من سوء الفهم، فإن حاولت القيام بالتغييرات الموصوفة هنا، فستواجه في البداية بمزيد من الغضب والتمرد والاكْتئاب. ولكن، إن قمت بالرعاية الأبوية المشتركة، وبقيتم تحتضنان ما هو إيجابي لدى هؤلاء الأطفال، فسيشعرون في النهاية بأمان أكثر في عائلة يحبهم فيها كلا الوالدين ويؤدبانهم بصورة لائقة في الوقت نفسه.

### التواصل حول التحصيل

يلقي الأطفال الواقعون تحت وطأة ضغط داخلي، والذين يقعون في ربع دائرة المهيمين غير المنصاعين، باللوم على الآخرين لهذا الضغط، الذين عادة ما يكونون آباءهم أو معلمهم من الممكن أنك لم تلمح أبداً بأنك تتوقع منهم درجة (أ) على الإطلاق، إلا إن كانوا محصلين ممتازين، وسيقولون: إنك تدفعهم نحو تحقيق أهداف مستحيلة، وسيواصلون بهذه الرسالة مع الآخرين، مثل: المرشدين التربويين، والمعلمين، والوالد الوسيط، وأحياناً أحد الأجداد أو الأعمام أو الخالات.

ربما سيكون من السهل خداع هؤلاء الراشدين، ودفعهم إلى الاعتقاد بأن سبب سلوكيات الأطفال الصعبة، هو الضغط الذي تضعه عليهم لكي يحصلوا، بدلاً من أن يدركوا أنها تلاعبات دفاعية. وقد يضعك ذلك بوصفك والدًا في موقف صعب، فإن توقعت ما هو أقل من ذلك من أطفالك، فستكفل تلاعباتهم بالنجاح، وسيتمكنون من تجنب مسؤولية التحصيل المسؤول، وإلقاء اللوم عليك، وإن وضعت توقعات واقعية للتحصيل فوق أدائهم الحالي، وتتطلب منهم بذل مزيد من الجهود المعقولة، فستسمع عما قريب من العمات، والخالات، والأجداد، والمعلمين، مدى الضغط الذي تمارسه على أطفالك، ولما كان أطفالك يعانون حالياً بعض المشكلات، فسيعزز هؤلاء الراشدون ذو النيات الحسنة من إحساسك بالذنب، وستفكر بتخفيض توقعاتك، وبالتأكيد سيبدو هذا موقفاً لا يربح فيه أحد.

توجد رسائل ملائمة وأمنة في الوقت نفسه يمكنك توجيهها لأطفالك، فبإمكانك إخبارهم بأنك تتوقع منهم بذل مزيد من الجهود، وبإمكانك تكيمم الجهد على أساس الوقت المنطقي الذي يقضونه في الدراسة، وقد يكون من المناسب التأكد من المدة الزمنية التي تُعدّ منطقية

من معلمهم، وبإمكانك أيضاً وضع أهداف صافية منطقية للطلاب متدنيي التحصيل، تتلاءم مع قدراتهم، وتعكس موضوعات قوتهم وضعفهم. إضافة إلى ذلك، تعد التحسينات الطفيفة أهدافاً واقعية دائماً، يضاف إلى ذلك، إنّه من غير الممكن أن يشكل وضعهم خطوة واحدة أعلى من المستوى الذي يحصلون عنده حالياً، ضغطاً كبيراً لدى الأطفال الذين يبذلون جهوداً قليلة.

لا تقلق من عدم وضع أهداف مرتفعة كفاية بالنسبة إليهم، وإن اشتكوا لك أو للآخرين من الضغط الذي تضعه عليهم، فبإمكانك عندها الافتراض بأنهم يرغبون في تحقيق أهداف الدرجات التي ينسبون لها إليك؛ لأنّهم يشعرون بالضغط، ويجعل توقعاتك أعلى من مستواهم الحالي، وأدنى مما يصبون إليه، ستكون لديهم فرصة معقولة للنجاح.

إن لاحظت تحسناً في الجهد، وتابعت تشجيعهم على العمل، فستحسن درجات أطفالك بصورة تدريجية؛ لأنهم في كل مرة تبالغ فيها في ردة فعلك باشمئزاز تجاه الدرجات السيئة التي حصلوا عليها، سيدونون دليلاً على ممارستك الضغط عليهم. بدلاً من ذلك، كن صبوراً في انتظار التحسنات، وعلّق على مدى تحسن طريقتهم في الدراسة؛ لأنّهم يملكون في الأغلب خبرات دراسية قليلة ومهارات دراسية ضعيفة. وعليه، سيحتاجون إلى بعض الوقت لتعلم الطريقة. ولهذا، ارفع توقعاتك لجهودهم تدريجياً، ففي النهاية، عندما تصبح النتائج الإيجابية مستمرة على نحو جيد، ستتمكن من الرجوع إلى الخلفية، عدا عن التعزيزات المتقطعة لنجاحاتهم فهم يريدون التحصيل، وبمجرد أن يكتشفوا قدرتهم على ذلك، لن يكون الدفاع الذي اعتادوا استخدامه ضرورياً بعد الآن.

ومن أجل عكس أنماط تدني التحصيل لدى الأطفال المهيمنين المنصاعين، يتعيّن عليك التخطيط لأن تجتمع مع أطفالك الذين هم في الصفوف الابتدائية بصورة يومية، أما الأطفال بين الصفوف الخامس والثاني عشر، فيكتفى في العادة بالاجتماعات الأسبوعية المحددة، حيث يجب أن تتضمن الاجتماعات مراجعة لتقدم الأطفال اليومي أو الأسبوعي في كل موضوع، ونقاشاً للمشكلات السلوكية والتحسينات، وأي مكافآت أو عقوبات قد أسست لها في الاتفاق التعاقدية معهم (انظر الفصل الحادي عشر لمعلومات عن العقود)، يتعيّن كذلك أن تعقد الاجتماعات في أوقات محددة، ومن الممكن تغييرها في الحالات الطارئة فقط، ويفضل في الحالة المثالية، أن تكون الاجتماعات الأسبوعية مع الوالد المماثل في الجنس للطفل، أو مع كلا الوالدين معاً، وفي

كلتا الحالتين، يجب أن يكون من الواضح تماماً، أن أياً من الوالدين لن يسمح للطفل بالتهرب من بذل جهود قوية.

يتعيّن الحفاظ على لهجة الاجتماعات اليومية أو الأسبوعية إيجابية قدر الإمكان، وإن حاول الأطفال المعارضون استخدامها بوصفها صراعات قوى، فكن حازماً، ولا تسمح لهم بإقحامك في السجال، وتأكد من كتابة الاتفاقات التعاقدية؛ لتتجنب تغيير القواعد من خلال الرجوع الى العقد، ولا تكن متمتاً عندما يطلب أطفالك أموراً معقولة؛ ولكن، كن حذراً على أي حال، فقد يكون بكاؤهم من التزمّت حيلة للتهرب من مسؤولياتهم.

### التواصل مع المدارس

يمكنك التأكد أن مديري المدارس والمعلمين وغيرهم، سيبادرون في التواصل معك، إن كان أطفالك متديني تحصيل مهيمين غير منصاعين، حيث يسبب هؤلاء الأطفال للمعلمين توتراً كبيراً، قد تكون اعتدته، ويسبب لك الخوف من يوم اجتماع أولياء الأمور؛ لأن المعلمين سيلومونك تماماً كما تلومهم على مشكلات أطفالك، ولن تفيد تلك العملية أياً منكم، ولكنكم دون شك تشعرون جميعاً بالعجز. تذكر أن تحالف الآباء والمعلمين لدعم هؤلاء الأطفال هو الهدف.

من الممكن للاختلاف بين المعلمين والآباء أن يكون السبب وراء أنماط هؤلاء الأطفال المعارضة في العادة، فإن انحاز الآباء لأطفالهم ضد المعلم، فسيعززون سلوك الأطفال الصدامي المعارض، ولن يحترم الأطفال سلطة المعلم. تذكر قانون رم (# 9): «يصبح الأطفال أكثر معارضة إن انحاز لصفهم شخص راشد ضد ولي أمر أو معلم، جاعلاً منهم أقوى من الشخص الراشد منفرداً».

لا جرم، ليست المدارس أو المعلمون كلهم على حق في أساليبهم التدريسية، ولكن ليس الآباء كلهم كذلك، ولما كان كثير من الأطفال سيستثمرون هذه المعارضة من خلال تدني التحصيل أو إساءة التصرف، فسيكون من الأفضل أن تبقى تواصلات الآباء والمعلمين شخصية وخاصة حيث يقع الوالدان أحياناً في خطأ إخبار شريكهم أو مكالمة أحد الأصدقاء عن الصراع مع هيئة المدرسة على مسمع من الأطفال، على الرغم من أنهم يحاولون عدم إقحام الأطفال في جدالهم مع العاملين في المدرسة، حيث يتسبب هذا الحديث المرجعي في تكوين تحالف بين الأطفال وآبائهم ضد المعلمين، وعلى الرغم من أنهم يبتهجون لدعم آبائهم، فإنهم الآن في معركة مع

معلميهم، ويشعرون بوجوب الفوز فيها، وتعزز معرفتهم بنزاعات آبائهم مع المعلمين بموقفهم (افعلها على طريقتي الخاصة)، سواء أحيمة كانت طريقتهم الخاصة أم لا؟ حتى عندما يشرح الآباء لي أنهم لم يشاركوا عدم تأييدهم للمعلمين مع الأطفال، فإن الأطفال يشيرون دائماً إلى أنّ آباءهم يتفقون معهم أنّ المعلم سيئ.

حقاً، من المهم أن يصبح الوالدان محاميين دفاع عن التعليم الجيد، ويمكن لهذا التأييد أن يتضمن على اختلافات في الرأي مع المعلمين وتوصيات بتغيير النظام. لذا، يجب عليك بذل أكبر جهد لإبقاء دورك إيجابياً ومحترماً قدر الإمكان، وتتجنب المواجهات مع المدرسة في موضوعات تعجز عن الفوز فيها أنت بوصفك والداً. وفيما يأتي مثال على نزاع والد-مدرسة، وقد حُلَّ بنجاح.

تقدم إيفان، طالب الصف الثالث الموهوب، وصاحب درجة ذكاء تتجاوز (145)، بطلب للالتحاق في مدرسة خاصة للأطفال الموهوبين، وعلى الرغم من أنّ قدراته وتحصيله قد وضعاه في أعلى سلم ترتيب الأذكياء المؤهلين، فإن المدرسة اختارت استخدام نظام اختيار عشوائي بناءً على قرعة الأذكياء المؤهلين. لم يقع الاختيار على إيفان، على الرغم من الأولوية القصوى لحاجته إلى تلك المدرسة، ولأنّ المعايير المعتمدة للجدارة في القرعة منخفضة نوعاً ما، فقد كانت حاجة كثير من الطلاب، المختارين لمنهاج متميز، أقل من حاجة إيفان.

في البداية، زار الوالدان إدارة المدرسة، وأتبع هذه الزيارة بطلب استئناف رسمي، ولم تفلح أي من الوسيّلتين، ما حدا بوالدي إيفان اللجوء إلى القانون، وقد استشارا معالجاً نفسياً للحصول على دعم خبير لموقفهم، وقد اتفق المعالج النفسي مع موقفهم القانوني، لكنه لم يعتقد أنّ جهودهم تصبّ في مصلحة إيفان التعليمية؛ وبعد ستة أشهر من بدء نزاعهما مع المدارس، بدأ تحصيل إيفان بالتدني بصورة محزنة، وإن استمر والدا إيفان في الدعوى القضائية، فلن يسمح الوقت لإيفان للالتحاق بمدرسة الموهوبين خلال ذلك العام الدراسي وربما خلال العام الدراسي اللاحق، إضافة إلى ذلك، إن حكم لمصلحتهما في القضية فلم يكن واضحاً كيف سيؤثر ذلك في عملية الاختيار المستقبلية؛ بسبب وجود احتمال قوي لتعديل النظام.

اقترح المعالج النفسي على الوالدين أن يُلحَقا إيفان بمدرسة خاصة قريبة، ربما لن تكون ممتازة مثل مدرسة الموهوبين، ولكنها بالجودة الكافية لتوفير تحدٍّ لإيفان قادر على إخراجه

من موقفه المعارض الذي كان منخرطاً فيه في حينه. وبفعل ذلك، كان بإمكانهم فصله عن الدعوى القضائية، وربما متابعة القضية باستحقاقاتها القانونية، كان الخوف من أن قضاء عام أو اثنين في معارضة النظام بدعم من والديه، سيكون كافياً لدفع إيفان نحو دورة انحدار من تدني التحصيل، وسيكون من الصعب علاجها لاحقاً.

لو كان هناك احتمال معقول بإلحاق إيفان السريع في مدرسة الموهوبين، أو أن قرار المحكمة سيكون له أثر في ضمان فرص تعليمية ملائمة للأطفال الموهوبين الآخرين، لكانت هناك قيمة للمعارضة، فإن فرص تمتع هذا الأمر بوقوع إيجابي على إيفان كانت قليلة، وكانت التأثيرات الضارة لتوجهاته نحو التعليم ولجهوده سيئة، لم يكن إيفان طفلاً مهيماً غير منصاع في البداية، ولكنه في موقعه الجديد، بوصفه محامي دفاع من أجل مدرسة جديدة، قد حصر قدراً كبيراً من الطاقة، على توجيه معلمه بخصوص الكيفية التي يجب أن يتعلم بها، ورفض الانصياع لمتطلبات المعلم الموكلة إليه.

بدا لهما أنه يجدر بهما أن يكونا محاميي دفاع عن الطفل، بدلاً من أن يكونا محاميي دفاع عن القضية، فقد كانت المجازفة كبيرة، ونقل إيفان إلى مدرسة خاصة بتوجهات أكثر إيجابية وجهود متجددة.

ينطوي أي تواصل بين الأبوين والمدرسة على مجازفة عالية بأن يُساء فهمه من قبل المهيمنين غير المنصاعين، أو يفسر بطريقة غير صحيحة؛ لأنهم يشعرون بأمان أكثر في مواقف المواجهة مع حليف وعدو معلنين، ومن المحتمل أيضاً أن يختاروا تغيير جهة انحيازهم، وأن يربكوا الآباء والمعلمين على حد سواء. لذا، من المهم جداً ألا تستنتج بصورة سابقة لأوانها، أن المعلم ظلم أطفالك، وابدل جهداً لتوضيح التوصلات أينما وجدت بذور الشك.

عند وضعك نظام تواصل التقارير مع المعلم، يصبح من الأهمية بمكان وضع تسويق للتغذية الراجعة للمعلم، بمعنى إن كان المعلمون يكتبون تقارير لإبقائك مطلعاً على تقدم أطفالك اليومي والأسبوعي، ولم تصلك تلك النماذج، فيتعين إخبار المعلمين بالمشكلة.

في الواقع، لما كان العمل مع الأطفال المهيمنين غير المنصاعين صعباً ومتعباً للمشاركين فيه جميعهم، فستحتاج أنت والمعلم إلى الدعم كله، الذي يمكنكم أن توفره لبعضكم بعضاً ستساءل كيف يتمكن الأطفال من جعل الراشدين الأذكاء شديدي العجز!

## تغيير بيئات الأقران

يبدأ الأقران بالقيام بدور حيوي في بيئات الأطفال التعليمية بحلول الصفوف الابتدائية العليا، فإن كانت علاقات الأقران ضعيفة عند الأطفال المهيمنين غير المنصاعين، فستصبح الشعبية هدفاً شديداً الأهميّة لهم بحلول المرحلة الثانوية، ولما كانوا ينظرون إلى الشعبية بأنها دور مهيمن، فإنهم يرغبون في أخذ مواقع قيادية بين أصدقائهم أكثر من أي وقت مضى، ومن أجل أن يتمكنوا من القيادة، فيجب عليهم الانصياع لقيم الأقران المراهقين مثل التعبير عن معارضة الراشدين، وهذا ليس صعباً عليهم، بل إنه يتلاءم جيداً مع تاريخهم التطوري من اختيار الحلفاء الذين يشاركون معهم الأعداء أنفسهم، إذ إنّ الحلفاء هم أقرانهم والأعداء هم الآباء والمعلمون جميعهم، يضاف إلى ذلك، يتناسب نموذج المراهق المتمرد بصورة جيدة مع مهاراتهم في التلاعب.

تمو ثقتهم في أنفسهم وشعبيتهم، إن استطاعوا إظهار أعظم غضب تجاه عالم الراشدين، وتعدّ العصابات هي الحل الأمثل والمناسب لهم.

سيعتمد هذا التناسب على إيجادهم مجموعة أقران من المراهقين المتمردين، حيث توجد العصابات في كثير من المدارس الثانوية، وتؤسس هويتها الجماعية عن طريق معارضة المدرسة والآباء، والتحصيل. فينجذب الطلاب المهيمنون غير المنصاعين نحو مثل هذه الجماعات ويشعرون بأكثر قدر من التقبل مع الأصدقاء المتمردين، ويعدّ نمط تدني التحصيل والشعبية تذاكر مرور معرزة للانضمام إلى هذه العصابات وتقبلها للقادم الجديد، وتبرز مجموعات الأقران في المدرسة الثانوية، التي تعارض المدرسة والتحصيل، وتتبنى شعار (افعل أقل ما تستطيع)، نمط تدني التحصيل لدى المراهقين، وتجعله عصياً على العكس، وعادة ما يسمى أعضاء مجموعات الأقران هذه (خاسرين) من قبل الآباء. ولسوء الحظ أنّ الآباء هم الذين يشعرون بوصفهم خاسرين.

إن كان لديكم أطفال صغار، فاحتفظوا بحقكم في وضع حدود على صداقات أطفالكم؛ لأنهم في حاجة إلى اختيار أصدقائهم، ولكن فرض معايير اختيار الأصدقاء ليس أمراً غير صحيح أو متسلطاً، فقد تكون المعايير مختلفة لكل عائلة، ولكن يتعيّن عليكم توضيحها للأطفال، فبإمكانكم التحكم في الصداقات، ما دام أنّ الأطفال لا يزالون في المدرسة الابتدائية، وفي الأغلب أنّكم لن تقدروا على ذلك عند التحاقهم بالمدرسة الثانوية. إضافة إلى ذلك، يجب أن يتفق كلا الوالدين

على المعايير نفسها، وإلا سيتعارك الأطفال معهم، زدّ على ذلك، إن رغب أحد الوالدين في وضع المعايير، واعتقد الآخر أنه ينبغي للأطفال اتخاذ الاختيارات جميعها، فسيوصم الوالد الأول بالعجز من قبل الآخر. لذا، ابقوا متحدين من أجل أطفالكم، فإن تمثل الأطفال قيمكم مبكراً فهم في الأغلب سيأخذونها في الحسبان عند اختيار الأصدقاء لاحقاً، وتأكدوا من التشديد على بذل الجهد للنجاح بوصفه واحدة من القيم التي ترغبون أن يحققها أطفالكم.

توجد كثير من المواقف التي لا يمكنكم فيها التحكم في الأصدقاء المراهقين، حتى لو أدركتم أن لهؤلاء الأصدقاء تأثيرات ضارة في أطفالكم، فتغيير جماعة الأقران خيار غالي الثمن ولا يتمتع بشعبية كبيرة، ويعدّ نقل الأطفال إلى مدرسة خاصة طريقة فاعلة، إن كنتم واثقين من أنّها أهلة بمجموعات أقران أكثر إيجابية. وأحياناً يكون العكس -نقل الأطفال من مدرسة خاصة إلى أخرى حكومية- خياراً جيداً كذلك، ومن الممكن أيضاً أن تكون عملية الانتقال إلى مجتمع آخر فاعلة، إلا أنني لا أثنى على عملية النقل تلك، إذا كان الهدف منها تغيير مجموعة الأقران. إضافة إلى ذلك، قد تجد جماعة أقران معارضة في المدرسة أو الحي الآتين، وفي تلك الحالة تكون قد أجهدت عائلتك من غير جدوى.

تعدّ البرامج الصيفية المخصصة بالأطفال مرتفعي الدافعية، ممن يشاركون اهتمامات أطفالكم، ممتازة للترويج للتوجهات المناصرة للتعلم، ويمكنها أن تساعد الأطفال على التفكير من جديد بتوجههم المناوئ للتعلم، وتعدّ الرحلات الصيفية وخبرات البراري خيارات ممتازة أيضاً؛ لتشجيع الانضباط الشخصي والاهتمام في عملية حول التحصيل.

إن كان بإمكان الأقران أن يتحدوا معاً، فذلك يمكن للآباء، فلا تترددوا في التواصل مع بعض آباء أصدقاء أطفالكم، فإن كانوا يتشاركون معكم في المخاوف نفسها، فعندها بإمكانكم دعم بعضكم بعضاً، عن طريق توفير خطوط إرشادية وتجارب الأقران الاجتماعية الإيجابية، ففي إحدى مدارس الضواحي الكبيرة، نشر الآباء الذين وعدوا أن يقدموا حفلات خالية من الكحول والمخدرات قائمة بأسمائهم، عدّ هذا الأمر بالنسبة إلى كثير من الطلاب، تعديلاً لمعيار اجتماعي هدام، على الرغم من أنه لم يقضِ على المشكلة تماماً.

إن تأثير الأقران في المهيمين غير المنصاعين كبير وصعب التغيير، فعندما تجد أطفالك مع مجموعات أقران إيجابية، فاحرص على أن تكون مضيافاً، وسيكون الاختبار الذي يحدد أكان

هؤلاء الأقران إيجابيين فعلاً؟ هو مدى تأثيرهم في طفلك، وأحياناً يكون للأقران المحبوبين في الظاهر تأثير سئ على للاحقاً.

### الحصول على مساعدة مهنية

من بين المجموعات كلها، يكون الأطفال المهيمنون غير المنصاعين هم الأكثر حاجة إلى مساعدة اختصاصية، والأقل استعداداً لتقبلها، وقد يكون إيجاد الاختصاصيين الملائمين أمراً مسبباً للمشكلات. لذا، من المهم البحث عن معالجين لا يستخدمون معالجة الراشدين مع الأطفال، حيث يمكن بسهولة أن يمنح المعالجون، الذين لا يحافظون على تواصل مع الآباء المراهقين مزيداً من القوة، ومن الممكن أن يكون للمعالجة العائلية أثر سلبي، إن أُعطي المراهقون سلطة مساوية لآبائهم.

إن أفضل نماذج المعالجة هو الذي يعطي أوقاتاً منفصلة للأطفال أو المراهقين والآباء، ولما كان المراهقون يهتمون بموضوع الخصوصية، فسيكون من الأفضل أن يعمل فريق من المعالجين معاً (معالج مع الأبوين وآخر مع المراهق)، فمن الممكن أن تتجح الجلسات الأسبوعية مع المراهق، والجلسات الشهرية المنفصلة مع الأبوين، أمّا الصغار في المدارس الابتدائية والمتوسطة، فيمكن تقسيم الجلسات، وتخصيص بعض الوقت للوالدين وبعضها الآخر للأطفال ووقت ختامي للآبائين معاً.

يجب ألا يتوقع المراهقون خصوصية كاملة، فالخصوصية محدودة بالقانون لأي مريض وتعدّ التوقعات بإلحاق الأذى بالنفس أو بالآخرين دائماً سبباً لكسر الخصوصية، وقد تمتلك بعض الولايات استثناءات أخرى.

يحتاج الوالدان في الأقل إلى إطار عمل يفهمون فيه أطفالهم. وعلى الرغم من أنّ المعالجين النفسيين ليسوا في حاجة إلى تكرار تفاصيل جلسات المعالجة مع الأطفال، فإنه يتعيّن ألا يشعر الوالدان بأنهما غريبان خلال عملية المعالجة.

يرفض المهيمنون المنصاعون المعالجة بصورة دائمة تقريباً، ويوسعون تلاعباتهم الاعتيادية لتشمل معالجتهم، من خلال التأكيد للوالدين بأنّ المعالجة مضيعة للوقت والمال كذلك يقولون بسرعة: إنهم لا يحبون المعالج، إن كان يتوقع منهم فعل شيء لا يرغبون في فعله فالمعالجة

مزرعة كثيراً لهؤلاء اليافعين المعارضين الجريئين؛ لأن الجمع بين الحفاظ على التحالف معهم ودفعهم إلى الأمام نحو الثقة والمسؤولية أمر صعب. ومع ذلك، يحتاج الآباء في الحالات المتطرفة إلى أن يكونوا مؤيدين أقوياء للمعالج النفسي؛ بغرض مساعدة هؤلاء الأطفال أو المراهقين على عكس تدني تحصيلهم وتحسين علاقاتهم.

### ما الذي يمكنك فعله بوصفك معلماً؟

وكما هو الحال بالنسبة إلى الآباء، فالأطفال المهيمنون غير المنصاعين هم المجموعة الأكثر صعوبة على المعلمين للتغيير، فإن بدأ الأطفال عدم انصياعهم مبكراً، فإنهم يميلون إلى معاناة مشكلات سلوكية في المدرسة. وبحلول المدرسة المتوسطة والثانوية، يكون عدم انصياعهم ومعارضتهم قد اتسعا لما وراء تدني التحصيل، وإساءة التصرف في الغرفة الصفية قد تكون المشكلة متطرفة عند بعضهم، وقد تمتد لبيئاتهم الاجتماعية، ومن الممكن أن يواجه بعض الطلاب مشكلات مع القانون قد تكون خارج نطاق سيطرة المعلم، ففي هذه الحالات، تكون أعظم مساعدة يمكن أن يقدمها المعلمون إحالة هؤلاء الأطفال إلى مساعدة خارجية، وأن يدعموا هذه الجهود الاختصاصية.

قد تنجح التوصيات الآتية لإجراء تعديلات في الغرفة الصفية في العادة مع الأطفال الأصغر سناً، ولكثير من الحالات الأقل تطرفاً في المدرسة المتوسطة والثانوية، حيث يوجد كثير مما يستطيع المعلمون فعله لهؤلاء الأطفال؛ ليتجنبوا المشكلات، ويوفروا لهم تجارب مدرسية جيدة.

### تكوين تحالف معلم- طالب

إن الخطوة الأولى في مساعدة هؤلاء الأطفال هي تكوين تحالف معهم، ستحتاج إلى مراجعة سلسلة التحالف الواردة في الفصل السابع الشكل (3.7)؛ لتقليل تدني تحصيل الطلاب؛ إذ إن الطلاب المعارضين يكونون تحالفاً مع الذين ينظرون إليهم بأنهم أقوياء بصورة كافية، ويستحقون الاحترام، شريطة أن يتمكن هؤلاء الأشخاص من اختراق دفاعات الأطفال، وأن يصرحوا بأنهم يقدرّون شيئاً ما في هؤلاء الأطفال، ولأن نشأة هؤلاء الأطفال كانت في بيئة تحتوي على ثناء

وتقدير مفرطين، ولأنهم لم يعودوا يحصلون على الثناء بسهولة، وإذا كنت متبصراً بصورة كافية لرؤية ميزاتهم الداخلية الجيدة، فسيقدرون علاقتهم معك.

ولكن، يجب أن يكون كل ما تخبرهم به دقيقاً وصادقاً، فبالنسبة إلى بعض هؤلاء اليافعين ستعتمد ثقتهم بك على إدراكك لذكائهم، وإبداعهم، وجاذبيتهم، وعطفهم، وانفتاحهم، أو حكمتهم، فإن حددت مواطن قوتهم المُقدرة بصدق، فستحقق بذلك خطوتك الأولى نحو التحالف.

تتضمن الخطوة الثانية قوتك؛ فالمهيمنون غير المنصاعين معتادون على تخطي الحدود ولكنهم بمجرد أن يتفوقوا بقوتهم على الآخرين، فإنهم لا يكونون لهم أي احترام. لذا، إن عدوك تحت سيطرتهم، فلن يحترموك، وسيستغلون نقاط ضعفك من خلال عدم قيامهم بعملهم، وعدم تحمل مسؤولياتهم محمل الجد، أما إن كانوا تحت سيطرتك، فمن الممكن أن يحترموك أو يمتدحوك وإذا كانت سيطرتك ممزوجة بإدراكهم أنك معجب بهم حقاً، فسيحبونك ويبدلون أفضل ما عندهم من أجلك. ولكن إذا كانت سيطرتك تقتصر إلى علاقة إيجابية خاصة، فسينظرون إليك بأنك عدو سيتلاعبون بمواجهتك، وسيفعلون كل ما في سلطتهم (وسلطتهم هائلة)؛ لتجنب الوفاء بمسؤولياتهم وتوقعاتك، إذ إن الوسائل التي تملكها للسيطرة على هؤلاء الأطفال قليلة، فدرجات الرسوب، والاستبقاء والتوبيخ، والعقاب، ليست فاعلة مطلقاً في تحفيزهم لبذل مزيد من الجهد. ولهذا، من الأفضل إبقاء الأمور إيجابية بقدر الإمكان، وستكون أكثر فاعلية باستخدامك الإلهام، والإقناع، والتعزيز بدلاً من الغضب والعداوة.

تعدّ الاجتماعات الشخصية السريعة المختصرة أفضل الأساليب لإقناع الأطفال باهتمامك بهم، حيث يساعد العمل معهم، لوضع أهداف معقولة قصيرة الأجل قابلة للتحقيق، والاتفاق بصورة واضحة على العواقب الإيجابية والسلبية، على القرب منهم واحترامهم لك، وتؤكد من كتابة أي اتفاقات تعاقدية مشتركة، واحتفظ دائماً بنسخة من الاتفاق؛ لأنهم في الأغلب سيتخلصون من نسختهم وسيجنبك العقد سوء الفهم والذاكرة الانتقائية، وسيساعدك الشكل (9.13) على تحديد كيفية كتابة العقد ووقته. من الممكن أن تجد مثلاً على العقود في الفصل الحادي عشر (الشكل 7.11).

- استخدم العقود مع الأطفال المهمين جميعهم والأطفال الاعتماديين الأكبر سنّاً، ولكن هذا الأمر اختياري مع الأطفال الاعتماديين الأصغر سنّاً.
- استخدم عقداً للمشكلات السلوكية، أو مشكلات إنجاز العمل، أو للمشروعات أو الترتيبات الخاصة، واستخدم إطار عمل قصير المدى، على سبيل المثال شهرين أو ثلاثة.
- نظّمه لكي يوقع عليه المعلم، والطفل، والوالد و/أو محامي دفاع الأطفال، فكلما كان هنالك توافيق أكثر كان ذلك أفضل.
- راجع العقد قبل التوقيع عليه، وتأكد من وضوحه، واحرص على فهم الطفل للمسؤوليات، والمكافآت والعواقب السلبية المحتملة.
- اعمل نسخاً من العقد للجميع.
- أعد التفاوض في حالة الضرورة القصوى فقط.
- التزم بالعقد وألزم الطفل به، ولا تضيف مزيداً من التعزيز أو العقاب.

### الشكل (9.13): كيفية كتابة العقد ووقته

كيف يمكنك تخصيص الوقت لإعطاء مثل هذا الاهتمام الفردي؟ بالتأكيد هذا أكثر مما هو مطلوب منك في وظيفتك، ولا يمكنك فعله للأطفال جميعهم، ولكن بالتأكيد أنّ إحداثك لتغيير أو اثنين رائعين في العام الواحد إنجاز رائع، وهذا الأمر ممكن، حيث ستشجع هذه العلاقات الحميمة الإيجابية المبنية على الاحترام هؤلاء الأطفال على الأداء في غرفتك الصّفية، وستفاجأ بسرور بدلائل المواهب المخفية.

### المشكلات السلوكية واضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة

لمزيد من الفهم، عد إلى الجزء السابق في هذا الفصل / اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD). يسبب الأطفال الذين يعانون هذا الاضطراب المشكلات على الدوام في المدرسة، ويجب ألا يتسرع المعلمون بإحالة هؤلاء الأطفال إلى العلاج الدوائي، إذ يمكن تجربة بعض الأساليب السلوكية الفاعلة في الغرفة الصّفية، قبل أن ينظر في إحالة الأطفال إلى العلاج الدوائي، وإن شككت بوجود (ADHD)، فأكمل تعبئة مقياس التقييم السلوكي، الذي يمكن الحصول عليه من المعالج النفسي المدرسي، قبل أن تباشر بالتدخلات السلوكية، وأعد إكمال قائمة مقياس التقييم السلوكي من جديد بعد أشهر عدة. فإن لاحظت تحسناً في السلوك، فتجنب

الإحالة. أما إذا استمر السلوك أو ازداد سوءاً، فيمكن أن يساعدك معالج المدرسة النفسي، أو بإمكانك أن تطلب إلى الوالدين اللجوء إلى مساعدة اختصاصية إضافية.

يشكل الأطفال الذين يبدوون عدم انصياعهم المهيمن مبكراً مشكلات سلوكية حقيقية في الغرف الصفية في المرحلة الابتدائية؛ لأنهم في حاجة إلى انتباه مستمر، ويصرون على تخطي الحدود، وعدم التقيد بالقواعد.

قد يكون الأولاد مولعين بالعراك الجسدي، وقد تكون الفتيات عنيفات لفظياً، إنهم يحبطون أكثر المعلمين تسامحاً واحتمالاً. وفي الأغلب، ستجد نفسك دائم التوبيخ لهم، وستحاول اختراع العقوبات لإبقاء سوء تصرفهم تحت السيطرة، وسيدفعونك في الأغلب إلى أن تفقد رباطة جأشك على الرغم من أنك تتذكر دائماً عدم القيام بذلك.

يبدو أن الهدف الأساسي الخفي لهؤلاء الأطفال هو الهيمنة على الصف، حيث إنهم يريدون أن يلاحظهم المعلمون والطلاب، وأن يكونوا مسؤولين عن ساحة اللعب، ويريدون الواجبات التي يستمتعون بها فقط، ويريدون هذه الأشياء جميعها - وزيادة - بصورة فورية، إنهم مندفعون وغير صبورين، ولم يتعلموا مبدأ (انتظر واعمل) للتعلم الفاعل والأداء النوعي، يكافئهم توبيخك وكتابة أسمائهم على السبورة، ويكافئهم إظهارك التملل منهم بجلب انتباه الصف لهم، ويكتسبون سمعة مشاكسي الصف. ويعملون على تحقيق هذه السمعة تماماً كما لو أنهم لا يملكون أي خيار ثانٍ. وفعلاً، غالباً ما يشعرون بعدم وجود بديل، تسبقهم سمعة مثيري الشغب في المدارس، ويتوقع المعلمون والأقران على حد سواء الانزعاج، حيث يطلب الآباء إلى أبنائهم ألا يلعبوا معهم، وفي الواقع يتجنبهم الأطفال؛ لأنهم يخافون من وصفهم بصورة مشابهة. لذلك، تجدهم إما دون أصدقاء، أو يبحثون عن أطفال آخرين ممن يعانون مشكلات سلوكية، إضافة إلى بحثهم بعنف عن طرائق لكسب الأصدقاء، ولا يرون العلاقة بين سوء تصرفهم وتمردهم ومشكلاتهم مع الأقران.

لن ينجح أي نوع من توبيخات جذب الانتباه مع هؤلاء الأطفال، إضافة إلى أنه لا يحسن الصراخ، أو كتابة أسمائهم على السبورة، من سلوكهم، ولن يفيد إجلاسهم بالقرب من مقعد المعلم أو في الزاوية، أو بالقرب من الحائط في مؤخرة الغرفة الصفية، أو في البهو، في إزالة الانتباه السلبي، بل سيساعدهم على وصفهم بمثيري شغب بصورة إضافية. وتعدّ التوبيخات

الصامتة، والإشارات الخاصة، وأوقات وقف اللعب المختصرة، (انظر الشكل 10.13) أساليب أكثر نجاعة في تعديل السلوك. كذلك، يمكن أن تكون المكافآت اليومية أو الامتيازات فاعلة أيضاً.

المكان المناسب:
<ul style="list-style-type: none"> <li>• غرفة منفصلة مع نافذة، تمكن المعلم من النظر إلى الداخل ولكنها عالية، بحيث لا يستطيع الأطفال النظر منها، يجب أن تحتوي على طاولة وكروسي في الأقل، غالباً ستفي غرفة لتخزين الكتب بالغرض، فلن يخرب الأطفال الكتب، على الرغم من هذا الأمر قد يشعرك بالقلق.</li> <li>• مكتب غير مستعمل، مكتب مرشد تربوي أو مدير جيد، مادام أنه غير مستخدم في ذلك الوقت، يجب ألا يتحاور المديرين أو أمناء السر مع الأطفال خلال الأوقات المستقطعة.</li> <li>• سياج كرتوني، أو شاشة طي داخل الصف، مع مكتب أو طاولة خلفها، من الممكن أن تسمى: (زاوية التركيز الإبداعي)، ويمكن أن تكون متعددة الاستخدامات، يجب ألا يتمكن الأطفال من النظر إلى الخارج، أو النظر إليهم.</li> </ul>
الوقت الملائم:
<ul style="list-style-type: none"> <li>• يتعين أن تكون الأوقات المستقطعة مقتضبة دائماً، فعشر دقائق ستفي بالغرض، أو يمكن للأطفال أن يعودوا إلى الصف بهدوء، عندما يشعرون أنهم مستعدون لذلك.</li> </ul>
الإشارة الملائمة:
<ul style="list-style-type: none"> <li>• من الممكن أن يستخدم المعلم في تحالفه مع الطفل، إشارة خفية (على سبيل المثال: وضع اليد على الكتف)؛ لإعلام الطفل أنه في حاجة إلى قضاء بعض الوقت بعيداً عن الصف، ويجب أن تشرح الأوقات المستقطعة للأطفال بأنها طريقة للتحكم في أنفسهم، دون إحراج أو توبيخ، أو حتى دون معرفة الصف أنهم يعانون مشكلات ما.</li> </ul>

### الشكل (10.13): وقت التوقف عن اللعب

يعدّ سحب الامتيازات عقاباً سلبياً فاعلاً للأطفال في المرحلة الابتدائية، ويجب أن تكون كلاً من العواقب السلبية والإيجابية قصيرة الأمد؛ كي يحظى الأطفال بفرصة إثبات جدارتهم يومياً. ولسوء الحظ، فإن القوة والانتباه، هما أكثر المكافآت فاعلية مع هؤلاء الأطفال. وعليه فإن

سحب الانتباه هو أكثر العواقب السلبية فاعلية. يقترح الشكل (11.13) نظاماً رمزياً استخدم بفاعلية لتشجيع التشديد على المهمّات. في حين يمثل الشكل (12.13) مثلاً محدداً على خطة تغيير سلوكي، وضعت للصغار في الصفوف الابتدائية.

- في البداية، اختر مشكلة سلوكية واحدة رئيسة للعمل عليها. على سبيل المثال: الضرب العنيف هو عادة ما يقع الاختيار عليه أولاً، ليتبع ب السلوك في المقعد، والنشاط المتعلق بالمهمّات، وأخيراً الانتباه الجيد للمعلم.
  - خطط لاجتماع خاص مع الطفل، ويجب أن يضمن جدول أعمال الاجتماع الأول الأمور الآتية:
  - قوائم بأنشطة يرغب الطفل في الحصول عليها. على سبيل المثال: استخدام جهاز الحاسوب، لعبة مع صديق، وقت خاص مع معلم أو والد.
  - عواقب إيجابية: مكافأة رمزية لكل ساعة لم يظهر الطفل فيها أي سلوكيات غير ملائمة.
  - عواقب سلبية: وقت مستقطع عند الإشارة، في مساحة مغلقة خالية من الانتباه مدة عشر دقائق من الصمت، أو وقت تطوعي يعود فيه الطفل عندما يشعر بأنه مستعد لذلك.
  - تحديد سعر بنود القائمة بالقطع الرمزية.
  - يجب أن تقرر الاحتمالات جميعها معاً في اجتماع خاص، إضافة إلى أنه يجب أن يشير المعلم إلى أنه يحاول مساعدة الطفل على تحسين سلوكه؛ ليكون مقبولاً من زملائه في الصف، ويجب أن تتسق القطع الرمزية والإشارات جميعها، وأن تكون سرية.
  - يجب إجراء اجتماعات يومية مع الطفل لملاحظة التحسن، وإظهار الدعم، وتشجيع التحسن المستمر.
  - إن كان الآباء متعاونين، فيجب إرسال تقارير يومية أو أسبوعية للمنزل.
- المصدر: رم، س. ب. (1990م). تعلم قيادات بطاقات الاستعلام (Q-cards): نصائح للمعلمين. ووترتاون، ولاية وايمنغ: أبل.

الشكل (11.13): نظام رمزي للمشكلات السلوكية الخطيرة للأطفال اليافعين المهيمنين غير المنصاعين

1. يجري المعلم اجتماعاً خاصاً مع الطفل والأبوين؛ لتوضيح مدى أهمية الجلوس على المقعد، ويجعل مثال التظاهر بوضع صمغ على مؤخرة الطفل يحصل الشرح تصويرياً، ويجب أن يكون تعريف المعلم للجلوس أي شيء قريب من التلامس مع المقعد، على سبيل المثال، يجب أن يعدّ وضع أحد الأرجل على المقعد جلوساً.
2. يقسم المعلم اليوم إلى أربعة أجزاء: من الصباح وحتى الاستراحة، ومن الاستراحة وحتى الغداء ومن الغداء وحتى الاستراحة، ومن الاستراحة حتى بقية اليوم. ويوضح المعلم للطفل أنّ أيّ جزء من اليوم يكون فيه جالساً في مقعده، يكسب نجمة توضع على بطاقة مخصصة، والهدف هو الحصول على أربع نجوم، وقد تكون النجوم الثلاث هدفاً مؤقتاً في الأسبوع الأول، أكد أنه يمكن الحصول على النجوم فقط عند الجلوس.
3. يحضر الطفل البطاقة إلى المنزل للوالدين (أو محامي دفاع الأطفال في المدرسة) في نهاية كل يوم. إن حصل الطفل على أربع نجوم، ينال جائزة منزلية، أو لعبة، أو اهتماماً، أو نقاطاً من أجل هدية، أو نشاط في عطلة نهاية الأسبوع.
4. يجب تحذير الآباء على انفراد بأن يكونوا متحمسين، وألا يخيب ظنهم بسهولة؛ فأول يوم بأربع نجوم يحتاج إلى بعض الوقت لتحقيقه، ولكن كثيراً من الأمور ستعود إلى أماكنها الصحيحة عندما يركز الطفل على الجلوس.

المصدر: رم، س. ب. (2007م). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن رعاية الأطفال، 17(4). ووترتون، ولاية وايومنغ: خدمات التقييم التعليمي.

### الشكل (12.13): نموذج خطة تغيير السلوك: اليوم ذو النجوم الأربعة لسلوك المقعد

تعدّ أوراق الملحوظات اليومية، التي تصف سلوكاً يجب تعزيزه في المنزل، فاعلة في تحسين السلوك إن تعاون الآباء والمعلمون، من الممكن استخدام نموذج مشابه لذلك الوارد في الشكل (4.9) (الفصل التاسع) للمشكلات السلوكية، ومن الممكن أن تكافأ الأيام الجيدة بلعب خاص منفرد، أو وقت للعب بنموذج طائفة مع الأب أو الأم، وتعدّ مكافآت الطعام (بوظة أو حلوى) معززات أساسية فاعلة، ولكن يجب ألا تستخدم إن كانت تسبب مشكلات وزن في عائلة الطفل. أما الأطفال الأكبر سنّاً، فيمكن عدّ الأيام الجيدة لتعزز بقضاء نشاط أسبوعي مع الوالدين، على سبيل المثال: لعب (البولينغ)، أو مشاهدة فيلم سينمائي، أو تناول (البيتزا).

ولسوء الحظ، قد لا تكون المكافآت وحدها كافية. لذا، يجب أن تتبع الأيام غير المُرضية بعواقب سلبية منتظمة، على سبيل المثال: لا تلفاز، ولا ألعاب فيديو، ولا استخدام للدراجة الهوائية؛ والذهاب إلى النوم مبكراً، أو أوقات مستقطعة في غرف الأطفال، وبعد الانساق بين المعلم والوالدين المفتاح الرئيس للنجاح في تحسين السلوك، أمّا الأطفال الذين يمارسون مشكلات سلوكية مستمرة، فتوجد مساحة ضيقة للمرونة، حيث ستوضح العواقب الإيجابية والسلبية المتسقة للسلوكات الملائمة وغير الملائمة على التوالي، بصورة قاطعة أنّ السلوكات الملائمة هي التي ستقبل. القواعد الخمس الأساسية لإدارة سلوك هؤلاء الأطفال، هي:

1. احصر الانتباه بصورة أساسية على السلوكات الإيجابية؛ وتجاهل السلوكات السلبية تماماً.
2. كن متسقاً وحازماً، ولا تبالغ في رد الفعل.
3. استخدم العواقب قصيرة الأمد، وإلا ستستنفد وسائل التحكم القليلة المتاحة لك.
4. لاحظ دائماً الميزات الإيجابية التي يظهرها هؤلاء الأطفال، ولا تبالغ في رد الفعل تجاه هذه الميزات أيضاً.
5. وطف طاقة هؤلاء الأطفال المرتفعة بصورة بناءة، من خلال إيجاد أنشطة ممتعة لهم. يكون هؤلاء الأطفال في العادة أطفالاً انفعاليين وصعبي المراس، فإن إصرارك ومثابرتك سيكافآن، عندما تتمكن من توجيه انفعالهم نحو التعلم.

### تعليمات مضادة للجدال

توفر الإجراءات الموصوفة في الشكل (13.13) تعليمات فاعلة لتجنب الجدل المستمر في الغرفة الصّفيّة، سيرغب المهيمنون غير المنصاعين بالقيام بعمل الرياضيات على طريقتهم الخاصة، وبإخبارك بكيفية إدارة الصف، وسيتمردون من أنك تعامل الفتيات بصورة أفضل من الأولاد. وفي حين يلوحون بأيديهم نحوك في محاولة لجذب الانتباه وقوة الأقران، افترضهم يستجدون بك ويقولون: (انظر إلي انظر إلي، أنا ذكي، لاحظني)، إنك لن تتمكن من مساعدتهم بردودك الفطرية الهادفة إلى تحجيمهم، وسيشعرون بقمعك لهم، وسيغربون بالانتقام.

1. يعلم الأطفال المهيمنون الذي يفخرون بمهاراتهم السجالية، أنك سريع التأثر بالنقد إن جادلوك أمام الصف، فإن خسروا أمام أقرانهم، فسيكسبون تعاطفهم، وإذا ربحوا، فسيكسبون تقدير الأقران. أما إن خسرت أمام الصف، فستخسر احترام الطلاب الآخرين، وإن ربحت، فسينحازون إلى (الطالب البائس). وعليه، عندما يرفع المجادل يده ليقول: لدي طريقة أفضل لحل سؤال الرياضيات هذا، تخلص على الفور من هذه المناظرة من حلبة الغرفة الصّفية، من خلال جواب إيجابي ينشئ تحالفاً بينكما: سأكون تواقاً لسماع فكرتك، دعنا نتقابل مباشرة بعد الحصة.
  2. بعد الحصة، لا تقل نعم أو لا للطالب، ولكن قل: اشرح فكرتك رجاءً. أو: هل بإمكانك أن تخبرني بما يجول في خاطرك؟
  3. أما إذا كنت على غير يقين بكيفية الرد، فقل، دعني أفكر بذلك، وسأعود اليك مرة أخرى لاحقاً.
  4. أما إذا كانت الفكرة جيدة ولكنها قد لا تنجح مع المسائل المتقدمة، فقل: إنني معجب بفكرتك دعنا نقم بتجربة. ستحل جزءاً بطريقتي وجزءاً بطريقتك على نحو تجريبي، فإن كانت طريقتك تعمل بصورة جيدة، فيمكنك متابعة القيام بها مناصفة، أما إذا لم تنجح، فعليك أن تعدني أنك ستقوم بالعمل بالطريقة التي اقترحتها أنا. (يبتسم الطالب) لنكتب هذا الآن؛ حتى لا أنسى الميزات الخاصة التي وعدتك بمنحها لك. (احتفظ دائماً بنسخة من الاتفاق).
  5. وإذا كان من الواضح أنّ الطالب يحاول تجنب القيام بالعمل، ولا يستطيع توضيح العملية، فسيتعين عليك أن تقول لا، وضح له أنك فكرت في الأمر، ولكنه/ لكنها لا يستطيع استخدام تلك الفكرة في الوقت الحالي، وأنت معجب بتفكيره الممتاز، وستكون مهتماً بأي أفكار أخرى.
  6. فإن تابع الطالب الجدل، فذكره بأنك قد استمعت بانتباه للفكرة، وأخذت وقتك في التفكير بها، وأعطيته جواباً حذراً بعد تفكير عميق بـ (لا). لذا، فقد انتهى النقاش حولها الآن، وإن استمر في الجدل، فاعتذر منه، والجا إلى غرفة المعلمين.
  7. عامل كل محاولة جدال بالطريقة نفسها، سيقدر الأطفال تشجيع التفكير الجيد، وسيدركون أنك لست معلماً ضعيفاً واهناً، لن تعرض قيادتك للغرفة الصّفية للخطر.
- المصدر: رم، س. ب. (2006م). نشرة سيلفيا رم الإخبارية عن رعاية الأطفال، 17(1). ووترتون، ولاية وايمنغ: خدمات التقييم التعليمي.

الشكل (13.13): تعليمات مضادة للجدال للمعلمين

عند استخدامك الطريقة المغايرة للتوقعات البديهية، فأنت بذلك تمدّ هؤلاء الأطفال بالخصوصية والتحالف، وبعد أن تتفاوض معهم، اكتب اتفاقكم، واحتفظ بنسخة منه، وألزمهم بكل حزم بكلامهم، ذكرهم بمدى حبك لهم وثقتك بهم، وابتسم لهم كثيراً، فهم أقل احتمالية لأن يتسرعوا للانتقام من معلمهم المفضل (وربما المعلم الوحيد المتبقي على الإطلاق الذين يحبونه)، من معلم غاضب عليهم. يلخص الشكل (14.13) تعليمات الجدول الموجودة في سلسلة التحالف.

تحالف باهتمام إيجابي بالتحدث مع الطالب على انفراد.

استمع إلى ما يقوله الطالب.

اعرف ما يفكر فيه الطالب.

بادر بتسوية تجريبية إن أمكن الأمر.

أضف اتفاقاً مكتوباً بنسختين.

نفذ العواقب بصورة معقولة إن لم يلتزم الطفل بالاتفاق المكتوب.

أنه النقاش من خلال تشجيع الطالب على توليد أفكار جديدة في المستقبل.

الشكل (14.13): سلسلة تحالف المعلمين المضادة للجدال

### إعطاؤهم سلطة وجمهوراً

قد يعترف المراهقون المهيمنون غير المنصاعين، الذين يمتلكون بعض التبصر في سلوكهم، أنهم عادة ما ينظرون إلى أفعالهم كما لو أنهم كانوا فوق خشبة المسرح، فهم يخططون لتصرفاتهم باهتمام كبير لرد فعل الآخرين، ويبدو الأمر حقاً كما لو أنهم يتلاعبون بالناس من حولهم بصورة عفوية وتلقائية، ومن دون وعي. ويدرك بعضهم ممن يتصفون بالحساسية والذكاء، أنهم يتلاعبون بالآخرين، ويشعرون بعدم الارتياح حيال تلك العادة، ولكنهم لا يعرفون كيفية تغييرها، لقد تدربوا على الاستعراض في صغرهم، ويقيسون قيمتهم الذاتية بمدى تأثيرهم في الآخرين.

تعد إعادة توجيه طاقاتهم نحو مجال اهتمام يعطيهم الإحساس الداخلي الجوهرى بالإنجاز، أفضل طريقة لمساعدة هؤلاء الأطفال على بناء الثقة الداخلية، وإخراجهم من ميدان التلاعب، حيث يمكن استخدام اعتماديتهم على الجمهور بصورة إيجابية في اختيار مجالات القوى التي يمكنهم استخدامها في بناء مجالات الضعف، إنها عملية من خطوتين: تتضمن الخطوة الأولى إيجاد نشاط يقومون به على أكمل وجه فيه، ويوفر لهم الجمهور اللازم، وتوسع الخطوة الثانية النشاط مع الجمهور نفسه، لتطوير مجال أضعف للطالب، حيث يركزون طاقاتهم في الخطوة الأولى بصورة إيجابية، وتوفر هذه الخطوة المركبة التي تنقلهم إلى الخطوة الثانية، حيث يتحدون أنفسهم بتجربة تكافئهم على انخراطهم بصورة جوهرية. يقترح الشكل (2.12) (الفصل الثاني عشر) بعض الأنشطة الصّفيّة الإضافية لتشجيع الاهتمامات الجوهرية، في حين يتضمّن الشكل (15.13) اقتراحات لبعض المشروعات المُفعّلة للجمهور.

موطن القوة	مجال الضعف	الخطوة الأولى نشاط القوة	الخطوة الثانية نشاط الضعف
القراءة	الكتابة	القراءة للأطفال في الصفوف الدنيا	كتابة قصص للأطفال أنفسهم
القدرات اللفظية، أجهزة الحاسوب	الكتابة	التحدث في جهاز تسجيل صوتي	كتابة قصة باستخدام الحاسوب
الموهبة الموسيقية	قلة المثابرة، الاكتئاب	الإعداد لعرض المدرسة الموسيقي	الالتحاق بدروس صوتية متقدمة
الكتابة الإبداعية	تنظيم الوقت	دراسة ذاتية دورة في الكتابة الإبداعية	وظيفة بدوام جزئي مشروطة بالتنظيم الناجح لوقت المدرسة وواجباتها.

التصميم الفني المبدع	السلوك الصدامي في المنزل	تجديد زخرفة الإسطبل بجانب المنزل أو الطابق السفلي المخصص للتسلية من أجل الأنشطة الاجتماعية	تنظيم حفلة مع الأصدقاء مشروطة بالسلوك المهدب تجاه الوالدين
الحواشيب	حقائق الرياضيات	استخدام لعبة فيديو تعلم حقائق الرياضيات	المشاركة في لعبة لحقائق الرياضيات في منافسات تُختار بصورة فردية أو لاحقاً من قبل الأقران
التمييز الأكاديمي العام	مشكلات سلوكية أو ضعف ثقة في النفس	تسريع أكاديمي جزئي في مجال القوة	تسريع كامل بناءً على التحسن السلوكي أو تحسن المهارات في مجالات الضعف

الشكل (15.13): مشروعات تساعد الطلاب على استخدام مواطن القوة لتحسين الجوانب الضعيفة

تسمح هذه الطريقة للمهيمنين غير المنصاعين استخدام اعتماديتهم على الجمهور لتطوير درجة من الثقة قلماً اختبروها من قبل، سيشعرون بالرضا عن إنجازاتهم، وسيدركون أن المكافأة التي تأتي من التلاعب ليست مكافأة فارغة، وفي حين يبنون إحساسهم بالثقة في مجال ما، يجب أن يتحسن أداؤهم في الموضوعات المدرسية الأخرى، وتتحسن السلوكيات الأخرى، ستتلاشى مشاعرهم بالضغط والتوتر عندما يدركون أخيراً بأنهم قادرون، وأن إمكاناتهم ليست مجرد أوهاام، يبدو الأمر كأنهم يميطنون لثاماً ليجدوا تحته ذواتهم الحقيقية، التي هي أكثر فاعلية وأكثر إرضاءً من الوجه الذي ارتدوه للاستعراض.

يكون هذا الأسلوب المتمثل في استخدام الجمهور ونقاط القوى لإعادة تسيط نقاط الضعف ولبناء الثقة، أكثر فاعلية لعكس تدني التحصيل مع الأطفال المتلاعبين، والمتمردين والمبدعين، إنه ليس بالفاعلية نفسها مع اليافعين الجانحين، ومع الأطفال الأكثر عدوانية الذين يحتاجون في العادة إلى مساعدة أكبر مما يمكنك أنت المعلم الصفي توفيرها.

### تجنب تلاعب الطلاب

يجد الأطفال المهيمنون غير المنصاعين أنّ التحالفات مع شخص ما ضد آخر مريحة جداً، بحيث إنهم يوقعون بسهولة بين المعلمين العطوفين والمرشدين التربويين من جهة والآباء والمعلمين الآخرين من جهة أخرى، فإن استمعت اليهم دون مخالفتهم في الرأي، فسيفترضون أنك موافق. لذا، يتحتم عليك أن تصبح مبدعاً في صياغة حججهم، وإلا سيقال قريباً على لسانك بأنك قلت شيئاً سلبياً عن آبائهم أو معلمهم، وسيأتي الآباء مسرعين لإلقاء اللوم عليك عن شيء لا تعلم عنه إلا القليل.

يوفر الشكل (16.13) بعض التبصر عمّا يمكن أن يعنيه الطلاب فعلاً عندما يتدمرون إليك، فإن اعتقدت بوجود مشكلات حقيقية، عندها يمكنك الاستماع إلى شكاوهم، والتحقق منها بصورة إضافية. يبين الشكل (17.13) بعض أمثلة إعادة الصياغة، التي تتناسب مع تدمرات الطلاب المدرجة في الشكل (16.13).

يؤثر النمو المعرفي للأطفال اليافعين في نموهم الأخلاقي، حيث يخبرنا كولبيرج (Kohlberg) أنه في مرحلة الطفولة المبكرة، يحدد الأطفال الصواب بناءً على ما يُكافأ به أو يعاقب عليه.\* ويصبح الصواب في وقت لاحق، هو ما يرضي أو يغضب (الآخرين) المهمين في حياتهم، فهم يكررون ما سمعوه أو تعلموه ويدمجون أفكار الراشدين، ويعيدون تنظيمها وصياغتها، وعندما نسمع الكلمات التي علمناهم إياها نحن أو الآخرين، فنستجيب لهم كما لو كانت تلك الأفكار خاصتهم في المقام الأول.

تفحص المعلومات التي تمتلكها عن طلبتك قبل أن تتجاوب مع تعبيراتهم عن المشاعر، حيث يوجد كثير من الاحتمالات للمعنى الحقيقي لما يقولونه، استمع إلى كلماتهم، وترجمها بحكمتك. فيما يأتي بعض الترجمات المحتملة لما يعنونه في الحقيقة، عندما يتواصل الأطفال معك بخصوص حياتهم المنزلية.

ما يعنيه الأطفال	ما يقوله الأطفال
<ul style="list-style-type: none"> <li>• قد يكون ذلك صحيحاً، أو...</li> <li>• ربّما اعتاد الطفل الاهتمام الكامل، ويشعر بالحرمان الآن.</li> <li>• وربّما عوقب الطفل حديثاً.</li> <li>• ربّما يتعيّن على الطفل القيام بكثير من الأعمال المنزلية المعتادة، أو...</li> <li>• ربّما يطلب إلى الطفل القيام بعمل اعتيادي منزلي واحد في اليوم، وهو يتذمر من ذلك.</li> <li>• ربّما لم يسبق للطفل القيام بالأعمال المنزلية المعتادة، والآن يطلب إليه عمل شيء ما لأول مرّة.</li> </ul>	<p>1. يحب والداي أختي/ أخي أكثر مني</p> <p>2. يجبرني والداي على العمل طوال الوقت</p>
ما يعنيه الأطفال	ما يقوله الأطفال
<ul style="list-style-type: none"> <li>• ربّما يكون الوالدان محرومين اقتصادياً، وربما غير قادرين على توفير احتياجات الطفل الأساسية، أو...</li> <li>• ربّما يشتري الوالدان للطفل كثيراً من الأشياء ولكنهما قالا (لا) لغرض ما حديثاً.</li> <li>• ربّما كان الوالدان قلقين حيال شراء كثير من الأشياء المادية للطفل، وربّما يحاولان تعليمه ألاّ يصبح مادياً دون قصد.</li> <li>• قد يكون الوالدان على وشك الطلاق، أو...</li> <li>• ربّما يكون الطفل سمع جدال والديه لأول مرّة.</li> <li>• والدا صديق الطفل سيتطلقان، وربّما يعتقد أن الآباء كلهم سيتطلقون.</li> </ul>	<p>3. لا يشتري لي والداي أي شيء</p> <p>4. والداي سيتطلقان</p>

5. لا يساعدني والداي في وظائف المنزلية • ربّما لا يساعد الوالدان حتى عندما كان الطفل بتاتا
- فعلاً في حاجة إلى المساعدة أو...  
• ربّما ساعد الوالدان بانتظام، والآن يحاولان تشجيع الاستقلالية.  
• ربّما كان الوالدان خرجا في الأمس، ولم يتمكننا من المساعدة.

\*Kohlberg, L. (1976). Moral states and moralization: The cognitive developmental approach. In T. Lockona (Ed.), *Moral development and behavior*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.

المصدر: رم، س. ب. (1990م). تعلم قيادات بطاقات الاستعلام (Q-cards): نوايح للمعلمين. ووترتاون، ولاية وايمنونج: آبل.

### الشكل (16.13): ما الذي يعنيه الأطفال بالفعل؟

1. أعلم أنّ والديك يحبّانك. فأنت شخص لطيف، وأنا متأكد أنّ هذا يبين مدى اهتمامهم، أتذكر كذلك بضع مرات واجه أخوك/ أختك مشكلات معهم.
2. هذا ممتاز، إنهم يحاولون أن يعلموك المسؤولية الحقيقية، أراهن أنك عامل جيد.
3. أعلم أنّ والديك يعانيان متاعب مالية، إنهما يتدبران دائماً توفير الطعام والملابس لك، أتذكر كيف أنني أيضاً تمنيت دائماً لو كان لدي مزيداً من المال.
4. حتى لو بدا أنّ الوالدين لا ينسجمان أحياناً، فإنهما عادة ما يعلنان المشكلات فيما بينهما، وهناك أمر واحد أكيد: كلاهما يحبّانك.
5. جيد. هذا يعني أن تنمو في استقلالية، جرب دائماً الأشياء في الأقل ثلاث أو أربع مرات قبل أن تطلب المساعدة، سأكون سعيداً لمساعدتك دائماً إن كنت قد حاولت حقاً.

### الشكل (17.13): كيفية إعادة تأطير تدمرات الطلاب

## تغيير المجموعة الأكاديمية

لما كان الأطفال المهيمنون غير المنصاعين يبحثون دائماً عن مصادر لجلب الانتباه ضمن صفوفهم وعائلاتهم، فإن التسريع في القراءة، أو مجموعات الرياضيات، وسيلة محتملة لتوجيه اندفاعهم نحو الإنجاز الإيجابي. وعادة ما يوضع الأطفال متدنو التحصيل في مجموعات تحصيل أدنى من قدراتهم ومهاراتهم الفعلية. وعلى الرغم من ذلك، ليس من العدل بحق الأطفال الآخرين أن يُنقل متدنو التحصيل هؤلاء إلى مجموعات أعلى، إلا إذا أثبتوا بأنفسهم أنهم قادرين على اجتياز اختبارات الكفاية، التي ستسمح لهم بالتقدم إلى الأمام. احرص على تذكيرهم أنّ باستطاعتهم البقاء في المجموعات الأعلى، فقط إن كانوا قادرين على المحافظة على نوعية أداء معقولة، ارجع إلى الشكليين (17.11) و (18) من الفصل الحادي عشر لعينات من حوارات عن نقل الطلاب إلى مراحل أعلى في موضوعات محددة.

يعد الانتقال إلى مجموعة أعلى مؤشراً واضحاً جداً على تحسن قدرات هؤلاء الأطفال، إضافة إلى أنّه يساعد على توجيه رغبتهم في الهيمنة بصورة بناءة، إضافة إلى أنّه يمكن حتى لتخطي صف بأكمله أن يكون ملائماً لبعض الأطفال شديدي الموهبة، بصرف النظر عن مشكلاتهم السلوكية. وإن تمت مراقبتهم بعناية، فقد يوفر ذلك الاهتمام الإيجابي ما قد استهدفته مشكلات الأطفال السلوكية المبكرة. لقد وجدت البحوث المتعلقة بتخطي الموضوعات والصفوف باستمرار، أنّ كلا الخيارين قد يكونان شديداً الفاعلية في بناء تحصيل الطلاب<sup>5</sup>، وحتى عندما تحدث كثير من التغييرات الأخرى في حياتهم الشخصية، فإن التسريع يمد الأطفال بوثبة من الثقة. كتب لي أحد طلاب الصف الثامن بعد أن عملت معه، يقول: إنه قد أيقن أنّ دراسته لمادة الجبر في المدرسة الثانوية، كان السبب وراء التغييرات السلوكية كلها التي حدثت معه.

## توفير الملاذ الآمن لهم

سيستفيد بعض الأطفال المهيمنين غير المنصاعين إذا استطعت توفير ملاذ تعليمي لهم ضمن بيئاتهم التعليمية، ومن الممكن أن يكون هذا المكان الخاص الآمن في مدارسهم الحالية أو خارج المدرسة ولكن ضمن الحي، أو ضمن مدرسة أخرى. تتضمن قائمة من سيستفيد من هذا الملاذ الأطفال الذين يرغبون في الهيمنة بناءً على عدم انصياعهم الفكري، أو المبدع، أو الفني، أو السياسي، فإن وصفت بيئتهم بأنّها (خاصّة) لأنها مُتحدية فكرياً، أو إبداعياً، أو فنيّاً

أو سياسياً، فإنها ستقل من ضغط شعورهم في الحاجة إلى الهيمنة، إضافة إلى أن وضعهم في مثل هذه المجموعات يوفر اعترافاً بمكانتهم، بحيث لا يعاودهم الشعور بأنه يجب عليهم إثبات تفوقهم، ويجدون ضمن المجموعة دعم الأقران لعدم انصياعهم الشخصي، في حين يقل الضغط الناجم عن السعي وراء التفوق والتميز. على سبيل المثال: يمكن أن يشعر كريس المبدع ضمن مجموعة أطفال تُعرّف بأنها عالية الإبداع، بالأمان نتيجة تفرّد المجموعة، ويمكنه اختبار التعبير الشخصي المبدع دون ضغط السعي لأن يكون الأكثر ابداعاً، ومن الممكن أن تخفف أليس الأكاديمية ضغطها الشخصي، عندما تخبر نفسها أنّ الأطفال ضمن المجموعة جميعهم لامعون جداً، ولا يتعيّن عليها إثبات عبقريتها.

ومن أجل أن يكون الملاذ الآمن فاعلاً، يجب أن يشدد على عدم التنافسية والوحدة ضمن المجموعة، ويجب أن يدرك الأطفال أنها مختلفة عن مجموعات الأقران النمطية، ويجب كذلك أن تدعم تحصيل الأعضاء جميعهم. ومن الممكن أيضاً أن توفر صفوف الموهوبين المدرسية والجماعات الدينية، والجماعات المتخصصة، والمدارس الخصوصية، ومجموعات التمثيل أو الفنون المحلية، وجماعات الشباب السياسية، سبلاً لعدم الانصياع الإيجابي في المجالات المبدعة والفكرية والسياسية، حيث يكمن الخطر الوحيد في الانضمام إلى مثل هذه المجموعات، في عمل القيادة على إعادة توجيه عدم انصياع المشاركين نحو نهايات غير إنتاجية، إذ من المهم جداً أن تحافظ قيادات المجموعات على اتجاهات إيجابية تساعد المشاركين على التعلم والنضج.

تُعدّ الملاذات التي تدعم التفرد طرقاً جيدة لاستخدام مواطن القوة لدى الأطفال؛ لتحسين مواطن ضعفهم، حيث تكمن قوتهم في إبداعهم، أو في اختلافاتهم الفنية أو الفكرية، أمّا مواطن ضعفهم، فهي عدم قدرتهم على الانصياع لمدة كافية لتعلم المهارات المهمّة لإنتاجيتهم في المجتمع، فإن لم يوضعوا في مجموعة ملاذ تمدهم بالاتجاه الإيجابي، فمن المحتمل أن ينجذبوا إلى مجموعات وعصابات أقران غير إنتاجية، وإن كنت تأمل تثقيف هؤلاء الأطفال، فيمكنك قيادتهم بصورة أفضل، إن أدركوا عدم انصياعهم وأجازوه، وبإمكانك إشعال حماسهم نحو الإنتاجية، وسيستجيبون بأفضل ما عندهم ضمن ملاذ يقدر عدم انصياعهم.

يلخص الشكل (18.13) كيفية مساعدة متدنيي التحصيل المبدعين هؤلاء.

- شجع الأطفال المبدعين على أن يكونوا منتجين، في الأقل في مجال واحد من مجالات التعبير الإبداعي في الأوقات جميعها، وساعدهم على إيجاد جمهور لأدائهم. وسواء أكان اختيارهم للتعبير الإبداعي هو الفنون، أو التمثيل، أو الموسيقى، أو الشعر، فإن المنفذ الإبداعي يحررهم من بعض من الضغط الداخلي، الذي يدفعهم ليكونوا غير منصاعين في مجالات أخرى، ويسمح لهم بالشعور بصورة جيدة حيال أنفسهم.
- احرص على عدم السماح لهم باستخدام منافذهم الإبداعية بوصفها وسائل للتهرب من الواجبات الأكاديمية، فالمواعيد النهائية للتمرين الموسيقي أو العرض الفني، هي أسباب للمرونة في المتطلبات الأكاديمية، وليس لتجنب المسؤوليات.
- ابحث عن نماذج أو ناصحين ملائمين في مجالات إبداع الطلاب، ويجب التشديد على كلمة ملائمين حيث إن هؤلاء الطلاب، وبالتحديد المراهقون منهم، سيكتشفون بسهولة نماذج غير ملائمة، وهم أيضاً متدنو تحصيل مبدعون. حيث يجذبون إليهم؛ لأنهم يرون التشابه بينهم وبين تلك النماذج. ويجب أن يشارك أصحاب النماذج الملائمة مجالات مواهبهم المبدعة، ولكن يجب أن يعطوا رسالة فحواها الانضباط الذاتي وعدم الانصياع المعقول. لذا، يجب أن يكون النموذج الملائم شخصاً مُحصلاً مبدعاً.
- وفر بيئة أقران تجمع بين الإبداع والتحصيل؛ كي يتمكن الأطفال من الشعور بالتقبل بصورة مريحة من قبل يافعين مبدعين ومحصلين آخرين، حيث توفر مصادر الموهوبين وبرامجهم في العادة ملجأً لمتدنيي التحصيل المبدعين، وهم غالباً ما يحصلون في هذه البيئة الآمنة.
- شجع الأطفال على الانخراط في البرامج الصيفية للتمثيل، والموسيقا، والتصوير، والحواسيب، والعلوم والرياضيات، واللغات الأجنبية، حيث توجد منافس إبداع ومجموعات أقران داعمة، وحيث لا يشعرون بأنهم متدنو تحصيل.
- شجع الدافعية الداخلية في أثناء تعليمك المنافسة، ويجب أن يتعلم الأطفال الاستمتاع بالعملية الإبداعية من أجل المتعة والرضا عن مشاركتهم الشخصية، ويجب ألا يشعروا بأن أعمالهم جميعها ستُقيّم من خلال المنافسة، ويجب أيضاً ألا يسمح لهم بالابتعاد الكامل عن حلبة التنافس، فقد يرهبون الفشل إلى درجة أنهم يرفضون الأداء في المنافسة. وعلى الرغم من أن الفوز يبني الثقة، فإن المجازفة بالخسارة توفر لهم بطاقة الدخول نحو الإنجاز الحقيقي.

- استخدم مواطن القوة الإبداعية لبناء مواطن الضعف وتقويتها، فيجب ألا يكون الأطفال جميعهم بالقوة نفسها في المجالات جميعها، ويجب عليهم تحصيل الحد الأدنى في الأقل في المتطلبات المدرسية حتى لا يغلغوا الأبواب التعليمية أمام أنفسهم. ومن الممكن للفنانين الذين لا يحبون الرياضيات، أو للكتاب المبدعين الذين لا يحبون الذاكرة، أن يستخدموا مواطن قوتهم الإبداعية بوصفها وسائل لتعديل مواطن ضعفهم. أما الكتاب المبدعون، فعادة ما تحول مساعدات الذاكرة المهمّات المملة إلى مهمّات أكثر متعة، ومن الممكن أن تساعد الملفات الفنية، أو دفاتر ملاحظات المهمّات، غير الرياضيين على تذكر القيام بالواجبات، ولاسيما إن شجّعوا على مشاركة هذه الإبداعات الفنية مع الأقران.
- ساعد المراهقين المبدعين على التخطيط لمستقبل مبدع، إذ يتعيّن أن يعي الطلاب أنّ أكثر الواجبات إبداعاً متاحة فقط للمحصلين، وإن لم يكونوا على استعداد للتسوية والانصياع للمتطلبات المعقولة، فمن المحتمل أن يغلغوا أبواب الفرص المستقبلية المبدعة. ومن ناحية أخرى، إن كانوا مستعدين لإدراك أنّ الاستعداد للوظائف المبدعة يتطلب مزيجاً من الانصياع والانضباط الذاتي والإبداع، فسيكونون قد خطوا أكثر الخطا أهميّة نحو التحصيل المبدع.

### الشكل (18.13): كيفية مساعدة متدنيي التحصيل المبدعين

#### مساعدة الطلاب على إيجاد التوازن

يكون الطلاب المهيمنون غير المنصاعين في العادة اندفاعيين على الدوام، فهم: إمّا أن يحبوا الناس أو يكرهوهم، إمّا أنهم يشعرون بسعادة غامرة أو بحزن عميق؛ وإمّا أن لهم كثيراً من الأصدقاء الرائعين، أو أنهم يشعرون بالعزلة والوحدة؛ وإمّا أن يحصلوا على درجات (أ) أو (و) وتستمر قائمة المتضادات إلى ما لا نهاية.

تجعل الاندفاعية هؤلاء الأطفال مثيرين وجذّابين، لكن التعامل معهم يكون صعباً، حيث يغريهم تعريفهم على مبدأ التوازن لاستكشاف حدودهم القصوى. وهنا أرغب في توضيح أن الناس ليسوا متوازنين تماماً، ولكن يعدّ البحث عن اتزان معقول هدفاً منطقيّاً، أناقش في العادة معهم الحاجة إلى الموازنة بين أهداف التحصيل والانتماء (العلاقات)، موضّحة أنّ التشديد على التحصيل فقط (الأمر الذي قلّموا يفعلوه إن كانوا متدنيي تحصيل) غير منطقي تماماً كالتشديد على العلاقات الاجتماعية فقط، وأشير من ناحية أخرى إلى أنّ التشديد على العلاقات الاجتماعية فقط (الأمر الذي يفعلونه باستمرار) جيد للفرص الحياتية المستقبلية، ولكن سرعان ما يجد

اليافعون الذين يشددون فقط على الصداقات، أنفسهم ضجرين، ويتركون صداقاتهم بصورة تدريجية؛ بحثاً عن تحدي الإنجاز، ويبدو أنّ هذا يلهمهم بأن يخطوا خطأ حذرة نحو التحصيل.

## الإعجاب بالإيثار

على الرغم من أنّ تأسيس الهوية الذاتية أمر مهم في مرحلة المراهقة وبداية سن الرشد، فإن اليافعين متدنيي التحصيل عادة ما يعلقون مع ما يتعارضون معه، حيث يشعر كثير بأنهم مختلفون، ويوجهون غضبهم أو ازدراءهم في المدرسة المتوسطة والثانوية على الطلاب في الصفوف الإعدادية، وفارسي ركوب الخيل، وحتى على الأشخاص المهوسين، الذين يدعون أنهم لا يرغبون في الارتباط مع أيّ منهم، ويوحدهم هذا السلوك فقط مع الأطفال المعادين للمدرسة باسم مثاليتهم أو تميزهم.

وفي الجامعة، عادة ما يتجنب الراشدون اليافعون متدنيي التحصيل، الذين يشعرون أنهم بعيدون عن الاتجاه السائد للتحصيل باسم معاداة وجود النظام والمؤسسات، ورغبتهم في أن يكونوا أكثر إنسانية نحو الأقليات الفقيرة، و/أو من خلال الإشارة إلى أنهم أكثر إبداعاً من أن يتماشوا مع بنية مواد الجامعة الدراسية.

في العادة، يكون هؤلاء الطلاب المعادون للاتجاه السائد مثاليين إلى حد التطرف، ويغذون حاجتهم إلى الارتباط مع مجموعات الأصدقاء، التي تعارض المعايير الاجتماعية باسم تحسين المجتمع، فهم يجدون وقتاً للاحتجاجات والمسيرات والموسيقا الصاخبة. وفي العادة، توّطد المخدرات التي يعتقدون بوجوب سماح القانون بها، علاقاتهم الاندفاعية مع اليافعين المثاليين والمتمردين الآخرين، حيث يكونون معاً شديدي الانغماس في الأنشطة المعارضة، إلى درجة أنهم لا يجدون كثيراً من الوقت للدراسة، أو لإكمال أعمالهم الدراسية.

في العادة، يجذب انتباههم تأسيس تحالف مع هذه المجموعات؛ لتوافقها مع مخاوفهم الحساسة، وخطاهم المعارضة الأولى في رحلة البحث عن هويتهم، وإطلاق تحدّي لاستخدام مواطن قوتهم، لتحديد الأمور التي يؤمنون بها والمساهمة فيها. إنني أشير إلى أنّ معارضة ما ليس عادلاً، هي فقط الخطوة الأولى نحو جعل هذا العالم مكاناً أفضل، ويكمن التحدي الأعظم في أن يتقنوا أنفسهم لوظيفة بإمكانهم المساهمة بها بصورة فاعلة في تحسين مجتمعنا، فالإعجاب

بغيرتهم في العادة، هو الأكثر فعالية في مساعدتهم على إدراك أن التطلع لتدخين (أفضل أنواع الحشيش) لا يسهم في تحسين المشكلات العالمية.

يمكن لأنشطة محددة أن تساعد الآخرين المحتاجين للمساعدة الآن، ووضع الأهداف لوظائف ستحسن العالم في المستقبل، أن تساعد متدنيي التحصيل هؤلاء، العالقين في شبق الإفراط في الفضيلة، حيث إنهم عالقون في دور من يعدون بذل طاقاتهم في تحالف مع الأصدقاء الذين يتحسرون على العالم الفظيع، ولا يفعلون إلا القليل لتحسينه، أمراً عفيفاً فاضلاً، وعندما يُتَحَدَّثون بالنهوض وتحسين الأمور من الممكن أن يصبحوا متحمسين حيال التغيير للاتجاه الإيجابي.

ينشغل الطلاب من الأعمار جميعها - في المراحل الابتدائية، أو المتوسطة، أو الثانوية، أو في مرحلة الجامعة - عندما يساعدون الآخرين. وسواء أكانوا يقرؤون للأطفال الأصغر سنّاً، أو يدرسونهم، أو يسهمون في التنظيف بعد حدوث إعصار ما، أو يجمعون الطعام للمشردين، أو يقدمون نصائحهم بخصوص أجهزة الحاسوب في مركز للمسنين، فيتعلم الطلاب المهيمنون متدنو التحصيل التواضع والفاعلية الذاتية خلال مساهمات الإيثار.

## تعاطي الكحول والمخدرات

يشكل المهيمنون غير المنصاعين، في بحثهم عن السلطة، المجموعة الأكثر عرضة لتعاطي الكحول أو المخدرات. وفيما يأتي دراسة حالة:

ناقش جيرود ذو الأربعة عشر ربيعاً مع مرشده التربوي الأسباب التي تدفعه للشرب حتى الثمالة في عطل نهاية الأسبوع. لقد أوضح أنه شعر بالقلق والإحباط طوال الأسبوع، ولكنه استطاع الشعور بالسعادة من جديد في الحفلات، عندما تمكن من الشرب، والتدخين، وتعاطي المخدرات. لم يزعجه أي شيء، وأفرط في الشرب إلى أن فقد الوعي.

وعلى الرغم من أنه اعترف بمعاناته اضطرابات ما بعد السكر الفظيعة، فإن المشاعر الرائعة كانت تستحق ذلك.

سواء تعاطى المراهقون الكحول والمخدرات خلال الأسبوع أو في عطل نهاية الأسبوع أم لا فقد تكون التغييرات المفاجئة في السلوك أو الدافعية، أكثر وضوحاً بالنسبة إليك بوصفك معلماً

مقارنة بآبائهم الذين من المحتمل أن ينكروا المشكلة. فإن كان لديك برنامج تقدير المخدرات أو الكحول في مدرستك، فأعلم المرشد المسؤول، إذ من الممكن أن يعيد برنامج علاجي ناجح هؤلاء الأطفال إلى المدرسة أكثر استعداداً للعمل على مشكلات تدني تحصيلهم، ويساعدهم على أن يكونوا أكثر صراحة.

### الإبقاء على الأبواب مفتوحة

من أبرز مخاوف أولياء أمور ومعلمي المراهقين المهيمنين غير المنصاعين، مساعدة هؤلاء اليافعين على تجنب إغلاق أبواب التعليم المستقبلي والفرص المهنية؛ بسبب تمردهم الحالي، حيث ستتضمن الوظيفة التي سيكونون فيها سعداء جداً تحدياً وإبداعاً وقيادة، وفي العادة استعداداً يفوق المدرسة الثانوية. وفي كل مرة يتخطون بها الحدود الاجتماعية والمدرسية، فإنهم يجازفون في إغلاق أبواب مستقبل مشرق محتمل. وإن استطعت بوصفك معلماً، مساعدتهم على القفز عن العقبات بصورة تبقى على هذه الاتجاهات المحتملة مفتوحة، فستحدث فرقاً حقيقياً في حياتهم.

ولسوء الحظ، سيكون هناك كثير من الأوقات التي يعود إليك المراهقون فيها، ليعترفوا أنهم أخيراً فهموا رسائلك السابقة، ويتمنون لو أنهم قد انتبهوا لها، وراعوها قبل هذا الوقت، يدركون أن الفرص الوظيفية المفضلة لديهم لم تعد متاحة لهم بعد الآن، ومن الممكن ألا يُستفاد من إبداعهم وذكائهم لأعوام؛ لأن الظروف الحياتية أو العائلية تجبرهم الآن على العمل في مجالات أدنى من قدراتهم، لقد ضاق دربهم ليصبح درب تدني تحصيل مدى الحياة، على الرغم من أنهم يدركون مدى الفرق الذي كان من الممكن حدوثه لو تمكنوا من التحكم في حاجتهم إلى الهيمنة ومن أجل أن يتمكن الأطفال المقتدرون من تدريب أنفسهم لوظائف ستوفر لهم في النهاية منافسة تحدّ وإبداع، فيجب عليهم في الغالب أن يمسكوا عن تعبيراتهم الفورية عن الاستقلالية، وإن استطعت مساعدتهم على رؤية الصورة الكبرى، فسيشعرون بتأثيرك فيهم طوال حياتهم.





## الفصل الرابع عشر

### نظرة عامة

#### لماذا

تعدّ متلازمة تدني التحصيل وباءً، حيث توثق الإحصائيات أعداداً متزايدة من الأطفال الذين يظهرون أعراضها، ويمكن للمعلمين تأكيد هذا الاستنتاج بناءً على ملحوظاتهم الصّفيّة الخاصة، حيث لا يوجد بالتأكيد تفسير بسيط لمئات الآلاف من الطلاب الذين يتمتعون بقدرات جيدة، ولكنهم لا يتمكنون من التعلم في الغرف الصّفيّة نفسها، التي ينجح المعلمون فيها بتعليم صفار آخرين. وعلى أيّ حال، فمن خلال فحص المسببات النفسية لتدني تحصيل الأطفال والبيئات الحالية، من الممكن أن يدرك كل منا أنّ التفاعل بين الاثنتين مسؤول عن ارتفاع عدد الأطفال متدنيي التحصيل، وقد لا يكون لوالد أو لمعلم منفرد، تأثير كبير في الظروف العامة في المجتمع، ولكنهم يستطيعون مجتمعين ومنفردين، أن يضبطوا البيئات المنزلية والمدرسية للتعويض عن المشكلات الاجتماعية، الأمر الذي يترتب عليه تعزيز التحصيل لدى أطفالهم.

#### عناصر أساسية في متلازمة تدني التحصيل

لقد وصفت في هذا الكتاب سمات متلازمة تدني التحصيل وخمسة مسببات رئيسة لها وعلى الرغم من احتمال وجود بعض عوامل تدني التحصيل لدى الأطفال المحصلين أيضاً، فإنها تكون أقل حدّة، فكلما ازدادت العوامل الظاهرة، وازدادت حدّتها، عظّمت مشكلة تدني التحصيل.

## بداية الحالة

تتطور معظم أخطار تدني التحصيل، وإن لم تكن جميعها، في الأعوام الخمسة الأولى من الحياة، ومن الممكن لبعض هذه السلوكيات أن تؤدي إلى تحصيل مرتفع اعتماداً على البيئات اللاحقة، حيث يمكن للإدمان على الانتباه الناجم عن أنّ الأطفال مرحب بهم زيادة عن اللازم أو أنهم موهوبون، أو معاقون، أو مريضون، أن يبدأ المشكلة. إضافة إلى ذلك، يساعد الآباء المصممون على إعطاء كل شيء لأطفالهم، الذين يعدون أطفالهم مركز حياتهم، وأنهم الهدف الوحيد لوجودهم، على تعزيز المعضلة وتفاقمها دون قصد.

إضافة إلى أنّ مقدمي الرعاية غير المؤهلين، أو تنافس مجموعة الأشقاء بصورة خاصة تتسبب في تزايد الأخطار المرتفعة المسببة لبدء المتلازمة، وعلى الرغم من أنّ هذه البيئات المنزلية المبكرة هي المتهم الأول، فإن الأنماط الفعلية لتدني التحصيل قد لا تظهر حتى الصفوف الأخيرة من المدرسة الابتدائية، أو المتوسطة أو الثانوية، أو حتى بعد ذلك.

وفي بعض الحالات، تظهر الظروف الفعلية التي بدأت الأنماط في مرحلة لاحقة من الطفولة، إذ يمكن للعلاقة السيئة مع أحد المعلمين أن تبدأ نمط تدني تحصيل. وتبين النتائج السيئة لعامين دراسيين متتابعين، احتمالية بدء مشكلات تدني التحصيل لدى الأطفال، ومن الممكن كذلك للظروف العائلية، مثل وفاة أحد الوالدين، أو الطلاق، أو التغيير المفاجئ في البيئة، أن تحفز أنماط تدني التحصيل لدى طفل كان محصلاً في السابق، وتوجد في العادة نقطة قابلة للتحديد تشير إلى بداية أعراض المتلازمة، مع أنّ السمات الواضحة لتدني التحصيل قد لا تظهر إلا بصورة متأخرة.

## السلطة المفرطة

تعد السلطة المفرطة في الطفولة سمة مشتركة بين متدني التحصيل جميعهم، فعلى الرغم من حصول هؤلاء الأطفال على سلطة كبيرة، فإنهم يشعرون في العادة كما لو كانت لديهم سلطة ضئيلة، حيث يوجهون سلطتهم نحو التلاعب بالآخرين؛ من أجل تجنب المسؤولية بدلاً من توجيهها نحو التحصيل الفعلي. حقاً، لا يتعمدون التحكم في الآخرين؛ ليجلبوا لأنفسهم ولآبائهم ولمعلميهم الأسى؛ بل هم بكل بساطة تعلموا نمطاً مريحاً - على الرغم من أنه غير مثمر - للهندسة البشرية،

فتجلب لهم مناوراتهم الشعور الفوري بالغبطة، ولا يفهمون أن بإمكان أنواع التفاعل البشري الأخرى أن تفيدهم بصورة أكبر على المدى البعيد.

يتمائل هؤلاء الأطفال دون وعي مع الناس من حولهم بأنماط اعتمادية أو مهيمنة، حيث تتضمن الأخيرة التلاعب الخفي، الذي تنضوي تحته اللغة اللفظية والجسدية التي تطلب المساعدة والتعاطف المفرط، إضافة إلى أن الأخيرة أكثر تلاعباً بوضوح؛ يضغط الأطفال على الأبوين والمعلمين والأقران؛ لينصاعوا لرغباتهم وتفضيلاتهم، ولا يعمل الآباء والمعلمون على توجيه هؤلاء الأطفال؛ لأنهم عاجزون، يسمحون للأطفال بالسيطرة على سلوكهم في الحياة، بصرف النظر عن قلة خبرتهم وحكمتهم. وتكرر الصراعات على السلطة، ويحصر الأطفال آباءهم ومعلميهم باستمرار في جدالات وسجلات كثيرة، وينهون هذه السجلات بالهيمنة، أو الغضب، أو التمرد ويفقد الراشدون أعصابهم، ويشعرون بالغضب والإحباط. ويرفض كل من الأطفال الاعتماديين والاستقلاليين العيش ضمن الخطوط الإرشادية التي يضعها الآباء والمعلمون، ولكنهم يقومون بدلاً من ذلك بدفع الحدود باستمرار بأنماط عدائية - سلبية، أو عدائية خفية مستترة.

تأتي السلطة الملائمة للأطفال عندما يُشجَّعون على أن يكونوا استقلاليين ضمن الحدود التي يضعها الراشدون، حيث يجب أن ينمو طيف الأنشطة الاستقلالية المخصوص بهم مع النضج، ومع إظهارهم لخيارات مسؤولة.

### المعارضة وعدم التوافق

في العادة يكون مقدمو الرعاية والآباء غير متوافقين و/أو معارضين لحياة متدنيي التحصيل، سواء كان مقدمو الرعاية الوالد والوالدة الحقيقيين، أو الأجداد، أو أزواج الأمهات وزوجات الآباء، أو الآباء في التبني، أو معلمي الرعاية النهارية، أو جليسات الأطفال. فعندما يُظهر الراشدون مجموعات مختلفة من المتطلبات، يصبح المسرح معداً بصورة مبكرة لتدني التحصيل، وقد يحدث عدم التوافق والاتساق ضمن راشد واحد أو بين مجموعة من الراشدين. على سبيل المثال: من المحتمل أن تكون الوالدة التي تمر بمرحلة عصبية في حياتها، غير متسقة في تأديب أطفالها والتعايش معهم، فإن وجد هنالك عدد كبير من الراشدين في البيئة المباشرة للطفل (أجداد، عمات وخالات، أعمام وأخوال، مقدمو الرعاية - الذين يمتلكون جميعهم أفكاراً

شديدة الاختلاف عن تربية الأطفال)، فلن يحدث افتقار إلى التوافق فحسب، بل من المحتمل أن تكون هناك مقاومة ومعارضة.

تحدث المعارضة في العائلات التقليدية السليمة، المكونة من والدين، وفي العائلات المكونة من والد واحد، وحتى وبصورة أكثر شيوعاً في العائلات المطلقة، حيث يدور النزاع بين الوالدين و/أو مقدمي رعاية آخرين عن مدى الحزم أو اللين المُتبع مع الأطفال، حيث يتنافس الراشدون دون وعي على أن ينظر الأطفال إليهم بأنهم مقدمو الرعاية (الأفضل)، إضافة إلى أن المنافسة بين والد لئيم أو حازم، وآخر عطوف وحام ستحفز تدني التحصيل، فيتنافس الأطفال ويخاصمون الوالد الأكثر طلباً، ما يشعره بالإحباط، والغضب، والافتقار إلى السيطرة، ويصبح أكثر معارضة، ويشعر الوالد العطوف بالضغط لحماية الأطفال من الوالد الغول. وعلى الرغم من أن الآباء العطوفين يتمنون لو أن الأطفال يبذلون جهوداً أكثر، فإنهم يتعاطفون مع مشاعر الأطفال بعدم الكفاية، والمفاهيم الذاتية الضعيفة، وقلقهم حيال عدم القدرة على الوصول إلى المقاييس المرتفعة المفروضة عليهم من قبل الوالد الغول. وعليه، يكون سلوك الأطفال التهرابي محمياً ومحتضناً من الوالد الحامي المحب بصورة عفوية، ومع أن أياً من الأبوين ليس على خطأ تماماً فإنهم سيبتدعون أنماطاً من التجنب ومفاهيم الذات الضعيفة، عندما يرسلون رسائل متضاربة لأطفالهم.

إضافة إلى ذلك، من الممكن أن يكون مقدمو الرعاية المعارضون مسؤولين أيضاً عن هيمنة الأطفال أو اعتماديتهم، حيث القليل من الجوائز المخصصة لتحصيل هؤلاء الأطفال لأن النجاح لا يوجد العلاقة القريبة الآوية الناتجة من الفشل والإخفاق، حيث تسلب المعارضة الأطفال من نموذج يهتم بالتحصيل بإمكانهم التماثل معه، ويوفر لهم بدلاً من ذلك خصماً يتنافسون معه.

### البيئات الصّفية غير الملائمة

للمدرسة والمعلمين أهمية كبيرة؛ لأنهم يحدثون فرقاً فعلاً، إذ من المحتمل أن يغذي معلمو الغرف الصّفية الذين لا يدركون الأعراض الدالة على تدني التحصيل، التلاعبات الاعتمادية أو المهيمنة لهؤلاء الأطفال، وفي الصفوف الابتدائية تحديداً، يسهل عدم تمييز هذه الأعراض والخلط بينها وبين عدم النضج، أو ضغط الوالدين، أو صعوبات التعلم، أو اضطرابات نقص الانتباه، أو الاضطرابات العاطفية، حيث يستجيب المعلمون بصورة فطرية للأطفال الاعتماديين

بأساليب تعزز من سلبيتهم، وبالاستجابة للصغار المهيمنين بطرق تديم مواقفهم القتالية. ومن المحتمل ألا تنجح أساليب التعلم النمطية التي تؤتي أكلها مع الأطفال المحصلين ومع الأطفال متدنيي التحصيل، فالمحصلون أكثر تقبلاً لطيف واسع من أساليب التدريس إلى درجة أكبر من متدنيي التحصيل، وقد يسقط أفضل المعلمين في المصايد التي يضعها الأطفال الذين يعانون متلازمة تدني التحصيل دون قصد.

أما الأطفال الموهوبون، فقد يتسبب عدم وجود قدر كافٍ من التحدي في حدوث مشكلات مدرسية خاصة، ومن الممكن فعلاً، للبيئات غير المُحفزة أن تساعد على بدء تدني التحصيل وتعمل على استدامته، حتى مع الأطفال الذين لا يعانون مشكلات رعاية أبوية محددة، ومن الممكن أن يكون للعداوة بين الوالدين والمدرسة آثار ضارة، ويمكن للأطفال في هذه الحالة أن يتلقوا من أبويهم الرسالة التي تقول: إن المدرسة لا ترقى إلى مستوى احتياجاتهم التعليمية، ولا يُتوقع منهم أن يكملوا الواجبات المملة الموكلة إليهم. إضافة إلى ذلك، من الممكن أن يخبر المعلمون الأطفال بأن قدراتهم المرتفعة هي محض خيال؛ لأن أداءهم المدرسي سيئ، فيقع هؤلاء الأطفال بسهولة ضحية لمتلازمة تدني التحصيل.

أما الأطفال القادمون من خلفيات محرومة ثقافياً وفقيرة أكاديمياً، فقد لا يوفر لهم المعلمون تحدياً كافياً؛ بسبب الأفكار المسبقة عن قدرات هؤلاء الأطفال، ومن المحتمل أن يعلموهم البلادة دون قصد، إذ يحتاج الأطفال جميعهم تعلم بذل طاقاتهم القصوى ليحصلوا.

وعلى الرغم من حاجة الأطفال إلى توسيع ما يمكنهم تعلمه، فإن من الواضح وجود فروقات فردية، فعند استخدام المنهاج نفسه وسرعة التعلم نفسها للأطفال جميعهم، فلن يتم تحدي بعض الأطفال، في الوقت الذي سيستسلم فيه أطفال آخرون بيأس؛ لأن المنهاج يفوق استيعابهم ولن تختبر أي من هاتين المجموعتين العلاقة بين المجهود والمخرجات.

أخيراً، وعلى الرغم من أن غالبية المعلمين في صفوفنا فاعلون، فإن بعض الأطفال يقعون فريسة لتلك الأقلية من المدرسين غير الفاعلين. إن بضع سنوات دراسية سيئة نتيجة التعليم الرديء، أو نسبة غياب المعلمين المرتفعة، أو التناثر الواضح بين معلم وطفل، أو العداوة الصريح بين معلم وطالب - جميعها عوامل تسهم في بروز متلازمة تدني التحصيل لدى بعض الأطفال، ولكن من غير المحتمل أن تكون السبب الوحيد للمشكلة، فإن لها بالتأكيد تأثيراً متزايداً.

تتمثل الميزة الأكثر أهمية للغرف الصّفية، التي يحافظ الأطفال من خلالها على وضعية التحصيل، في وجود علاقة ملائمة بين العملية التعليمية ومخرجاتها، فإذا كانت الواجبات على الدوام شديدة السهولة، أو شديدة الصعوبة، فستكون الظروف التي ترعى تدني التحصيل حاضرة، وستزداد المتلازمة سوءاً.

## المنافسة

تعزز البيئة التي لا تعلم الأطفال التعايش مع المنافسة تدني التحصيل، فالحياة تنافسية على الدوام، ولكن إن وجد الأطفال في مناخ تنافسي، حيث سيجدون أنفسهم في وضع يكونون فيه دائماً خاسرين أو رابحين، فسيقل احتمال تعلمهم للتوجهات الصحية نحو المنافسة، فلا يجد الأطفال الخاسرون على الدوام أي سبب لبذل الجهد؛ لأنه لا يظهر لهم أي احتمال للنجاح فينسحبون من المنافسة بصورة كلية، ويصاب الرابحون الذين لم يحظوا بفرصة للتعايش مع الفشل، بالشلل والعجز عندما لا يكونون منتصرين على الدوام؛ لأنهم يفقدون الثقة عندما لا يكونون على القمة، ويتوقفون عن بذل مزيد من الجهود، ولكن من غير المحتمل أن يُطوّر دور الرابع تدني تحصيل على الدوام؛ لأن هؤلاء الأطفال طوروا تاريخاً أفضل من الإنجازات، فهم يتمتعون بالمرونة الكافية التي تمكنهم من تكييف أهدافهم بناءً على خبراتهم من الإنجازات السابقة. أما الخاسرون على الدوام، فهم أقل تحفيزاً نحو بذل أي مجهود؛ لأن محاولات بذل الجهود المتفرقة السابقة أسفرت عن الفشل، وهؤلاء الأطفال هم أكثر احتمالاً لأن يستغرقوا في أحلام اليقظة عن الخلاص السحري، بدلاً من المخاطرة في استثمار الطاقة في المهمّات التي يرونها مستحيلة.

فالغرف الصّفية والعائلات تنافسية بطبيعتها؛ لأن الأطفال يقارنون أنفسهم بصورة تلقائية بالأقران، والمعلمين، والأشقاء، وأبناء العمومة، والآباء، وعندما يدركون أنهم مقصرون؛ بسبب عدم أهليتهم أو بسبب الإنجازات المتفوقة لمنافسيهم، فمن المحتمل ألا يستوعبوا فقدانهم للدافعية، فربما يضعون أهدافاً أكثر واقعية، ويستمررون في التحصيل، أو أنهم سيقروا أنّ عدم أهليتهم لم تترك لهم إلا القليل من المبررات لبذل الجهود، ويُسفر القرار الأخير عن تدني التحصيل، وبالتأكيد يغذي مصدر المنافسة وحدتها المتلازمة، ولكن تقييم الأطفال للمنافسة واستجاباتهم لها أكثر أهمية.

## التغيرات الاجتماعية

للتغيرات الاجتماعية في بلدنا وقع صادم على العناصر النفسية، التي تسبب متلازمة تدني التحصيل. وعلى الرغم من أنه لم يُقصد من هذا الكتاب أن يكون دراسة للاتجاهات الاجتماعية أو الأخلاقية في الولايات المتحدة الأمريكية أو العالم، فإن هناك أسساً واضحة للمشكلة. إضافة إلى ذلك، مع من أن هذا الوصف ليس شاملاً لكل شيء، فإن التغييرات الاجتماعية الأساسية التي تقود إلى متلازمة تدني التحصيل ظاهرة بسيطة.

## العائلة

لقد تغيرت بنية العائلة الأمريكية ونسيجها بصورة سيئة، إلى الدرجة التي كانت ستصعق أجدادنا الأوائل، حيث يتضمّن الخليط الأمهات اللواتي يعملن في وظائف بدوام كامل، ومراكز الرعاية النهارية، وجليسات الأطفال، والأقارب الذي يتولون مهمة رعاية الأطفال، وعدم وضوح الأدوار بين الرجال والنساء، والعلاقات خارج إطار الزواج، والطلاق المتزايد، والعيش معاً دون ترتيبات زواج، والرعاية الأبوية المنفردة، وحقوق الزيارات الراقبة ونزاعات الحضانة، فمن المحتمل أن الآباء اليافيين، الذين ينظرون إلى عائلاتهم في السابق، ويتمنون أن يستخدموا تلك العائلات بوصفها أطراً لإرشاد أطفالهم، أن يجدوا أنفسهم دون نموذج، ولكن ما زالت العائلة النووية القديمة، المكونة من أبوين مخلصين مسؤولين بصورة مباشرة عن تربية الأطفال موجودة، لكن العدد الفعلي للأطفال الذي يترعرعون في مثل هذه البيئات الآمنة والمنظمة يتضاءل باستمرار.

## التعليم

تتوسع مهمّات التربويين وحجوم المدارس بانتظام، وأصبح يرافق الثلاثة (B) المعروفة - (الفاصولياء، والحافلات، وكرة السلة)، ثلاث أخريات هنّ - (الإفطار، ومجالسة الأطفال والمساومة)، ويطلب الآن إلى التربويين، الذين اعتادوا تخصيص كثير من وقت الكادر المدرسي لمناقشة برامج الغداء الساخن، والنقل، والبرامج الرياضية، أن يوفرُوا وجبات إفطار صباحية، وخدمات اجتماعية، وعناية ما بعد وقت المدرسة، لأطفال الآباء العاملين. وعلى أيّ حال، تعدّ هذه جزءاً صغيراً فقط من الأدوار الإضافية الملحقة بالتعليم، فقد تضاعفت مسؤوليات الإداريين

والمعلمين بصورة أسية. هناك كثير من المعلمين الذين يسيرون بتحفيظ الأطفال بحماسة نحو التعلم، ولكن تُشتتهم الأساليب التي يجب أن تُقسّم فيها طاقاتهم إلى كثير من المهمات وكثير من الأطفال، عن النخوة التربوية الشمولية، فيشعر كثير من المعلمين بالثبيط.

### المعايير الأخلاقية

سيندب بعض القراء تفسخ المعايير الأخلاقية، وسيقول آخرون: إن شيئاً لم يتغير. ومع ذلك، قد يتفق آخرون على حدوث التغيير، ولكنهم يفضلون هذه المعايير الجديدة للسلوك.

لا يهدف هذا الكتاب إلى توفير تعقيب على المعايير الأخلاقية المتغيرة، ولكن فقط لملاحظة أنّ البيئة التي تدعم الاستهلاك المفرط للكحول، وتعاطي المخدرات، وعنف العصابات والإباحية الجنسية، تقدم إغراءات كبيرة للمراهقين، حيث يعلن المراهقون أن لديهم الحق - إلى جانب أشياء أخرى - في حياة جنسية مماثلة للراشدين، ولا يحق للراشدين سرقة ذلك منهم، وتوفر هذه المشتتات عن المشهد التعليمي بصورة تزيد من صعوبة تحفيز المراهقين نحو التحصيل؛ فبالمقارنة تبدو المدارس مملة حقاً.

### الضغط التنافسي

إن التزايد السكاني والمتطلبات الوظيفية لتعليم أكثر شمولية، وتهشم المسؤوليات الوظيفية وضيق الخيارات المهنية، وتعميدات الأعمال والحكومة، وتلاشي التوجيهات الأخلاقية، هي جزء صغير فقط من التغييرات التي تضيف بصورة سيئة إلى الضغط التنافسي في مجتمعنا، حيث يتأثر الأطفال بالضغط التنافسي للبالغين؛ لأنهم عندما يكافح أبائهم في عالم يلتهم فيه الإنسان أخاه الإنسان، يمدجون لأطفالهم تقنيات البقاء على قيد الحياة، إضافة إلى طرق الهروب، فقد يقلد أطفالهم أياً مما يرونه أو يسمعونه، ويرسل الآباء مخاوفهم الذاتية لأطفالهم، دون أن يقصدوا وضعهم تحت وطأة ضغط متزايد.

يشعر الراشدون عندما يفكرون ملياً بضغوطهم الوظيفية الشخصية، بمخاوف مبررة وقلقة تجاه أطفالهم اللامعين غير المحصلين، فكيف سيتمكنون من النجاح في المجتمع إن لم يتمكنوا من النجاح في حلبة المدرسة الصغيرة؟ وبسبب توترهم حيال أداء أطفالهم المتعثر، فإنهم

يبالغون في ردود الفعل تجاه انتصارات الأطفال وهزائمهم، ويتواصلون بضغط مختلف تماماً عن أساليب حل المشكلات، التي يتعيّن أن يتعلمها الأطفال.

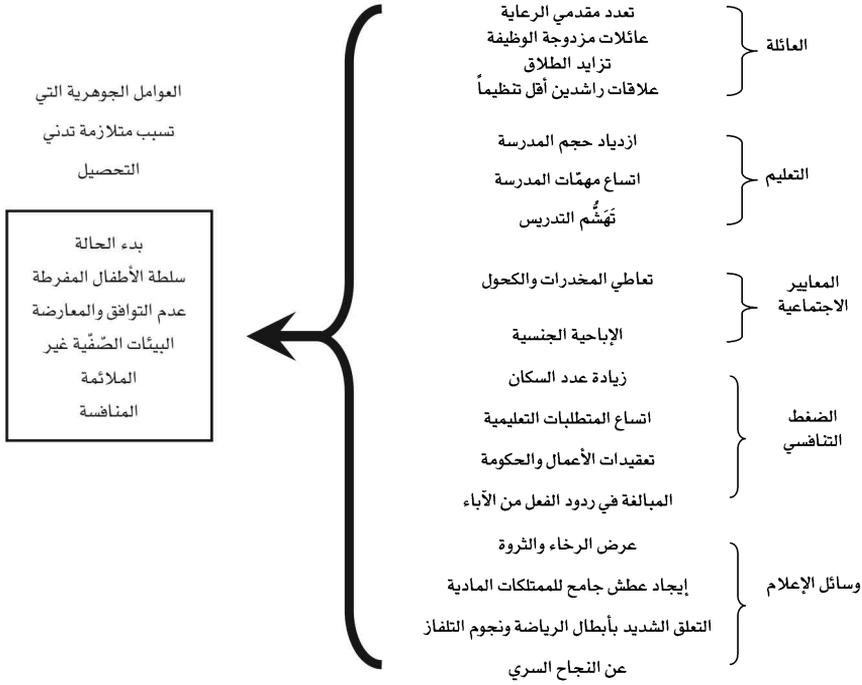
## وسائل الإعلام

تعرض أجهزة التلفاز، والحاسوب، والأفلام، وألعاب الفيديو، أنماط حياة الأشخاص الأكثر نجاحاً والمكافآت المالية التي ينالونها، وتقوم بذلك في غرف معيشتنا، حيث تحرّض الإعلانات على العطش الجامح للممتلكات المادية، ويشتهر أبطال الرياضة والموسيقا لرواتبهم الرائعة التي يحصلون عليها بدلاً من عملهم الدؤوب ومواهبهم، إضافة إلى ذلك، تبدو قصص نجاحهم كحكايات سحرية مع قليل من الكفاح وكثير من الحظ، فيظهر نظام القيم لهؤلاء الأبطال خالياً من البنية الأخلاقية، وترتبط المخدرات، والكحول، والجنس، والعنف، والأنشطة غير القانونية بالشهرة والنجاح، استُبدلت الصورة النمطية (من الملابس البالية إلى الغنى)، التي نمذجت للأطفال الأمريكيين من الأجيال السابقة الدرب الذي تسلك خلاله الناس المبدعون المجتهدون السلم من الفاقة إلى الثروة، بنظام وسائل الإعلام السحري، الذي يرغب كل طفل في اتباعه.

تُكتشف الموهبة العبقريّة بصورة إعجازية، وتغير عرّابة جنية قوية المراهق الفقير، المنبوذ إلى نجم بصورة فورية، أو يمكن للطفل أن يربح اليانصيب؛ مزيداً من السحر من غير عمل وجهد.

## التفاعل بين عوامل تدني التحصيل والتغيرات الاجتماعية

يوضح الشكل (1.14) تشعب التغيرات الاجتماعية للعامل الأساس، الذي يسبب متلازمة تدني التحصيل، فلكل واحدة من التغيرات الاجتماعية المذكورة وقع منفصل عن كل من العوامل الأساسية التي تسبب المتلازمة، وعندما تؤخذ جميعها معاً، تكون قوتها عظيمة، بحيث يكون من غير المنطقي أن نتوقع من المدارس وحدها أن تضع حداً للوباء، فلا توجد طريقة فورية لتوجيه أموال دافعي الضرائب نحو الإصلاح المدرسي، ولا توجد رسالة محددة لإعطائها لممثلك في البرلمان، ولا مشروع قانون خاص سيقود إلى الوقاية أو إلى العلاج، فالمشكلة أكثر تعقيداً من أن تعالج بطريقة مبسطة للغاية.



### الشكل (1.14): تشعب التغيير الاجتماعي على متلازمة تدني التحصيل

يمكن تلطيف التغييرات الاجتماعية ذات الوقع الدرامي على الأطفال متدنيي التحصيل في بيوتكم ومدارسكم، فعلى الرغم من أنكم قد تشعرون بالعجز تجاه القيام بتغييرات جذرية في ثقافتنا، فإنَّ بإمكانكم قبوله وتلطيف الكيفية التي تؤثر بها هذه الثقافة في الأطفال أو الطلاب الموجودين تحت رعايتكم وتلطيفها. على سبيل المثال، من الممكن أن يقوم الآباء بالكثير للمحافظة على بنية عائلية آمنة إلى حد معقول، ويمكننا توجيه الدعم لمدارسنا ومعلمينا، والمساعدة على تخفيض المطالب غير المعقولة التي يضعها المجتمع على عاتق التربويين، إضافة إلى أنه يمكن لمعلمين منفردين أن يلهموا الطلاب متدنيي التحصيل نحو تطوير المواهب، ويمكننا تعليم أطفالنا وطلابنا المبادئ الروحية والأخلاقية المعقولة ونمذجتها، ونريهم كيفية التعايش مع المنافسة، ونظهر لهم أساليب مؤقتة فاعلة لتخفيف الضغط الشديد، أخيراً، بإمكاننا الحد من تعرضهم لوسائل الإعلام المدمرة للجماهير، وأن نترجم قصة (من الملابس البالية

إلى الغنى) دون أن نعظم الأبطال السحريين، وبهذه الطرق يمكننا تقليل خطر وقوع أطفالنا ضحية لوباء تدني التحصيل.

سيساعد إدراك العناصر الأساسية التي تسبب متلازمة تدني التحصيل على منع المشكلة في عائلاتكم وغرفكم الصّفيّة، فقد تقدرون على منع بدء الحالة أولاً، ولكن الوعي سيساعدكم على القضاء على التأثيرات الضارة في أطفالكم. وبإمكان الآباء منكم أن يغيروا متغيرات عدم التوافق، والسلطة، والمعارضة في عائلاتكم. وبإمكان المعلمين منكم أن يعدّوا أدوات لتحسين البيئة المدرسية لكثير من متدنيي التحصيل، على الرغم من إمكان وجود كثير من الموضوعات الصّفيّة خارج نطاق سيطرتكم. وبوصفكم آباء ومعلمين، يمكن للتدريس ونمذجة المنافسة أن تسهم بصورة كبيرة في عائلاتكم وغرفكم الصّفيّة، فلن تتمكنوا من منع تدني التحصيل تماماً ولكن يمكن لفهم مسببات المتلازمة أن يساعدكم على عكسها.

## ماذا؟

إنّ عكس تدني التحصيل ممكن للأطفال في منازلكم وللطلاب في غرفكم الصّفيّة، إنه ليس بالأمر السهل، ولا يحتمل أن تتمكنوا من تغيير كل طفل متدني التحصيل. وعلى الرغم من أنّ معظم هذا الكتاب شدّد على أساليب طبقت بفاعلية من قبل آباء ومعلمين في عيادة الإنجاز العائلي وفي كثير من المدارس، فإن هناك عدداً كبيراً من الأبدال التي يمكنك الاختيار من بينها أو ابتكارها للاستخدام مع طفلك، لقد زودتكم بالنموذج ثلاثي البؤر لعلمي التام بأنّه مناسب ويعمل مع الجميع، وضمن إطار العمل هذا، توجد مساحة لإبداعك وتأقلمك.

## قوانين رم للتحصيل

عندما تبتكر أساليبك الذاتية لمساعدة الأطفال نحو التحصيل، يتعيّن أن تساعدك قوانين رم للتحصيل على توقع مدى فاعليتها، لقد قرأت هذه القوانين سابقاً في هذا الكتاب، ولكنني أعيد سردها هنا؛ لأنها تلخص المبادئ الأساسية التي قدّمت في هذه الصفحات.

## قانون رقم (1 #)

الأطفال أكثر احتمالاً لأن يكونوا متفوقين إن اتحد الوالدان معاً؛ ليعطوا الرسالة الواضحة الإيجابية نفسها عن مجهود المدرسة والتوقعات منها. يعد الارتقاء إلى توقعات الآباء أمراً طبيعياً من الناحية التنموية، ويعد أولوية قصوى لمعظم الأطفال، شريطة أن تكون أهداف الآباء واضحة ومتوافقة، وفي متناول اليد عند بذل قدر معقول من الجهود. وعندما يتوقع أحد الوالدين من الأطفال أكثر من الوالد الآخر، أو عندما يشعر الوالد الآخر بالإكراه على حماية الأطفال من الوالد الأول، سيتبع ذلك بالتأكيد تدني التحصيل والتمرد، إذ يجب التوصل إلى تفاهم بين الآباء المعنيين جميعهم، وتوفر رسالة واضحة وموحدة من الأهداف المعقولة، تكون أساساً لمبادرات الآباء والمعلمين جميعها، للتعامل مع الأطفال متدنيي التحصيل، وعندما يحترم الآباء والراشدون الذين يقومون بتربية الأطفال بعضهم بعضاً، يزيد احتمال أن يحترم الأطفال للراشدين الذين يوجهونهم.

## قانون رقم (2 #)

يتعلم الأطفال السلوكيات المناسبة بسهولة أكبر، إذا امتلكوا أنموذجاً فاعلاً لتقليده فالآباء هم النماذج المتاحة بصورة كبيرة للأطفال. ولذلك، عليهم أن يكونوا مدركين لكل من فاعلية نمذجة السلوكيات والتوجهات التي من الممكن أن يستسخها الأطفال ومشكلاتها، ويجب على الآباء كذلك وصف شركائهم لأطفالهم بأسلوب من شأنه تشجيع مماثلتهم مع نموذج القدوة فالتنشئة، والسلطة، وأوجه الشبه، هي السمات الثلاث التي تعزز المماثلة، وإن لم يكن الآباء موجودين أو لم يشكّلوا نماذج ملائمة للأطفال، عندها يمكن استخدام العلاقات المدرسية، أو العائلية، أو المجتمعية؛ لإلهام الأطفال نحو المحاكاة الملائمة. إضافة إلى أنه من المهم للذكور بوجه خاص، العثور على نماذج من الجنس نفسه؛ ولكن بالنسبة إلى الإناث، لا تكون النماذج من الجنس نفسه بالقدر نفسه من الأهمية، ولكنها تساعد على حدوث التحالف الضروري بصورة أسهل.

### قانون رم (3 #)

ما يقوله الراشدون بعضهم لبعض عن الأطفال على مسمع منهم يؤثر بصورة كبيرة في سلوكهم وفي تصورهم الذاتي لأنفسهم. يجب أن يكون الآباء والمعلمون حساسين لما يقولونه للراشدين الآخرين على مسمع من أطفالهم.

فإن تحدثت عن الإنجازات الإيجابية، فستشجع الأطفال على الفخر بإنجازاتهم، ولكن تعبيرك المستمر عن الإحباط بسبب سلوكيات الأطفال غير المجدية، قد يدمر ثقتهم في أنفسهم، فإن ناقشت عدم قدرتك على التحكم في سلوكيات الأطفال، فستعزز بذلك العداء وعدم الاحترام. إضافة إلى أن الحديث المرجعي بين الراشدين يؤسس لتوقعات مُحققة لذاتها للأطفال.

### قانون رم (4 #)

ستؤدي ردود الفعل المبالغ بها من قبل الآباء أو المعلمين بخصوص نجاحات الأطفال أو إخفاقاتهم، إلى الشعور بضغط كبير للنجاح، أو إلى الأسى والوهن في التعامل مع الإخفاق. إن وجود طريقة حلّ للمشكلات معتدلة يساعد الأطفال على التعايش مع الخسارة والنظر إلى الفشل بأنه مكون طبيعي للتعلم؛ لأنه يساعدهم على تعلم تقبل النقد وعلى المثابرة بصبر، وعلى نحو مشابه، تكوّن سعادتك وليس نشوتك الشديدة، استجابة ملائمة لنجاحاتهم، حيث لا تبدو الأخيرة غير صادقة فحسب، بل إنها تثقلهم بالضغط للأداء بصورة مستمرة، الأمر الذي قد لا يكون ممكناً. وعندما يصبحون أكثر ثقة في نجاحاتهم، فيمكنك زيادة درجة سعادتك دون الخوف من إثقال كواهلهم بالضغط.

### قانون رم (5 #)

يشعر الأطفال بالتوتر عند قلقهم على العمل الذي يقومون به، أكثر من التوتر الناجم عن قيامهم بالعمل نفسه. في العادة، لا يحتاج الأطفال الذين يظهرون أعراض التوتر إلى تقليل عبء العمل أو تبسيطه، وللجزء الأكبر من العمل، هم فقط في حاجة إلى طمأنتك بأنهم قادرون على إنجاز دروسهم، وإلى خطة منظمة واضحة المعالم لإكمال واجباتهم. وسيساعدكم تنظيم مهامهم، توفير التعزيز البصري للإنجازات على إنجاز عملهم بنجاح. سيتلاشى توترهم عندما

يعملون بجد أكبر وتتعزز ثقتهم بإنجازاتهم، إضافة إلى أنه يمكن (تلقيح) الأطفال ضد بعض من مخاوفهم، من خلال تعلمهم التعايش مع مقادير قليلة من التوتر بصورة تدريجية.

### قانون رقم (6 #)

يطور الأطفال مرونتهم وثقتهم في أنفسهم من خلال الجهد والكفاح. من الصعب على الآباء والمعلمين أن يشهدوا معاناة الطفل دون أن يحركوا ساكناً. وعلى أي حال، إنَّ حرمان الأطفال من فرصة دفع حدودهم الخاصة، هو حرمانهم من الفاعلية الذاتية والنمو اللذين يتأثيان من الإنجازات. ومن الواضح أنَّ الأطفال الذين يبذلون جهوداً صادقة، دون أن يحققوا النجاح أبداً، لن يتحفزوا للتحصيل، ولكن عندما تسفر المثابرة عن نجاحات معقولة متكررة، فسيعزز الأطفال من ثقتهم، وسمة التعايش مع التحدي وخيبة الأمل.

### قانون رقم (7 #)

غالباً ما يسبب الحرمان والوفرة الأعراض نفسها. يقودنا ميراثنا الفرويدي إلى تقييم الأعراض النفسية للأطفال بطرق مضللة، فعلى سبيل المثال: نفترض أنَّ الأطفال الذين يبحثون عن الانتباه لم يتلقوا قدراً كافياً من المحبة والعناية، وأنَّ الشباب الغاضبين لم يُعطوا سلطة، أو حرية كافية من آبائهم، وأنَّ الأطفال الذين يظهر عليهم التوتر قد وقعوا تحت وطأة ضغط كبير مبالغ فيه من قبل الراشدين. قد يكون ما سبق جميعه صحيحاً، ولكن يظهر الأطفال أعراضاً متماثلة إن اعتادوا الحصول على كثير من الحب والعناية، أو كانت لديهم سلطة كبيرة على والديهم، أو قام الراشدون بفعل الكثير لهم، إلى درجة أنهم لم يتعلموا التعايش مع أيّ ضغط فالكثير والقليل يسببان قدراً مساوياً من المشكلات، ولكن الواحد منا يحتاج إلى تحديد أيهما المتهم بالجرم قبل توفير المساعدة الملائمة.

### قانون رقم (8 #)

يطور الأطفال ثقتهم في أنفسهم وحسهم الداخلي بالتحكم والسيطرة، إن أعطوا المسؤولية بجرعات تدريجية متزايدة كلما أظهروا نضجاً وتحملاً للمسؤولية. إذا لم يعطَ الأطفال استقلالاً كافياً، فلن يُطوروا مفهوماً ذاتياً جيداً. ولكن، إن أعطيت لهم السلطة بصورة

مبكرة جداً. وعليه، كان لزاماً تقليلها، كلما اقتربوا من المراهقة، سيشعرون بالتحكم والغضب، على الرغم من أن حدودهم لا تختلف عن حدود أقرانهم، بإمكان الراشدين أن يتماثلوا مع هذه التجربة بصورة أفضل، إن تخيلوا كيفية شعورهم لو أن حريتهم في اتخاذ القرارات قد حُدَّت بواسطة قوة خارجية ما، إن مشاعر الغضب لدى هؤلاء المراهقين صادقة وأصيلة، ولكنها ليست ناتجة بصورة كبيرة من فرض بُنية مبالغ فيها، بقدر ما هي ناجمة عن الفشل في فرض حدود معقولة مبكراً، فبالمقارنة بسلطتهم السابقة، يشعرون بالعجز.

### قانون رم (9 #)

يصبح الأطفال أكثر معارضة إن انحاز لصفهم شخص راشد ضد ولي أمر أو معلم، جامعاً منهم أقوى من شخص راشد. إن شعور التحكم الذي يحصل عليه الأطفال من جراء الهيمنة على الأشخاص الأقوياء الآخرين، يدفعهم للشعور بسلطة حماسية وبانعدام أمان مخيف حيث إنه يوجد اندفاعاً في نفوسهم للحفاظ على الهيمنة على الآخرين بوصفه مقياساً لنفقتهم بأنفسهم، وعندما يختفي ذلك الشعور بالتحكم في الآخرين، يعودون إلى شعورهم المخيف بعدم الكفاية، فالمعارضة التي توفر قوة دون حكمة، تُقحمهم في تقلبات مزاجية تتفاوت مع تحكمهم في الآخرين، ويكون التعايش مع هؤلاء الأطفال شديد الصعوبة خلال مرحلة المراهقة والشباب المبكر، ومن الممكن تعزيز الاستقلال الملائم وبويرة التحكم الداخلية دون التحالف المُعارض ولكن هذه التحالفات مُعززة للراشدين كما هي معززة للأطفال. لذلك، احذروا؛ لا يحتاج الأطفال إلى المرور بمراهقة متمردة وغاضبة إن اتبع الآباء قانوني رم؛ الثامن والتاسع.

### قانون رم (10 #)

يجب على الراشدين تجنب المواجهات مع الأطفال، إلا إذا كانوا متأكدين بصورة معقولة من قدرتهم على التحكم في النتائج. فالدخول في مواجهة دون تحكم فعلي في النتائج يحدث فقط مزيد من المعارضة السلبية أو النَشِطَة، وبالنسبة إلى كثير من الأطفال، يكون الأمر أو الطلب، أقل فاعلية للراشدين من الإقناع، والإلهام، والنمذجة، والجهود القصيرة، والتعاون والتشجيع، وإيجاد تحالف إيجابي، اعمل تخميناً واقعياً لما سيكون فاعلاً مع طفل ما، قبل التسرع

بعمل ما يبدو لك صحيحاً في اللحظة، حيث توجد كثير من سلاسل التحالف خلال هذا الكتاب لمساعدة الآباء والمعلمين على عكس المعارضة مع الأطفال بعضهم مع بعض.

### قانون رقم (11)

يصبح الأطفال متفوقين، فقط إن تعلموا العمل في جو المنافسة. يتعين أن يتعلم الأطفال مبكراً أن الخسارة والفوز أمور مؤقتة، ويتعين أيضاً أن يستوعبوا كيفية الأداء عندما يفشلون أو يخسرون؛ لأنهم ينتعشون عندما تواجههم خبرات نجاح وفشل، ويمكنهم تعلم استخدام الفشل بصورة بناءة لصناعة النجاح، فالمنزل، والمدرسة، والمجتمع، كلها تنافسية، ومن المستحيل الانسحاب باستمرار من المنافسة والحفاظ على الثقة رغم ذلك، يمكن للآباء والمعلمين أن يعلموا الأطفال بصورة تدريجية الأداء بصورة تعاونية وتنافسية، ويجب أن تشجع بعض البيئات للتقليل من المنافسة، في حين يجب أن تزيد أخرى من الفرص التعاونية.

### قانون رقم (12)

سيستمر الأطفال بالتحصيل، إن استطاعوا رؤية العلاقة بين العملية التعليمية ونتائجها. يكتسب الأطفال حساً داخلياً بالتحكم من خلال استثمار أنفسهم في مشروع ما، ورؤية أنهم قاموا بالعمل بصورة جيدة، ويعزز هذا الحس بالفاعلية ذاته من خلال اكتشاف أن قلة الجهد تقود إلى مخرجات أقل نجاحاً. وفي العادة، يدرك الأطفال أن الفروقات في قدراتهم والاختلافات في إدراك المعلمين، وفي مستويات صعوبة الواجبات والاختبارات، يؤثر في الأداء المدرسي. ولكن، عندما يبذل الأطفال جهداً صغيراً تتبعه مخرجات ناجحة جداً، أو عندما يقومون بالتزام جاد نحو الدراسة دون أن تكفل جهودهم بالنجاح، أو عندما تبدو لهم العلاقة بين درجاتهم وعملهم عشوائية، فإنهم يفقدون حسهم بالتوجيه الداخلي، عندها، سيعززون درجاتهم للحظ أو قلته.

وسيلومون المعلمين على إخفاقاتهم، أو يدعون بأنهم ليسوا أذكاء فعلاً، وكثيراً ما سيقولون أنه يجب عليهم الدراسة بجد أكبر، ولكنهم قلما يكملون الأمر حتى النهاية؛ لأنهم لا يعتقدون حقاً بأنه سيكون للدراسة أثر في درجاتهم أو في تعلمهم.

ومن أجل تأسيس الفاعلية الذاتية، يكون من المهم تخصيص وقت واضح للدراسة، مع تغذية راجعة توضح درجات الأداء، إضافة إلى أسس اكتسابها، وعلى الرغم من أنّ الأطفال مرنين بصورة كافية ليتكيفوا مع الفروقات المعقولة في المنهجية والمعلمين، فإنهم لا يستطيعون تأسيس ذلك الحسّ الداخلي بالتحكم، بوجود درجات غير واضحة أو عشوائية أو بوجود مواد أكاديمية شديدة السهولة أو شديدة الصعوبة.

### إبطال مفعول الوباء

لا يحتوي هذا الكتاب بين دفتيه على علاج سحري، ولن يجعل متلازمة تدني التحصيل تختفي من المجتمع، ولكن الكتاب ليس نظرياً بصورة بحتة؛ فهو مبني على كثير من التجارب الحياتية الواقعية في المنازل والغرف الصّفية، فسواء كنت والدّاً أو معلماً، وأنعمت النظر في استيعاب موضوع تدني التحصيل، واتباع خطوات النموذج ثلاثي البؤر، وتطبيق قوانين رِم للتحصيل، فسيكون لك أثر إيجابي في الأداء المدرسي للأطفال؛ وستتخفف أعراض تدني التحصيل لديهم، وستحسن دافعيتهم للتحصيل والإنجاز. يحدث هذا الأمر بصورة يومية للأطفال متدني التحصيل في العيادات والمدارس التي تستعمل النموذج ثلاثي البؤر.





## المصادر

Academy for Educational Development  
National Literacy and Learning Disabilities  
[www.novel.nifl.gov](http://www.novel.nifl.gov)

C.H.A.D.D.  
(Children with Attention Deficit Disorder)  
[www.chad.org](http://www.chad.org)

Council for Exceptional Children  
(Also provides information about learning disabilities)  
[www.cec.sped.org](http://www.cec.sped.org)

The Davidson Institute for Talent Development  
[www.ditd.org](http://www.ditd.org)

Educational Assessment Service, Inc.  
[www.sylviarimm.com](http://www.sylviarimm.com)

ERIC Digests (Former ERIC Clearinghouse System)  
[www.ericdigests.org](http://www.ericdigests.org)

Family Achievement Clinic  
[www.familyachievement.com](http://www.familyachievement.com)  
[www.sylviarimm.com](http://www.sylviarimm.com)

Gifted Child Society, Inc.

[www.gifted.org](http://www.gifted.org)

Hoagies Gifted Education Page

[www.hoagiesgifted.org](http://www.hoagiesgifted.org)

Irlen Institute (information on scotopic sensitivity syndrome)

[www.irlen.org](http://www.irlen.org)

National Adult Literacy and Learning Disabilities Academy for Educational Development

[www.nifl.gov/nalldtop.htm](http://www.nifl.gov/nalldtop.htm)

National Association for Gifted Children (NAGC)

[www.nagc.org](http://www.nagc.org)

The National Research Center on the Gifted and Talented

[www.nrcgt.org](http://www.nrcgt.org)

Recording for the Blind & Dyslexic® (RFB&D®)

[www.rfbd.org](http://www.rfbd.org)

Supporting Emotional Needs of Gifted (SENG)

[www.sengifted.org](http://www.sengifted.org)

Sylvia Rimm

[www.sylviarimm.com](http://www.sylviarimm.com)

[www.seejanewin.com](http://www.seejanewin.com)

Twice—Exceptional Newsletter

[www.2enewsletter.com](http://www.2enewsletter.com)

## قائمة المراجع

- American Psychiatric Association. (2000). **Diagnostic and statistical manual of mental disorders** (4th ed.). Washington, DC: Author.
- Assouline, S., Colangelo, N., Lupkowski–Shoplik, A., Lipscomb, J., & Forstadt, L. (2003). **Iowa acceleration scale** (2nd ed.). Scottsdale, AZ: Great Potential Press.
- Baum, S. (2004). The promise of talent development for two exceptional youngsters. **Gifted Education Communicator**, 34(4), 13. Baker, J. A. (1996). Everyday stressors of academically gifted adolescents. **Journal of Secondary Gifted Education**, 7, 356–368.
- Benbow, C. P., & Stanley, J. C. (1983). Sex differences in mathematical reasoning ability: More facts. **Science**, 222, 1029–1031.
- Berg, A. (1993). **The application of the Trifocal model in the special education program**. Paper presented at Rimm Underachievement Institute, Milwaukee, WI.
- Bloom, B. S. (Ed.). (1985). **Developing talent in young people**. New York: Ballantine.
- Bloom, B. S., & Sosniak, L. A. (1981). Talent development vs. schooling. **Educational Leadership**, 39, 86–94.
- Brody, L. E., & Benbow, C. P. (1987). Accelerative strategies: How effective are they for the gifted? **Gifted Child Quarterly**, 31, 105–110.
- Brown, B., & Steinberg, L. (1990). Academic achievement and social acceptance: Skirting the (brain–nerd) connection. **Education Digest**, 55(7), 55–60.
- Clasen, D. R., & Clasen, R. E. (1995). Underachievement of highly able students and the peer society. **Gifted and Talented International**, 10(2), 67–76.

- Cornale, M. (1988). **Dependence and dominance in preadolescent academic underachievers**. Unpublished research paper, University of Wisconsin–Madison.
- Covington, M. V., & Beery, R. G. (1976). **Self–worth and school learning**. New York: Holt.
- Davis, G. A. (1992). **Creativity is forever** (3rd ed.). Dubuque, IA: Kendall/Hunt.
- Davis, G. A. (2006). **Gifted children and gifted education**. Scottsdale, AZ: Great Potential Press.
- Davis, G. A., & Rimm, S. B. (2004). **Education of the gifted and talented** (5th ed.). Boston: Pearson Education.
- Dweck, C. S. (1999). **Self–theories: Their role in motivation, personality, and development**. Philadelphia: Psychology Press.
- Dweck, C. S. (2006). **Mindset: The new psychology of success**. New York: Random House.
- Emerick, L. (1992). Academic underachievement among the gifted: Students' perceptions of factors that reverse the pattern. **Gifted Child Quarterly**, *36*, 140–146.
- Feldhusen, J. (1993). **Creative thinking and problem solving in gifted education**. Dubuque, IA: Kendall/Hunt.
- Glenday, C. (Ed.). (2008). **Guinness world book of records 2008**. New York: Bantam Books.
- Goertzel, V., Goertzel, M. G., Goertzel, T. G., & Hansen, A. M. W. (2004). **Cradles of eminence: Childhoods of more than 700 famous men and women** (2nd ed.). Scottsdale, AZ: Great Potential Press.
- Goldberg, J., & Adderhold–Elliot, M. (1999). **Perfectionism: What's bad about being good?** Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Goodkin, S. (2005, December 7). **Leave no gifted child behind**. Retrieved March 3, 2008, from [www.nagc.org/CMS400Min/index.aspx?id=1132](http://www.nagc.org/CMS400Min/index.aspx?id=1132)
- Graue, M. E., & DiPerna, J. (2000, Summer). Redshirting and early retention: Who gets the (gift of time) and what are its outcomes? **American Educational Research Journal**, *37*(2), 509–534.
- Helson, R. (1971). Women mathematicians and the creative personality. **Journal of Consulting and Clinical Psychology**, *36*, 210–211, 217–220.

- Hetherington, E. M., & Frankie, G.. (1967). Effects of parental dominance, warmth, and conflict on imitation in children. **Journal of Personality and Social Psychology**, **6**, 119–125.
- Horn, L., & Berger, R. (2004). **College persistence on the rise? Changes in 5–year degree completion and postsecondary persistence rates between 1994 and 2000**. Retrieved January 17, 2008, from <http://nces.ed.gov/das/epubs/2005156/persistence3.asp>
- Irlen, H. (1991). **Reading by the colors**. Garden City Park, NY: Avery.
- Kanevsky, L., & Keighley, T. (2003, Fall). To produce or not to produce? Understanding boredom and the honor in the underachievement. **Roeper Review**, **26**(1).
- Karnes, F., & Bean, S. (2005). **Methods and materials for teaching the gifted** (2nd ed.). Waco, TX: Prufrock Press.
- Kinney, D. A. (1993). From nerds to normals: The recovery of identity among adolescents from middle school to high school. **Sociology of Education**, **66**, 21–40.
- Kristensen, P., & Bjerkedal, T. (2007, June). **Explaining the relation between birth order and intelligence**. Retrieved March 4, 2008, from [www.sciencemag.org/cgi/content/full/316/5832/1717](http://www.sciencemag.org/cgi/content/full/316/5832/1717)
- Kulik, J. A. (1992). **An analysis of the research on ability grouping: Historical and contemporary perspectives**. Storrs, CT: National Research Center on the Gifted and Talented, University of Connecticut.
- Laidig, P. (1991). The summer birthday dilemma: Outcomes of delayed school entry. **The Wisconsin School Psychologist** **1**, 3.
- Linn, M. C. (2007). Women in science: Can evidence inform the debate? **Science Magazine**, **317**, 199–200.
- McCoy, K. (2007). Studies track treatment outcomes for kids with ADHD. **HealthDay News**.
- Monastersky, R. (2005). Primed for numbers? **Chronicle of Higher Education**, **51**(26), A1
- Mussen, P. H., & Rutherford, E. (1963). Parent–child relations and parental personality in relation to young children’s sex–role preferences. **Child Development**, **34**, 589–607.

- Neumeister, K. L. (2005, Summer). Perfectionism and gifted children. **Indiana Association for the Gifted**, 18(3).
- Reis, S. M., & Purcell, J. H. (1993). An analysis of content elimination and strategies used by elementary classroom teachers in the curriculum compacting process. **Journal for the Education of the Gifted**, 16(2), 147–170.
- Renzulli, S. (2005, Fall/Winter). The irony of (twice–exceptional.) **California Association for the Gifted**, 5–6.
- Rimm, S. B. (1984a). Characteristics approach: Identification and beyond. **Gifted Child Quarterly**, 28(4), 181–187.
- Rimm, S. B. (1984b, January/February). If God had meant gifted children to run our homes, she would have created them bigger. **Gifted Child Today**, 26–29.
- Rimm, S. B. (1985). **AIM: Achievement identification measure**. Watertown, WI: Educational Assessment Service.
- Rimm, S. B. (1986a). **GAIM: Group achievement identification measure**. Watertown, WI: Educational Assessment Service.
- Rimm, S. B. (1986b). **Underachievement Syndrome: Causes and cures** (1st ed.). Watertown, WI: Apple.
- Rimm, S. B. (1988). **AIM–TO: Achievement identification measure—teacher observation**. Watertown, WI: Educational Assessment Service.
- Rimm, S. B. (1990). A theory of relativity. **Gifted Child Today**, 13(3), 32–36.
- Rimm, S. B. (1992). A bicycle ride: Why we need grouping. **How to Stop Underachievement Newsletter**, 1(3), 1–3.
- Rimm, S. B. (1994). Talk, talk, talk: How to talk to your kids. **How to Stop Underachievement Newsletter**, 4(4), 3.
- Rimm, S. B. (2003a). **See Jane Win® for girls: A smart girl's guide to success**. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Rimm, S. B. (2003b). Marching to the beat of a different drummer. **Sylvia Rimm On Raising Kids Newsletter**, 14(2), 2–3.
- Rimm, S. B. (2005). **Growing up too fast: The Rimm report on the secret world of America's middle schoolers**. Emmaus, PA: Rodale.
- Rimm, S. B. (2007a). How children feel about their changing families. **Sylvia Rimm On Raising Kids Newsletter**, 17(4), 5.

- Rimm, S. B. (2007b, Fall). Listening for what gifted children don't say. **Duke Gifted Letter**, 3.
- Rimm, S. B. (2008). What's the hurry? **Sylvia Rimm On Raising Kids Newsletter**, 18(3), 7.
- Rimm, S. B., Cornale, M., Manos, R., & Behrend, J. (Eds.). (1990). **Guidebook — Underachievement Syndrome: Causes and cures**. Watertown WI: Apple.
- Rimm, S. B., & Lovance, K. J. (1992). The use of subject and grade skipping for the prevention and reversal of underachievement. **Gifted Child Quarterly**, 36, 100–105.
- Rimm, S. B., & Lowe, B. (1988). Family environments of underachieving gifted students. **Gifted Child Quarterly**, 32(4), 353–359.
- Rimm, S. B., & Olenchak, F. R. (1991). How FPS helps underachieving gifted students. **Gifted Child Today**, 14(2), 19–22.
- Rimm, S. B., & Rimm–Kaufman, S. (2001). **How Jane won: 55 successful women share how they grew from ordinary girls to extraordinary women**. New York: Crown.
- Rimm, S. B., Rimm–Kaufman, S., & Rimm I. (1999). **See Jane Win®: The Rimm report on how 1,000 girls became successful women**. New York: Crown.
- Rimm–Kaufman, S. (1996). **Infant predictors of kindergarten behavior: The contribution of inhibited and uninhibited temperament types**. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.
- Rosenthal, R. J., & Jacobsen, L. (1968). **Pygmalion in the classroom**. New York: Holt.
- Sapolsky, R. (2004). **Why zebras don't get ulcers** (3rd ed.). New York: Henry Holt.
- Schultz, R. (2000). Flirting with underachievement: Hidden for a reason. **Highly Gifted Children**, 13(2), 42–48.
- Sheehy, G. (1982). **Pathfinders**. New York: Bantam.
- Shepard, L. A., & Smith, M. L. (Eds.). (1989). **Flunking grades: Research and policies on retention**. London, New York, Philadelphia: The Falmer Press.
- Shorrs, T. (2006). Differences between the sexes: The mismeasure of woman. **The Economist**, 380(8489), 70–72.

- Siegle, D., & McCoach, D. B. (2005). Motivating gifted students. In F. A. Karnes & K. R. Stephens (Series Eds.), **Practical strategies in gifted education**. Waco, TX: Prufrock Press.
- Smutney, J. (2004, Winter). Creative underachievers...are they creative too? **Gifted Education Communicator**, 34(4), 41.
- Stanley, J. C. (1997, September) **Letter to the editor, Johns Hopkins Magazine**. Retrieved March 5, 2008, from [www.jhu.edu/~jhumag/0997web/letters.html](http://www.jhu.edu/~jhumag/0997web/letters.html)
- Steinberg, L., Dornbusch, S. M., & Brown, B. B. (1992). Ethnic differences in adolescent achievement—an ecological perspective. **American Psychologist**, 47, 723–729.
- Tomlinson, C. (2004). **The differentiated classroom: Responding to the needs of all learners**. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.
- Tomlinson, C., Kaplan, S., Renzulli, J., Purcell, J., Leppien, J., & Burns, D. (2002). **The parallel curriculum**. Washington, DC: National Association for Gifted Children
- Van Tassel–Baska, J. (2003). **Content–based curriculum for high ability learners**. Waco, TX: Prufrock Press.
- Webb, J. T., Amend, E. R., Webb, N. E., Goerss, J., & Olenchak, F. R. (2005). **Misdiagnosis and dual diagnoses of gifted children and adults: ADHD, Bipolar, OCD, Asperger's, depression, and other disorders**. Scottsdale, AZ: Great Potential Press.
- Webb, J. T., Gore, J. L., Amend, E. R., & DeVries, A. R. (2007). **A parent's guide to gifted children**. Scottsdale, AZ: Great Potential Press.
- Williams, S. T., Conger, K. J., & Blozis, S. A. (2007). The development of interpersonal aggression during adolescence: The importance of parents, siblings, and family economics. **Child Development**, 78(5), 1526–1542.
- Winebrenner, S. (2001). **Strategies and techniques every teacher can use to meet the academic needs of the gifted and talented**. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Whitney, C. S., & Hirsch, G. (2007). **A love for learning: Motivation and the gifted child**. Scottsdale, AZ: Great Potential Pres

## ملحوظات ختامية

### الفصل الأول

1. هورن و بيرجير (2004م).
2. يوصف كثير من الأطفال النوابع بصورة غير صحيحة بأنهم يعانون الاضطرابات، وللحصول على مناقشات ممتازة عن هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى Misdiagnosis and Dual Diagnoses of Gifted Children and Adults:ADHD, Bipolar,OCD, Asperger's, Depression, and Other Disorders byWebb, Amend,Webb, Goerss, & Olenchak ..(2005).
3. ويتني وهيرش (2007م).
4. رِم، رِم-كاوفمان و رِم (1999م).
5. سابلوسكي (2004م).

### الفصل الثاني

1. بينبو و ستانلي (1983م).
2. ستانلي (1997م).

3. موناسترسكي (2007م).
  4. شورش (2006م).
  5. ريم-كاوفمان (1996م).
  6. ريم (2008م).
  7. ريم (2005م)، ص. 248.
  8. لين (2007م).
  9. كريستينسين وبيركيدال (2007م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
  10. ويليامز، كونغار وبولتزييس (2007م).
  11. ريم ولوفه (1988م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
  12. جودكين (2005م)؛ ويتني وهيرش (2007م).
  13. كتاب ممتاز ومفيد جداً عن الرعاية الأبوية للأطفال الموهوبين:
- A Parent's Guide to Gifted Children by Webb, Gore, Amend, & DeVries  
(م2007)..
14. ريم (1990م).

### الفصل الثالث

1. موسين ورذرفورد (1963).
2. هيديرينغتون وفرانكي (1967م).
3. ريم (2007 a).
4. هيلسون (1971م)؛ ريم، ريم-كاوفمان (2001م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
5. ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).

## الفصل الرابع

1. بلوم و سوسنيك (1981م).
2. ريم (1984b).

## الفصل الخامس

1. دايفيس وريم (2004م).
2. (1968م).
3. دايفيس وريم (2004م).
4. ريم (1984a).
5. رايز و بورسيل (1993م).
6. براون و شتاينبيرج (1990م)؛ كلاسين و كلاسين (1995م)؛ كيني (1993م)؛ ريم (2005م).
7. ريم (2005).

## الفصل السادس

1. جورتزيل، جورتزيل، جورتزيل و هانسين (2004م)؛ ريم وريم-كاوفمان (2001م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
2. شيهي (1982م).
3. كونفينجتون و بيرري (1976م)؛ ويتني وهيرش (2007م).
4. كونفينجتون و بيرري (1976م).

## الفصل السابع

1. كارنيس و بين (2005م)؛ سمثي (2004م)؛ توملينسون (2004م)؛ توملينسون، كابلان، رينتزووللي، بورسيل، ليبين و بورنس (2002م)؛ فان تاسيل-باسكا، ج. (2003م)؛ فينيربرينير (2001م).
2. باوم (2004م)؛ رينتزووللي (2005م)؛ شولتز (2000م).
3. دويك (2006م).
4. بايكر (1996م)؛ رِم (1986b)؛ رِم (2005م).
5. رِم (1992م).
6. كوليك (1992م).
7. سيغيل و ماك كوتش (2005م).
8. بلوم وسوسنيك (1981م).
9. إيميريك (1992م)؛ كانفيسكي و كايفلي (2003م).
10. رِم (2007bم).
11. رِم، رِم-كاوفمان و رِم (1999م).

## الفصل الثامن

1. رِم (1985م).
2. رِم (1986a).
3. رِم، كورنالي، مانوس و بيريند (1990م).
4. رِم (1988م).
5. كورنالي (1988م).
6. رِم (1990م).

## الفصل العاشر

1. دويك (2006م).
2. دويك (2006م).
3. دايفيس وريم (2004م).
4. شتاينبيرغ، دورنبوش و براون (1992م).
5. براون و شتاينبيرغ (1990م).
6. بيرغ (1993م).
7. ريم (2005م).
8. ريم (2003aم)؛ ريم وريم-كاوفمان (2001م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
9. إيرلين (1991).

## الفصل الحادي عشر

1. ريم (2003a).
2. جلينداى (2008م).
3. ريم وأولينتشاك (1991م).
4. ريم (2003aم)؛ ريم وريم-كاوفمان (2001م)؛ ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
5. جولدبيرغ وأديرهولد-إليوت (1999م).
6. نويمايستر (2005م).
7. ريم، ريم-كاوفمان وريم (1999م).
8. ريم وريم-كاوفمان (2001م).
9. دايفيس (1992م)؛ دايفيس وريم (2004م)؛ فيلدهوسن (1993م).
10. غراو و ديبيرنا (2000م)؛ لايديج (1991م)؛ شيبارد وسميث (1989م).
11. دويك (2006م).
12. جورتزيل، جورتزيل، جورتزيل و هانسين (2004م).

13. رِم و رِم-كاوفمان (2001م)؛ رِم، رِم-كاوفمان و رِم (1999م).
14. سيفيل و ماك كوتش (2005م).
15. رِم (2005م).
16. دايفيس و رِم (2004م).

### الفصل الثاني عشر

1. بلوم (1985م).
2. سابولسكي (2004م).
3. دايفيس (2006م)؛ دايفيس و رِم (2004م).
4. أسولايين، كولانغيلو، لوبكوفسكي-شوبليك، ليبسكومب وفورشاتات (2003م).
5. برودي و بينبو (1987م).
6. دويك (1999م).
7. رِم و رِم-كاوفمان (2001م)؛ رِم، رِم-كاوفمان و رِم (1999م).

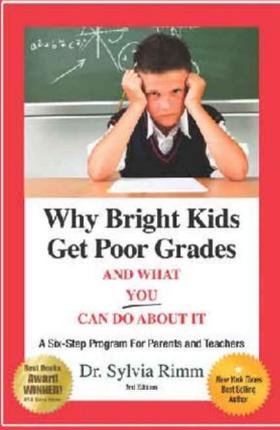
### الفصل الثالث عشر

1. رِم (1990م).
2. الاتحاد الأمريكي للأطباء النفسيين (2000م).
3. ماك كوي (2007م).
4. رِم (1994م).
5. رِم و لوفانس (1992م).

## نبذة عن المؤلف

الدكتورة سيلفيا رم مؤلفة لعدد من الكتب الأكثر مبيعاً في مجال الرعاية الأبوية (Parenting) ، وقد ظهرت لمرات عدّة في البرنامج الشهير (برنامج اليوم Today Show) ، الذي تبثه قناة إن بي سي. وبصفتها مديرة لعيادة الإنجاز العائلي (Family Achievement Clinic) في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو الأمريكية، وأستاذة في كلية الطب بجامعة (Case Western Reserve) ، فإنّ الدكتورة رم تعدّ من الخبراء العريقين في مجال تربية الأطفال في بيئة تحفّز الإبداع والإنجاز.

تكتب الدكتورة رم، الأم لأربعة أبناء، عموداً عن الرعاية الأبوية ينشر في الصحف المحلية. ولها أكثر من خمسة عشر كتاباً في الموهبة والنبوغ. وقد عملت لسنوات عدّة في مجلس إدارة الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين (National Association for Gifted Children NAGC) ، إضافة إلى ذلك، فقد حصلت الدكتورة رم على شهادتي؛ الماجستير والدكتوراه؛ في علم النفس التربوي من جامعة ولاية ويسكونسن في مدينة ماديسون.



تصف الدكتورة ريم برنامجاً واقعياً حنوناً بعيداً عن الهراء من ست خطوات لتشخيص وبراء تدني التحصيل الموجود في مدارس اليوم؛ ويحتوي هذا الدليل على نصائح عملية وأمثلة خطوة بخطوة ونماذج حوارات، لتستخدم مع الأطفال النوابغ متدني التحصيل، وهي موجهة للآباء وللمعلمين.

في كتاب ماذا يحصل الأطفال النوابغ على علامات متدنية توضح الدكتورة ريم:

- كيفية معرفة إن كان الطفل متدني التحصيل.
- أنماط تدني التحصيل.
- كيف يسهم الآباء (دون قصد) في تدني التحصيل.
- الأساليب التي تسبب المدارس بها تدني التحصيل.
- تبعات الاعتمادية والهيمنة لدى الأطفال.
- نصائح لحل صعوبات الوظائف المنزلية.
- دور المناقشة.
- كيف يمكن للمعلمين والآباء العمل معاً.
- طرق إيجاد نماذج قدوة إيجابية.
- تقنيات لمساعدة الأطفال على تحمل المزيد من المسؤولية.
- طرق تشجيع الاستقلالية وتنظيم الذات.
- خطط لبناء المرونة.
- نموذج مؤكد لعكس تدني التحصيل.

**الدكتورة سيلفيا ريم:** عالمة نفس ومؤلفة كتب من الأفضل مبيعاً. ظهرت بشكل منتظم في برنامج اليوم على قناة ال (إن بي سي)، وهي مديرة عيادة التحصيل العائلي في مدينة كليفلاند، أوهايو؛ وهي أستاذة في كلية الطب في جامعة كايس ويستيرن رزيرف.

